قرة عيون الموحدين

المسمى

(خاتمة البحر المفيد في بيان مسائل التوحيد)

[وهو تعليق على كتاب التوحيد]

تأليف

العالم العلامة والحبر البحر الفهامة مجدد السنة في زمانه

الشيخ عبد الرحمن بن حسن

ابن محمد بن عبد الوهاب

[١١٩٣-١٢٨٥هـ]

مفتي الديار النجدية

يطبع لأول مرة على خمس نسخ

حققه واعتنى به وخرج أحاديثه

أبو عبد الله عمر بن أحمد بن علي الأحمد العباسي

غفر الله له ولوالديه آمين

دار التوحيد للنشر

قرة عيون الموحدين

المسمى

(خاتمة البحر المفيد في بيان مسائل التوحيد)

[وهو تعليق على كتاب التوحيد]

ح دار التوحيد للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن عبدالوهاب، عبدالرحمن بن حسن بن محمد

قرة عيون الموحدين المسمى بخاتمة البحر المفيد./عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب؛ عمر أحمد علي آل عباس- الرياض ١٤٣٤هـ

٦٤٠ ص، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٢-٣١-٢٩-٨٠٢٩-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية

أ- آل عباس،عمر أحمد علي (محقق) ب-العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٤/٢٣٦٨

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢٣٦٨

ردمك: ٢-٣١-٢٩-٨٠٢٩-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار التوحيد للنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com

قرة عيون الموحدين

المسمى

(خاتمة البحر المفيد في بيان مسائل التوحيد)

[وهو تعليق على كتاب التوحيد]

تأليف

العالم العلامة والحبر البحر الفهامة مجدد السنة في زمانه

الشيخ عبد الرحمن بن حسن

ابن محمد بن عبد الوهاب

[١١٩٣ - ١٢٨٥ هـ]

مفتي الديار النجدية

يطبع لأول مرة على خمس نسخ

حققه واعتنى به وخرج أحاديثه

أبو عبد الله عمر بن أحمد بن علي الأحمد آل عباس

غفر الله له ولوالديه آمين

دار التوحيد للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إِنَّ الْحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنْفُسِنا، وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خيرَ الكلام كلامُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضلالَةٌ.

فَإِنَّ أَوْلى مَا تُصرفُ فِيهِ الأَوْقَاتُ، وَخَيْرَ مَا يَعْمَلُهُ الإنْسَانُ هُوَ الاهْتِمامُ بِتوْحِيدِ اللهِ، وَإِخْلاصِ الدِّينِ لَهُ عِلمًا وَعَمَلًا، وَدَعْوَةً وَبَيانًا

وَتَعلِيمًا، وَالْوَصِيَّة مع الصبرِ على ما يلاقيهِ في ذلِك.

فَقَدِ اهْتمَّ الصَّحابَةُ، وَبَعْدَهمُ العُلَمَاءُ الأَفَاضلُ بالتَّوْحِيدِ اهتِمامًا كَبيرًا بالِغًا، أَوْلَوْهُ جُلَّ عِنَايَتِهم وَكَبيرَ اهتِمَامِهِمْ، وَمَا ذلِكَ إلَّا لأنَّ التوحيدَ هُوَ إِخْلاصُ العِبَادةِ للهِ ﷻ وَحْدَهُ، فمن تَوحِيدِهِ: دُعَاؤُهُ، والذَّبْحُ لَهُ، والاستِغَاثَةُ والاستِعَانَةُ بِهِ... وغير ذلك.

وهذا الاهتمامُ لَيسَ للصَّحَابَةِ وَالعُلَمَاءِ فَقَطْ، وإنَّما كانَ الاهتِمَامُ بهِ قديمًا قدمَ هذِهِ الدَّعوةِ، أيْ منْ عهدِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، إلى وقتِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ؛ كَانتْ دَعوَتُهم إلَى تَوحِيدِ اللهِ ﷻ، وَعدمِ الإِشْرَاكِ بِهِ، لِقَولِهِ تَعَالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ فِي تفسيره لسورة «الذاريات»: «أي: إنَّما خلقتُهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.. أي: إلّا ليُقرُّوا بعبادتي طوعًا أو كرهًا».اهـ[١]. فلمَّا كان الأمر كذلك اهتمَّ العلماء بالتَّوحيد، فألَّفوا فيه الكتب، وصنَّفوا لأجله المصنَّفات. وسأذكر هذه المصنَّفات في وقت لاحق بعد أن أذكر حقيقة التوحيد؛ لأنَّ النَّاس إذا سُئِلوا عن كلمة التَّوحيد ظنُّوا أنَّ معناها: لا خالق ولا موجد إلَّا الله، أو هو معرفة الله، وهذا وإن كان من توحيد الربوبية، غير أنه ليس كل التوحيد، وإنما هو أحد أجزاء التوحيد المطلوب الإتيان به، ومما يدلّ على ذلك أنَّ المشركين قد اعترفوا وأقرّوا بتوحيد الربوبية، ولم يكن هذا كافيًا منهم في تحقيق كل التوحيد المطلوب، فهم لم يجحدوا أنَّ الله هو الخالق والرَّزَّاق والمحيي والمميت، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٥) ط. طيبة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وهذا التَّوحيد الذي أقرَّ به المشركون، قد وجد في زماننا بعض من يدّعي العلم، يعتقد أنه هو التوحيد الذي لا توحيد سواه.

يقول علوي الحداد في «مصباح الأنام»[(١)]: «توحيد الألوهية داخل في عموم توحيد الربوبية، بدليل أنَّ الله تعالى لمَّا أخذ الميثاق على ذريَّة آدم خاطبهم الله بتوحيد الرُّبوبية، ومن المعلوم أنَّ من أقرَّ له بالربوبيَّة فقد أقرَّ له بالألوهيَّة!! إذ ليس الرَّب غير الإله، بل هو الإله بعينه..».

قلت: ثم أخذ يتهجَّمُ على الشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب في ذكره أنواع التوحيد، وتعجَّب من ذلك!!

وأشباه هذا الحداد كثير، مثل عبد الله بن عيسى، وداود بن جرجيس، والسمهودي، وأحمد دحلان، ويوسف الدجوي، وحسن السقاف.. وغيرهم وغيرهم.

بل إنَّ من أسباب انتشار عقيدة الأشاعرة في هذا العصر: أنَّها اهتمَّت بتوحيد الرّبوبية، بل وجعلته هو التوحيد الذي خُلق من أجله الخلق، فلذلك راجت عند كثير من الخلق.

قال الشَّيخ الدكتور محمد خليل هرَّاس رحمه الله: «ومن العجيب أنَّ هؤلاء الأشاعرة يرون أنَّ أخصَّ خصائص الألوهية، هو الانفراد بالخَلْقِ والاختراع!!.. ومعلوم أنَّ الانفراد بالخلق هو توحيد الرُّبوبية الذي كان

(١) ص (١٧).

يقرُّ به المشركون، أمَّا التوحيد الأهمُّ والأعظم - وهو توحيد الإلهية - فإنَّهُم لا يهتمونَ به، ولا يوجدُ لهُ ذِكْرٌ في كتبهم، ولعلَّ هذا هو السِّرُّ في انخراط كثير منهم في بدع التَّصوُّف، وإقرارهم للوسائل الشِّركيَّة التي ترتكب عند أضرحة المشايخ المقبورين!»(١).

فكان لزامًا على أهل التَّوحيد بيان التَّوحيد الحق ليعرفه النَّاس، وأنَّ توحيد الربوبية وحده لا يُنجي صاحبه من النَّار.

قال ابن القيِّم ﷺ: «ولو أنجى هذا التَّوحيد وحده - أي توحيد الربوبية - لأنجى عبَّاد الأصنام، والشأن في توحيد الإلهية الذي هو الفارق بين المشركين والموحدين»اهـ(٢).

التَّوحيد يعني إخلاص العبادة لله ﷻ؛ لأنَّ نقيضه الشِّرك بالله بنوعيه:

الشِّرك الأكبر الذي يُخلِّدُ صاحبه في النَّار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨].

ونهى عنه في غير آية من كتابه جلَّ وعلا، فقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] إلى غير ذلك.

والنَّوع الثاني: الشِّرك الأصغر، وهو كالرياء ونحوه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النِّساء: ٣٨].

(١) «دعوة التوحيد أهميتها والأدوار التي مرَّت بها ومشاهير دعاتها»، ص (٢٤٨).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٧).

وقال عن المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم(١).

فلا يمكن أن يعرف الإنسان هذا الشِّرك بنوعيه، ويحذره إلَّا بمعرفة التَّوحيد.

وتعلُّم العقيدة ومعرفتها يحتاج إلى مجاهدة ووقت، فالأمر لا يقتصر على تعلُّم العقيدة أو التوحيد في دقائق أو سويعات معدودة، كما يظنُّ ذلك بعض من لم يعرف حقيقة التوحيد، والنبيُّ ﷺ مكث في أصحابه يقرر لهم التوحيد قرابة ثلاث وعشرين سنة، حتَّى جاءه الموت واختار الرَّفيق الأعلى، كما هو معلوم.

أخرج مسلم في «صحيحه»(٢) عن جُنْدب بن عبد الله البجلي ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُم خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا فَلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذلِكَ**».

كما كان ﷺ يؤكِّد ذلك على من يرسله إلى الناس، سواء كانوا في سريةٍ أو في بعثٍ، ففي البخاري(٣) ومسلم(٤) عن ابن عبَّاس ﷺ قال:

---

(١) «صحيح مسلم»، برقم (٢٩٨٥).
(٢) برقم (٥٣٢).
(٣) برقم (١٤٥٨).
(٤) برقم (١٩).

قال رسولُ اللهِ ﷺ لمعاذ بن جبل حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَومًا أهلَ كِتابٍ، فَإذا جِئْتَهُم فَادْعُهُم إلى أَنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلـه إلَّا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله...» الحديث.

بل إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يجد راحته في تحقيق التوحيد.

أخرج البخاري[١] ومسلم[٢] من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخلَصَةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِئَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ واجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا». قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ. قَالَ: وَكَانَ ذُو الخَلَصَةِ بَيْتًا بِالْيَمَن لِخَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ فِيهِ نُصُبٌ تُعْبَدُ يُقَالُ لَهُ: الْكَعْبَةُ. قَالَ: فَأَتَاهَا، فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ، وَكَسَرَهَا... ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رجُلًا مِنْ أَحْمَسَ يُكْنَى أَبَا أَرْطَاةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُبَشِّرُهُ بذَلِكَ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا جِئْتُ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ. قَالَ: فَبَرَّكَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ.

قال ابن حجر: «... والمراد بالرَّاحة، راحة القلب، وما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون الله - تعالى -»[٣].

ثم قال ابن حجر[٤]: «وسُئِلَ - أي الجوهري - عن الحكمة في قوله: «خمس مرات»، فقيل: مبالغة واقتصارًا على الوتر؛ لأنَّه مطلوب،

(١) برقم (٣٠٢٠).
(٢) برقم (٢٤٧٦).
(٣) «فتح الباري» (٧/ ٦٧١).
(٤) «فتح الباري» (٧/ ٦٧٢).

ثم ظهر لي احتمال أن يكون دعا للخيل والرجال أو لهما معًا، ثم أراد التأكيد في تكرير الدُّعاء، فدعا للرِّجال مرَّتين أخريين، وللخيل مرتين أخريين ليكمل لكل من الصنفين ثلاثًا، فكان مجموع ذلك خمس مرات». اهـ.

ولذلك تجد أشدَّ النَّاس راحةً - راحةَ قلبٍ - هم من دعا إلى التوحيد وعاش لأجله، وأنَّ خاتمته حسنة إن شاء الله.

قال الحافظ عبد الغافر الفارسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت أبا صالح يقول: دخلت على أبي بكر اللبَّاد ساعة موته، فسمعته يقول - وهو يجود بنفسه-: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فعدَّ الأسامي إلى آخرها»(١).

وهكذا جرت سنَّة الله عزَّ وجل بأنَّ من عاش على شيء مات عليه. وهذه القاعدة قد ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من أهل العلم. ونجد مصداق ذلك عند لحظات الوفاة، والوصية بعظائم الأمور التي يخشى عليها الإنسان من بعده، ويوصي أتباعه ومحبِّيه بأن يسلكوا فيها مسلكه، فنرى الموحِّدين وعلى رأسهم الأنبياء يوصون بالإسلام وأموره؛ إذا هو رأس مالهم، عليه عاشوا وعليه ماتوا صلوات الله وتسليماته عليهم جميعًا.

فتأمَّل مثلاً قول الله ﷻ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣] تعلم اهتمام الأنبياء بالوصية بالتَّوحيد عند موتهم؛ كذلك

---

(١) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ص (١٥).

فعل خاتمهم ﷺ، حتى قال أنس: كانت عامّة وصيّة النّبيِّ ﷺ إذ حضره الموت: «الصَّلاة وما ملكت أيمانكم» قال: حتى جعل يغرغرها في صدره وما كاد يفيض بها لسانه[١]. بل إنَّ النَّاس تختلف اهتماماتهم، ولعلَّ ما سبق يفسِّر لنا قول كثير من السلف: بيننا وبينهم يوم الجنائز؛ إذ الجنائز تكشف عن أشياء الإنسان المهمة التي أوصى بها من قبل، فلا يستوي من عاش على التوحيد، ثم أوصى به مع من عاش للدنيا ثم أوصى بها، حتى إنه ليوصي أولاده وزوجه بالأموال والضيعات، وغيرها من الأمور الدنيوية؛ إذ لم تكن حياته على التوحيد، فلم يوفّق للوصية بالتوحيد[٢]، بل إنَّ بعضهم تفنَّن في صياغة الوصية[٣]. لكن الأنبياء وأتباعهم، أرادوا حرث الآخرة، فوفَّقهم الله عز وجل، فكانت وصيتهم الاعتناء بالتوحيد، قال الله عزَّ في علاه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [الشورىٰ: ٢٠].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١١٧)، وأبو يعلى (٥/ ٣٠٩) رقم (٢٩٣٣).

(٢) انظر: «وصايا العلماء عند حضور الموت» لابن زبر، ومما جاء فيه ص (٦٢):
«وصية داود بن أبي هند»، وساق المؤلف السند، قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به داود بن أبي هند: أوصى بتقوى الله ﷻ، ولزوم طاعته وطاعة رسوله، والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، وأوصاهم بما أوصى به يعقوب بنيه: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقـرة: ١٣٢].
وداود يشهد بما شهد الله ﷻ عليه وملائكته أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وبالجنة والنار، وبالقدر كله على ذلك يحيا وعلى ذلك يموت إن شاء الله تعالى».

(٣) لعلَّ من أغرب وأعقد وصيَّة في التَّاريخ، المعروفة بشفرة بيل، والتي تكونت شفرتها من ثلاث صفحات.
للمزيد عن هذه الوصية، انظر: «العبقري البسيط» لديفيد بالتشي. ترجمة عربية، وكتاب: The Beale Treasure: New history of a mystery لبيتر فايميتر.

إذًا فالدَّعوة إلى التَّوحيد هي الدَّعوة إلى الإسلام، وهي الدَّعوة إلى العقيدة، وإلى السُّنَّة والإيمان. ولا صحة للدعوة للتوحيد دون التحذير من الشرك. كما لا تصح الدعوة للسنة دون التحذير من البدعة.

واعلم أنَّ الدَّعوة إلى التَّوحيد يحصل معها نوع أذى، فلا بدَّ من الصَّبر عليه وفي سبيله، قالَ شيخُ الإسلام ابن تيميّة في كِتَاب «الاستقامة»[١]: «وكل ما أوجب فتنةً وفُرقة فليس من الدين، سواء كان قولًا أو فعلًا. ولكنّ المصيبَ العادلَ عليه أن يصبر عن الفتنة، ويصبرَ على جَهْلِ الجَهُولِ وظُلمه إن كان غير متأوِّل، وأما إن كان ذاك أيضًا متأوّلًا، فخطؤه مغفورٌ له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله، له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور له، وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم، فإذا صبر على ذلك واتقى الله كانت العاقبة له، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فأمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التَّقوى، وذلك تنبيهٌ على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض، متأولين كانوا أو غير متأولين.

وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفّار على أن لا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسقٍ أو مبتدع متأوّل من أهل الإيمان؟! فهو أولى، يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على

---

(١) (١/ ٣٧).

مؤمنٍ، وإن كان ظالمًا له.

فهذا موضع عظيم المنفعة في الدِّين والدُّنيا، فإنَّ الشَّيطانَ موكَّلٌ ببني آدم، وهو يعرض للجميع، ولا يسلم أحدٌ من مثل هذه الأمور، دع ما سواها من نوع تقصير في مأمور أو فعل محظور باجتهاد أو غير اجتهاد، وإن كان هو الحق.

وقال سبحانه لنبيِّه: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٥٥﴾ [غافر: ٥٥]، فأمره بالصبر، وأخبره أن وعد الله حق، وأمره أن يستغفر لذنبه.

ولا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر اللهُ به، فإنه سبحانه أمر بالحق، وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترْكِ الحقّ، وإما من ترك الصبر».

ولعلّ أوضح تطبيق للذي ذكره الشَّيخ، هو ما حدّث عنه تلميذه ابن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـ) في «العقود الدريّة»[١]، حيث قال: «فلما كان في رابع شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبع مئة، جاء رجل - فيما بلغني - إلى أخيه الشَّيخ شرف الدِّين، وهو في مسكنه بالقاهرة، فقال له: إنَّ جماعة بجامع مصر قد تعصَّبوا على الشَّيخ، وتفرَّدوا به، وضربوه، فقال: حسبنا اللهُ ونعم الوكيل! وكان بعض أصحاب الشَّيخ جالسًا عند شرف الدِّين، قال: فقمت من عنده، وجئت إلى مصر، فوجدت خلقًا كثيرًا من الحسينية وغيرها رجالًا وفرسانًا يسألون عن الشَّيخ، فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب المماليك على البحر، واجتمع عنده جماعة، وتتابع الناس، وقال له بعضهم: يا سيِّدي قد جاء خلق من الحسينية، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلَّها، لفعلوا، فقال لهم الشَّيخ: لأي شيء؟!! قال:

---

(١) ص (١٨٩).

لأجلك. فقال لهم: هذا ما يحق. فقالوا: نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك، فنقتلهم، ونخرِّب دورَهم، فإنهم شوَّشُوا على الخلْق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس، فقال لهم: هذا ما يَحِلّ. قالوا: فهذا الذي قد فعلوه معك، يحل؟!! هذا شيء لا نصبر عليه!! ولا بد أن نروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا. والشَّيخ ينهاهم ويزجرهم.

فلمَّا أكثروا في القول، قال لهم: إمَّا أن يكون الحقُّ لي أو لكم أو لله. فإن كان الحقُّ لي: فهم في حلٍّ منه، وإن كان لكم: فإذن لا تسمعوا منِّي ولا تستفتوني فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله: فالله يأخذ حقَّه إن شاء كما يشاء!!

قالوا: فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم؟! قال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه. قالوا: فتكون أنت على الباطل، وهم على الحق، فإذا كنت تقول: إنَّهم مأجورون فاسمع منهم، ووافقهم على قولهم، فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون، فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين، ففعلوا ذلك باجتهادهم والمجتهد المخطئ له أجر!!».

وبعد:

فعملًا بذلك، أردْتُ الإسهامَ في تحقيقِ كتابٍ مِن أبدَعِ كُتُبِ العقيدَةِ السَّلفيَّةِ، والذي جمعَ فيهِ مؤلِّفهُ فنُونًا عديدَةً تَدُلُّ على عُمقِ علمِهِ، ورسُوخِ قدمِهِ في العلمِ.

وأعْنِي بهِ كتابَ «**خاتمة البحر المفيد في بيان مسائل التوحيد**» المشهور بـ«**قرة عيون الموحِّدين**» والَّذي قامَ مؤلِّفُه الشيخ العلَّامة عبدُ الرحمن بنُ حسنِ بنِ شيخِ الإسلامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ - رحمهم الله - بشرحِ كتابِ التَّوحيدِ الَّذي هوَ حقُّ اللهِ على العبيدِ، تأليفِ

جَدِّهِ شيخِ الإسلامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ.

ومعلومٌ عندَ أهلِ السُّنَّةِ مَا لكتابِ التَّوحيدِ مِنَ المَكَانَةِ العَلِيَّةِ، والمَنْزِلَةِ العِلمِيَّةِ؛ فَقَامُوا بخدمتِهِ خِدمةً عظيمَةً بِشَرْحِهِ، والتَّعليقِ عليهِ، وشرحِ مَسَائِلِهِ، وتخريجِ أحاديثِهِ، والدِّفاعِ عنهُ، وعنْ مؤلِّفِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

واللهَ أسألُ أنْ ينفعَ بهَذا الكِتَابِ، وأنْ يجعلَهُ في مَوَازِينِ حَسَناتِ المؤلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ.

وفي ختامِ هذه المقدِّمةِ، أتقدَّمُ بِالشُّكرِ الجَزِيلِ لِكُلِّ مَنْ ساعدَني في الحصولِ على نُسْخةٍ خطِّيَّةٍ لهذا الكِتَابِ، أو ساعَدَنِي في تصويبِ خَطَإٍ، أو مَشُورَةٍ أو فَائِدَةٍ.

وأخصُّ مِنْهم بالذِّكْرِ الشَّيخَ أصغَر عَلي إمام مَهْدي - أمين عام جمعية أهلِ الحديث المركزية بالهند ـ، ومؤسس ورئيس جامعة أبي بكر الصديق بولاية بهار - الهند، وكذلك أخي عِبادُ الله بن هِداية الله، وأخي الأستاذ عامر الأحمد، وزَوجي أمّ عبد الله بنت محمد بن صالح السفياني، وغيرهم ممن أشار إليَّ بفائدة أو توجيه، فلهم مني جميعًا الشكر والدعاء.

هذا؛ وأسألُ الله أن يوفِّقني، ويُسدِّدَ قلمي ورأيي، وأن يجعلَ هذا الجهد خالصًا لوجهِهِ، وأن يتقبَّل مني صالحَ عملي.

واللهُ أعلمُ وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمَّد.

وكتب

أبو عبد الله عمر بن أحمد ابن الشيخ علي الأحمد آل عباس

داعية بوزارة الشؤون الإسلامية

دومة الجندل - منطقة الجوف ص.ب.(٧٠٠)

ترجمةُ شيخِ الإسلامِ

مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّاب

ومنهجه في كتاب التَّوحيد

ترجمةُ شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّاب[(١)] رَحِمَهُ اللهُ

لم أقصد الاقتصار على حياته من حين ولادته إلى وفاته، فقد أغنت المصادر عن ذلك وكفت، ولكن الذي أريد بيانه في هذه الترجمة الموجزة هو عناية الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ بعلوم شتّى قد لا يعرفها البعض، خاصة وأنَّها قد لا تطرق في كتب التَّراجم بتفصيل.

ولذا سأذكر نبذة مختصرة عن حياته، ثم أذكر براعة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب في تلك العلوم.

اسمُه ونسبُه ومَولِدُه:

هو شيخُ الإسلام، والعلَّامةُ الهُمامُ، والمُجَدِّدُ لِمَا اندرسَ مِن معالِمِ دينِ الإسلامِ، الإمامُ أبو الحُسينِ، محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ بنِ سليمانَ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ بن أحمدَ بن راشدٍ الوُهيبِيُّ، التَّميمِيُّ.

ونَسَبُه معروفٌ إلى قبيلةِ تَمِيم الشَّهيرةِ، وقَدْ رَوَى البخاريُّ ومسلمٌ عَنْ أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ: لا أَزَالُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ ثَلاثٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلى الدَّجَّالِ»**، قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا»** قَالَ: وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَعْتِقِيها فَإِنَّهَا مِنْ**

---

(١) كتب الشيخ صالح بن عبد الله العُبُود ترجمةً حافلةً لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ضمن كتابه البديع «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السَّلفية وأثرها في العالمِ الإسلامي» فليُرجَعُ إليه.

وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[١].

وُلِدَ ﷺ سنةَ خمسَ عشرَةَ ومائةٍ بَعْدَ الألْفِ (١١١٥هـ) في العُيَيْنَةِ، وهيَ بَلدَةٌ قريبةٌ مِنْ مَدِينَةِ الرِّياضِ.

نشأتُهُ وطلَبُهُ للعِلْمِ وذِكْرُ شيُوخِهِ:

نَشَأَ في حِجْرِ والِدِهِ الشَّيخِ عبدِ الوهَّابِ، وَكَانَ فَقِيهًا، قَاضِيًا، فَتعلَّمَ مِنْ والدِهِ بعضَ العُلُومِ الشَّرعِيَّةِ.

وأمَّا والدتُهُ فهي ابنةُ الشَّيخِ محمَّد بن عزاز، ممَّا أوجد البيئة العلميَّة بين هذين الأبوين، فحفظ القرآن الكريمَ دون العاشرة من عمره.

وقدَّمَهُ أبُوهُ للصَّلاةِ بالنَّاسِ جماعَةً وهُوَ في الثَّانِيَةِ عَشرةَ من عُمُرِه، وتَزَوَّجَ في تِلكَ السَّنَةِ، وكانَ مثابرًا على طلَبِ العلمِ، فدرسَ على والِدِهِ في الفِقهِ الحنبَلِيِّ وفي التَّفسِيرِ والحدِيثِ والعَقِيدَةِ.

وكانَ الشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّاب - ﷺ - شَغُوفًا بكُتُبِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ والإمامِ ابنِ القيِّم - رحمهما اللهُ - ثُمَّ حملَهُ الشَّوقُ إلى حَجِّ بيتِ الله الحَرَامِ لأَدَاءِ فريضَةِ الحجِّ، والنَّهلِ منْ عُلُومِ عُلماءِ الحرمَينِ الشَّرِيفينِ، فذَهَبَ في بدايَةِ رحلَتِهِ إلى مكَّةَ وحجَّ بيتَ اللهِ الحرامَ وَالْتَقَى عُلماءَ مكَّةَ والمدينةِ فكانَ ممَّنْ لَقِيَهُم: الشَّيخُ عبد الله بن إبراهيم آلِ سيفٍ، والشَّيخُ المحدِّثُ محمَّدٌ حَيَاةٌ السِّنديُّ، وَالتَقى غيرَهما في الحرمَينِ ثُمَّ رجعَ إلى بلَدِهِ، ثُمَّ شَدَّ الرِّحَالَ لطلَبِ العِلمِ فرحَلَ إلى العِراقِ، وكانَ غالِبُ اسْتِفادَتِهِ في البصرةِ حيثُ نزلَ عِندَ الشَّيخِ مُحمَّدٍ المَجمُوعِيِّ، وذكرَ حفيدُهُ الشَّيخُ عبدُ الرحمنِ بنُ حسنٍ أنَّ جَدَّهُ أَلَّفَ كِتَابَ التَّوحيدِ في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٥٤٣)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٢٥).

البصرَةِ، جمعَهُ مِنْ كتبِ الحديثِ الَّتي في مدارسِ البصرةِ[١].

ثُمَّ بعدَ ذلِكَ أرادَ التوجُّهَ إلى الشَّامِ فلمْ يستَطِع إكمالَ رحلَتِهِ، فرجعَ إلى نجْدٍ، وَفِي طريقِ عودتِهِ إلى نجدٍ مرَّ بالأحساءِ فنهلَ مِن عُلومِ عُلمائِها، ثمَّ رجعَ إلى نَجدِ.

دعوتُهُ وجهادُهُ في سبيلِ اللهِ:

لـمَّا رجعَ منْ رحلتِهِ في طلبِ العلمِ، وانتقلَ والدُهُ وأسرتُهُ إلى حريملاءَ، وهِيَ بلدةٌ قريبةٌ من مدينةِ الرِّياضِ دونَ المِائةِ كِيلو؛ أخذَ يَنشُرُ علمَهُ، ويُعلِّمُ النَّاسَ مَا وفَّقَهُ اللهُ إليهِ مِنْ عُلُومٍ أخَذها في الحَرَمَينِ والعِراقِ والأحساءِ.

وكانَ رَحِمَهُ اللهُ ذَكيًّا، فَطِنًا، مُثابِرًا في طَلَبِ العِلمِ، والدَّعْوَةِ إلى اللهِ، جَرِيئًا وشُجاعًا في قَولِ الحقِّ وَرَدِّ الباطلِ، وقَدِ اسْتَفَادَ من بعضِ العُلماءِ الَّذين تعلَّمَ منهم محبَّةَ العقيدَةِ وعظمَ شأنِها، وَكانَ الحاصِلَ على قصَبِ السَّبْقِ في ذلِكَ من شيوخِهِ: الشَّيخ محمد حياة السِّنْدِيّ والشَّيخ عبد الله بن إبراهيمَ آل سيفٍ حيثُ التقاهما في المدينةِ النبوية، ووجَّهاهُ نحوَ العَقِيدةِ السَّلَفيَّةِ.

فَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يُنكرُ البِدَعَ بشِدَّةٍ، وقدْ ظَهَرَتْ جرأَتُهُ في إنكارِ البدَعِ لمَّا دخلَ البصرةَ لطلبِ العلم، فأنكَرَ مظاهِرَ الشِّركِ بالقُبُورِ وبالموتى، وعِبادَةَ الأشجارِ والأحجارِ؛ لأنَّ البصرةَ كان يغلُبُ عليها الرافضةُ في زمنِ الشَّيخِ وإلى زَمَننا هذا، فَأُوذِيَ منَ الرَّافِضَةِ وأشباهِهِم من عبَدَةِ القُبُور، فخرجَ منها حتَّى كادَ يهلَكُ، لولا أنَّ اللهَ ﷻ يسَّرَ لهُ رجُلًا مِنْ أهلِ الزُّبيرِ فحملَهُ

(١) انظر: «الدرر السنيَّة» (٩/ ٢١٥).

وسقَاهُ وأطعمَهُ، ثُمَّ رحَّلهُ إلى حيثُ يُريدُ.

فالشَّيخُ ﷺ كانَ ناصِحًا لله ولكتابهِ ولرسولِهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ وعامَّتِهم، هذه البدايةُ من شيخِ الإسلامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ في شَبابِهِ لَقِيتْ قَبُولًا عِندَ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ في بادِئِ الأمرِ، ومعارَضَةً منَ الأكثرينَ حتى تسبَّبَتْ لهُ هذهِ الجرأةُ وهذه الشجاعةُ وهذا الحرصُ على أهلِ بلدِهِ والتي انتقلَ إليها وهيَ حُريمِلاءُ، فأُوذِيَ، فأَمَرَهُ أبوهُ أن يُخَفِّفَ من نشاطِهِ.

فلمَّا تُوُفِّيَ والدُهُ ﷺ واصلَ الدَّعوةَ وبَدَأَ يناصِحُ النَّاسَ ويُعَلِّمُهُمْ، ويُنكرُ على المفسِدِينَ في الأرضِ منَ الفُسَّاقِ وأهلِ البِدَعِ حتَّى اجتمعَ بعضُ المفسِدينَ في حُرَيمِلاءِ على قتلِهِ وتَسَوَّرَ أَحَدُهُمْ بيتَهُ، ففطِنَ لهُ بعضُ النَّاسِ، ونهرُوا هذا المُتَسَلِّقَ الذي أرادَ الفتكَ بالشَّيخِ، وَنُصِحَ الشَّيخُ بالخُروجِ مِن حُرَيْمِلاءَ، فخرجَ منها إلى العُيَيْنةِ، وهذا كانَ سنةَ خمسٍ وخمسِينَ ومائةٍ بعدَ الألفِ (١١٥٥هـ) تقريبًا.

فالتَقى أميرَ العُيينَةِ عثمانَ بنَ مُعَمَّرٍ، فدَعَاهُ لتحكيم الشَّريعةِ، والدَّعوةِ إلى التَّوحِيدِ، ووعدَهُ بِالنَّصرِ والتَّمكِينِ، كما ذكرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذلِكَ في كتابِهِ، فقبِلَ ابنُ مُعمَّرٍ نُصرةَ الشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الوَهَّابِ، فبدَأَ الشَّيخُ بِمؤازَرَةٍ من ابنِ مُعمَّرٍ بهدمِ الأشجارِ المُعظَّمَةِ عِندهُمْ، وهدمِ القِبابِ والقبورِ، وإنكارِ المُنكَراتِ، وإقامةِ الحُدُودِ.

وقد أقامَ الشَّيخُ الحَدَّ في زَمَنِهِ، فانتشرَ هذا الخبرُ بينَ أهلِ نَجْدٍ ووصلَ هذا الأمرُ إلى حاكِمِ الأحساءِ سُليمانَ بنِ مُحمَّدِ بنِ عُرَيْعِرٍ، فكتبَ إلى ابنِ مُعَمَّرٍ أميرِ العُيَينةِ يأمُرُهُ بقتلِ الشَّيخِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ، فبلَّغَ أميرُ العيينةِ الشَّيخَ محمَّدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ، وخافَ من حاكِمِ الأحساءِ لأنَّهُ كانَ يعطيه عطِيَّةً سَنَوِيَّةً، فخشِيَ إنْ عصى حاكِمَ الأحساءِ أن ينقطِعَ عنهُ

المالُ، وخشِيَ أن يغزُوَهُ، وخَذَلَ الشَّيخَ، فطلبَ منهُ أن يرحَلَ وأوعَزَ إلى فارِسِيٍّ يمشِي خلفَ الشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ أن يقتُلَهُ إذا خرجَ.

فلمَّا خرجَ حمَى اللهُ الشيخَ مُحمَّدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ، ولمْ يستَطِعْ هذا الفارسيُّ أن يقتُلَهُ، فوصلَ شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ إلى الدِّرعيَّةِ، وكانَ الإمامُ مُحمَّدُ بنُ سُعودٍ أميرَ الدَّرعيَّةِ، فنَزَلَ شيخُ الإسلام مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ عندَ أحدِ طُلَّابِهِ وهو عليُّ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ سُوَيلِمٍ، فأكرَمَهُ وصارَ النَّاسُ يتوافَدُونَ على الشَّيخِ في منزلِ ابنِ سُوَيلِمٍ.

وجاءَ الأميرُ محمَّدُ بنُ سُعودٍ إلى بيتِ ابنِ سُويلم، وسَلَّمَ على الشَّيخِ واستَفهَمَهُ عنْ دعوَتِهِ فبيَّنَ لهُ دعوةَ التَّوحِيدِ، وذكَّرهُ باللهِ، ورجا أَنْ يكونَ إمامًا للمُسلِمينَ فيجمعُ اللهُ لهُ الدِّينَ والدُّنيا، ولذُرِّيَّتِهِ إنِ استمسَكَ بهذِهِ العقيدَةِ السَّلفيَّةِ، فشرحَ اللهُ صدرَ الإمامِ مُحمَّدِ بنِ سُعودٍ لهذِهِ الدَّعوةِ المُبارَكَةِ، فاقتَنَعَ بنُصرَتِها وتعاهَدا على نُصرَةِ التَّوحِيدِ والدَّعوَةِ إليهِ.

فتأسَّستْ نَواةُ الدَّولةِ السُّعُوديَّةِ الأُولى في ذلك اليومِ مِن عام (١١٥٨هـ)، الَّذي اتَّفقَ فيهِ السَّيفُ والقلَمُ؛ سَيفُ الإمامِ محمَّدِ بنِ سُعُودٍ رَحِمَهُ اللهُ، ولِسانُ وقلمُ الشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ فبدَؤُوا بالدَّعوَةِ إلى التَّوحِيدِ، وإرسالِ الرَّسائِلِ لِلنَّاسِ أجمَعِينَ في تِلكَ القُرَى والمُدُنِ المُحيطةِ ببلدَةِ الدَّرعِيَّةِ، فانتشرَتْ هذهِ الرَّسائِلُ وعلِمَها مَن علِمَها.

وتتلمَذَ على يَدِ الشَّيخِ عددٌ كبيرٌ منَ الأفاضِلِ وذوي المنازِلِ الرَّفيعَةِ ومِن غيرِهِم، منهُم: الإمامُ المجاهِدُ مُحمَّدُ بنُ سُعُودٍ، والإمامُ المُجاهِدُ عبدُ العزيزِ بنُ مُحمَّدِ بنِ سُعُودٍ، وابنُهُ الإمامُ المُجاهِدُ سُعُودُ بنُ عبدِ العزيزِ، وأبناءُ الشَّيخِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ: الشَّيخُ حُسينٌ، والشَّيخُ عليٌّ،

والشَّيخُ إبراهِيمُ، وَالشَّيخُ عبدُ اللهِ وَالِدُ الشَّيخِ سُليمانَ.

وكذلِكَ حَفيدُهُ الشَّيخُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ حسنٍ، والشَّيخُ حسينُ بنُ غَنَّامٍ، والشَّيخُ حمَدُ بنُ ناصِرِ بنِ مُعمَّرٍ وغيرُهُم رحمهم الله.

فأخَذَ أهلُ الباطِلِ يجمَعُونَ أصحابَهُمْ لِحَربِ هذِهِ الدَّعْوَةِ(١)، فبدَأَتِ الحروبُ والمعارِكُ، وكانَ الَّذي تحرَّشَ هم أهلُ الباطِلِ، فمَنْ تركَ دعوَةَ التَّوحيد وحَاربَها وحاوَلَ قَتْلَ أهلِها قُتِلَ؛ لأنَّهُ مُرتَدٌّ حيثُ لم يقبَلِ التَّوحِيدَ ورَضِيَ بالشِّركِ كعِبادةِ الأشجارِ والأصنامِ الَّتي كانَتْ مُنتشِرةً في نجدٍ، بلْ كانُوا يعبُدُونَ بعضَ المغاراتِ، وتذهَبُ إليها المَرأةُ العَقِيمُ حتَّى تحمِلَ! فانتشَرَت دعوةُ التَّوحيد ونصرَها اللهُ.

وماتَ الإمامُ مُحمَّدُ بنُ سُعُودٍ، وقَدِ التَأَمَتْ نجدٌ كُلُّها تحتَ إمرَتِهِ ثُمَّ بعدَ ذلِكَ ابنُهُ الإمامُ عبدُ العزِيزِ حمَلَ الدَّعوةَ ونشرَها، ثُمَّ كذلِكَ ابنُهُ سُعُودٌ، وفي عهدِ سُعودٍ بلغتِ الدَّعوَةُ وبلغَتِ الدَّولةُ السُّعُوديَّةُ الأُولى أَوجَ قُوَّتِها ودخلَ ضِمنَ هذهِ الدَّولةِ: الحَرَمانِ الشَّريفانِ وجُزءٌ من بلادِ اليمنِ والمنطقَةِ الشَّرقيَّةِ، أي مُعظَمُ الجزيرَةِ العربيَّةِ، حتَّى قرُبَ مِن دمشقَ.

وفـاتُـهُ:

تُوُفِّيَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ أواخرَ سنةِ (١٢٠٦هـ) وعمرُهُ (٩١) سنةً، بعدَما رَأى ما يسُرُّهُ من انتشارِ التَّوحِيدِ ونَبْذِ الخُرافَةِ والشِّركِ، وكثرةِ الطُّلَّابِ والعُلماءِ الَّذينَ نهَلُوا من علمه، وأصلحَ اللهُ قلُوبَهُم وأصلحَ أعمالَهُم، فانتشرَتْ هذِهِ الدَّعوةُ في جمِيعِ بلادِ العالَمِ ولَقِيتِ القَبُولَ والثَّناءَ من أهلِ الصَّلاحِ

(١) ومن ذلك تأليف الكتب التي تحذِّر من دعوة الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللهُ.
انظر - كرمًا - "تاريخ العقيدة" لعباس العزاوي بتحقيقي: مبحث في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

والصِّدقِ والإخلاصِ.

رحمه الله وأسكنَهُ فسَيحَ جَنَّاتِهِ.

مؤَلّفاتُهُ:

أَلَّفَ شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ مُؤلَّفاتٍ كثيرةً في التَّوحيدِ، والفقهِ، والتفسيرِ، والحديثِ، والسِّيرةِ، والوَعظِ والتَّذكيرِ.

وقَدْ جُمِعَتْ مُؤلَّفاتُه رَحِمَهُ اللهُ مِن قِبَلِ جامعةِ الإمامِ مُحمَّدِ بنِ سُعودٍ في عِدَّةِ مُجلَّداتٍ، مع العِلمِ أنَّ جُملةً وافرَةً من مؤلَّفاتِ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ موجودَةٌ في كتاب «الدُّررِ السَّنيَّةِ».

ومِنْ كُتُبِهِ النَّافعَةِ: كتابُ «التَّوحِيدِ»، و«الثَّلاثَةُ الأُصُولُ»، و«كشفُ الشُّبُهاتِ»، و«مسائلُ الجاهِلِيَّةِ»، و«مُختصَرُ سيرةِ ابنِ هِشَامٍ»، و«مُختصرُ زَادِ المَعَادِ»، ومِنْها «الأُصُولُ السِّتَّةُ»، و«مَجْمُوعُ الحَدِيثِ على أبوابِ الفقهِ»، و«مُختَصَرٌ مِن صحيحِ البُخارِيِّ»، و«رسالة في الردِّ على الرافضةِ» واختصر: «الجواب الصحيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وغيرُها كثيرٌ جِدًّا.

وسأَتَحَدَّثُ عنْ جانِبٍ مِنَ الجَوَانِبِ العِلميَّةِ عِندَ الشَّيخِ فيما يأتي.

بَرَاعةُ الشَّيخِ في علومٍ شتَّى كالعقيدة والفقه والحديث

لقد برعَ شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ في العُلُومِ الشَّرعِيَّةِ حتَّى بَزَّ أقرانَهُ، وفاقَ مُعاصِريه في علوم المُعتقَدِ والفقهِ والحديثِ والتَّفسيرِ.

ولقد كانَ ﷺ مُجدِّدًا، جَارِيًا على طَريقةِ السَّلَفِ في ذلِكَ كُلِّهِ.

وإنَّ بيئته التي عاشَ فيها قد أدَّتْ إلى هذهِ البراعةِ؛ بل وإلى هذا النُّضوجِ العلميِّ المتنوِّعِ المبكِّر.

فقد ترعرعَ في بلدةِ العيينةِ، ونشأ فيها بين أبوين كريمينِ، كما تقدَّم.

وحبِّبَ إليه العلمُ فرحلَ في طلبه، مثله مثل باقي الأئمَّةِ الأعلامِ، فلمَّا قَوِيَ عُودُهُ، وتكوَّنتْ لديهِ المادة العلمية؛ شرعَ في التَّدريسِ والتَّأليفِ، فكانت له مشاركةٌ علميةٌ في عدَّةِ فنونٍ، ولم تكن في فنٍّ واحد كما يظنُّهُ البعضُ، فلقد ألَّفَ الشيخ ﷺ المصنَّفاتِ العديدة، وكلامه في تفسير القرآن وعلومه أكثر من مجلَّدٍ، أتى فيه بالعجب العجاب، من تقرير التَّوحيدِ والتَّحذيرِ من الشِّرك، والفوائد، والدرر، والمسائل عقب الآيات والأحاديث، وما فيها من قصصٍ.

فقد ذكرَ قريبًا من مئةِ مسألةٍ في قصة موسى والخضر، وذكر فوائد عظيمةً تتعلقُ بالتوحيدِ على قصة يوسف[1].

وألَّفَ في علم الحديثِ، واهتمَّ به روايةً ودرايةً، فأخذَ الأسانيدَ عن

(١) «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ١٧٤).

أهلِها وقرأ الكتبَ السِّتَّةَ وغيرها على مشايخها. ومما يدلُّ على تبحُّره في علم الحديث ومعرفته به، ومن ثمَّ دقَّته في توثيق ما يستدلُّ به: أنَّه لما سُئلَ عن مسألةٍ، وقال السائلُ: كما قال النبي ﷺ: «اطلبوا العلمَ ولو بالصين»، قال الشَّيخ: إنَّ هذا حديثٌ غير صحيح، ولا يجوزُ الاحتجاجُ إلَّا بالصحيح[1]. وكذلك كتبه ورسائلُه مبناها على الأدلَّةِ من الكتابِ والسُّنَّةِ، وجمع في ذلك كتبًا، وقد حوى كتابه «مجموع الحديثِ على أبوابِ الفقه» قريبًا من خمسة آلافِ حديث، وطريقته في هذا «المجموع» طريقة غريبة لم يُسبَق إليها فيما أعلم، ليس فيها حديث واحد موضوع.

وتصدَّى ﷺ للتأليف، فوضع كتبًا ظهرت فيها عنايته بالحديث، مثل كتابه «نصيحة المسلمين» جمع فيه أحاديثَ في هذا الشأن، كذا اختصر كتبًا تعنى بالحديث كـ«زاد المعاد» و«فتح الباري»، ولا يزال مخطوطًا، مما يدلُّ على اضطلاع الشيخِ في الحديثِ؛ لأنَّ «الفتح» موسوعةٌ حديثيةٌ فقهية، وقد جمعَ فيه الحافظُ ابن حجر العسقلاني بين عددٍ من الفنونِ.

وقد شاركَ الإمامُ في الفقه مشاركةً قويَّة، ووضع فيه قواعد مهمَّة تسهِّلُ لطالب العلم طريقة الترجيح في مسائل العلومِ الشَّرعيةِ، فعمد إلى كتابين من كتب المذهبِ الحنبلي التي لها اعتناءٌ بالدليل، هما: «الشَّرح الكبير»، والآخر «الإنصاف»، فقام باختصارِهما ﷺ.

والشَّيخُ على مذهبِ الإمام المبجَّلِ أحمد كما صرَّح بذلك في رسائِلِه، لكن إذا ترجَّحَ له قولٌ فإنَّهُ يخالفُ المذهبَ ويأخذُ بالدَّليلِ، وله

---

(١) انظر: «الرسائل الشخصية» ص (١٨).

مسائل مشهورةٌ في مخالفة المذهب(١).

وكذلك شارك في التَّأليفِ في سيرةِ الرَّسولِ الكريمِ - عليهِ من ربِّهِ أتمُّ الصَّلاةِ وأفضلُ التَّسليم -، فقد قامَ باختصارِ السِّيرةِ النبويَّةِ لابن هشام أتمَّ اختصار، وقد طُبع هذا المختصر عدة طبعات. ولم يكتفِ بالاختصارِ، وإنما ذكرَ فوائدَ كثيرةً تتعلقُ بالتَّوحيدِ والدَّعوةِ، وله رسائلُ مستفادةٌ من السِّيرةِ.

كما عمد الشيخ ﷺ إلى اختصار كتاب «زادِ المعادِ في هدي خيرِ العباد»، وسمَّى الشَّيخ مختصره لهذا الكتاب بـ«مختصر زاد المعاد»، وهو مطبوع متداول.

وكتب الشَّيخ ليست على وتيرةٍ واحدةٍ، بل نلمس فيها نَفَسَهُ التربوي، ونظرته للمتلقِّي، فكتبه لأهل العلم وطلبته تقوم على الاستدلال بالكتاب والسنة، بينما رسائله الخاصَّة بالعوام نجدها تخاطبهم بلهجتهم، كما وضع الشَّيخ رسائلَ للصبيانِ تعلِّمُهم ما يهمُّهُم من أمرِ دينِهم، ورسائلَ للملوكِ والعلماءِ بأفصح عبارةٍ وأزينِها، وأقتصرُ على ذلك بمثالٍ واحد وهو رسالته العظيمة «الثلاثة الأصول»، فهي غايةٌ في التَّربيةِ حيث حثَّ أوّلًا على العلمِ، ثم العمل به، ثم الدَّعوة إليه، ثم الصَّبر على الأذى في ذلك كلِّه(٢).

أمَّا جانبُ التَّوحيدِ، فهو العلم الذي بذلَ فيه الشَّيخُ قلبَه وقلمَه وجهدَه دعوةً وتأليفًا.

---

(١) هناك رسالة علمية فيها بيان فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقدمة لنيل درجة الماجستير لصالح الحسن، وانظر: «المنهج الفقهي لأئمة الدعوة السلفية في نجد» لصلاح بن محمد آل الشيخ ص (٣٥٣-٣٦٦) دار الصميعي، والكتاب أصله رسالة دكتوراة.

(٢) وهذه إشارة خاطفة، ولعلَّ باحثًا يشمِّر عن ساعد الجد، لمعرفة هذا الجانب المشرق في حياة الإمام ﷺ.

حيثُ ألَّفَ عددًا من الكتبِ في الدَّعوةِ إلى التَّوحيدِ ككتاب «كشف الشُّبهات»، و«الثَّلاثة الأصول»، وكتابه العظيم «كتاب التَّوحيد الذي هو حقُّ اللهِ على العبيدِ» والذي كُتِبَ له القبول، وانتشر في أقطارِ الأرضِ[١].

براعةُ شيخِ الإسلامِ محمد بن عبد الوهابِ في علم الحديث والفقه

قَدْ أطنبَ العلماءُ - رحِمهمُ اللهُ - في الثَّناءِ عليهِ، وذِكرِ فضائِلِهِ في هَذَا الجانبِ، وقد أشرتُ لشيءٍ مِنْ هَذَا آنفًا، غيرَ أنِّي أحبَبْتُ التَّركيز على جانِبٍ هامٍّ ما زَالَ خَفِيًّا على كَثيرٍ مِنْ طَلَبَةِ العِلم، ألا وهوَ أنَّ شيخَ الإسلامِ مُحمَّدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ مِنْ كِبارِ المُحدِّثينَ المُحقِّقينَ في علمِ الحَديثِ والرِّجالِ، ومعرِفَةِ صحيحِهِ مِنْ سَقِيمِهِ. وكذلك معرفة فقهِ الحديثِ، ثمَّ الأخذِ بالدَّليلِ.

وهذا الأمرُ بَيِّنٌ من خلالِ النَّظَرِ في مسيرَتِهِ العِلمِيَّةِ وكُتُبِهِ ومُؤَلَّفاتِهِ رَحِمَهُ اللهُ، وكذلك مِنْ خلال كلامِ العُلماءِ الَّذينَ ترجَمُوا له رَحِمَهُ اللهُ.

وأما من خلال كلام العلماء الذين ترجموا له:

فقالَ ابنُ بشرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وكانَ - رَحِمَهُ اللهُ - في صِغَرِهِ كثيرَ المُطالَعَةِ في التَّفسيرِ والحديثِ وكلامِ العلماءِ في أصلِ الإسلامِ، فشرحَ اللهُ صدرَهُ في معرِفَةِ التَّوحيدِ وتحقيقِهِ ومعرِفَةِ نواقِضِهِ المُضِلَّةِ عن طريقِهِ»[٢].

وقالَ الشَّيخُ عبدُ الرحمنِ بنُ قاسم رَحِمَهُ اللهُ: «أمدَّهُ اللهُ بكثرةِ الكتبِ، وسُرعةِ الحفظِ، وقوَّةِ الإدراكِ، وعدمِ النِّسيانِ، سَمعَ الحديثَ وأكثرَ في طلبِهِ، وكتبَ ونظرَ في الرِّجالِ والطَّبَقَاتِ، وحصَّلَ ما لم يُحصِّلْ غيرُهُ،

---

(١) وسيأتي الحديث عنه بشيء من التفصيل.

(٢) «عنوان المجد في تاريخ نجد» للعلامة عثمان بن بشر النجدي (١/ ٦).

برعَ في تفسيرِ القرآنِ، وغاصَ في دقائِقِ معانِيهِ، واستنبَطَ مِنْهُ أشيَاءَ لَمْ يُسبَقْ إليها، وبرعَ في الحديثِ وحِفظِهِ، فقَلَّ منْ يَحْفَظُ مِثْلَهُ، مع سُرعةِ استحضارِهِ لهُ وقتَ إقامَةِ الدَّلِيلِ، وفاقَ النَّاسَ في معرِفَةِ الفقهِ واختِلافِ المذاهِبِ وفتاوى الصَّحابَةِ والتَّابعينَ؛ بحيثُ إنَّهُ إذا أفْتى؛ لم يلتزِمْ بمذهبٍ، بل بما يقومُ دليلُهُ عندَهُ، تمسَّكَ بأُصُولِ الكتابِ والسُّنَّةِ، وتَأَيَّدَ بإِجمَاعِ سَلَفِ الأُمَّةِ»[١].

وأمَّا من خلال مسيرته العلمية:

فقد أخذَ شيخُ الإسلام مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ عِلمَ الحدِيثِ عن أئِمَّةٍ أجِلَّاءَ، منهُمُ الشَّيخُ العلَّامَةُ الفقيهُ عبدُالله بنُ إبراهيمَ السَّيفُ حيثُ أجازَهُ بِثَبَتِ الشَّيخِ عبدِالباقي بنِ أبي المواهِبِ الحَنبَلِيِّ.

وكذلك أخذَ عنِ المُحدِّثِ الكبيرِ، والعلّامَةِ السَّلَفِيِّ النِّحريرِ مُحمَّدِ حياةِ السِّنديِّ المدَنِيِّ[٢]، وأجازَهُ بمرويَّاتِهِ، وكذلكَ أخذَ عن غيرِهِم منَ المُحدِّثينَ بالبصرةِ وغيرِها.

فهُوَ قدِ اسْتَقى عِلمَ الحديثِ من مشايِخِ المُحدِّثينَ في عصرِهِ، فَلا عجبَ أن أصبَحَ مِن كِبارِ المُحدِّثينَ في القرنِ الثَّاني عشرَ.

وأمَّا النَّاحيةَ العمليَّةَ:

فالمُتَتَبِّعُ لكُتُبِ شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ، يجدُ أنَّهُ لم

---

(١) «الدرر السنيَّة» (١٢/٨).

(٢) قال ابن بشر في «عنوان المجد» (١/ ٢٥ -٢٦): «كان له اليدُ الطُّولى في معرفةِ الحديث وأهله ومحبَّته، وصنَّف مُصنَّفًا سمَّاه: «تُحفة الأنام في العمل بحديث النَّبيِّ عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام»، وله مُصنَّفات غيرها، رأيتُ له مصنَّفًا عجيبًا؛ شرحًا على الأربعينَ النَّوويَّة، سمَّاه: «تحفة المُحِبِّين في شرح الأربعين».

يُصحِّحْ حديثًا أو يُحسِّنْهُ إلَّا ويكونُ قَولُهُ مَبْنِيًّا على حُجَّةٍ وَبرهانٍ، وسلَفٍ مِمَّن سَبَقَهُ من أهلِ العلمِ.

ولا يوجَدُ حديثٌ اتَّفقَ العلماءُ على ضَعفِهِ أو كانَ ظاهرَ الضَّعفِ لا نِزاعَ فيه: صحَّحَهُ الشيخُ أو حسَّنَهُ، بل هُوَ يسلُكُ مسلَكَ المُحقِّقِينَ من أهلِ الحديثِ.

وكذلِكَ لمْ يحتجَّ بحديثٍ موضُوعٍ أو لا أصلَ لهُ أو شديدَ الضَّعفِ، بلْ يحتَجُّ بالأحادِيثِ الصَّحيحةِ والحسَنَةِ، وقد يستأنِسُ - أحيانًا - بالحديثِ الضَّعيفِ الَّذي لم يشتدَّ ضعفُهُ.

وعملُهُ هذا عليهِ المُحقِّقُونَ من أهلِ العلمِ قاطبةً، وهم درجاتٌ في ذلكَ، فلا تجِدُ عالِمًا إلَّا وقَدْ صحَّحَ حَديثًا قد يراهُ غيرُهُ ضعيفًا، أو ضعَّفَ حَديثًا قَدْ يراهُ غيرُهُ صَحيحًا.

والاجتهادُ في الحُكمِ على الحَديثِ كالاجتِهادِ في الحُكمِ في مسائلِ الفقهِ سواءً بسواءٍ.

والمُهِمُّ في ذلِكَ أن يَكُونَ الحكمُ مبنيًّا على أدِلَّةٍ وبراهينَ أصيلةٍ، وأنْ يكونَ المرجعُ هوَ القواعِدَ الَّتي اتَّفقَ علَيْها أهلُ الحديثِ المُتخَصِّصُونَ فيهِ.

وكذلكَ الاستِئْناسُ بالحدِيثِ الضَّعيفِ الَّذي قامَتِ الأدِلَّةُ على صِحَّةِ معناهُ، أمرٌ جَرى عليهِ عملُ السَّلَفِ مع تنبيهِهِم على ضَعفِهِ أو ذِكرِ سَنَدِهِ إبراءً لِلذِّمَّةِ.

ومن خلالِ النَّظَرِ في كُتُبِهِ ومُؤلَّفاتِهِ رَحِمَهُ اللهُ يتبيَّنُ دِقَّةُ شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ ابنِ عبدِ الوهَّابِ مِنَ النَّاحيةِ الحديثيَّةِ، وطُولُ باعِهِ فيهِ.

وسأضربُ على ذلكَ مثالَينِ، أحدُهما إجماليٌّ، والآخرُ تفصيليٌّ:

أمَّا المَثالُ الإجماليُّ: فهو «مجموعُ الحديثِ على أبوابِ الفقهِ» والَّذي جمعَ فيهِ شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ أحاديثَ الفقهِ مُبوَّبةً، وحلَّاهُ

بالآثارِ السَّلفيَّةِ، فكانَ كِتابًا جامِعًا لم يُنسجْ على مِنوالِهِ فيما يَظهرُ.

فقدِ استوعبَ فيهِ ﷺ أبوابَ الفقهِ، وذكرَ فيهِ ما يربُو على أربعةِ آلافٍ وخَمْسِ مِئةِ حديثٍ وأثرٍ (٤٥٤٥ حديثًا وأثرًا).

وهذه مقارنةٌ بينَ كتابِ الشَّيخِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ وبينَ كتابِ «المُنتقى» لِلمجدِ ابنِ تيميَّةَ، وكتابِ «المُحَرَّرِ في الحديثِ» للعلَّامةِ ابنِ عبدِالهادي، وكتابِ «بُلُوغِ المرامِ» للحافظِ ابنِ حجرٍ؛ أو كتابِ «المُنتقى» لابنِ الجارُودِ أو غيرِها، فستجدُ أيها القارئ الكريم الفارقَ العجيبَ في الجمع وضخامة عدد الأحاديث المجموعة بينَ كتابِ شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بنِ الوهَّابِ وبينَ الكتبِ الأُخرى معَ عظيمِ فائدَتِها، ومنزِلةِ مؤلِّفيها - رحمهم اللهُ -.

ففي كتابِ الجَنائِزِ - مثلًا - منَ «المنتقى»: (١٧٠) حديثًا، وفي «المُحرَّرِ» (٦١) حديثًا، وفي «البُلُوغِ»: (٦٢) حديثًا، أمَّا في كتابِ الشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ فـ: (٢٧٨) حديثًا وأثرًا! معَ دِقَّتِهِ وحكمِهِ على الأحادِيثِ كثيرًا.

وهناكَ عددٌ كثيرٌ منَ الأحادِيثِ الَّتي حكمَ عليها شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ ابنُ عبدِ الوهَّابِ في مجموعِهِ الحدِيثيِّ وهو في أحكامه هذه قد وافق أكثر الأئمة أو بعضهم، معَ دِقَّةِ عبارتِهِ ﷺ.

وهذا المجموعُ حريٌّ بأنْ يُقرَّرَ على طُلَّابِ العلمِ في الجامعاتِ الشَّرعيَّةِ، وينبغي الاعتِناءُ به شَرحًا وتجليةً وتوضِيحًا.

وأمَّا المِثالُ التَّفصِيليُّ: فَما يتعلَّقُ بكتابِ التَّوحيدِ منَ الأحاديثِ والآثارِ، وستقف بنفسك على هذا التفصيل فيما يأتي هنا فيما يتعلّق بالأحاديث المرفوعة بعد أن نقدِّم دراسةً مختصرة للكتابِ.

دراسةٌ مُختَصرةٌ لـِ «كتابِ التَّوحِيدِ»

موضُوعُ الكتابِ وأهميته وعناية العلماء به:

إنَّ كتابَ التَّوحِيدِ موضُوعٌ «في بَيانِ ما بعثَ اللهُ بِهِ رسُلَهُ: مِنْ توحيدِ العبادةِ، وبيانِهِ بالأدِلَّةِ منَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وذِكرِ ما يُنافيهِ منَ الشِّركِ الأكبرِ أو يُنافِي كَمَالَهُ الواجبَ؛ منَ الشِّركِ الأصغَرِ ونحوِهِ، وَمَا يُقَرِّبُ مِنْ ذلِكَ أو يُوصلُ إليهِ»(١).

وكان ابتداء الشَّيخ في تأليفه قديمًا، إلَّا أنَّ ابن غنام وابن بشر ذكرا ما يشعر أنَّه كتبه في حريملاء، حيث كان يقيم هناك.

إلَّا أنَّ الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن ﷺ نصَّ على أنَّه ألَّفَهُ في البصرة(٢).

وقد ذكرَ الدكتورُ صالح العبود: أنَّهُ يمكنُ الجمعُ بينَ القولين، حيث إنَّ ابنَ غنَّام كان أوَّل علمه بهذا الكتابِ مصنَّفًا حين قرئ على مؤلِّفه الشَّيخ محمَّدِ بن عبدِ الوهَّابِ في حريملاء، ولم يكن لديهِ علمٌ أنَّه صُنِّف من قبل، ولأنَّ كتاب «التوحيد» انتشرَ إلى باقي البلدانِ من حريملاءِ.

أمَّا الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن، فقد قالَ ما علمَ من جمع الشيخ لكتابِهِ من الكتبِ التي بمدارسِ البصرةِ.

وكذلكَ، لعلَّ الشَّيخَ محمَّدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ أكملَ تأليفَ كتابِهِ،

---

(١) من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن في مقدمة كتابه «فتح المجيد».
(٢) مقدمة «فتح المجيد» (١/ ٢١) بتحقيق: الوليد بن فريَّان.

وتهذيبه في حريملاء. والله أعلم[(١)].

ويمكن أن يقال بأنَّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قد سار في كتابه هذا على طريقة كثير من أهل العلم، فكتب مسوَّدته أولًا، ثم بيضه لاحقًا، فلعله كتب مسوَّدته بالبصرة، ثم بيَّضه حريملاء، فيجمع بذلك بين القولين، والله أعلم.

ولا شكَّ أنَّ لهذا الكتابِ أهميتَه البالغةَ؛ حيث يعالجُ أهمَّ قضيةٍ للمسلمِ وهي العبادةُ التي خُلقَ الناسُ من أجلِها، والتَّحذير من مظاهرِ الشِّركِ والانحرافِ عن هذه العبادةِ القلبيةِ والقوليةِ والعمليةِ.

ولا تزالُ الحاجةُ إليه قائمةً، لا سيما أنَّهُ قد بُنِيَ على الكتابِ والسنَّةِ وأقوالِ السَّلف رضوان الله عليهم.

وقد جاء فردًا في مضمونه، فريدًا في مكنونه - رغم اختصاره - فإنَّهُ احتوى على خيرٍ كثيرٍ، يدُلُّ على أهميته ما سيأتي من اعتناءِ العلماءِ به.

قالَ الشيخُ عبدُ الرحمنِ بنُ حسنٍ: «جمعَ على اختصارِه خيرًا كثيرًا، وضمَّنَهُ من أدلَّةِ التَّوحيدِ ما يكفي مَنْ وفَّقَهُ اللهُ، وبيَّنَ فيه الأدلة في بيانِ الشركِ الذي لا يغفرُه الله»[(٢)].

ويقولُ الشيخُ سليمانُ بن عبدِ الله: «وهو كتابٌ فردٌ في معناه، لم يسبقْهُ إليه سابقٌ، ولا لحقَهُ فيه لاحقٌ»[(٣)].

وقال المؤرِّخُ العلَّامةُ ابنُ بشرٍ (ت١٢٩٠هـ): «ما وضع المصنفون في

---

(١) «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وأثرها في العالم الإسلامي» (١/ ١٩١-١٩٢) بتصرف يسير، ط الجامعة الإسلامية ١٤٢٤هـ ط٣.

(٢) «الدرر السنيَّة» (٣/ ١٦٩).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» ص (١٠) ط. مكتبة الرياض الحديثة.

فنِّه أحسنَ منه؛ فإنَّهُ أحسنَ فيه وأجادَ، وبلغَ الغايةَ والمرادَ»[١].

وقالَ الإمامُ عبدُ اللطيفِ بنُ عبدِ الرحمنِ (ت١٢٩٣هـ): «صنَّفَ كتابَه المشهورَ في التوحيد، وأعلنَ بالدَّعوةِ إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ، وقرئ عليه هذا الكتابُ المفيد، وسمعه كثير ممن لديه من طالبٍ ومستفيد، وشاعت نسخُهُ في البَلادِ، وطارَ ذِكْرُها في الغُورِ والأنْجَادِ»[٢].

إلى غيرِ ذلكَ من أقوالِ أهلِ الفضلِ والعلمِ، الذين مدحُوا كتابَ التَّوحيدِ نظمًا ونثرًا، وأوصَوا بتدريسِه وحفظِه[٣].

ولأهميَّةِ هذا الكتابِ - كما تقدَّمَ - اعتنى به العلماءُ شرحًا وتدريسًا وتخريجًا وتحشية حتى إنه تُرْجِمَ إلى لغاتٍ عدَّة، فممن اعتنى بهذا الكتابِ:

١) الشَّيخُ سليمانُ بنُ عبدِ اللهِ بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٣٣هـ)؛ شرحه في كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحيد»، لكنه مات فما أتمَّه. وقد طُبعَ هذا الكتابُ عدَّةَ طبعات، وله نسخٌ خطيَّة.

٢) «حاشية كتاب التَّوحيد»، له أيضًا.

قال الدَّكتور الوليدُ الفريان في مقدمة «فتح المجيد» (١/ ٢٤): «وحدثني شيخنا، الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز: أنَّها قُرِئتْ عليهِ منذُ وقتٍ بعيدٍ، في بلد الدلم، واللهُ أعلم».

٣) الشَّيخ علي بن عبد الله بن محمدِ بنِ عبدِ الوهَّاب، المقتولُ بيدِ

---

(١) «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ٩).

(٢) «الدرر السنيَّة» (١/ ٣٧٧).

(٣) انظر: «مقدمة فتح المجيد» ط. الدكتور الوليد الفريان، وكتاب «عناية العلماء بكتاب التوحيد» لعبد الإله الشايع.

الأتراكِ سنة (١٢٣٤هـ)، لهُ شرحٌ ذكرهُ ابن بشرٍ في «عنوان المجد» (١/ ١٦٧)، في ترجمةِ الشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّاب فقالَ: «وأما علي: فلهُ اليدُ الطُّولى في معرفةِ الحديثِ، ورجالِه، والتفسيرِ، وغير ذلك، وذُكِرَ لي أنه عَلَّقَ شرحًا على كتابِ «التوحيد» تأليف جدِّه محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّاب، ولم نرَ هذا الشرحَ، ولا ذُكِرَ لنا في مكان، ولكن عليًّا هذا لم تطل لهُ مدَّة»[1].

٤) الشَّيخُ عبدُالهادي بنُ محمدِ بنِ عبدِالهادي البكريِّ العجيلي (ت١٢٦٢هـ)، له «تحقيقُ التجريد في شرحِ كتابِ التَّوحيدِ»، وقد طُبِعَ عن دار أضواءِ السلف في الرياض في مجلدتين سنة (١٤١٩هـ)، وأصله رسالة مقدمة لنيلِ شهادةِ الماجستير في الجامعة الإسلامية، بتحقيقِ حسن بن علي حسين العواجي.

٥) عثمانُ بنُ منصورٍ النَّاصري التَّميمي (ت١٢٨٢هـ)، له شرحٌ أسماهُ بـ «فتح الحميد شرح كتابِ التوحيدِ»، وهو من أكبرِ الشُّروحِ، وقد طُبِعَ في رسالةٍ علميَّةٍ مقدَّمةٍ لجامعةِ أمِّ القُرى[2]. وينظر عن الكتاب «الرد الدامغ» لابن منصور (ص٣٩-٤٢) بتحقيق سليمان الخراشي.

---

(١) وأغفله صاحب "جامع الشروح والحواشي" فلم يذكره.

(٢) في تاريخ الشيخ إبراهيم بن عيسى (ق/ ٢٥) تنسيق المهندس إبراهيم الخراشي، قال ابن عيسى: رأيت شرح التوحيد لعثمان بن منصور في المجمعة عند عثمان في مجلّدٍ كبيرٍ سمَّاه «فتح الحميد شرح كتاب التوحيد». وتحت عنوانه بخط الشيخ عبد الرحمن بن حسن ما صورته:
«نظرت في هذا الشرح، فرأيته شرحًا حسنًا قد أجاد فيه مؤلفه وأفاد، كان الله في عونه. شيخه محمد بن سلُّوم وحاله في الاعتقاد معلوم، فلو أعرض ذكره رأسًا لحسن هذا الشرح عنده، وفاق عند أمثالنا». قاله وكتبه عبد الرحمن بن حسن عفا الله عنه. وانظر ما قاله عنه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه «المقامات».

٦) الشَّيخُ عبدُاللهِ بن عبدِالرحمنِ أبابطين (ت١٢٨٢هـ):
في «عناية العلماء بكتابِ التوحيد» (ص٩٠): «لا يزالُ مخطوطًا.. ثم أخبرني الدكتورُ الوليدُ بن الفريان - وفقه الله - أنَّهُ يوجدُ له مخطوطٌ، وهو بصددِ الحصولِ عليه وتحقيقه».

٧) الشَّيخُ الإمامُ عبدُالرحمنِ بنُ حسنِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ (ت١٢٨٥هـ)، له «فتح المجيد لشرح كتابِ التَّوحيدِ»، وهو من أعظمِ الشُّروحِ وأجَلِّهَا، وقد أثنى عليه جمعٌ من أهلِ العلمِ، وقد طبعَ هذا الكتابُ طبعاتٍ عِدَّةً، منها: طبعةٌ بتحقيقِ عبد القادر الأرنؤوط، ومحمد الفضلي، والدكتورِ الوليدِ الفريان في مجلَّدتينِ، معتمدًا في التحقيقِ على ثلاثِ نسخٍ خطيةٍ ومطبوعتين. وتوجد للكتابِ نسخةٌ خطيةٌ في الهندِ لم يشر إليها الدكتورُ حفظهُ الله، كما أنَّ هذا الكتابَ سُمِّيَ بـ «التهذيب والتجريد لشرح كتاب التَّوحيد»، وعندي منه نسخة خطية. ويقوم على تحقيقه أسامة العتيبي.

٨) «خاتمةُ البحرِ المفيدِ في بيانِ مسائلِ التوحيدِ»، وهو كتابُنا هذا، وقدِ اشْتُهِرَ بـ «قُرَّة عيون الموحِّدين في تحقيق دعوةِ الأنبياءِ والمرسلين»، وسيأتي له مزيد بيانٍ بعدَ قليل.

٩) ابنُه الشَّيخ عبدُ اللطيف (١٢٩٣هـ)، له حاشيةٌ على التَّوحيد[1].

١٠) الشَّيخُ حمد بن عليِّ بنِ عتيق (ت١٣٠١هـ)، له «إبطالُ التنديدِ باختصارِ شرحِ كتابِ التَّوحيدِ»، وهو اختصارٌ لكتابِ «تيسير العزيزِ الحميدِ»، مع بعضِ الزياداتِ. وقد طُبعَ هذا الكتابُ عدَّةَ طبعاتٍ.

---

(١) ذكرها القاضي في «روضة الناظرين» (١/ ٣١٠).

١١) الشَّيخُ محمدُ بنُ عمرَ بنِ سليم (ت١٣٠٨هـ)، له شرح كتاب التَّوحيد(١).

١٢) الشَّيخُ إسحاقُ بنُ حمدِ بنِ عتيقٍ (ت١٣٤٣هـ)، له «حاشية كتاب التوحيد»، مختصر، ولا يزال مخطوطًا(٢).

١٣) الشَّيخُ أحمد بن حسن النجدي، له «الدرُّ النضيد شرح كتاب التَّوحيد». طبعَ سنة (١٣١١هـ) في دلهي(٣).

١٤) الشَّيخُ عيسى بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الملاحي (ت١٣٥٥هـ)، له: «شرحُ كتابِ التَّوحيدِ»(٤).

قال الشَّيخُ محمدُ بن عثمان القاضي في كتابه «روضة الناظرين عن مآثرِ علماءِ نجدٍ وحوادثِ السنين» (٢/ ١٥٠): «وله مؤلفات، منها: شرحهُ لكتاب التَّوحيد، مجلد ضخم، وفيه فوائدُ نفيسةٌ. كانَ قطعةٌ طويلةٌ منه عندَ الشَّيخِ سليمانَ العمري، وجدتُه مع مخطوطاتِهِ في منزلِ ابنه، وعليه مآخذُ فيه. لم يسلَم من علماءِ عصرِه، ومن ألَّفَ استُهدِفَ». انتهى.

١٥) حامدُ بنُ محمدِ بنِ حسنِ بنِ محسنٍ، لهُ: «فتحُ اللهِ الحميدِ المجيدِ في شرحِ كتابِ التَّوحيد»، وقد طُبعَ الكتابُ بتحقيقِ وتعليقِ الشَّيخِ بكرِ بنِ عبدِ الله أبو زيد عن دار المؤيد سنة (١٤١٧هـ)، وطبع في الهند عام (١٣١٥هـ)(٥).

---

(١) ذكره ابن بسام في «علماء نجد» (٦/ ٣٤٥).
(٢) انظر: «عناية العلماء بكتاب التوحيد» ص (٩٢)، معجم مصنفات الحنابلة (٦/ ٢٦١).
(٣) ينظر: بروكلمان (٩/ ٦٥).
(٤) «معجم مصنفات الحنابلة» (٦/ ٣١٠).
(٥) ينظر: بروكلمان (٩/ ٦٥).

١٦) الشَّيخُ عبدُ الرحمنِ بنِ ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، له: «القولُ السديدُ في مقاصدِ التَّوحيد»، وقد طُبعَ عدَّةَ طبعات.

١٧) الشَّيخُ عبدُ الرحمنِ بنِ محمدِ بنِ قاسم (ت١٣٩٢هـ)، له: «حاشيةُ كتابِ التَّوحيد»، طبعَ عدَّةَ طبعات.

١٨) الشَّيخُ سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ حمدان (ت١٣٩٧هـ)، له: «الدرُّ النَّضيد في شرح كتابِ التَّوحيدِ»، انتهى من تأليفه في ٢٣/ ٥/ ١٣٨٦هـ في مدينةِ الطَّائف. وقد طُبع عدةَ طبعاتٍ.

١٩) الشَّيخُ سعيد بن عبدِ العزيزِ الجندول، له: «الدرُّ النضيدُ على كتابِ التَّوحيدِ»، طبعَ سنة (١٣٩٨هـ)، وأعيدَ طبعه سنة (١٤١٠هـ).

٢٠) الشَّيخُ عبدُ الرحمنِ بنِ حمد الجطيلي (ت١٤٠٤هـ)، له: «إفادةُ المستفيدِ بشرحِ كتابِ التَّوحيد»، طبع سنة (١٤٠٣هـ).

٢١) الشَّيخُ محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ القرعاوي، له: «الجديدُ في شرحِ كتابِ التَّوحيد»، طبعَ عدةَ طبعاتٍ.

٢٢) الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمد الدُّويش (ت١٤٠٩هـ)، له: «التوضيحُ المفيدُ لمسائلِ كتابِ التَّوحيدِ»، وهو الكتابُ الوحيدُ الذي أفرد في شرح مسائل كتابِ التَّوحيد، وقد طُبعَ سنة (١٤١١هـ).

٢٣) الشَّيخ محمد منير بن عبده آغا الدمشقيُّ الأزهريُّ (ت١٣٦٧هـ).

له تعليقٌ على كتاب التَّوحيدِ، طبع مكتبة دار التراث في الكويت.

قال في «عناية العلماء..»[1]: «وتعليق الشَّيخ محمد منير رَحِمَهُ اللهُ تعليقٌ مختصرٌ أشبهُ ما يكون بالحاشيةِ، وقد عُنيَ بتخريجِ الأحاديثِ النبويَّةِ».

---

(١) (ص ٦٩).

٢٤) الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ جار الله الجار الله (ت١٤١٤هـ)، له: «الجامعُ الفريدُ للأسئلةِ والأجوبةِ على كتابِ التَّوحيدِ»، طبع عدةَ طبعاتٍ.

٢٥) سماحةُ الشَّيخ عبدُ العزيزِ بنِ عبدِاللهِ بنِ باز (ت١٤٢٠هـ).

له: «التَّعليقُ المفيدُ على كتابِ التَّوحيدِ»، مطبوع عدة طبعات، وللشيخ ﷺ تعليقاتٌ على «فتح المجيد» بتحقيق محمد حامد الفقي.

٢٦) الشَّيخُ محمدُ بن صالحِ العثيمين (ت١٤٢٣هـ).

له كتاب «القولُ المفيدُ شرحُ كتابِ التَّوحيدِ»، مطبوع متداول.

٢٧) الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِالرحمنِ الجبرين، المتوفى سنة (١٤٣٠هـ).

له: «فوائدُ من شرحِ كتابِ التَّوحيد»، إعداد: الشَّيخ عبد العزيز بن محمد السدحان، طَبع أكثر من طبعة.

٢٨) معالي الشَّيخُ صالحُ بنُ فوزان الفوزان.

له: «التَّعليقُ المختصرُ على كتابِ التَّوحيدِ»، طبع عدةَ طبعات.

وله أيضًا: «إعانةُ المستفيدِ بشرحِ كتابِ التَّوحيدِ»، طُبعَ عدةَ طبعاتٍ.

٢٩) الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ القرعاوي، له: «حاشيةُ المستفيدِ على مواضعِ من فتحِ المجيدِ»، مطبوع مع «فتح المجيد».

٣٠) عبدُ المنعم إبراهيم، له: «مغني المريد الجامع لشروح كتاب التَّوحيد»، طُبع سنة ١٤٢٠هـ.

ويقعُ في ثمانية مجلدات، وهو بذلك يصبحُ أكبرَ شروح كتابِ التَّوحيدِ على الإطلاقِ، مع عدم تمييزِه - أحيانًا - بين الغثِّ والسمينِ، حيثُ يحرصُ على نقلِ كلامِ العلماءِ وغيرهم(١).

(١) هناك رسالة للشيخ عبيد الجابري في ذكر بعض الملاحظات على هذا الكتاب والتحذير منه.

٣١) محمد بن عبد العزيز المسند، له: «كتابُ التَّوحيدِ الذي هو حقُّ الله على العبيدِ، مع تعليقاتٍ مختصرةٍ مفيدةٍ تبيِّنُ مجمله، وتوضحُ غريبه»، طبع منه أكثر من ٤٠ ألف نسخة[١].

٣٢) الدكتور ياسر برهامي.
له: «فضل الغنيِّ الحميد، تعليقات مهمَّة على كتابِ التَّوحيد»، طُبع في مكتبةِ الإيمان - الإسكندرية.

٣٣) «كتاب التَّوحيد مع شرح مختصر من فتح المجيد»، طُبع سنة ١٤١٨هـ عن دار ابن حزم - بيروت.

٣٤) معالي الشَّيخ صالح بن عبدِالعزيزِ بنِ محمد بن إبراهيم آل الشَّيخ.
له: «التَّمهيد شرح كتاب التَّوحيد»، طبع دار التَّوحيد.

٣٥) الشيخ عبد الله القصير، له كتاب بعنوان: «المفيد على كتاب التَّوحيد» طبع سنة (١٤٢٣هـ).

٣٦) الشَّيخ عبد العزيزِ السلمان، له سؤال وجواب على التَّوحيد

٣٧) الشَّيخ حافظ الحكمي: «٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة»، وذكر أنَّ ذلك على كتاب التَّوحيد.

٣٨) الشَّيخ أحمد بن يحيى النجمي، له: «الشرحُ الموجزُ الممهد لتوحيد الخالقِ الممجَّد» طبع الأصالة سنة (١٤٢٧هـ).

٣٩) الشَّيخ حمد بن عبد الله الحمد، له: «شرح كتاب التَّوحيد» طبعة الرشد، سنة (١٤٢٩هـ).

٤٠) إلى غير ذلك من الكتب والشُّروح. وللكتاب شروح أخرى غير

---

(١) انظر: «عناية العلماء بكتاب التوحيد» (ص ٨٨).

مطبوعة، إمَّا مسموعة أو على هيئة مذكرات يتداولها طلبة العلم، وله تخريجات عليه، وأخرى نسجت حوله، وهي أكثر من أن أحصيها في هذا المقام.

منهَجُهُ في تأليفِ الكتابِ:

«إنَّ منهجَ شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ ﷺ في كتابِ التَّوحيدِ هو: أن يُترجِمَ للبابِ بترجمةٍ مبنيَّةٍ على كِتابِ الله، وما صحَّ عن رسُولِ الله ﷺ، أو بِما أجمَعَ عليهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ - رحِمَهُم الله -.

ثمَّ يذكرُ من كتاب اللهِ ما يدُلُّ على تبويبِهِ، ثمَّ يذكرُ من السُّنَّةِ ما يدُلُّ على ما بوَّبَ لهُ، وكذلِكَ يذكُرُ بعضَ الآثارِ في توضِيحِ معنى آيةٍ أو حدِيثٍ، أو يَكُونُ للأثرِ علاقةٌ مباشرَةٌ بترجَمَةِ البابِ.

ثمَّ بعد ذكرِ الأدلَّةِ منَ الكتابِ والسُّنَّةِ والآثارِ السَّلفيةِ، يذكُرُ الفوائدَ المُستنبَطَةَ مِنْ أدِلَّةِ البابِ عن طريقِ مسائِلَ.

فكما أنَّ فقهَ الإمامِ البُخارِيِّ في تبويبِهِ، فإنَّ فقهَ شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ في تبويبِهِ ومسائِلِه»[١].

منهجُهُ في تخريجِ الأحاديثِ والآثارِ:

وبالنِّسبةِ للأحاديثِ والآثارِ، فإنَّهُ يعزُوها إلى مَنْ خرَّجَها، إمَّا قبلَ ذِكرِ الحديثِ، وإمَّا بعدَ ذِكْرِهِ لهُ، وهذا هُوَ الغالِبُ.

ويُبيِّنُ درجةَ الحدِيثِ غالِبًا إمَّا بعزوِهِ لِكتابٍ اشتَرَطَ الصِّحَّةَ، كصحيحِ البُخاريِّ ومُسلمٍ وابنِ حبَّانٍ، ومستدركِ الحاكِمِ، والمُختارةِ للضِّياءِ المَقدِسِيِّ، وإمَّا بذكرِ حُكمِ مَنْ أخرجَهُ كتصحيحِ التِّرمِذِيِّ أو تحسينِهِ، أو

(١) مقدمة تحقيق "تيسير العزيز الحميد" لأسامة عطايا (١/ ٣٣).

تَصحِيحِ غيرِهِ للحدِيثِ كالنَّوَوِيِّ، والذَّهَبِيِّ، وإمَّا بِعزْوِهِ لأَبي داوُدَ ساكِتًا عليهِ وليسَ في إسنادِهِ ما يُردُّ بهِ الحديثُ، مِمَّا يعنِي أنَّهُ صالحٌ للاحتِجاجِ عندَهُ كما عندَ أبي داودَ رَحِمَهُ اللهُ.

وإمَّا أن يحكُمَ عليهِ بنفسِهِ، سالكًا قواعِدَ أهلِ الحدِيثِ في الحُكمِ على الأحادِيثِ، وقدْ يكُونُ حُكمُهُ مُقتَبَسًا مِن كلامِ غيرِهِ كالمُنذِرِيِّ أو شيخِ الإسلامِ ابنِ تيمِيَّةَ أو ابنِ القيِّمِ.

وأحيانًا يَذْكُرُ الإسنادَ مُشيرًا إلى أنَّهُ قدْ يَكُونُ فيهِ نظرٌ معَ صحَّةِ معناهُ بأدِلَّةٍ أُخْرَى، معَ احتِمالِ صَحَّتِهِ لذاتِهِ.

فلمْ يَبْنِ تبويبًا على حديثٍ أو أثَرٍ ضعيفٍ مُطلَقًا، بلْ بَنَاهُ على ما هُوَ ثَابِتٌ صَحِيحٌ، وقَدْ يَذْكُرُ بعضَ الأحاديثِ أوِ الآثارِ الَّتي في سندِها خِلافٌ بينَ أهلِ العلمِ من بابِ الاستئناسِ لا مِن بابِ الاحتجاجِ، وهذا لا يَتَجاوَزُ عددَ الأصابعِ كما سيأتِي بيانُهُ.

ما يتعَلَّقُ بأحاديثِ كتابِ التَّوحيدِ:

ذكرَ شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ في كتابِ التَّوحيدِ سِتَّةً وسِتِّينَ بابًا اشتَمَلَتْ علَى آياتٍ كثيرةٍ من كتابِ اللهِ، وعَلَى (١٢٤) حَدِيثًا، وذَكَرَ مِنْها حَدِيثَينِ في موضِعينِ فيُصبحُ المجموعُ بِالمُكَرَّرِ (١٢٦) حَدِيثًا.

خرَّجَ البخاريُّ ومُسلمٌ أو أحدُهُما (٦١) حَدِيثًا أي: قُرابَةَ النِّصفِ، ومعلُومٌ أنَّ أحادِيثَ الصَّحيحينِ مِمَّا تَلَقَّتْهُ الأُمَّةُ بِالقَبُولِ، وأجمعتْ على صِحَّتِها، و(٥٥) حديثًا مِنْ غيرِ الصَّحيحينِ وهيَ صَحيحَةٌ أو حسَنَةٌ.

بقِيَتْ ثَمانيةُ أحاديثَ فيها نِزاعٌ قَوِيٌّ بينَ العُلماءِ وهيَ باختِصارٍ:

أولًا: ذكرَ في البابِ الأوَّلِ حديثَ أبِي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه مرفُوعًا:

«قالَ مُوسى: يَا رَبِّ، عَلِّمْني شيئًا أذكُرُكَ، وأدْعُوكَ بِهِ..» الحديثَ.

وهذا الحديثُ صحَّحَهُ جماعَةٌ منَ الأئِمَّةِ، منهُمْ: الحاكِمُ، ولم يتعقَّبه الذَّهَبيُّ[1]، والحافِظُ ابنُ حَجَرٍ. ولهُ شواهدُ صَحيحَةٌ.

ثانيًا: قالَ شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ في الباب (١٣): «وروى الطَّبرانيُّ بإسنادِهِ، أنَّهُ كانَ في زمنِ النبيِّ ﷺ مُنافِقٌ يُؤذِي المُؤْمنينَ، فقالَ بعضُهُم: قُومُوا بنا نستغيثُ بِرسُولِ اللهِ ﷺ من هذا المُنافِقِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّهُ لا يُستَغَاثُ بي، وإنَّما يُستغاثُ باللهِ».

فهذا الحديثُ قد قال فيه الهيثَميُّ: «رِجالُهُ رجالُ الصَّحِيحِ غيرَ ابنِ لهيعَةَ وهو حسنُ الحديثِ» ومعلومٌ خلافُ العلماءِ في ابنِ لَهيعةَ وأنَّ منهُمْ مَن يوثِّقُهُ مُطلَقًا، ومنهم من يردُّه مطلقًا، ومنهم من يفصِّل، فهِيَ مسألةٌ خِلافيَّةٌ.

ومعَ ذلكَ فشيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ لَمْ يُورِدْه عُمدةً في البابِ، لأنَّهُ احتَجَّ على «باب من الشِّركِ أن يستغيثَ بغيرِ اللهِ أو يَدْعُوَ غيرَهُ» بِأربَعِ آياتٍ مِنْ كتابِ اللهِ، ثمَّ ذَكَرَ حديثَ الطَّبَرانِي، وذَكَرَ في البابِ (١٨) مسألَةً لا يتعلَّقُ مِنْها بالحديثِ إلا المسألةُ الأخِيرَةُ، وهيَ: «الثَّامنةَ عشرةَ: حمايةُ المُصطفى ﷺ حِمَى التَّوحيدِ والتَّأدُّبُ معَ الله ﷻ».

ثالثًا: ذكرَ في البابِ (٢٧) حديثَ الفضلِ بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «إنَّما الطِّيَرَةُ ما أمضاكَ أو رَدَّكَ».

فهذا الحديثُ لم يُصحِّحْهُ أو يحسِّنهُ، وإنَّما أوردَهُ لِصِحَّةِ مَعناهُ معَ

---

(١) لأنَّ موافقة الذهبي للحاكم فيها خلاف شديد، والصواب أنه اختصر كلام الحاكم.

قُربِ إسنادِهِ، فَيُسْتأنَسُ بهِ. وقدْ رواهُ أحمدُ مِنْ روايةِ مُحمَّدِ بنِ عبدِاللهِ بنِ عُلاثةَ وهوَ مُختلَفٌ فيهِ، فمعَ أنَّهُ ضُعِّفَ إلا أنَّ ابنَ مَعِينٍ وَثَّقَهُ، وقالَ ابنُ عَدِيٍّ: حسَنُ الحديثِ، وأَرجُو أنَّهُ لا بأسَ بِهِ، ووَثَّقَهُ ابنُ سعدٍ، وكذا الخَطِيبُ، ودافَعَ عنهُ. وفيهِ انقِطاعٌ بينَ ابنِ عُلاثةَ وبينَ مسلمة الجهني.

وقَدْ نبَّهَ شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ على ذَلِكَ، فنقلَ الشَّيخُ سُليمانُ رَحِمَهُ اللهُ من خَطِّهِ: «فيهِ رجُلٌ مُختلَفٌ فيهِ، وفيهِ انقِطاعٌ».

والحديثُ المذكُورُ معناهُ صَحِيحٌ، دَلَّتْ على ذلِكَ الأدِلَّةُ الصَّحِيحةُ الثَّابِتَةُ.

رابعًا: ذكرَ في البابِ (٣١) حديثَ أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ مِنْ ضَعفِ اليقِينِ: أَن تُرضِيَ النَّاسَ بِسُخطِ اللهِ..**» الحديثَ.

وهذا الحديثُ لَمْ يُحسِّنْهُ شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ، ولَمْ يُصحِّحْهُ وإنَّما أوردَهُ بعدَ ذِكرِ آيَتَينِ، وأتبعهُ بحديثِ عائِشَةَ مَرْفوعًا: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرْضَى عنهُ النَّاسَ..**» وهو حديثٌ صحيحٌ.

ومعناهُ صحيحٌ مُتَّفقٌ عليهِ، ورُوِيَ عنْ غيرِ واحِدٍ مِنَ السَّلَفِ.

خامِسًا: ذكَرَ في البابِ (٥٥) حدِيثَ جابرٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «**لا يُسْألُ بِوجهِ اللهِ إلَّا الجَنَّةَ**» رواهُ أبو داود.

فهذا الحديثُ سكتَ عنه أبُو داودَ، وذكرَهُ البغويُّ في الأحاديثِ الحِسَانِ من المصابيحِ (٢/ ٦١)، وذكَرَهُ النَّووِيُّ في «رياضِ الصَّالِحين» (ص٣٩٠)، وصحَّحَهُ الضِّياءُ المقدِسيُّ، ورمزَ السُّيوطيُّ لصحَّتِهِ.

ومدارُهُ على سُليمانَ بنِ مُعاذٍ وهوَ مُختلَفٌ فيهِ، وقَدْ وثَّقهُ الإمامُ

أحمدُ، وقالَ مَرَّةً: لا أرَى بِهِ بأسًا. وقدِ احتَجَّ بِهِ مُسلِمٌ في «صحِيحِهِ»، ومَنِ احتَجَّ بِهِ مسلمٌ في «صحيحِهِ» فقدْ جاوَزَ القَنطرَةَ.

سادسًا: ذكرَ في البابِ (٦٤) حديثَ جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ رضي الله عنه قالَ: «جاءَ أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: يَا رسولَ اللهِ! نُهكَتِ الأنْفُسُ، وجاعَ العِيالُ، وهلكَتِ الأموالُ؛ فاسْتَسْقِ لنَا ربَّكَ، فإنَّا نستشفِعُ باللهِ عليكَ، وبِكَ على اللهِ». فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «سُبحانَ اللهِ! سُبحانَ اللهِ!..» الحديثَ.

فهذا الحديثُ قَدْ صحَّحهُ غيرُ واحدٍ منَ الأئِمَّةِ؛ قالَ ابنُ مندَه: «وهُوَ إسنادٌ صحيحٌ مُتَّصِلٌ مِنْ رسمِ أبي عيسَى والنَّسائِيِّ»، وقوَّاهُ شيخُ الإسلامِ في «مجمُوعِ الفَتاوى» (١٦/ ٤٣٥)، وحسَّنَهُ ابنُ القيِّم في «حاشيتِهِ على مختصَرِ سُنَنِ أبي داوُدَ» للمُنْذِرِيِّ (١٣/ ١٢) ودلَّلَ علَى ذلَكَ، ورَدَّ على قولِ المُضَعِّفينَ. وكَفَى بهَؤُلاءِ الأئِمَّةِ قُدوةً وسلَفًا. وانظر ص (٥٨٦) من هذا الكتاب.

سابِعًا: قالَ في البابِ الأخيرِ (٦٦): «وقالَ ابنُ جُرَيرٍ: حدَّثني يونُسُ، أخبرَنا ابنُ وَهبٍ قالَ: قالَ ابنُ زَيدٍ: حدَّثني أبي قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا السَّماواتُ السَّبعُ في الكُرسِيِّ إلَّا كَدَراهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**»[1].

قالَ: وقالَ أبو ذرٍّ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَا الكُرسِيُّ**

(١) رواه ابن جرير (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٢٠)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: واهٍ، وأبوه تابعيٌّ ثقة، فهو مرسل واهي الإسناد، وقال الذهبي في "العلو للعلي الغفار" (ص١١٧ ط أضوار السلف): «هذا مرسل، وعبدالرحمن ضعيف». وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" (١/ ٢٤- ط هجر): أول الحديث مرسل وعن أبي ذرٍّ منقطع، وقد روي من طريق أخرى موصولاً.

فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِن حَديدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهرَي فَلاةٍ مِنَ الأرضِ».

فهنا قدْ أوردَ الشَّيخُ الإسنادَ، وكذلِكَ لحديثِ أبي ذرٍّ شواهِدُ يصِحُّ بها.

ثامنًا: ذكرَ في البابِ الأخيرِ - أيضًا - حديثَ الأوعَالِ، وهوَ حديثٌ مشهورٌ عندَ سَلَفِ الأُمَّةِ، وقوَّاهُ غيرُ واحدٍ:

قالَ التِّرمِذيُّ «حسنٌ غريبٌ»، وصحَّحهُ الحاكمُ، وصحَّحهُ الجَوزَقَانيُّ في كتابهِ «الأباطيلُ والمناكيرُ والصِّحاحُ والمشاهِيرُ»، والضِّياءُ في «الأحاديث المُختارة»، وقالَ أبو بَكرٍ ابنُ العربِيِّ: «حسنٌ صحيحٌ»، وقالَ الذَّهبيُّ في «كِتابِ العرشِ» (رقم ٢٤): «إسنادٌ حسنٌ وفوقَ الحسنِ».

وقوَّاهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ، وابنُ القيِّمِ في حاشِيَتِهِ على مختصرِ سُننِ أبي داودٍ، وقالَ في «الصواعِقِ المُرسلةِ»: «إسنادٌ جَيِّدٌ».

وقالَ الشَّيخُ عبدُالرحمنِ بنُ حسنٍ في «خاتمة البحر المفيد» المشهور بـ «قُرَّةِ عُيُونِ المُوَحِّدينَ»: «وهذا الحديثُ لهُ شواهِدُ في الصَّحِيحَينِ وغيرِهما معَ ما يدلُّ عليهِ صريحُ القرآنِ، فلا عبرَةَ بقولِ مَنْ ضعَّفهُ».

فظهرَ بما سبقَ أنَّ شيخَ الإسلامِ مُحمَّدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ لَمْ ينفرد بتصحيح أو تحسين حديثٍ ضعيف، ومَا ذكرَهُ مِنْ بعضِ الأحاديثِ الَّتي ضعَّفَها بعضُ العُلماءِ فهوَ لاختِلافِ اجتِهادِهِم في الحُكمِ على الحدِيثِ، وكَذلكَ قد يوردُ بعضَ ما تُكلِّمَ فيه استِئناسًا معَ صحَّةِ معناهُ بالدَّلائلِ القطعِيَّةِ.

فلا يجُوزُ لأحدٍ بحالٍ أن يظُنَّ أنَّ شيخَ الإسلامِ مُحمَّدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ تَساهَلَ في إيرادِها، أوْ خالَفَ أهلَ الحديثِ، بلْ هوَ سائِرٌ على نَهْجِهِم وطريقَتِهِم، بلْ هوَ مِنْ كِبارِ أهلِ الحديثِ ومُحَقِّقِيهِم - رَحِمَهُ اللهُ -.

وهذا الإمامُ النَّوَوِيُّ في «رياضِ الصَّالِحينَ» والَّذي اشتَرَطَ فيه الصِّحَّةَ قَدْ خالَفَهُ غيرُهُ في تصحِيحِ بعضِ تِلكَ الأحادِيثِ، وَكِتابُهُ «الأربَعينَ» نَجِدُ مِنَ العلماءِ مَن ضعَّفَ مِن أحاديثِهِ ما تزيدُ نسبتُهُ على ما انتُقِدَ على شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ.

وكذلك شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ والإمامُ ابنُ القيِّم والذَّهبيُّ والحافِظُ ابنُ حجرٍ رحمهم الله قدْ صحَّحُوا أحاديثَ خالفَهُم فيها غيرُهُم ولم يكنْ ذلكَ قادِحًا في علمِهم أو علمِ من خالفَهُم مِنْ أهلِ العلمِ والسُّنَّةِ، ولمْ يتَّهِمْهُمْ أحدٌ بعدمِ المعرِفةِ في الحديثِ أو التَّساهُلِ أو يطعَن عليهِم بذلكَ.

فالخُلاصةُ أنَّ شيخَ الإسلامِ مُحمَّدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ من أئِمَّةِ أهلِ الحديثِ، وكِبارِ المُحدِّثينَ والمُحقِّقينَ، وكِتابُهُ «التَّوحيدُ» مِن أصحِّ الكُتُبِ المُصنَّفَةِ في العقائِدِ. واللهُ أعلم.

ورحم اللهُ الشَّيخَ الإمامَ المجدِّدَ شيخَ الإسلامِ محمدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ الهمام وأدخلهُ الجنةَ دارَ السلامِ.

ترجمةُ الشَّيخِ عبدِالرحمن بن حسنٍ
ابنِ شيخِ الإسلامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ رحمهم الله(١)

هو الشَّيخُ الإمامُ، العلَّامةُ المُجدِّدُ الثَّاني، وشيخ الإسلام الربَّاني، الشَّيخُ العالِمُ الفاضِلُ، قُدوةُ الأفاضِلِ، وعينُ الأماثِلِ، أبُو الحسنِ، عبدُالرحمنِ بنُ حسنِ ابنِ شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ رحمهم الله.

ولادَتُهُ ونشأَتُهُ، وطلَبُهُ للعِلْمِ:

وُلِدَ في الدِّرعيَّةِ عام (١١٩٣هـ)، ونشَأَ في حجرِ جدِّهِ شيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ نظرًا لوفاةِ والِدِهِ وهوَ صغيرٌ، فرَبَّاهُ جدُّهُ على حُبِّ العلمِ، فحفِظَ القُرآنَ وهوَ في التَّاسعةِ من عمرِهِ، ودرسَ عليهِ وعلى عُلماءِ عصرِهِ.

«ونشأ في ذلك البيتِ الأصيلِ في الشَّرفِ والعلم، فاعتنى به جدُّه

---

(١) مصادر ترجمته: ما كتبه حفيده الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف ابن المؤلف «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢/ ٢٠ -٢٤)، «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ١٦٨، ٢/ ٢٩)، «عقد الدرر» (٥٤ - ٦٢)، وفيه وفاته سنة ١٢٨٤هـ، «هدية العارفين» (١/ ٥٥٨)، «الدرر السنية» (٦٠)، «الأعلام» (٣/ ٣٠٤)، «معجم المؤلفين» (٥/ ١٣٥)، «مشاهير علماء نجد» (ص٨٧)، و«تسهيل السابلة» (٣/ ١٧٠٤)، و«تراجم متأخري الحنابلة» و«علماء نجد» (١/ ٥٦)، و«المجدد الثاني الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وطريقته في تقرير العقيدة» تأليف خالد عبدالعزيز الغنيم، ومقدمة «فتح المجيد» (١/ ٣٣)، ولم يذكره صاحب «السحب الوابلة» في كتابه مع أنه في زمنه؛ لأنَّ الشيخ عبدالرحمن له عليه ردودٌ وافحامات.

مجدِّد الدعوة المحمدية؛ شيخُ الإسلامِ محمد بنُ عبدِ الوهاب، وأعمامه الأئِمة الأعلامِ، وخيار أهلِ العلمِ في نجد، فقرأ على جدِّهِ شيخِ الإسلامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ «كتاب التَّوحيد»، من أوَّلِهِ إلى أبوابِ السحر، وجملة من «آداب المشي إلى الصَّلاة»، وحضر عليه مجالسَ كثيرةً في صحيح البخاري، والتَّفسيرِ، وكتبِ الأحكامِ بقراءةِ عمِّهِ وشيخهِ الشَّيخِ علي بن محمد بن عبد الوهاب، وفي تفسير سورة البقرة من تفسير ابن كثير، بقراءة عمِّه الشَّيخ عبد العزيز بن محمدِ بنِ عبد الوهاب، وحضر قراءة عمه وشيخه الشَّيخ حسين، وهو إذ ذاك في سِنِّ التمييزِ على والده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وحضر قراءة الشَّيخ عبد الله بن ناصر في «منتقى الأحكام» على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب»[(١)].

نجدُ في هذا النَّصِّ من أبناءِ الشَّيخ أنَّ الشَّيخَ قد اكتسبَ قوةً علميَّةً ظهرت عليه آثارُها وآتت ثمارَها، فقد كان حريصًا على السنَّة وشديدًا على أهل البدع، منتبهًا فطنًا لدسائسِهِم، حتَّى أنَّه مَرَّةً أنكر على عثمانَ بنِ منصور (ت١٢٨٢هـ) تسمية أئمة الدعوة بأنَّهم خوارج، فقال الشَّيخ ابن حسن كما في «الدرر السنية»[(٢)] (١٢/ ٤٤): «ومن الأمور الظاهرة البيِّنَةِ أنك تكتب في الخوارج، وتذكر كلامَ شيخِ الإسلامِ فيهم، والواقع في كثير من الأمة أعظمُ من مقالةِ الخوارجِ: عبادة الأوثان وتزيين عبادتها وإنكار التَّوحيدِ..» اهـ.

---

(١) مما كتبه حفيده الشيخ إبراهيم.

(٢) قلت: عثمان بن منصور له مصنف بعنوان: «منهج المعارج لأخبار الخوارج بالإشراف على الإسراف في دينهم المارج أو السيرة الخارجية المحتوية على كل غائلة وبلية»، صنَّفه في ذكر أخبار الخوارج الذين خرجوا بالسيف على صالح الأمة، فقاتلوا به سائر المسلمين والأئمة، فسطوا على الناس بالسيف ونسبوهم بما فيهم إلى الكفر والحيف، وهو يعني بذلك أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
ينظر: «مصباح الظلام» (ص٧١)، و«فتح الحميد» لابن منصور (ص٣٦).

وغير ذلك من ردودِه التي تدلُّ على فطنةِ الشَّيخِ وقوةِ العلمِ التي نبَّهته في ردِّهِ على ابن منصور! يؤكد ذلك ما كتبه المؤرخ ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» (٢/ ٣٢): «وكتبتُ إليه مرَّةً أهنِّئه بقدوم ابنِهِ الشَّيخ عبد اللطيف من مصر، وتوسَّلتُ إلى الله في دعائي بصفاته الكاملةِ التي لا يعلمُها إلا هو، فكتبَ إليَّ فقال: وقد ذكرتَ وفقكَ الله في وسيلة دعوتك جزاك الله عني أحسنَ الجزاءِ عن تلك الدعوات، قلتَ: وأتوسل إليك بصفاتك الكاملةِ التي لا يعلمها إلا أنت، فاعلم أيها الأريبُ الأديب! أن الذي لا يعلمها إلَّا هو، كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله، كما قال الإمام مالك: الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، ففرق هذا الإمامُ بين ما يعلم من معنى الصفةِ على ما يليق بالله، فيقال: استواءٌ لا يشبهُ استواءَ المخلوقِ، ومعناه ثابتٌ لله كما وصف بهِ نفسَه، وأما الكيف فلا يعلمُه إلا اللهُ، فتنبَّه لمثلِ هذا، فالإمامُ مالكٌ تكلَّم بلسانِ السلفِ».

قال ابن بشر معقبًا: «فانظر إلى سعةِ علومِه واطلاعهِ ومفهومِه، وما لديه من التَّحقيقِ والتَّدقيق..» اهـ.

وبدايةُ الشَّيخ كانت في هذه البيئةُ التي ترعرعَ فيها، وقويَ فيها عودُه، وظهرتْ مخايلُ النجابةِ عندَه، ونجدُ في النَّصِّ أنَّ والده لم يكن له دورٌ في نشأةِ هذا الإمامِ، وما ذاك إلّا لأنّ والده الشَّيخَ حسن قد توفي، وتولَّى الاعتناءَ بهذا الإمامِ اليتيمِ جدُّهُ وأعمامُه، والذين بعد ذلك دفعوهُ إلى المشايخِ في ذلك الوقتِ ليقرأ عليهم.

ونلمسُ هذا الجانبَ العلميَّ للشيخِ في معرفته بما تدلُّ عليهِ الأحاديثُ. انظر على سبيلِ المثالِ ص (٢٠١) في الكلامِ على روايةِ أبي داود: «ولا قلادة».

شيوخُهُ:

أخذَ العِلمَ عن عددٍ من كِبارِ عُلماءِ عصرِهِ سوى ما أخذه عن جدِّه شيخِ الإسلامِ محمدِ بن عبدِ الوهابِ وأعمامِهِ: الشَّيخِ عبدِالله، والشَّيخ علي، والشَّيخِ عبدِالعزيزِ، والشَّيخِ حسن، فمنهم:

١) الشَّيخ حمد بن ناصر بن معمر (ت١٢٢٥هـ)، قرأ عليه مختصر «الشرح» و«المقنع» وغيرهما.

٢) الشَّيخ عبد الله بن فاضل، قرأ عليه في السيرة النبوية.

٣) الشَّيخ عبد الرحمن بن خميس، درس عليه «شرح الشنشوري» في الفرائض.

٤) الشَّيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي، توفي سنة (١٢٥٧هـ) قرأ عليه «شرح الجزرية» للقاضي زكريا الأنصاري.

٥) الشَّيخ حسين بن غنام (ت١٢٢٥هـ) درس عليه شرح الفاكهي على متممة النحو.

وقد رحل الشَّيخُ ﷺ إلى مصر، وذلك في سنة (١٢٣٣هـ)، وكان قد نقله إليها إبراهيم باشا، بعد استيلائه على الدرعيَّة، فيمن نقل من آل سعود، وآل الشَّيخ[١]، ودرسَ على علمائِها هناك، وقد تنوَّعَتِ الحصيلةُ العلميةُ لدى الشَّيخِ، إلى جانبِ الخبرةِ الواسعةِ التي اكتسبَها في رحلتِه هذه، مع ما اطلعَ عليه في مساجدِ مصرَ من البدعِ والمحدَثاتِ، فكان إنكارُه على درايةٍ واطِّلاعٍ، وليس على أخبارٍ وسماع.

---

(١) «الأعلام» (٣/ ٣٠٤).

٦) الشَّيخ حسن القويسني المصري، توفي سنة (١٢٥٤هـ) حضر عليه شرح «جمع الجوامع» في الأصول، و«مختصر السعد» في المعاني والبيان، وغيرهما، وأجازه بالرواية عن مشايخه بالإسناد إلى البخاري.

٧) الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المؤرخ المشهور، مؤلف كتاب «عجائب الآثار»، توفي سنة (١٢٣٧هـ)، قرأ عليه، وأجازه بجميع مروياته.

٨) الشَّيخ عبد الله سويدان الدمليجي المصري، توفي سنة (١٢٣٤هـ)، وهو أكبر من لقيه الشَّيخ عبد الرحمن بمصر من العلماء. قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن[1]: «وأكبر من لقيت بها من العلماء: الشيخ عبدالله سويدان، وأجازني هو والذي قبله - أي القويسني - بجميع مروياتهم، ودفع لي كل واحد منهما نسخته المتضمنة لأوائل الكتب ..».

٩) الشَّيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري، مفتي الجزائر - الشهير بابن العنابي ت (١٢٦٧هـ). قرأ عليه جملة من «الأحكام الكبرى» للحافظ عبد الحق الأشبيلي، وأجازه بمروياته[2].

١٠) الشَّيخ إبراهيم العبيدي، شيخ مصر في القراءات.

١١) الشَّيخ أحمد بن سلمونة، المالكي، قرأ عليه كثيرًا من القرآن، وكثيرًا من الشاطبية، و«شرح الجزرية» للشيخ زكريا الأنصاري.

---

(١) «مجموعة الرسائل» (٢/ ٢١).

(٢) ينظر: «رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي» للشيخ الأستاذ بلقاسم سعد الله، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٩٩٠م)، (ص ٢٢).

١٢) الشَّيخ يوسف الصاوي، توفي سنة (١٢٤١هـ) قرأ عليه الكثير من «الخلاصة» لابن عقيل.

١٣) الشَّيخ إبراهيم البيجوري، توفي سنة (١٢٧٧هـ)، قرأ عليه شرح «الخلاصة» للأشموني إلى باب الإضافة.

١٤) الشَّيخ محمد الدمنهوري، حضر عليه في الاستعارات، و«الكافي» وعلم العروض والقوافي.

١٥) الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ، ابن عمه[١].

تلاميذه:

يقول ابن بشر في «عنوان المجد» (٢/ ٢٩): «وفيها - أي سنة (١٢٤١هـ) - أقبل من مصر الشَّيخ العالم النحرير، البحر الزاخر الغزير، مفيد الطالبين، المحفوفُ بعنايةِ ربِّ العالمين، جامعُ أنواعِ العلومِ الشرعية، ومُحَقِّقُ العلومِ الدينيةِ، والأحاديثِ النبويةِ، والآثارِ السلفيةِ، وارثُ العلمِ كابرًا عن كابرٍ، الذي صارت الأصاغرُ بإفادتِهِ شيوخًا أكابر.. فمِمَّنِ انتفعَ به، وتفقه عليه، حتى صارَ قاضيًا يرجعُ في الفتوى إليه من ذريته، وذرية جَدِّهِ محمد بن عبد الوهاب ومن غيرهم عدد كثير، منهم:

١) العالمُ الفاضلُ، ذو الأخلاقِ المَرْضِيَّةِ، حاوي العلومِ الأدبيةِ والشرعيةِ، الملحوظُ بعينِ التشريفِ؛ ابنُه الشَّيخُ عبدُ اللطيف.

٢) وتفقَّه عليه أيضًا الشَّيخُ العالمُ عبد الرحمن بنُ حسينِ بن الشَّيخ.

---

(١) ذكر ذلك محمد بن عثمان القاضي في كتابه: «روضة الناظرين» (١/ ١٢٢)، وأنه من أشهر تلامذة الشيخ سليمان.

٣) الشَّيخُ العالمُ الفقيهُ حسن بن حسين بن الشَّيخ.
٤) الشَّيخ عبدُالملك بن حسين.
٥) الشَّيخُ حسين بن حمد بن حسين بن الشَّيخ.
٦) وتفقَّه عليه الشَّيخ حسين بن علي بن حسين.
٧) والشَّيخُ عبد الله بن حسن بن حسين بن الشَّيخ.

وكلٌّ هؤلاءِ تولَّوا القضاء، وهم من ذرية الشَّيخ.

وأخذَ عنه ممن لم يَلِ القضاء من ذرية الشَّيخ:

٨) حسن بن علي بن حسين.
٩) أبناء الشَّيخ محمد بن علي، وهم: عبد الله.
١٠) وعبد العزيز، توفي سنة (١٣٢١هـ).
١١) وعلي.
١٢) وعبد الرحمن.

وأبناء القاضي علي بن حسين، وهما:

١٣) عبد الله.
١٤) وحسن.
١٥) محمد ابن الشَّيخ علي ابن الشَّيخ محمد، وكل هؤلاء من ذرية الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأما من أخذ عن الشَّيخِ عبد الرحمن بن حسن من غير قرابته من علماء نجد، فمنهم:

١٦) الشَّيخ عبد العزيز ابن القاضي عثمان بن عبد الجبار بن شبانة، توفي

سنة (١٢٧٣هـ)، قاضي بلدان منيخ والزلفي والغاط.

١٧) العالم الضرير الشَّيخ عبد الله بن نصير القاضي في الرياض، ثم في ضرما، وتوفي فيها.

١٨) الشَّيخ ناصر بن عيد القاضي في الرياض، ثم في بلد الحلوة.

١٩) الشَّيخ محمد بن سلطان، قاضي بلد عرقة، توفي سنة (١٢٩٨هـ).

٢٠) وأخذ عنه أيضًا: الشَّيخ الفقيه عبد الرحمن بن حمد الثميري، القاضي في سدير ثم في الزلفى، توفي سنة (١٢٧٧هـ).

٢١) وأخذ عنه: الشَّيخ حمد بن عتيق، العالم المشهور القاضي في الحلوة، ثم في الأفلاج توفي سنة (١٣٠١هـ)..

٢٢) الشَّيخ عبد الله بن جبر، القاضي في منفوحة توفي سنة (١٢٦٨هـ)..

٢٣) الشَّيخ محمد بن إبراهيم بن سيف، القاضي في جبل شمر توفي سنة (١٢٦٥هـ).

٢٤) الشَّيخ عبد العزيز بن حسن بن يحيى القاضي في حريملاء توفي سنة (١٢٩٨هـ).

٢٥) الشَّيخ محمد بن إبراهيم بن عجلان، القاضي في الحريق. توفي سنة (١٢٦٥هـ).

٢٦) الشَّيخ عبد الله بن علي بن مرخان، القاضي في ضرما.

٢٧) الشَّيخ حمد بن عبد العزيز بن محمد، العوسجي قاضي بلد ثادق. توفي سنة (١٣٣٠هـ).

٢٨) الشَّيخ عبد الرحمن بن عبدالله بن عدوان، ولي القضاء في المحمل. توفي سنة (١٢٨٥هـ).

رحمهم الله جميعًا، وأمَّا من أخذ عنه ممن لم يَلِ القضاء، فعدد كثير، ونفع الله الطلبة بعلمه، بحيث إنَّ الطالب لا يلبث إلا يسيرًا عنده، حتى يكون فائقًا بفهمه، وضربت إليه آباط الإبل من أقطار نجد والأحساء..» اهـ. بتصرف[1].

جهودُهُ في نَشرِ العلمِ والدَّعوةِ:

عيَّنَهُ الإمامُ سعودُ بنُ عبدِالعزيزِ (ت١٢٢٩هـ) على قضاءِ الدرعيَّةِ، ثمَّ نقلَهُ الإمامُ عبدُالله بنُ سعودٍ (ت ١٢٣٣هـ) إلى قضاءِ مكَّةَ، وكانَ مستشارًا ومقدَّمًا عند ولاةِ الأمرِ كالأميرِ تركي (ت١٢٤٩هـ)، وابنه الأمير فيصل (ت١٢٨٢هـ)، وكان له دور في الإصلاح بين المختلفين، مع ما كان عليه من المُواظبة على الإفادَةِ والتَّدريسِ والتَّعليمِ، والتَّأليفِ، وانتفعَ بهِ الناسُ.

مُؤلَّفاتُهُ:

صنف الشَّيخُ مصنفاتٍ حسنةً نافعةً ماتعةً، في الأصول وغيرها أكثرها ردود، فمن مؤلفاته رَحِمَهُ اللهُ:

١. «فَتْحُ المجِيدِ لشَرْحِ كِتابِ التَّوحيدِ»؛ وهو مطبوع أكثر من طبعة، وهو متداول.

٢. «خاتمة البحر المفيد لبيان مسائل التَّوحيد» وهو كتابنا هذا، والمشهور بـ «قُرَّة عيون الموحِّدين» وهو كتاب مطبوع متداول.

٣. كتاب في الردِّ على ابن جرجيس، سُمِّيَ بـ «القولِ الفصلِ النَّفِيسِ في الرَّدِّ على داوُدَ بنِ جرجِيسِ»، وسُمِّيَ بغير ذلك.

٤. «المورد العذب الزلال في كشفِ شُبه أهل الضلال»، وهو ردٌّ على

---

(١) وانظر: «المجدد الثاني الشيخ عبدالرحمن بن حسن» ص (٨٩-١٠٣).

رجل من أهل الخرج، طبع ضمن مجموعة «الرسائل والمسائل» (٤/ ٢٨٩) وطبع منفردًا.

٥. «بيان المحجة في الرد على اللجة»، وهذا ردٌّ على ابن حميد، صاحب كتاب «السحب الوابلة»، حيث دافع ابن حميد عن الأبيات الشركية في بردةِ البوصيري[(١)].
٦. «إرشاد طالب الهدى»، مطبوع متداول.
٧. «المقامات في تاريخ الدعوة»، مطبوع.
٨. «بيان كلمة التَّوحيد»، مطبوع.
٩. «الرَّد والرَّدع».
١٠. «مختصر العقل والنَّقل».
١١. «حجة التَّحذير في المنع من لبس الحرير».
١٢. تفسير سورة الفاتحة.
١٣. ملخص «منهاج السنة»، مطبوع.
١٤. شرح لنونية ابن القيم، توجد منه قطعة.
١٥. كتاب في الرَّد على عثمان بن منصور.
١٦. الأصول الأربعة

إلى جانب المسائل والرسائل والفتاوى، التي لو جمعت لجاءت في مُجَلَّدٍ ضخم[(٢)].

---

(١) انظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لعبد العزيز آل عبد اللطيف ص (٦٢). و«تسهيل السابلة» (٣/ ١٧٠٦).
(٢) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/ ٣٤٤) (٢/ ١٥-٣٢)، (٤/ ٣٦٩-٣٧٢) و«الدرر السنية» (٩/ ١٧٩-١٨٧) و«المجدد الثاني» (ص ١٢٥-١٧٧).

جهادُهُ إلى وفاتِهِ:

الشَّيخُ عبدُ الرحمن بنُ حسنٍ صاحِبُ تاريخٍ حافلٍ بالجهادِ في سبيلِ اللهِ، حيثُ اشتركَ في معظَمِ المعارِكِ معَ الإمامِ تُركِي لنشرِ التَّوحِيدِ ومُحارَبَةِ الشِّركِ وأهلِهِ، وبَقِيَ على جهادِهِ في العلمِ والتَّعليمِ والقِتالِ في سبيلِ اللهِ في عهدِ فيصلِ بنِ تُركِي، وكذلِكَ في عهدِ عبدِاللهِ بنِ فيصلِ بنِ تُركي إلى أن وافاهُ الأَجَلُ عشيَّة يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من عامَ ١٢٨٥هـ وقد قارب المئة في مَدِينةِ الرِّياضِ الَّتي أصبحتْ حِينئذٍ عاصِمَةَ دولةِ التَّوحِيدِ.

ثناءُ العلماءِ عليه:

أثنى عليهِ غيرُ واحدٍ من العلماء نثرًا ونظمًا.

قال عنه ابن بشر: «وقد كان متنبِّهًا فطنًا لدسائس أهل البدع».اهـ.

قال فيه ابنه الشيخ عبداللطيف كمافي «مجموعة الرسائل والمسائل»: «وقد من الله عليه بنشر العلم .. فجدَّد الله به آثار سلفه الصالح .. وقد أنطق الله ألسن المسلمين بالثناء والدعاء لهذا الشيخ ..».

ووصفه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين بأنه وحيد دهره وفريد عصره، وقال عنه الشيخ سليمان بن سحمان: الشيخ الإمام المبجل، والفاضل النبيل المفضل.

وصفه صالح بن عبدالعزيز البردي في «تسهيل السابلة» بالقاضي العالم العلَّامة، ولقَّبه الشيخ بكر أبو زيد وعبدالرحمن العثيمين في استدراكهما على «السحب الوابلة» (٢/ ٤٨٦) بالمجدِّد الثاني(١).

---

(١) ينظر: «الدرر السنية» (١٢/ ٦٠)، وقد سبقهما إلى ذلك بعض العلماء، كما سيأتي في ثنائهم عليه نظمًا.

ومما قيل فيه نظمًا:

قال الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر في قصيدته التي أرسلها إلى الشيخ عبدالرحمن بن حسن حال إقامته بمصر(١):

«أنجم بدا كلا بل البدر طالع   أم الشمس أضحى ضوؤها وهو ساطع»

إلى أن قال:

«أتى من أديب عالم متذكر   لإخوته والنأي بالخل شاسع
تذكر ذا قربى حليف مودة   ولم ينسه لما نأى فهو وادع
عليك سلام الله يا من سما له   إلى المجد فرع فهو للسعد طالع»

إلى آخر ما قال.

وقد أثنى عليه الشيخ عبدالرحمن بن مانع وأطال، ومن ذلك قوله:

مضى عابد الرحمن نجل محمد   مجدد دين الله عن وصمة الكفر

إلى أن قال:

يجيب على الفتوى جوابًا مسدّدًا   يزيح به الإشكال عن مرتج الفكر
فيضحي عويص المشكلات موضحًا   بتحقيق أبحاث أدق من الشعر

وقال أيضًا:

وفي كل معنى وفر الله قسمه   وفضل إله العرش يسمو عن الحصر

وقال الشيخ صالح بن سحمان في مدح بعض علماء الدعوة في نجد(٢).

وبالعابد الرحمن من جدد الهدى   حفيد إمام المسلمين ففاخر

---

(١) مشاهير علماء نجد، (ص٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) قلائد الجمان في بيان سيرة آل سحمان (ص ٦٦).

فأكرم به من ألمعي مجدد ... لدين الهدى ينهى الورى عن مناكر
وعبداللطيف الحبر لا تنسى فضله ... إمام لعمري نال أعلى المآثر»

إلى أن قال:

«كوالده أكرم بهم من أئمة ... ففاخر بهم يا صاح فوق المنابر»

وقال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بعد ثنائه على الشيخ محمد ابن عبدالوهاب[(١)]:

«كذا عابد الرحمن أعني حفيده ... بنور الهدى يهدي فمن ذا يعادله؟
ينافح عن دين الهدى كل مبطل ... فيبطل تمويهاته ويناضله

وقال أيضًا:

ونحا طريقة الإمام حفيده ... أكرم به من عالم وإمام
أعني بذلك شيخنا علم الهدى ... زين لأهل العلم والحكام

وقال أيضًا:

لئن كان أهل العلم كالشهب في السما ... فعالمنا بين الكواكب كالبدر»

وقال في أبيات أرسلها الشيخ عبداللطيف معتذرًا[(٢)]:

«وأبوك حبر فاضل من علمه ... ترجى الهداية والمقال الأصوب
إن خاض في علم الحديث فمسلم ... أو علم فقه قلت هذا أشهب»[(٣)]

---

(١) الدرر السنية (١٦/ ٤٠٧).
(٢) عقد الدرر (ص ٨١).
(٣) لعله يقصد بأشهب أشهب بن عبدالعزيز القيسي، أحد علماء المالكية.

تسمية الكتاب

لقد قامَ الشَّيخُ عبد الرحمن بن حسن بعد تأليفهِ «فتح المجيد» بتعليقٍ ماتعٍ مُيسَّرٍ غير مبسوط على «كتاب التَّوحيد»، قريب التَّناول، وهو هذا الكتّاب، وقد سُمِّيَ بـ «قرّة عيون الموحِّدِينَ في تحقيق دعوة الأنبياءِ والمرسلينَ»، وفي هذا الكتابِ ما لم يذكره في كتابه «فتح المجيد» فقد جاء بزيادات على الشَّرحِ المذكور.

وهذه التَّسمية للكتاب بـ «القرة» ليست تسمية المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنَّما هي تسمية أحدِ أبنائِهِ، وهو الشَّيخُ عبد اللطيف[1]، وله اسم آخر كما في النّسخة المعتمدة، وهي نسخة ابنه إسحاق، هو: «**خاتمةُ البحرِ المفيدِ لبيانِ مسائلِ التَّوحيدِ**».

ولا ندري هل هذه التَّسميةُ من المؤلِّفِ، أم من أحدِ تلامذتِهِ، أو من تسميةِ ابنِه الشَّيخِ إسحاق؟ لأنَّها - كما أسلفت - مثبتةٌ على النسخة المعتمدة وكان له عناية بها، أعني الشَّيخ إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا الأمر - **أعني**: كثرة العناوين لكتاب واحد - يوضحه مقال لأحمد الحكمي في «مجلة الدَّارة» (س٥، ١٤٠٠ رجب/ع٤/ ص١٩، ٩٢): «آثار الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن مجدِّد الدَّعوة الإصلاحيَّة في نجد»، فقد جاء فيه: «ويبدو - والله أعلم - أنَّ للتلاميذ والأتباع دورًا في

---

(١) «مشاهير علماء نجد» ص (٦٤) وكذلك في النسخة المطبوعة سنة (١٣٤٥هـ)، وعليها تصحيحات بعض أئمة الدَّعوة كالشَّيخ ابن سحمان والشيخ عبد اللطيف وغيرهما.

إنشاء تلك الأسماء، فيلاحظ أنَّ بعض أئمة الدعوة يكتب ردًّا أو جوابًا بلا عنوان مختار، فيـأتي من بعده، ويتخذ له عنوانًا يناسب محتوى ذلك الكتاب، وهذا أمر ظاهر في رسائل أئمة الدعوة».اهـ.

فيتبين من هذا أنَّ هذا الكتاب الذي بين أيدينا قد اشتهر باسم «قرة عيون الموحِّدين في تحقيقِ دعوةِ الأنبياءِ والمرسلين»، وأنَّ الشَّيخ عبد الرحمن ﷺ قالِ في ص(١٥١) من هذا الكتاب: وسنذكرُ بعضَ.... في هذا «التعليق». كما ورد على غاشية النسخة الخطية المعتمدة اسم آخر، وهو: «خاتمة البحر المفيد في بيان مسائل التَّوحيد».

وقد جمعتُ في عنوان الكتاب بين الاسم الوارد في النسخة الخطية المعتمدة والاسم الذي اشتهر به الكتاب فجعلته عنوانًا، وما في النسخة الخطيَّة تحته.

وصف نسخ الخطية وعملي في الكتاب

اعتمدتُ في تحقيقي لهذا الكتاب على عدَّةِ نسخ، وهذا وصف لها:

النسخة (أ) وهي الأصل:

عدد أوراقها: (١٢٩)، كل ورقة بوجهين، عدد الأسطر في كلِّ وجه (١٧) سطرًا، وفي كل سطر (١٣) كلمة تقريبًا.

خطها واضحٌ ومفهومٌ وجميل.

وفي بعض صفحاتِها في الهامش عناوين لما في طيَّات الباب.

وفيها بعضُ التعديلات وإضافة كلمات سقطت من النسخ؛ مما يدلُّ على شيءٍ من الاعتِناء، وهي من حيث الجودة؛ أجودُ المخطوطاتِ وأقلُّها خطأً وإن كانت لم تخل من بعضِ الأخطاءِ التي وافقتها عليها بقيَّةُ النُّسخِ، بينما جاءَ الصَّوابُ في أخطاء أخرى مصححًا في النسخِ الأخرى.

وبالجملة، فهي أفضلُ النسخِ الخطِّيَّةِ وقد نالت حظَّها من العناية، حيث قرأها الشَّيخُ إسحاق ابن المصنف الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن على شيخه حمد بن علي بن عتيق، وهي من محفوظاتِ مكتبةِ خدابخش في الهند، وفي آخرها:

«آخره ولله الحمد، ظهر الأحد لستّ عشرة خلت من شهر رجب سنة (١٢٨٥هـ) بقلم عبد العزيز بن صالح الصيرامي، غفر الله له، ولوالديه وللمسلمين. آمين».

النسخة (ب):

عدد أوراقِها: (١٧٦)، كلُّ ورقة وجه واحد، عدد الأسطر في كلِّ صفحة (٢٢) سطرًا، وعدد الكلماتِ في السطر (١٢) كلمة تقريبًا.

خطُّها واضحٌ ومفهوم.

فيها سقط في عدة مواضع، وتقديم وتأخير.

بدأ ناسخها بقوله: «هذا تعليق شيخنا العلامة عبد الرحمن بن حسن - ﷺ -، وعفا عنه بمنِّه وكرمه إنه قريبٌ مجيب، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين. آمين».

ثم قال:

«ويليه تعليق على ملخص أبيات من النونية له - رحمه الله تعالى - أيضًا، ويليه «الكلماتُ النافعةُ في الكفاراتِ الواقعة» تأليف الشَّيخ الإمام العالم العلَّامة عبد الله بن الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب».

ثم كتب وقفًا لهذه المجموعة فقال:

«يعلم الناظر إليه، بأن هذا المجموع وقف لعبد الله بن علي بن حمد ابن ماجد؛ على يد ابنِه محمد، والنظر لوالده علي حتى يرشد ابنه محمد.

شهد على ذلك: محمد بن إبراهيم المديميغ، ومحمد بن حمة بن فارس، ومحمد الشويع.

وكتبه شاهده: عبد الله بن عبد الله بن غنام.

وصلى الله على محمد. حرر سنة ١٣٣٦ : ١٢جا». انتهى.

ولا تخلو هذه المخطوطة من أخطاءٍ إملائية ونحويَّة.

ثم ختمت بختم: وزارة المعارف

المكتبة العامة «. . .»[١]

١٣٩٣

إدارة المكتبات العامة

النسخة (جـ):

عدد أوراقها (١١٣) ورقة، كل ورقة وجه واحد، عدد الأسطر في الصفحة (٢٦) سطرًا، ومعدل الكلمات في السطر (١٤ - ١٦) كلمة.

خطُّها مفهوم، ولكنه نسخ بكلماتٍ قريبة، ولم يترك ناسخها بين الأسطرِ فراغًا، مما يصعب تمييز الأسطر.

وهي من حيث الأخطاء والسقط والتقديم والتأخير كالنسخة (ب) تقريبًا.

وقد بدأها الناسخ بقوله: «هذه حاشية ألَّفها شيخنا الشَّيخ عبد الرحمن ابن حسن حفيد المصنف، الذي ألَّف كتاب التَّوحيدِ، وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أعظم الله لهما الأجر والثواب. آمين، وصلَّى الله على محمد وعلى آلهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا».

ثم كتب تحتها:

«بسم الله الرَّحمنِ الرحيم. وقال الثوري عن بعضِ الصحابة أنه قال: ثلاثةٌ من الصبر؛ أن لا تحدَّث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكِّ نفسك. والحمد لله رب العالمين».

(١) كلمة غير واضحة.

ثم كتبت كلمات فوق بعضها طمست ولم يتبيَّن منها إلَّا:

«بسم الله، أحمد الله..... موقفها. انتهى».

وختمت بخاتم واقف المخطوطة بقوله: «وقف الشَّيخُ محمد بن إبراهيم (١٣٩١هـ)». ثم ختمت بأختام: «مكتبة الرياض السعودية»، و«مكتبة الملك فهد الوطنية»، ورقمها في المكتبة السعودية: «دار الإفتاء ٨٦/٣٢٠».

النسخة (د):

عدد أوراقها (٩٢)، في كل ورقة وجهان، وعدد الأسطر في الورقة: بعض الأوجه فيها (٢٤) سطرًا بينما يزداد عدد الأسطر في أوجه ليصل إلى (٣٠) سطرًا، عدد الكلمات في السطر (١٥) كلمة تقريبًا.

خطها مفهوم ولكنه مضطرب، ويختلف في بعض الأوراق عن بعض، فلعلَّ هذا نتج عن تغيير الناسخ أو تغيير قلم النسخ.

بدأها ناسخُها بقوله: «هذا تعليق شيخنا العالم العلامة الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى، وعفا عنه بمنِّه وكرمه، إنه قريب مجيب، وصلَّى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه».

وهي من مخطوطات مكتبة الملك فهد الوطنية برقم (٤١٧/ ١).

وجاء في آخرها بحث لابن القيم حول المحبة.

النسخة (هـ):

عدد أوراقها (١٠٠)، كل ورقة بوجهين، وعدد الأسطر في الصفحة (٢١) سطرًا، وعدد الكلمات في السطر (١٥) كلمة تقريبًا. وهي نسخة الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله.

وكتبت أسماء الأبواب بخط أسود واضح، وكذا بدايات الفقرات المشروحة.

وهي من محفوظات دار الكتب القطرية برقم ١٠٣، وتاريخها سنة ١٢٩٩هـ.

والنسخ الخطِّيَّة: (ب) و(ج) و(د) و(هـ) متقاربات جدًا، وتشترك في كثير من الزيادات أو النقص، وحتى ما نسخ من خطأ في بعضها وجد في الثلاث غيرها.

وقلَّما نجد في النسخ الخمس بالإضافة إلى المطبوعة زيادة مفيدة تشرح عبارةً ما أو توضح شيئًا خفيًا. وقد تركتُ بعض الأخطاء التي وردت في الأصل كما هي، وبيَّنت بعضًا منها في الهوامش. وصححت ما لا يمكن تركه.

وأودُّ التنبيه إلى أنني بينما أعملُ في تصحيح الكتاب، وردت إليَّ نسخة خطية، وهي نسخة كتبت سنة (١٣٠٠هـ) بقلم المحتاج إلى رحمته ناصر بن سعود بن عيسى، غفر الله له ووالديه والمسلمين أجمعين، ولم أجد فيها فرقًا يستحقُّ الذكر حتى أقابلها. وهناك نسخة في إحدى مكتبات حائل ولم أقف عليها.

أمَّا عملي فيتلخَّص فيما يلي:

- قمتُ بنسخ المخطوطة (أ)، وتمت مقابلتها على النسخ الأخرى، وإثبات الفروق بين النسخ، وما كان من زيادات وضعتُها بين معقوفتين دون الإشارة إلى ذلك، أما إذا كانت الزيادات من غير النسخ فإني أنبه إلى ذلك، وقمت بوضع علامات الترقيم كما هي الطباعة المعاصرة.
- عزو الآيات وتخريج الأحاديث، وذكر حكمِ العلماءِ عليها.

- ترجمتُ للأعلام الواردة في الكتابِ مع ترك المشاهير من الصَّحابة والعلماء.

وقابلت هذا الكتاب بشكلة الحالي على النسخة المطبوعة سابقًا، ويأتي ذكرها في الكتب المطبوعة، وقد رمزت للمطبوع بالرمز (ط)، وسيأتي ذكرها في الكتب المطبوعة بعد قليل إن شاء الله.

- عزوتُ الفوائدَ إلى محلها، وكذلك الأبيات الشعرية.
- عرَّفتُ بالكتبِ الواردة في الكتاب.
- وضعتُ المسائلَ المشروحة وكتاب الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب (التَّوحيد) المراد شرحه مجزأً على الأبواب قبل بداية الشرح، وكذلك العناوين، وكل ما يراد شرحه داخل إطار قبل الشرح.
- ترجمتُ للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- ترجمتُ للشيخ عبد الرحمن بن حسن.
- عملتُ مقدِّمة بيَّنتُ فيها أهمية التَّوحيد ومصنَّفات العلماء حول كتاب التَّوحيد.
- عملت فهرسًا لموضوعات الكتاب.

طبعات الكتاب:

أقبلَ الناسُ على هذا الكتاب(١)، وتلقَّاه الناس بالقراءةِ والقبولِ والتدريسِ، وقد طُبع عدة طبعات، وأنا هنا أذكرها حسب علمي. قال الأستاذ أحمد بن حافظ الحكمي: «وقد طُبع هذا الكتاب (الحاشية) عدة طبعات، أعرف منها:

(١) أي كتاب التوحيد، فقد طبع الكتاب طبعات عدة، من آخرها طبعة بتحقيق الدكتور دغش بن شبيب العجمي سنة (١٤٣٢هـ) عن أكثر من ثلاثين نسخةٍ خطية.

١ ـ «طبعة ضمن (مجموعة التَّوحيد) ط المنار ط١ (هي الثالثة)، سنة ١٣٤٦هـ: ص٢٩٧- ٥٢٤، (قرة العيون) بمفردها دون أن يكون معها «كتاب التَّوحيد» في أعلى الصفحات، وقد كتب في أول الكتاب في هذه الطبعة: «كتاب قرة عيون الموحدين، في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين»، وهو تعليق للعلامة الشَّيخ عبد الرحمن بن حسن، ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب على كتاب التَّوحيد لجدِّه المذكور، **سمَّاه نجله العلامة عبد اللطيف بهذا الاسم**، وهو خاتمة (مجموعة التَّوحيد)..

وكتب في آخر (ص٥٢٤) من المجموعة التي تنتهي بانتهاء (قرة العيون): «تم الكتاب. وقد كتب في آخرهِ ما نصُّه: تم نسخ ذلك في رجب سنة (١٣٤٥هـ) بلغ مقابلة وتصحيحًا على المشايخ الكرام: الشَّيخ عبد اللطيف والشَّيخ سليمان بن سحمان، والشَّيخ عبد الله العنقري.

ثم (ص ٥٢٥) - بيان بالخطأ والصواب» اهـ.

قلت: وفي هذه المطبوعة نقص.

«٢ - وهناك طبعة أولى عام (١٣٤٦) في المكتبة الأزهرية برقم (١٠٥٤=١٠٥٧) مجاميع (٤٠٠٧٢).

٣ - طبعة طبعتها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. طبعة ثالثة سنة (١٤٠٤هـ)، بتصحيح وتعليق فضيلة الشَّيخ إسماعيل الأنصاري.

قال الأستاذ الحكمي: «طبعة ضمن (مجموعة التَّوحيد) - ط السَّلفيَّة المشار إليها: يقع الكتاب في هذه الطبعة من (ص ٧ - ص ٢١٦)، وقد وضع كتاب التَّوحيد في أعلى الصفحة، وحاشية (قرة العيون) في الهامش.

٤ - طبعة كتب عليها (الطبعة الثانية)، بنفقة عمر عبد الجبار -

القاهرة، دار مصر للطباعة (بدون تاريخ الطبع) من (ص ٣ - ص٣١٥).

٥ - طبعة أخرى على نفقة قاسم بن درويش فخرو، بيروت، مطابع دار العباد: (٣ - ٣١٩ ص).

٦ - طبعة بمكة المكرمة - مكتبة النهضة العلمية السعودية (بدون تاريخ): (٣١٨ص).

٧ - طبعة ضمن (الجامع الفريد) ط أولى: وضعت حاشية على كتاب التَّوحيد من (ص٩ - ص٢٢١).

٨ - طبعة ضمن (الجامع الفريد) ط ثانية: في هامش كتاب التَّوحيد، من (ص٣ - ص٢١٥).

٩ - طبعة ونشر مكتبة الرياض الحديثة - الرياض، مطبعة محمد عاطف بمصر - مستقلة بكتاب التَّوحيد في أعلى الصفحات: والقرة في الهامش». ا.هـ

١٠ - قلت: وهناك طبعة دار المغني. حققها وعلَّق عليها المجلس العلمي بدار المغني، طبعت الطبعة الأولى سنة (١٤٢٢هـ)، وهي طبعة ملوَّنة طبعت على أصحِّ الطبعات السابقة، وعلى أصل خطيِّ كان يمتلكه العلامة الشَّيخ محمد بن إبراهيم آل الشَّيخ ﷺ - كما ذكر عن هذه النسخة في مقدمة الكتاب - ووضع متن كتاب التَّوحيد في الأعلى. إلا أني وقفت على بعض السقط في هذه النسخة.

١١ - وطبعة بتحقيق أبي البخاري.

١٢ - وطبعة دار الكتب العلمية. خرج آياتها وأحاديثها عبد القادر محمد علي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ، ولم يذكر المحقق شيئًا في

تحقيقه ولا النسخة المعتمدة، ووضع كتاب التَّوحيد في الأعلى والشرح في الأسفل.

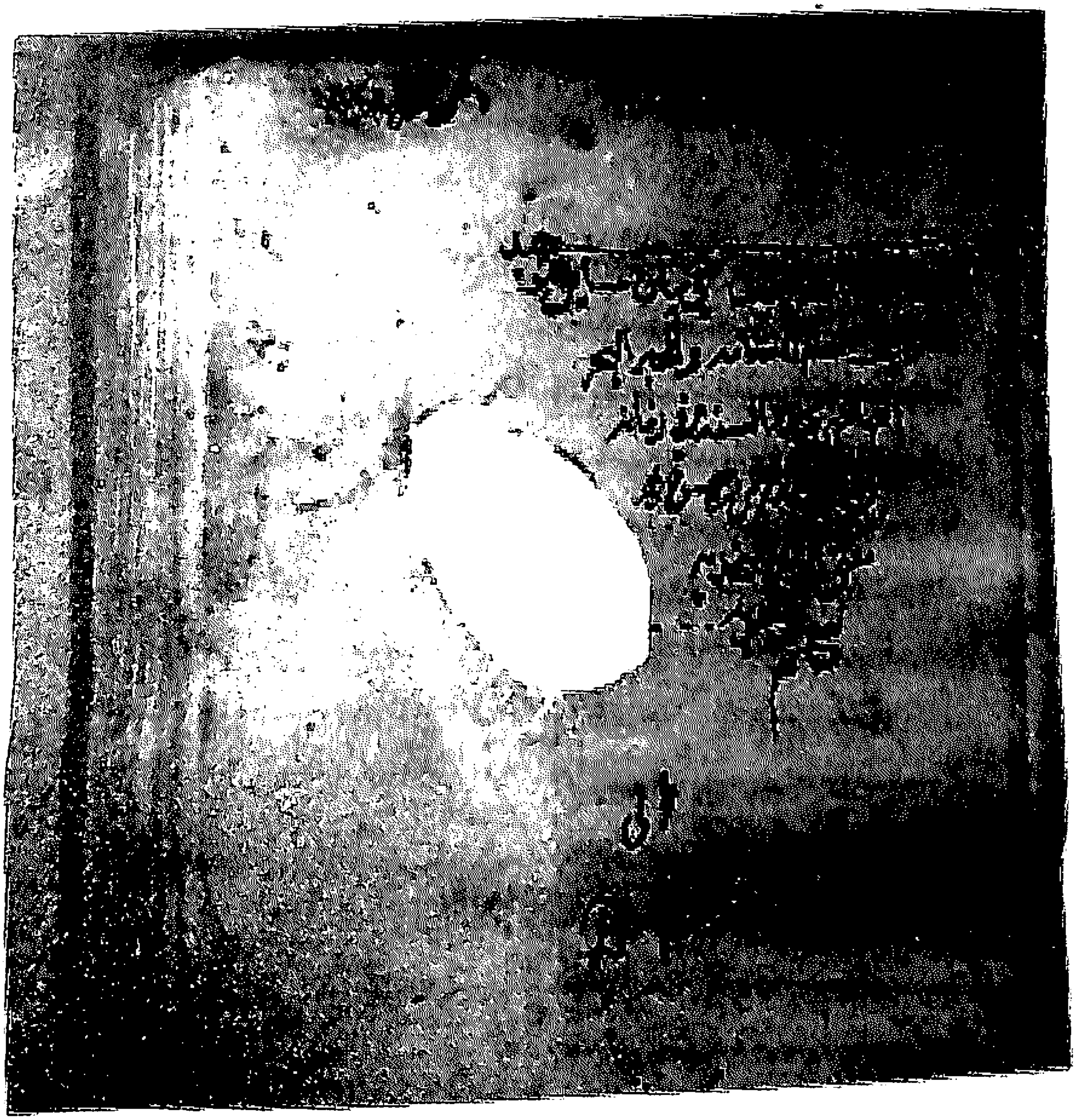
١٣ - وطبعة مكتبة المؤيد. حققها وخرَّج أحاديثها وعلَّق عليها بشير محمد عيون، طبع باسم «كتاب التَّوحيد وقرَّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين». (ط٢) سنة (١٤١٤هـ). وكذلك لم يذكر المحقق اعتماده على نسخ خطية، وقام بتخريج الأحاديث.

وغيرها مما لم أقف عليها.

أمَّا هذه الطبعة «**خاتمة البحر المفيد**» فإنها - بفضل الله - مقابلة على خمس نسخ خطيَّة كما تقدَّم بالإضافة إلى المطبوع، وأنَّ إحدى نسخها الخطيَّة هي نسخة ابن المصنِّف الشَّيخ إسحاق بن عبد الرحمن، وقد قرئت على شيخه تلميذ المصنف كما تقدَّم، وكذلك جاء في هذه النسخة تسمية الكتاب، فالملاحظ أنَّ طبعات هذا الكتاب، قد اعتمدت كل طبعة على نسخة خطيَّة واحدة، بخلاف هذه الطبعة التي قامت بحمد الله على خمس نسخ خطيَّة

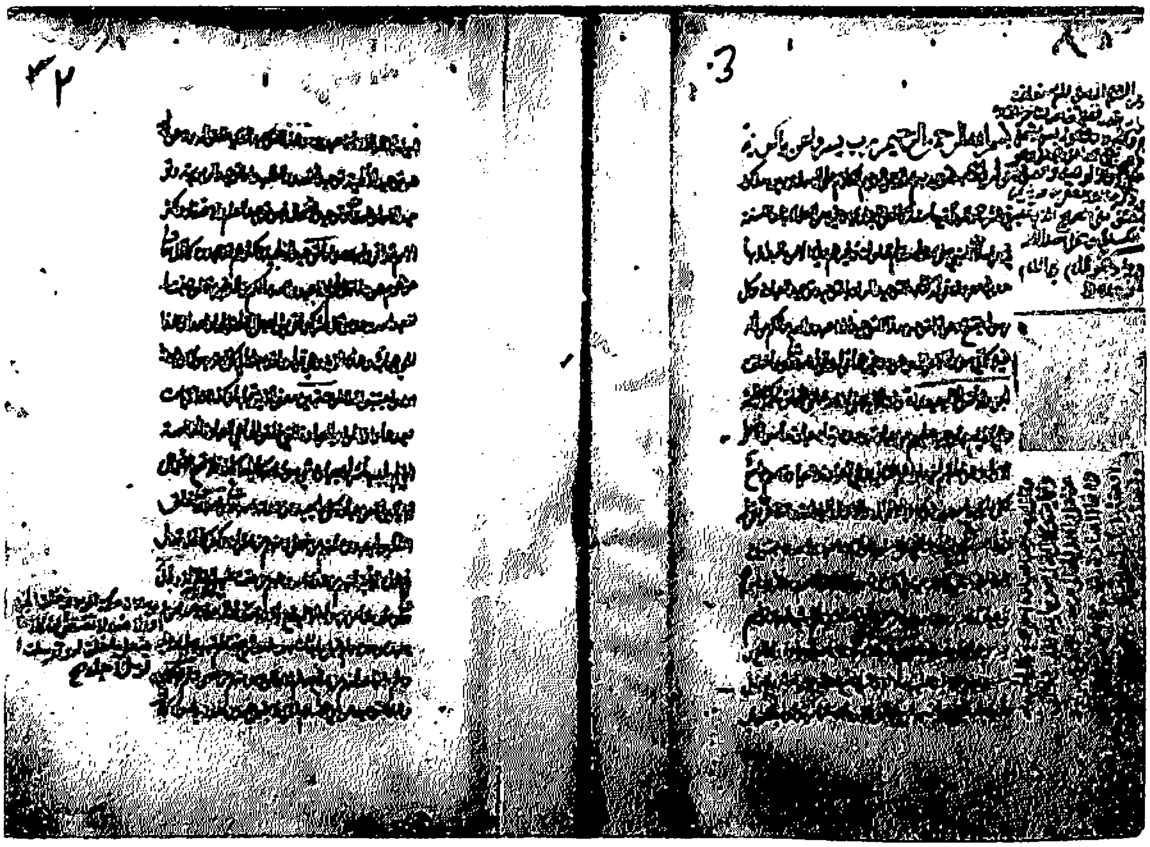
كما يُلاحظ أنَّ النُّسخ الخطيَّة قد كُتب على طرَّتها حاشية أو تعليق، كما أنَّ التسمية «قرَّة عيون الموحدين» قد تقدَّم أنَّها من تسميةِ الشَّيخ عبد اللّطيف، بينما جاء اسم الكتاب على غاشية نسخة إسحاق رحمه الله هكذا: «خاتمة البحر المفيد في بيان مسائل التَّوحيد».

أسألُ اللهَ أن ينفعَ بهذا العملِ وأن يجعلَهُ خالصًا لوجههِ الكريمِ، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمد وآلهِ وصحبه وسلم.

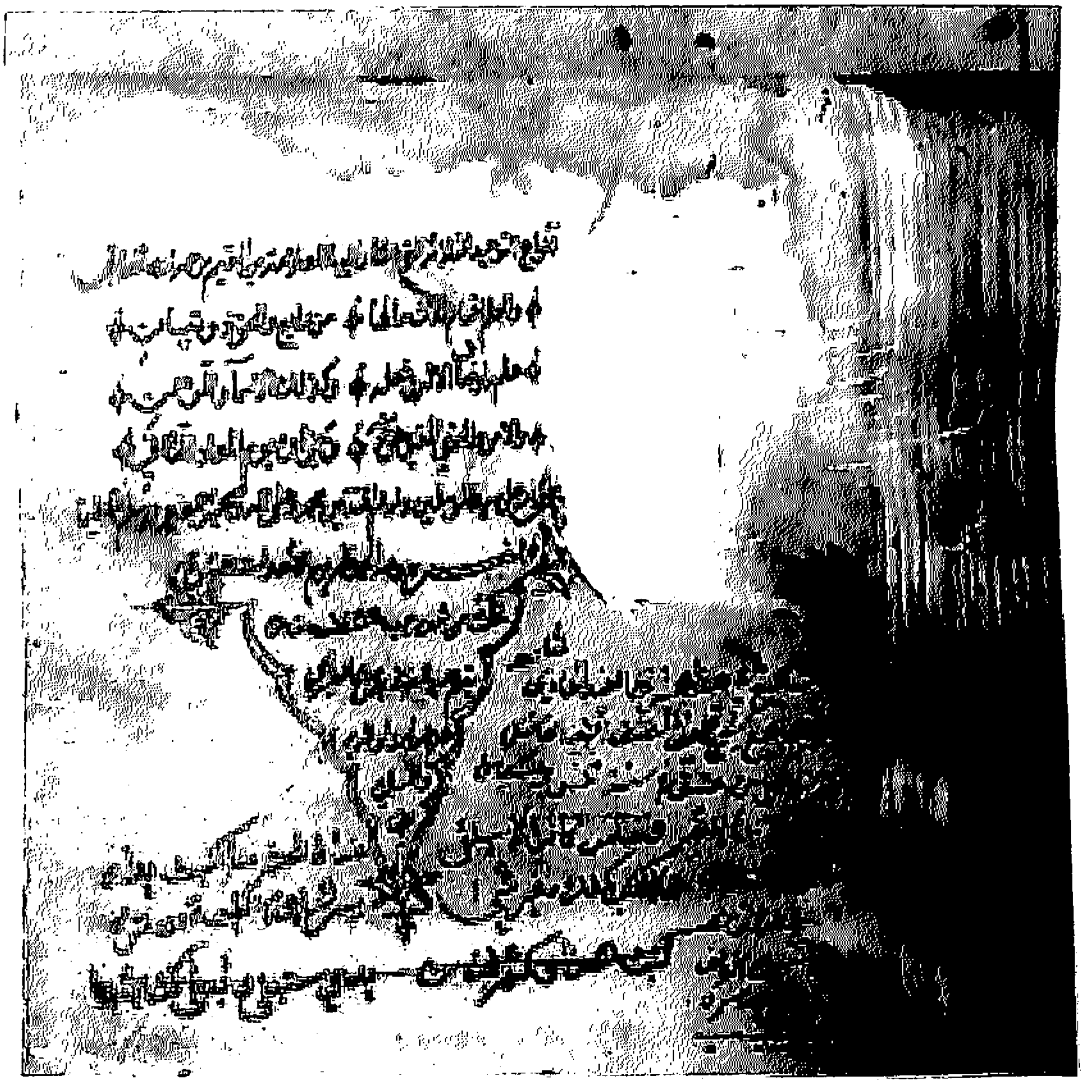


النسخة (أ) ويظهر فيها عنوان الكتاب

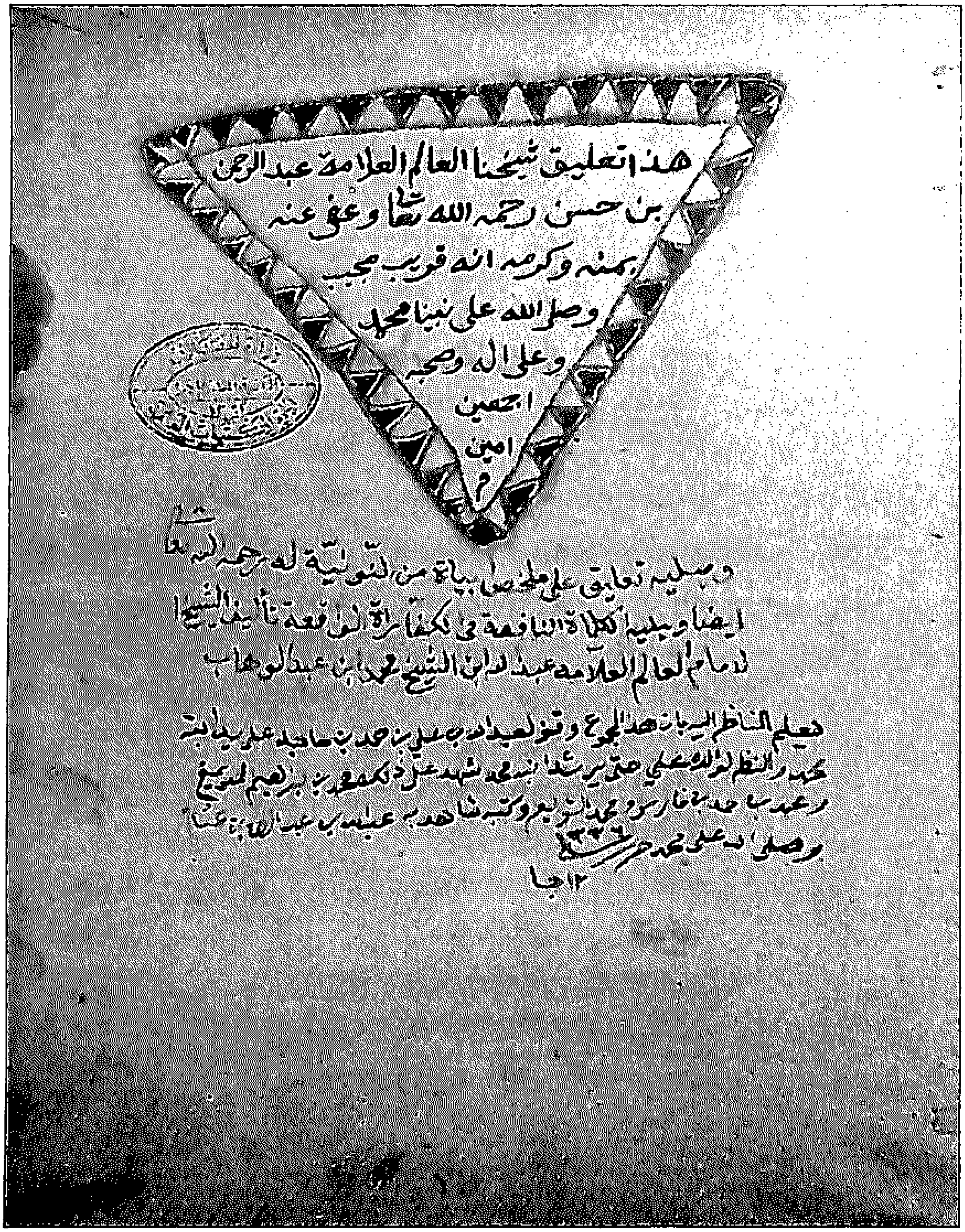
«خاتمة البحر المفيد في بيان مسائل التَّوحيد»



بداية النسخة (أ)



نهاية النسخة (أ)


هذا تعليق شيخنا العالم العلامة عبد الرحمن
بن حسن رحمه الله تعالى وعفى عنه
بمنه وكرمه انه قريب مجيب
وصلى الله على نبينا محمد
وعلى اله وصحبه
اجمعين
امين

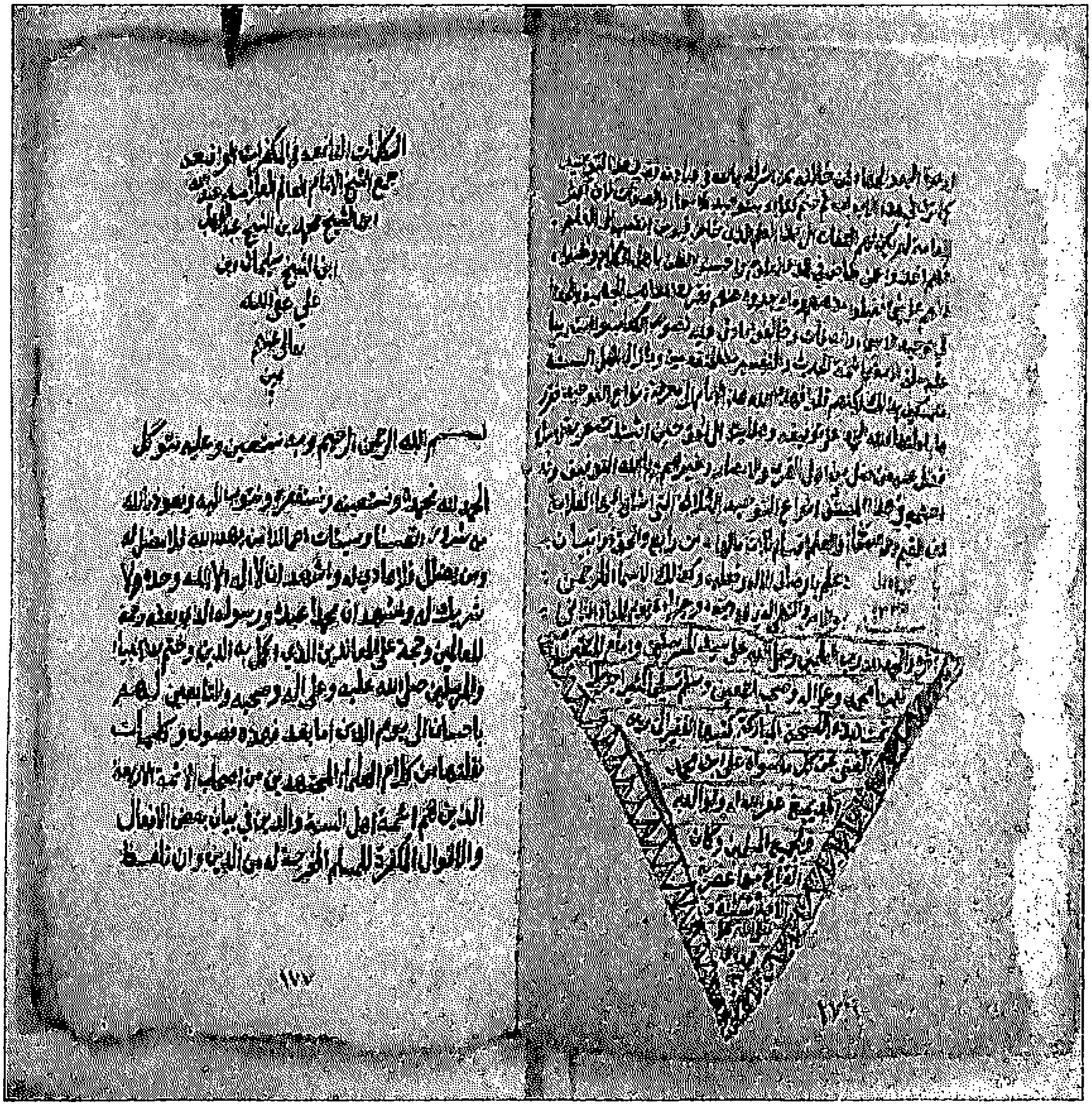
ويليه تعليق على المحصل بيانه من التوليه له رحمه الله تعالى
ايضا ويليه الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة تأليف الشيخ
الامام العالم العلامة عبد الله ابن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب

[illegible]

عنوان النسخة (ب)



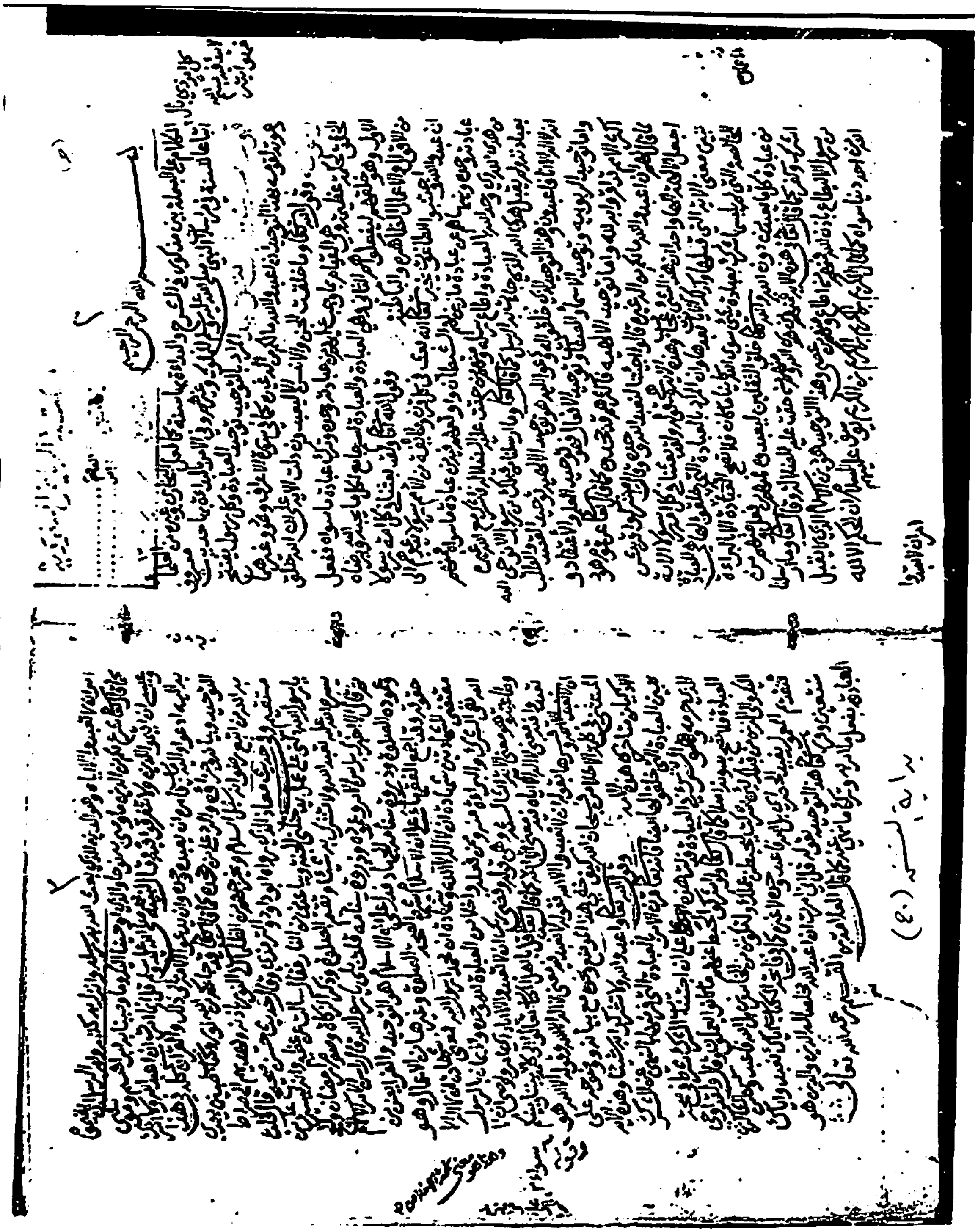
بداية النسخة (ب)



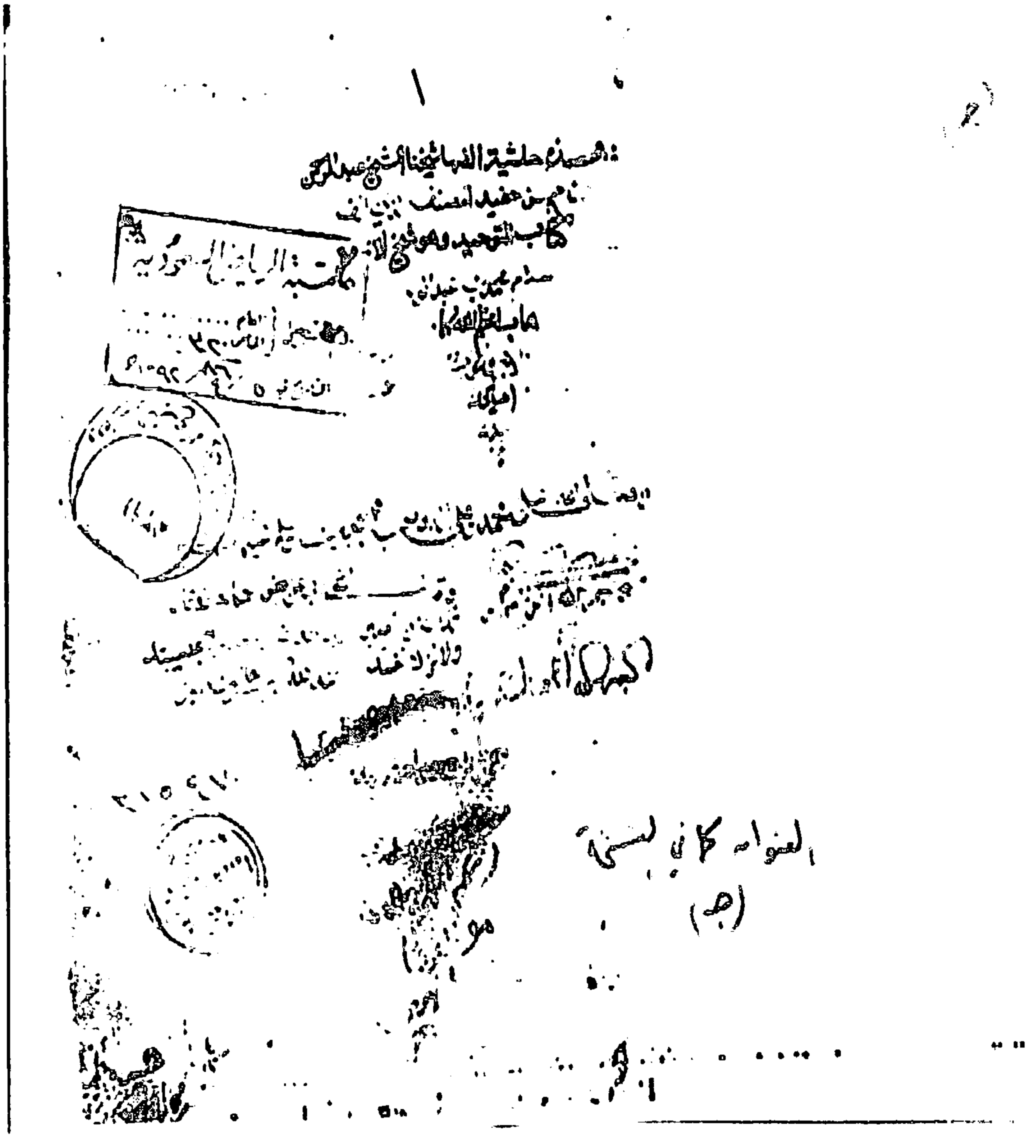
نهاية النسخة (ب)



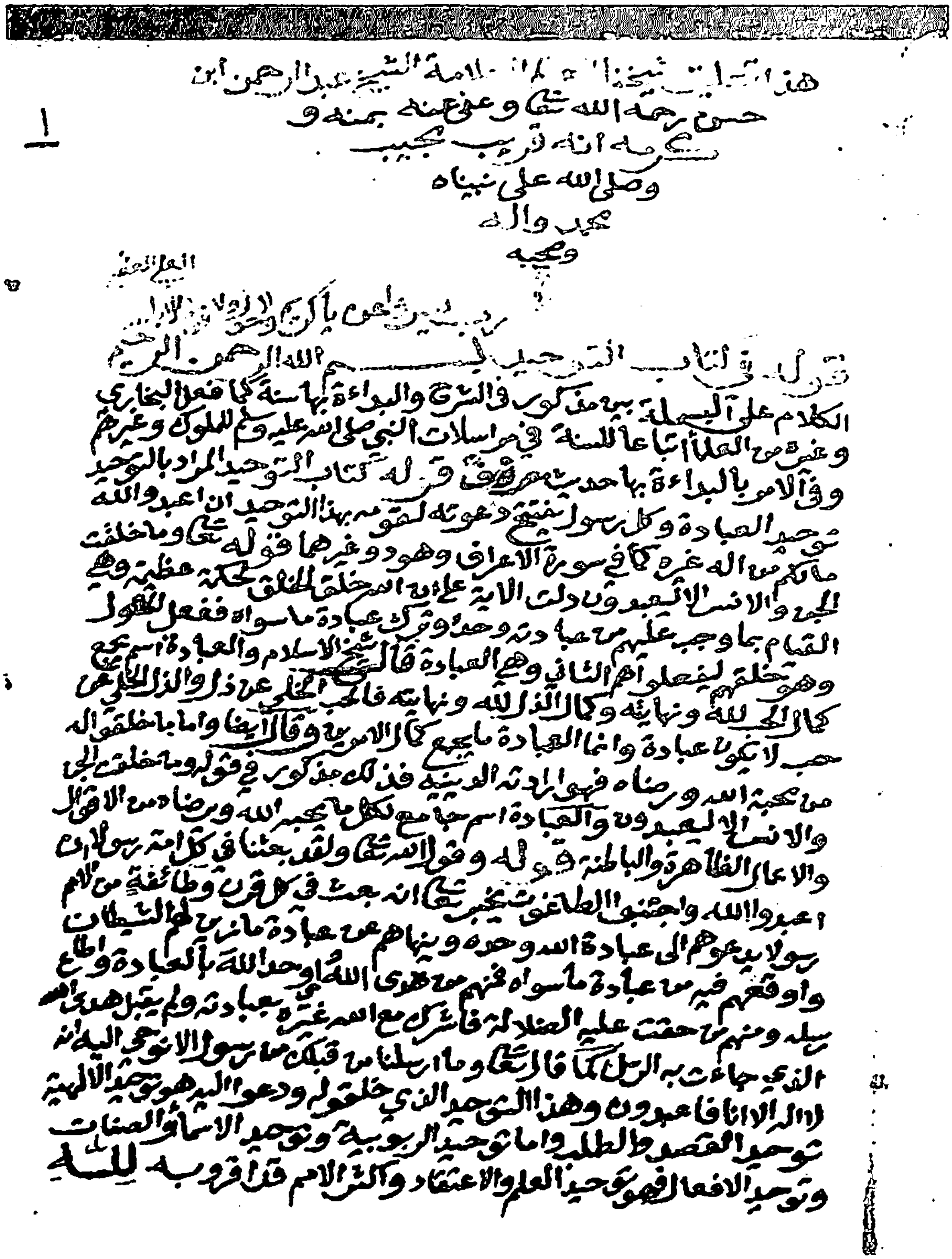
بداية النسخة (ج)



بداية النسخة (ج)

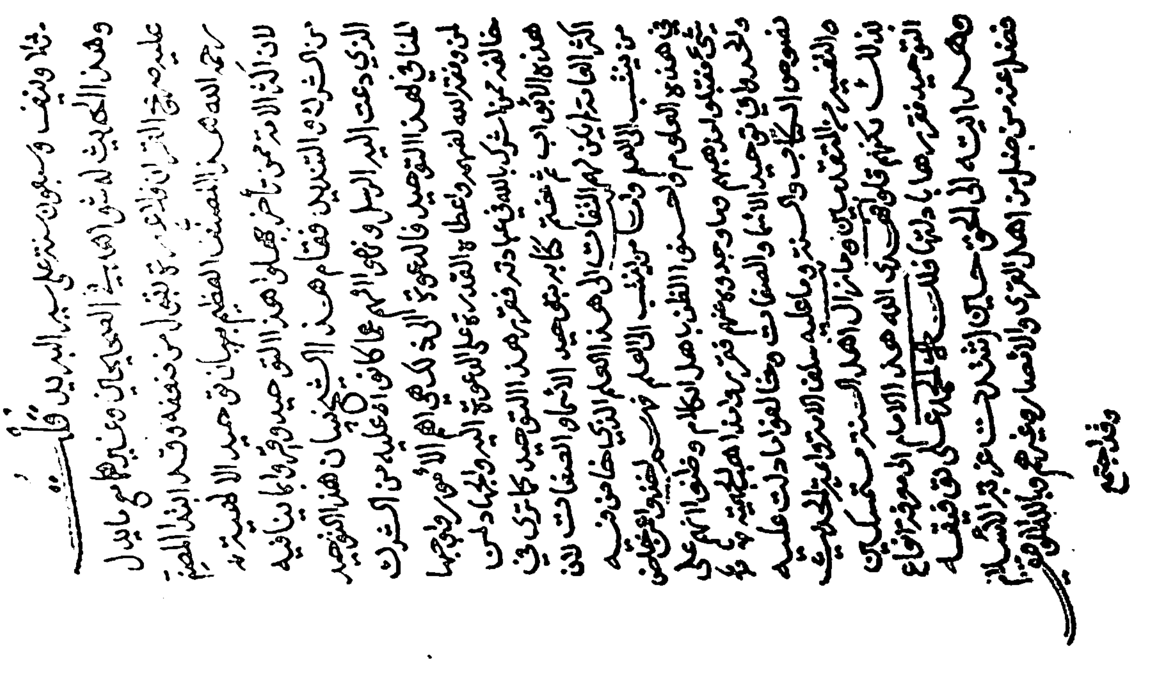


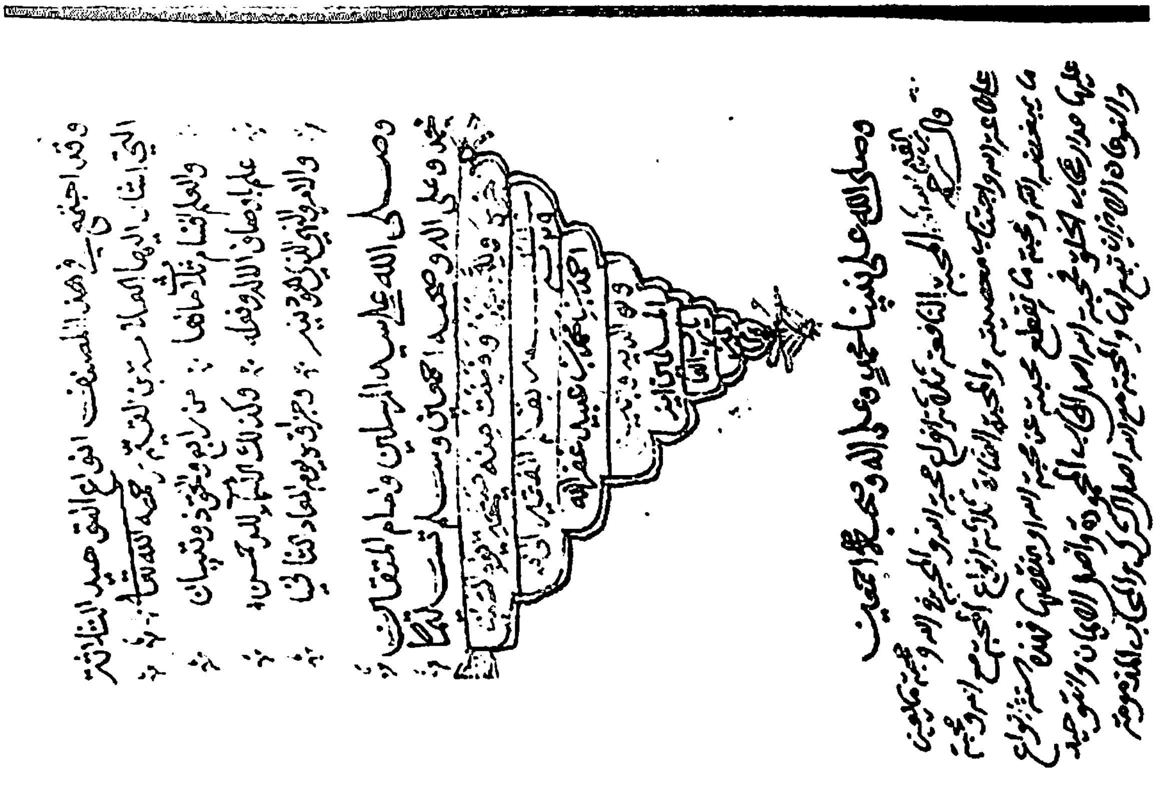
نهاية النسخة (ج)


هذا ... شيخنا ... العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن
حسن رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه و
كرمه انه قريب مجيب
وصلى الله على نبيناه
محمد واله
وصحبه

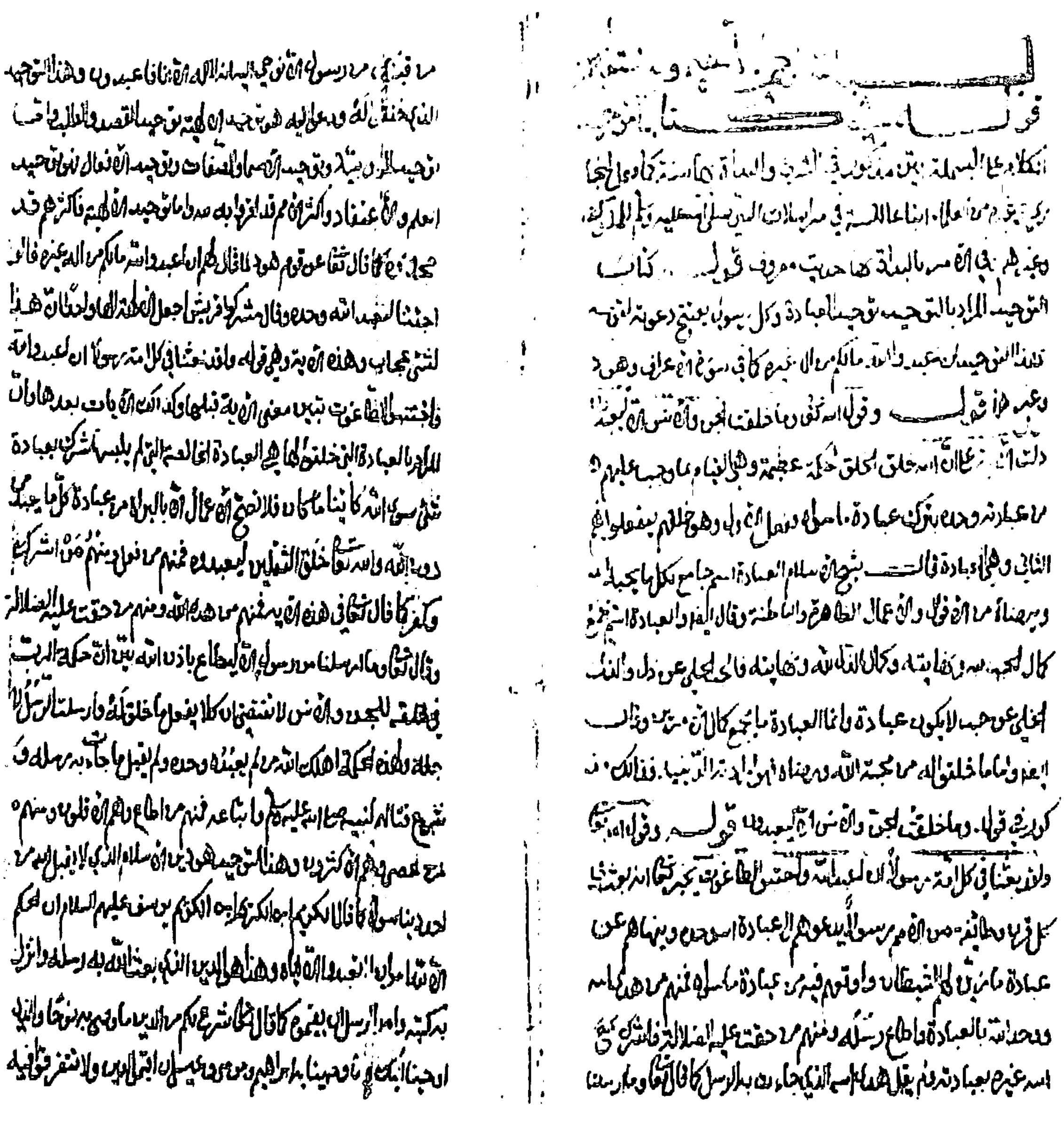
قوله كتاب التوحيد بسم الله الرحمن الرحيم
الكلام على البسملة بين مذكور في الشرح والبداءة بها سنة كما فعل البخاري
وغيره من العلماء اتباعا للسنة في مراسلات النبي صلى الله عليه وسلم للملوك وغيرهم
وفي الامر بالبداءة بها حديث مرفوع قوله كتاب التوحيد المراد بالتوحيد
توحيد العبادة وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد ان اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره كما في سورة الاعراف وهود وغيرهما قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون دلت الاية على ان الله خلق الخلق لحكمة عظيمة وهي
القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه ففعل الاول
وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة قال شيخ الاسلام والعبادة اسم يجمع
كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحب الخلي عن ذل والذل الخلي عن
حب لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الامرين وقال ايضا واما ما خلقهم له
من محبة الله ورضاه فهي ارادته الدينية فذلك مذكور في قوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال
والاعمال الظاهرة والباطنة قوله وقول الله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يخبر تعالى انه بعث في كل قرن وطائفة من الامم
رسولا يدعوهم الى عبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة ما سواه لم يزل الشيطان
واوقعهم فيه من عبادة ما سواه فمنهم من هدى الله اوحد الله بالعبادة واطاع
سبله ومنهم من حقت عليه الضلالة فاشرك مع الله غيره بعبادته ولم يقبل هدى الله
الذي جاءت به الرسل كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه
لا اله الا انا فاعبدون وهذا التوحيد الذي خلقوا له ودعوا اليه هو توحيد الالهية
توحيد القصد والطلب واما توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات
وتوحيد الافعال فهو توحيد العلم والاعتقاد واكثر الامم قد اقروا به لله

بداية النسخة (د)

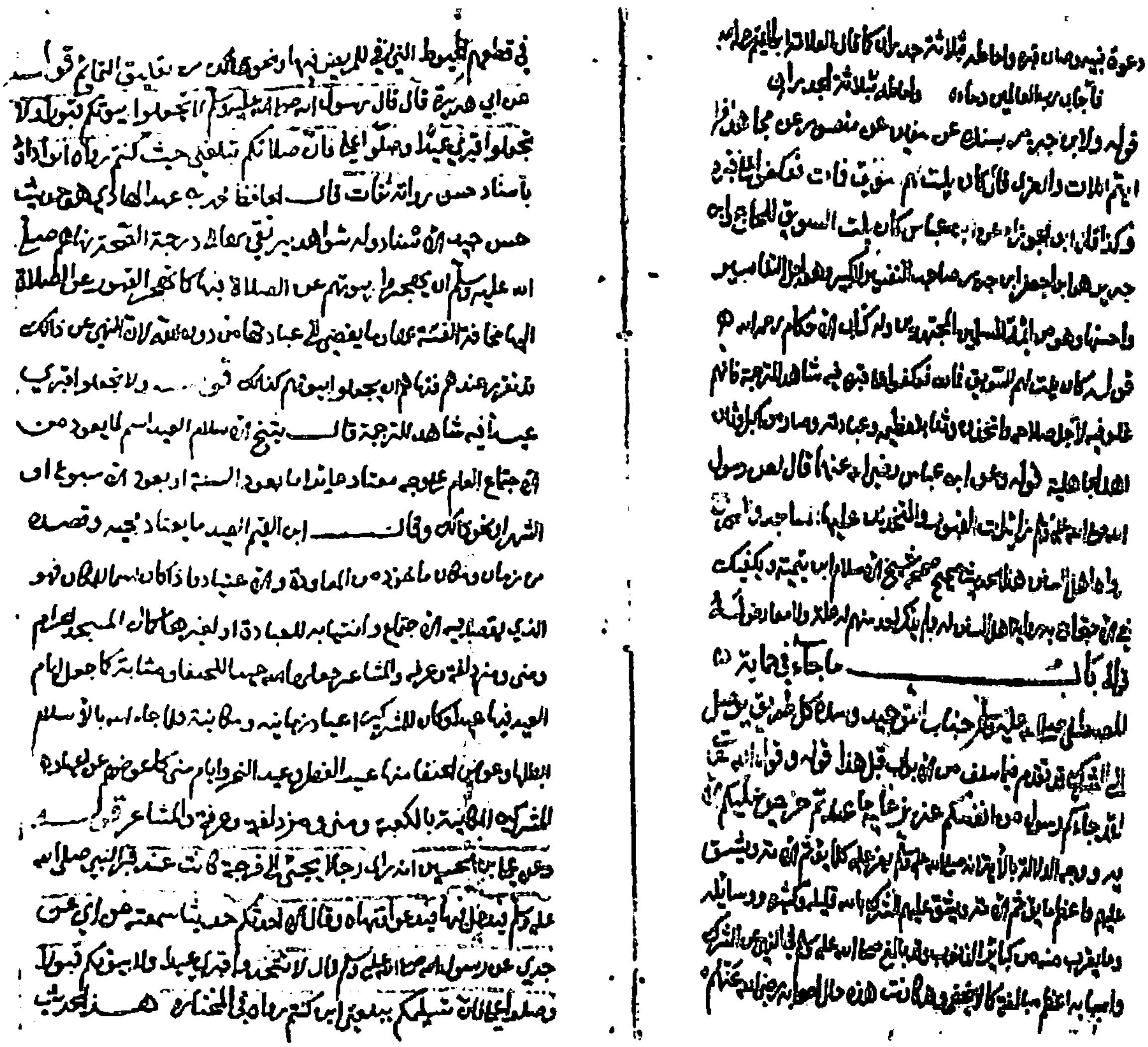




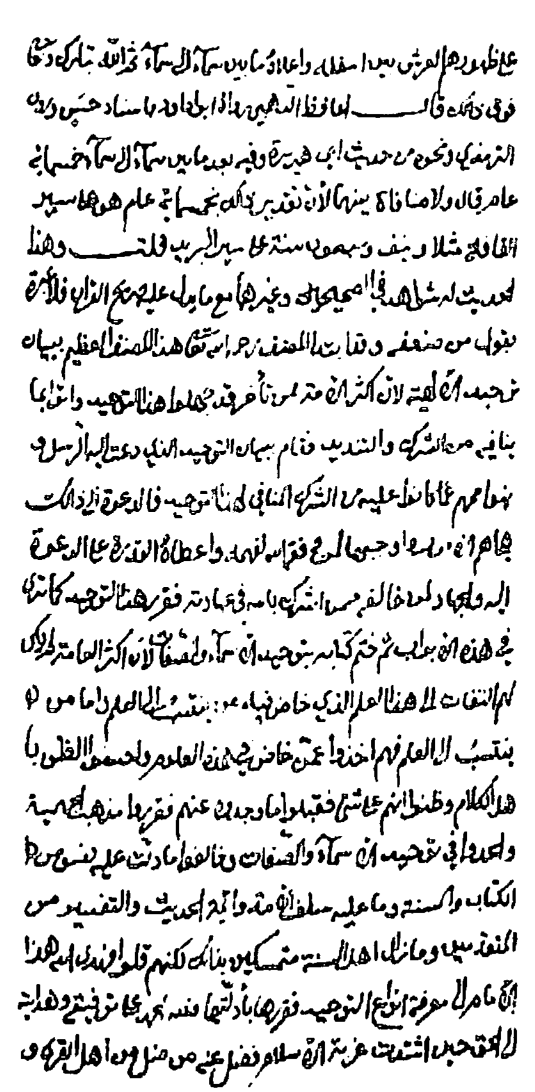
نهاية النسخة (د)

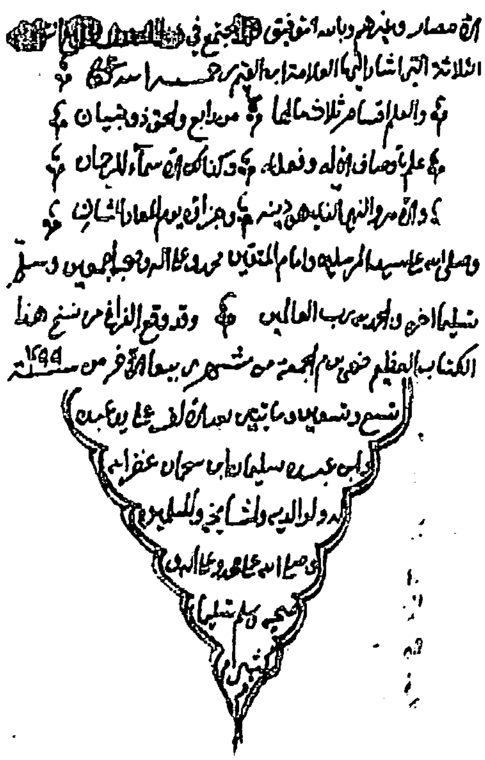


بداية النسخة (هـ)



النسخة (هـ)





نهاية النسخة (هـ)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[ربِّ يسِّر وأعِنْ يا كريم][١]

● قوله في كتاب «التَّوحيد»: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم[٢]:

الكلامُ على البسملةِ بيِّنٌ مذكور في الشَّرح[٣]، والبداءة بها سنَّة،

---

(١) ما بين معقوفتين ليس في (ج) و (هـ)، وفي (ب) و(د) بعده: «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(٢) كتب في الحاشية: [بسم الله] الرحمن الرحيم، الباء في بسم الله تعلَّقت بمحذوف [يمكن] أن يقدّر فعلًا خاصًّا متأخرًا، اختاره [ابن القيم]، وكثيرون.
وقوله: بسم، يشمل [اسم] الله تعالى؛ لأنَّ المراد الجنس وهو [محتمل].
والألوهية والعبودية . . . ذكره أبو جعفر ابن جرير عن [الله] مشتق على الصحيح، الذي عليه الكسائي والفراء، أصله الإله، [حذفوا الهمزة] وأدغموا اللام في اللام [فصارتا لامًا] واحدة.

(٣) لعله يقصد «تيسير العزيز الحميد»؛ لأنه قال في «فتح المجيد» (١/ ٦٩): «قال في الشرح يعني «التيسير». ولفظ الحديث من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع»، والحديث أخرجه عبد القادر الرهاوي في «الأربعين» كما في علل المناوي «المداوي» (٥/ ٤٣)، وأخرجه من طريقه السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ١٢).
وأخرجه الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لآداب الراوي والسّامع» (٢/ ٦٩).
ورواه السمعاني في «أدب الإملاء» (ص٥١).
قلت: في إسناده مبشِّر بن إسماعيل، متكلّم فيه، وقد خالف أصحاب الأوزاعي.
والحديث ضعَّفه الألباني في «إرواء الغليل» (١/ ٣٠)، وقال: «ومما سبق يتبيَّن أنّ الحديث بهذا اللفظ ضعيف جدًّا».

كما فعل البخاري[١] وغيره من العلماء، اتِّباعًا للسنَّة في مراسلات النَّبي ﷺ للملوك وغيرهم[٢]، وفي الأمر بالبداءة بها حديث معروف[٣][٤].

---

(١) صحيح البخاري ص (١).

(٢) هذا بيِّن مشهور بل متواتر، قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٢٢٠): «وقد جُمعتْ كتب النبي ﷺ إلى الملوك وغيرهم، فلم يقع في واحد منها البداءة بالحمد، بل بالبسملة». اهـ

(٣) في هامش (ج): «كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر».

(٤) الحديث المعروف هو قوله ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع» وقد تقدم الصفحة السابقة، وورد بلفظ آخر، وهو: «كلُّ أمر ذي بال لا يُبدأ فيه **بالحمد لله أو الحمد فهو أقطع**». وفي رواية عند الخليلي في «الإرشاد» (١/ ٤٤٩)، والديلمي في «مسند الفردوس»، والرهاوي في «الأربعين»: «كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة عليَّ، فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة».

وفي رواية عند أبي داود في «سننه» (٤٨٤٠): «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم».

وفي رواية لإسحاق بن راهويه . كما في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (١/ ٢٤): «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أكتع». كل هذه الروايات من طريق الأوزاعي، عن قرّة، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به.

وهذا الحديث ضعيف؛ لضعف قرة وللاضطراب الذي في الحديث، وضعفه جمع من أهل العلم، وصحّحه آخرون، منهم: ابن حبان والحاكم والسبكي وغيرهم، وحسّنه بعضهم كابن الصلاح، كما في «البدر المنير» لابن الملقن (٧/ ٥٢٨)، وبالشواهد: النووي في «الأذكار» برقم (١٠٣) وغيره، والسيوطي في «نواهد الأبكار» ص (٩٢).

قال الشيخ في كتابه «فتح المجيد» (١/ ٦٩ - ط الفريان): «والمصنِّف قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة؛ لأنَّها من أبلغ الثناء والذكر، وللحديث المتقدِّم، وكان النبي ﷺ يقتصر عليها في مراسلاته، كما في كتابه لهرقل عظيم الروم. =

كتاب التَّوحيد

● قوله: «كتاب التَّوحيد»: المراد بالتَّوحيد: توحيد العبادة، وكلُّ رسولٍ يفتتح دعوته لقومه بهذا التَّوحيد: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، كما في سورة «الأعراف» و«هود» وغيرهما.

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] الآية.

● [و] قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] دلَّت الآية على أنَّ الله [تعالى] خلقَ الخلقَ لحكمةٍ عظيمةٍ، وهي القيام بما وجبَ عليهم من عبادتِه وحده ويتركُ(١) عبادة ما سواه، ففعَلَ الأوَّل وهو خلْقُهم؛ ليفعلوا هم الثَّاني وهي العبادة.

[قال شيخ الإسلام](٢): «والعبادةُ: اسم جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظَّاهرة»(٣).

= ووقع لي نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدأ فيها بالبسملة، وثنَّى بالحمد والصلاة على النبي ﷺ». اهـ.
وانظر: «إرواء الغليل» (١/ ٣٢) فقد ضعَّفه موصولًا، وصحَّحه مرسلًا.

(١) كذا في (أ)، وفي (ب) و(ج) و(د): «وترك»، وفي (هـ): «بترك» وهو الأليق، وفي (ط): «يترك».
(٢) «الفتاوى» (١٠/ ١٤٩).
(٣) في (د) و(ب) و(ط): بدل «الباطنة والظاهرة»: «الظاهرة والباطنة».

وقال أيضًا ﷺ: «[و] العبادةُ اسم يجمع كمالَ الحبِّ لله ونهايته، وكمال الذُّلِّ [لله] ونهايته، فالحبُّ الخالي[(١)] عن ذل، والذّل الخالي عن حبٍّ لا يكون عبادة، وإنَّما العبادةُ ما يجمعُ كمال الأمرين»[(٢)].

وقال أيضًا: «وأمَّا ما خلقُوا له من محبة الله [تعالى] ورضاه، فهو إرادته الدِّينية، فذلك مذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[(٣)] [الذاريات: ٥٦]»[(٤)].

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. يخبر تعالى أنه بعث في كل قرن وطائفة من الأمم رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله[(٥)] وحدهُ وينهاهم عن عبادة ما زيّن لهم الشَّيطان[(٦)]، وأوقعهم فيه من عبادة ما سواهُ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [النحل: ٣٦] أي: وحّد الله تعالى بالعبادةِ وأطاع رسلَه.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦] فأشرك مع اللهِ غيرَه بعبادته، ولم يقبل هدي الله الذي جاءت به الرُّسل، كما قال تعالى:

---

(١) في (ب) و(هـ) و«الفتاوى»: «الخلي».

(٢) «الفتاوى» (١٠/ ١٩)، وكتاب «العبودية» له ص (٢٣). وانظر: «الفتاوى» (٨/ ٤٧) ورسالة «أمراض القلوب» ص (٤٤).

(٣) من قوله: «وقال أيضًا ﷺ: والعبادة اسم جامع» إلى هنا ليس في أصل «أ»: وإنما استدركته من الحاشية.

(٤) «الفتاوى» (١٠/ ٢٤).

(٥) في (ج): «عبادته».

(٦) في (ط): «الشيطان لهم».

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهذا التَّوحيد الذي خُلقوا له ودُعوا إليه، هو توحيد الإلهية: توحيد القصد والطَّلب.

وأمَّا توحيد الرُّبوبية وتوحيد الأسماء والصِّفات، وتوحيد الأفعال: فهو توحيد العلم والاعتقاد، وأكثر الأمم قد أقرُّوا به لله.

وأمَّا توحيد الإلهية فأكثرهم قد جحدوه، كما قال تعالى عن قوم هود لمَّا قال لهم: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقال مشركو قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [ص: ٥].

وهذه الآية وهي قوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] تبيِّنُ معنى الآية [التي] قبلها، وكذلك الآيات بعدها، وأنَّ المراد بالعبادة الَّتي خُلقوا لها: هي العبادة الخالصة الَّتي لم يلبسها شرك بعبادة شيء سوى الله كائنًا ما كان، فلا تصحُّ الأعمال(١) إلَّا بالبراءة من عبادةِ كل ما يعبد من دون الله - تعالى -.

والله - تعالى - خلق الثَّقلين ليعبدوه، فمنهم من فعل، ومنهم من أشرك وكفر، كما قال - تعالى - في هذه الآية: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال -تعالى-:

---

(١) في (ب) و(د): «العبادة».

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤] بيَّن[١] أنَّ حكمة الرَّب في خلق الجن[٢] والإنس لا تقتضي أنَّ كُلَّا يفعل ما خلق له، وأُرسلت الرُّسل لأجله[٣]، ولهذه الحكمة أهلك الله من لم يعبده وحده، ولم يقبل ما جاءت به رسله، وشرع قتالهم لنبيِّه ﷺ وأتباعه، فمنهم من أطاع - وهم الأقلُّون - ومنهم من عصى - وهم الأكثرون -.

وهذا التَّوحيد هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسفُ عليه السلام[٤]: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهذا هو الدِّين الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأمر الرُّسل أن يقيموه، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد: ٣٦]، فأمره أن يعبده وحده وأن يدعو الأمَّة إلى ذلك.

والقرآن كلُّه في هذا التَّوحيد، وبيانه وجزائه والردِّ على من

---

(١) في (ب) و(ط): «يبين».
(٢) في (ب) و(د) و(هـ): «خلقه للجن».
(٣) من قوله: «بيّن أن حكمة الرب» إلى هنا ليس في أصل «أ» واستدركته من الحاشية.
(٤) ورد ذلك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما في «صحيح البخاري» برقم (٣٣٨٢).

جحده، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وفي حديث معاذ[١] الذي رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

قال: قلت: يا رسول الله دلَّني على عملٍ يدخلني الجنَّة ويباعدني عن[٢] النَّار، فقال: «**سألتَ عن عظيمٍ وإنَّه ليسير على من يسَّره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصَّلاة وتؤتي[٣] الزَّكاة وتصوم[٤] رمضان**»، وذكر الحج، ثم قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر[٥] وعموده وذروة سنامه؟**» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصَّلاة، وذروة سنامه: الجهاد**»[٦].

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، من أجمل الرجال، شهد المشاهد كلها، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، ومناقبه كثيرة جدًا، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة (١٨هـ) ﷺ وأرضاه. «الإصابة» (٣/ ٤٢٦)، و«الاستيعاب بحاشية الإصابة» (٣/ ٣٥٥).

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «من».

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «وذكر».

(٤) في (ب) و(ج) ود: «وصوم».

(٥) في (د): «هذا الأمر».

(٦) لم أجده عند أبي داود، والحديث أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، كما ذكر المؤلف.

فدلَّ على أنَّ الإسلام هو التَّوحيد، والفرائض من حقوقه.

وقد أجمع الفقهاءُ على أنَّ الإسلام شرط لصحّة الصَّلاة وغيرها من الأعمال، وهو[(١)] مقتضى الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أنَّ محمدًا رسول الله. فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله: نفي الشِّرك، والبراءة منه وممن فعله، وإخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بالرَّسول وطاعته، وهو معنى الآية الثالثة، وهي:

قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

● قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي أمر ووصّى، فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ فيه معنى «لا إله»، وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنى «إلَّا الله»، وهذا هو معنى كلمة الإخلاص، كما قال تعالى[(٢)]: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [وفسَّرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]]، فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾، فيه معنى «لا إله»، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فسبحان الله كيف خفي هذا الموضع ونحوه[(٣)] - مع بيانه ووضوحه - على الأذكياء من متأخِّري هذه الأمَّة؟!

= وأخرجه النسائي في «الكبرى»، وابن ماجه برقم (٣٩٧٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣١). وانظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٤٨).

(١) في (د): «وهي».

(٢) في هامش (ج): «بلغ قراءة على المصنف».

(٣) من قوله: «هذا الموضع» إلى هنا. ليس في أصل «أ» واستدركته من الحاشية.

وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

● قال: وقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، وهذه الآية تبيِّن العبادة الَّتي خُلقوا لها أيضًا، فإنَّه - تعالى - قرن الأمر بالعبادة، التي فرضها بالنَّهي عن الشِّرك الذي حرَّمه، وهو الشِّرك في العبادة، **فدلَّت هذه الآية على أنَّ اجتناب الشِّرك شرط في صحّة العبادة فلا تصحُّ بدونه أصلًا**، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزُّمَر: ٦٥، ٦٦] فتقديم المعمول يفيد الحصرَ أي: بل الله فاعبد(١) وحده لا غيرهُ كما في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، وقرّر - تعالى - هذا التَّوحيد بقوله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزُّمَر: ١١].

والدِّين: هو العبادة(٢) بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه. كما قال العلّامة ابن القيِّم(٣) رحمه الله تعالى:

---

(١) في (هـ): «فاعبده».

(٢) في (ب) و(د): «عبادة».

(٣) هو العالم الرباني، الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، أبو عبد الله، ابن قيِّم الجوزية، له العديد من المصنَّفات. توفي ﷺ (٧٥١هـ)، وقوله هذا في نونيَّته برقم (٤٢٥٥).

والأمـرُ والـنـهـيُ الـذي هـوَ ديـنُـهُ
وجـزاؤُهُ يـومَ الـمـعـادِ الـثَّـانـي

وتقدَّم أنَّ أصله وأساسه [هو] توحيد العبادة، فلا تغفل عما تقدَّم.

وقوله: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

[الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

● وقـولـه(١): ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، أي حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ فالشِّرك أعظم ذنب عُصي الله به أكبره وأصغره.

وقد وقع الأكثر من متأخِّري هذه الأمَّة في هذا الشِّرك، الذي هو أعظم المحرَّمات، كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النَّبي ﷺ،

(١) في هامش (ج) هنا: «بلغ».

عبدوا القبور والمشاهد، والأشجار والأحجار، والطَّواغيت والجن، كما عبد أولئك اللَّات والعزَّى ومناة وهبل، وغيرها من الأصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك دينًا، ونفروا إذا دُعوا إلى التَّوحيد أشد نفرة، واشتدَّ غضبهم لمعبوداتهم، كما قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسرَاء: ٤٦].

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصَّافات: ٣٥، ٣٦]، علموا أن «لا إله إلا الله» تنفي الشِّرك الذي وقعوا فيه، وأنكروا التَّوحيد الذي دلَّت عليه «لا إله إلا الله»، فصار أولئك المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة [لا إله إلَّا الله] من أكثر متأخِّري هذه الأمَّة، لا سيَّما أهل العلم منهم، الذين[(١)] لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام، فجهلوا توحيد العبادة وأنكروه[(٢)]، فوقعوا في الشِّرك المنافي له وزيَّنوه[(٣)]، وجهلوا توحيد الأسماء والصِّفات [وأنكروه]، فوقعوا في نفيه أيضًا، وصنَّفوا فيه الكتب؛ لاعتقادهم أنَّ ذلك حقٌّ وهو باطل، وقد

---

(١) في (ب): «الذي».

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «وزيَّنوه». وجاءت العبارة في (هـ): «فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزيَّنوه، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه».

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «وأنكروه».

اشتدَّت غُربة الإسلام حتّى عاد المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، [فـ]نشأ على هذا الصّغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال النَّبيُّ ﷺ[(١)]: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»[(٢)]، وقد قال [النَّبيُّ] ﷺ: «افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النَّصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمَّة على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النَّار إلَّا واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[(٣)].

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «قال النبي ﷺ».

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٣٢)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٥٩٦)، والتِّرمذي برقم (٢٦٤٠)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٣٩٩١)، والآجري في «الشريعة» (١/ ٣٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٨)، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» بعضهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبعضهم من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، وبعضهم حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

وقد ضعَّفه ابن الوزير اليماني في «العواصم والقواصم» (١/ ١٨٦)، ونقل عن ابن حزم: أنها موضوعة، وقال في «المجمع» (١/ ٤٤٨) عن حديث أنس: «رواه الطبراني في الصغير، وفيه عبد الله بن سفيان، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه هذا، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات».

وهذا الحديث قد صحَّحه أئمة وهو يرجع إلى أصل قرآني، قال الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، فالفرقة الناجية واحدة.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨،١١٩]، كما أفاده بعض أهل العلم.

وهذا الحديث قد صحَّ من طرق، كما ذكره العماد ابن كثير[١] وغيره من الحفَّاظ، وهو في «السُّنن» وغيرها، ورواه محمد بن نصر[٢] في كتاب «الاعتصام»[٣]، وقد وقع ما أخبر به [النَّبيُّ] ﷺ بعد القرون الثَّلاثة.

فلهذا عمَّ الجهل بالتَّوحيد الذي هو أصل دين الإسلام، فإنَّ أصله أن لا يعبد إلَّا الله وأن لا يعبد إلَّا بما شرع. وقد تُرك هذا، وصارت عبادة الأكثرين[٤] مشوبة بالشِّرك والبدع، لكن الله تعالى - ولله الحمد[٥] - لم يُخل الأرض من قائم له بحججه[٦]، وداعٍ إليه على بصيرة، لكي لا تبطل حجج الله وبيِّناتُه التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فله الحمد والشكر على ذلك.

---

(١) هو الإمام الحافظ الحجة، المحدِّث المؤرخ الثقة، إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، الدمشقي الشافعي، صاحب التصانيف الفائقة (ت ٧٧٤هـ) «تذكرة الحفاظ» للذهبي. وهذا الذي ذكره ابن كثير، هو في تفسيره (٧/ ٤٠١ و٤٨٩ - ط دار عالم الكتب)، وقال: «ورواه الحاكم في «مستدركه» (١/ ١٢٩) بهذه الزيادة. أي قوله ﷺ: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

(٢) هو محمد بن نصر الفقيه، أبو عبد الله المروزي، ثقة حافظ إمام جبل. توفي سنة (٢٩٤هـ). «الوافي بالوفيات» (٥/ ٧٥).

(٣) وهو المطبوع باسم «السنة» (ص ٧٨ رقم ٥٩).

(٤) في (هـ): «الأكثر».

(٥) في (أ) (هـ) و(ط): «وله الحمد».

(٦) في (ج) و(هـ): «بحجة».

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أرادَ أن ينظرَ إلى وصيةِ محمد ﷺ التي عليها خاتَمهُ فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

وأمَّا قول عبد الله بن مسعود[١] رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصيّة محمد ﷺ التي[٢] عليها خاتمه، فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) هو الصحابي الجليل، صاحب نعل رسول الله ﷺ، عبد الله بن مسعود بن غافل ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين وأهل بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان، ومن كبار علماء الصحابة، أمَّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين رضي الله عنه. وهذا الأثر الذي ذكره المؤلف عنه، رواه الترمذي برقم (٣٠٧٠) وحسَّنه. وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤١٤) برقم (٨٠٥٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠/ ٣٠٨) برقم (٧٥٤٠) وابن عرفة في «جزئه» برقم ٦٥ والحنائي في «فوائده» برقم (٢٨٠)، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (١٠٠٦) بنحوه، كما أشار إليه المؤلف في «فتح المجيد».

(٢) رسمت في الأصل بين التي والذي. وفي (هـ) كما أثبت.

● قوله: «التي عليها خاتمه» [و]شبَّه هذه الوصيَّة بوصيَّةٍ كتبت فختمت، أي فلم تُغيَّر ولم تبدَّل، أراد أن النَّبيَّ ﷺ لم يزل يدعو الأمَّة، من حين بعثه الله - [تعالى] - إلى أن توفَّاه صلاة[1] الله وسلامه عليه، وقد قال مفروق سيد بني شيبان[2] في دعوته ﷺ القبائل في مواسمهم: وإلى ما تدعو إليه يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١][3] الآيات[4] إلى ما تضمَّنته[5] هذه الآيات المحكمات أمرًا ونهيًا، كما قال - تعالى - عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣١- ١٣٢] الآيات.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ رديفَ النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد وما حقُّ العباد على الله؟»

---

(١) في (ب) و(د) و(هـ): «صلوات».

(٢) هو مفروق بن عمرو الأصم بن قيس بن مسعود بن عامر الشيباني، واسم مفروق: النعمان، وهو بمفروق أشهر. كان هو وأبوه شاعرين، قال أبو نعيم: «لا أعرف لمفروق إسلامًا». «أسد الغابة» (٤/ ١٨٢)، و«معرفة الصحابة» (٥/ ٢٦٤٢).

(٣) هذا الحديث جزء من قصة عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، والقصة أخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٢٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (١٩/ ١٩٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٦٤٢) رقم (٦٣٤٢) وغيرهم.

(٤) من قوله: «وقد قال مفروق سيد بني» .. إلى هنا ليس في أصل «أ»، وإنما استدركته من الحاشية.

(٥) في (ج): «وقد تضمنت».

فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذِّب من لا يشركُ به شيئًا». قلت: يا رسول الله أفلا أبشِّرُ الناس؟ قال: «لا تبشِّرهم فيتَّكلوا».

أخرجاه في الصحيحين.

وأمَّا حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه[(١)] بن عمرو بن أوس الخزرجي، أبو عبد الرحمن، عالم في الأحكام، مات [عام] (١٨) قال: كنت رديفَ النَّبي ﷺ على حمار . . . إلخ.

فساقه المصنِّف رحمه الله تعالى - هنا[(٢)]؛ لتضمُّنه معنى الآيات التي تقدَّمت، وذلك قوله: «**فإنَّ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»، قال العلَّامة ابن القيِّم [رحمه الله تعالى] -:

حـقُّ الإلـهِ عـبـادةٌ بـالأمْـرِ لا
بـهـوى الـنُّـفـوسِ فـذاكَ لـلـشَّـيـطـانِ
مِـنْ غَـيْـرِ إشْـراكٍ بـهِ شـيـئًـا هُـمـا
سَـبَـبـا الـنَّـجـاةِ فَـحَـبَّـذا الـسَّـبـبـانِ

---

(١) والحديث في صحيح البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠).
كتب بين الأسطر في الأصل: «وفيه جواز الإرداف على الدابة، وفضيلة معاذ رضي الله عنه، وتواضعه ﷺ لركوبه».

(٢) في الحاشية: «قوله: «أتدري»، من الدراية، وهي المعرفة، وأخرج القول بصيغة الاستفهام؛ ليكون أبين في الفهم، وحق الله هو أنَّ ما تحتَّم عليهم له استحقاقًا، وحققه عليه هو الذي أحقه جزاءً لهم على توحيده، وعدًا منه، والله لا يخلف الميعاد».

والـنَّـاسُ بـعـدُ فـمـشـركٌ بـإلـهِـهِ
أَوْ ذُو ابـتـداعٍ أَوْ لَـهُ الـوَصْـفـانِ[١]
لَـمْ يـنـجُ مِـنْ غَـضَـبِ الإلـهِ ونـارهِ
إلَّا الـذي قـامَـتْ بِـهِ الأصْـلانِ

فمن صرف شيئًا من العبادةِ التي هي حقُّه سبحانه لا يستحقها أحد سواه لغيره، كالدُّعاء والاستعانة فقد آمن بالطَّاغوت وأشرك بالله وكفر[٢].

● **قوله: «وحقُّ العبادِ على الله أن لا يعذِّب من لا يشرك به شيئًا»**، ليس على الله حق واجب بالعقل، كما تزعمه المعتزلة[٣]، لكن الله[٤] سبحانه أحقَّ ذلك على نفسه تفضُّلًا وإحسانًا على الموحِّدين المخلصين، الذين لم يلتفتوا في إرادتهم[٥] ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه، ولم يتقرَّبوا بما يقولونه ويعملونه من الطَّاعات إلَّا إليه[٦] وحده. والله أعلم.

---

(١) في الأصل البيت الرابع قبل الثالث، وفي هامش الأصل: «البيت الثاني مؤخر»، البيتان الأول والثاني في «الكافية» برقم (٣٩٩٢)، والثالث والرابع منه برقم (٥١٧).
(٢) من قوله: «فمن صرف شيئًا» إلى هنا ليس في أصل «أ» واستدركته الحاشية.
(٣) في الحاشية: يقولون: هم الذين أطاعوه بدون أن يكون هو الذي جعلهم مطيعين. قلت: والمعتزلة فرقة تنتسب إلى الإسلام، نشأت في أواخر العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية، لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدَّى إلى انحرافها عن العقيدة الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة. «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٦٤).
(٤) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «هو».
(٥) في (هـ): «إراداتهم».
(٦) في (ب) و(د): «ويتقربون إلَّا إليه».

١ - باب
فضل التَّوحيد وما يكفر من الذنوب

الباب [في اللغة]: هو المدخل إلى الشيء.

● قوله: «وما يكفر من الذُّنوب»، (ما) مصدرية، أي وتكفيره الذُّنوب. ويجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي والذي يكفره من الذُّنوب.

والمراد بالتَّوحيد: توحيد العبادة: وهو إفراد الله[(١)] تعالى بأنواع العبادةِ الباطنة والظاهرة، كالدُّعاء والذَّبح والنَّذر وغير ذلك[(٢)]، كما قال - تعالى -: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] الآية.

● [و] قوله: وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

واللَّبس هنا[(٣)]: الخلط، والمراد بالظُّلم هنا: الشِّرك الأكبر لما ثبت

---

(١) في (ج): «إفراده».
(٢) في (أ) (ب) و(هـ): «ونحوه».
(٣) في (د): «هو».

في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وغيره مرفوعًا: «إنَّما هو الشِّرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصَّالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]»[(١)].

أراد أنَّ من لم يجتنب الشِّرك لم يحصل له أمن ولا اهتداء بالكليَّة، وأمَّا من سلم منه فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مقامه في الإسلام والإيمان، فلا يحصل الأمن التَّامُّ والاهتداء التَّام إلَّا لمن لم يلقَ الله بكبيرةٍ مصرًّا عليها، وأمَّا إن كان للموحِّد ذنوب لم يتب منها، حصل له من الأمن والاهتداء بحسب توحيده، وفاته منه بقدر[(٢)] معصيته، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] الآية، فالظَّالم لنفسه هو الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فهو تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنبه ونجَّاه بتوحيده[(٣)] من الخلود في النَّار.

وأمَّا المقتصد فهو الذي عمل بما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه فقط، وهذه حال الأبرار.

وأمَّا السَّابق فهو الذي حصل له كمال الإيمان باستفراغه وسعه في طاعة الله علمًا وعملًا، فهذان لهم الأمن التَّام والاهتداء التَّام في الدُّنيا والآخرة، فالكلُّ للكلِّ والحصَّة للحصَّة؛ لأنَّ كمال الإيمان يمنعُ صاحبَه من المعاصي وعقوباتها، فلم يلقَ ربَّه بذنب يعاقب به، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).
(٢) في (د): «بحسب».
(٣) قوله: «بتوحيده» ليس في أصل «أ» واستدركته من الحاشية.

وهذا الذي ذكرته في معنى هذه الآية، هو معنى ما قرَّره شيخ الإسلام [ابن تيمية] رحمه الله تعالى - وابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في معناها، وهو الذي دلَّ عليه القرآن، وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة، خلافًا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم [كالمرجئة].

عن عبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له».

● **قوله: «عن عبادة بن الصَّامت[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من شهدَ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه..»** الحديث[2].

● **قوله: «من شهد»** لا ريب أنَّ الشَّهادة لا تكون شهادة إلَّا إذا كانت عن علم ويقين وصدق، وأمَّا مع الجهل والشكِّ فلا تعتبر ولا تنفع، فيكون الشَّاهد والحالة هذه كاذبًا لجهله بمعنى الذي شهد به، وقد تضمَّنت هذه الكلمة العظيمة نفيًا وإثباتًا، فنفيت[3] الإلهيَّة عن كلِّ

---

(١) هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة. وقيل: عاش إلى خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. «الإصابة» (٣/ ٦٢٤)، و«الاستيعاب» (٢/ ٨٠٧).

(٢) بعدها في (هـ): «وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

(٣) كذا في (ج) و(د) وفي (أ) و(ب) و(ط) و(هـ): «فنفت» والمثبت هو المناسب للسياق بعده.

ما سوى الله بقولك: «لا إله»، وأثبت[(١)] الإلهية لله وحده بقولك: «إلَّا الله»، قال [الله] - تعالى -: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٨]، فكم ضلَّ بسبب الجهل بمعناها من ضلَّ وهم الأكثرون، فقلبوا حقيقة المعنى؛ فأثبتوا الإلهية المنفيَّة لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد، والطَّواغيت والأشجار والأحجار، والجن وغير ذلك، واتخذوا ذلك دينًا، وشبَّهوا وزخرفوا، واتَّخذوا التَّوحيد بدعة وأنكروه على من دعاهم إليه، فلم يعرفوا منها ما عرف أهل الجاهليَّة من كفَّار قريش ونحوهم، فإنَّهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلَّت عليه من الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصَّافات: ٣٥- ٣٦].

والمشركون من أواخر هذه الأمَّة، أنكروا ما أنكره أولئك على من دعاهم إلى ترك عبادةِ ما كانوا يعبدونه من دون الله، من القبور والمشاهد والطَّواغيت ونحوها، فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه، وهؤلاء جهلوا هذا المعنى وأنكروه[(٢)]، فلهذا تجده يقول: «لا إله إلَّا الله»، وهو يدعو مع الله غيره[(٣)].

قال ابن القيِّم[(٤)] - رحمه الله تعالى - وغيره: «الإله هو الذي

(١) في (هـ): «وثبتت».
(٢) في (ج) بعدها: «وغيره».
(٣) قوله: «فلهذا تجده..» إلى هنا وقع في (ج) بعد قوله: «قال ابن القيم ﷺ».
(٤) في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٧).

تألهُهُ القلوب محبَّة وإجلالًا وإنابةً وإكرامًا، وتعظيمًا وذلًّا، وخضوعًا وخوفًا، ورجاء وتوكلًا».

وقال الوزير أبو المظفر[(١)] - [رحمه الله تعالى] - في «الإفصاح»: «قوله: شهادة أن لا إله إلا الله، يقتضي أن يكون الشَّاهد عالمًا بأنَّ لا إله إلا الله، كما قال - تعالى -: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمَّد: ١٩]». قال: «واسم الله مرتفع بعد إلَّا من حيث إنَّه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه». قال: «وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم، أنَّ هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطَّاغوت والإيمان بالله، فإنَّك لمَّا نفيت الإلهية، وأثبت الإيجاب لله - سبحانه -، كنت ممن كفر بالطَّاغوت وآمن باللهِ».

وقال ابن رجب[(٢)] - [رحمه الله تعالى] -: «الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له، وإجلالًا ومحبَّة وخوفًا ورجاء وتوكلًا عليه،

---

(١) هو الوزير ابن هبيرة، أبو المظفر، عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد الدوري الحنبلي، صنف العديد من الكتب وكان سلفيًا أثريًا، وزر للمقتفي لأمر الله سنة (٥٤٤هـ)، وكان ديِّنًا خيِّرًا متعبدًا عاقلًا وقورًا متواضعًا، جزل الرأي، بارًا بالعلماء مكبًّا مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه. توفي سنة (٥٦٠هـ).
«السير» (١٥/ ١٧٤)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٢٥٠)، وكتابه الإفصاح هو: «الإفصاح عن معاني الصحاح» شرح فيه صحيحي البخاري ومسلم في عدة مجلدات «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٢٢١).
قلت: الكتاب مطبوع وهو ناقص، ولم أقف على قوله هذا في المطبوع.

(٢) هو عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب، زين الدين أبو الفرج البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي. له العديد من المصنَّفات. توفي سنة (٧٩٥هـ).
«الدرر الكامنة» (٣/ ١٠٨)، و«البدر الطالع» (١/ ٣٢٨).

وسؤالًا منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كلُّه إلا لله عزَّ وجلَّ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك»(١).

وقال البقاعي(٢): «لا إله إلَّا الله، أي انتفى(٣) انتفاءً عظيمًا، أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم». قال: «وهذا العلم هو من أعظم الذِّكرى المنجية من أهوال السَّاعة، وإنَّما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنَّما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما يقتضيه، وإلَّا فهو جهل صرف»(٤).

قلت: وهؤلاء المتأخِّرون جهلوا معنى الإله(٥)، وقلبوا حقيقة المعنى إلى معنى توحيد الرُّبوبيَّة: وهو القدرة على الاختراع، فأثبتوا ما نفته لا إله إلا الله من الشِّرك، وأنكروا ما أثبتته من إخلاص العبادة(٦) لله جهلًا منهم، وقد قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزُّمَر: ٢].

---

(١) «كلمة الإخلاص» ص (٢٣).
(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي البقاعي أبو الحسن، برهان الدين. أصله من البقاع في الشام. له العديد من المصنفات. توفي سنة (٨٨٥هـ). «الضوء اللامع» (١/ ١٠١) و«طبقات المفسرين» ص (٣٤٧).
(٣) قوله: «انتفى» ليس في أصل (أ) وإنما استدركته من الحاشية.
(٤) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (١٨/ ٢٣٠).
(٥) في (ب) و(د): «لا إله إلا الله».
(٦) قوله: «العبادة»، ليس في أصل (أ)، واستدركته من الحاشية.

قال محيي الدِّين النَّووي[1] - [رحمه الله تعالى] -: «اعلم أنَّ باب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر قد ضُيِّع من أزمان متطاولة، ولم يبقَ منه في هذه الأزمان إلَّا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عمَّ العقاب الصَّالح والطَّالح».

قوله: «في هذه الأزمان». يعني القرن الخامس والسَّادس، وإذا كان كذلك، فما الظنُّ بالقرن العاشر وما بعده وقد استحكمت فيها الغربة؟!

ولشيخنا محمد بن عبد الوهَّاب رحمه الله - [تعالى] - في تفسير هذه الكلمة، كلام حسن بديع واضح، لم يسبق إلى مثله، فليراجع لمسيس الحاجة إليه.

● قوله في الحديث: «**وحده لا شريك له**»، تأكيد لمعنى لا إله إلَّا الله، الذي دلَّت عليه ووضعت له من باب اللفِّ والنَّشر المقدَّم والمؤخّر، وهو بيان لمعنى[2] هذه الكلمة، لأنَّها دلَّت بجملتها على التَّوحيد، فلا إله، ينفي الشِّرك في العبادة قليله وكثيره، وبيَّنه بقوله: «لا شريك له» في إلهيته[3] وهي العبادة.

وقوله: «وحده» هو معنى: إلَّا الله، فهو الإله الحق وحده دون

---

(١) شرح مسلم (٢/ ٢٤). والنووي هو: محيي الدين يحيى بن شرف بن حسن، أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه. له العديد من المصنفات. مات سنة (٦٧٦هـ). «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٣٩٥).

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «الحقيقة معنى».

(٣) في (ب) و(د): «الإلهية».

كل ما سواه من أهل السَّموات والأرض، كما دلَّت على ذلك الآيات المحكمات ومتواتر الأحاديث [الصَّحيحة][1]. فتدبَّر هذا البيان يطلعك على بطلان قول من يقول بجواز دعوة غير الله، والله - تعالى - يقول لنبيِّه ﷺ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٣]، وغيرها من الآيات الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى[2].

فقوله: «وحده» تأكيد للإثبات، وقوله: «لا شريك له» تأكيد للنفي.

وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه.

● **قوله: «وأنَّ محمدًا عبده ورسوله»**، أي: وشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله أي: بصدق ويقين، وذلك يقتضي اتِّبَاعه وتعظيم أمره ونهيه، ولزوم سنته ﷺ وأن لا تعارض بقول أحد؛ لأنَّ غيره ﷺ يجوز عليه الخطأ، والنَّبي ﷺ قد عصمه الله - [تعالى] -، وأمرنا بطاعته والتأسِّي به، والوعيد على ترك طاعته بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] الآية[3]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النُّور: ٦٣].

قال الإمام أحمد - [رحمه الله تعالى] -: «عجبتُ لقومٍ عرفوا

---

(١) في (د): «الأحاديث الصحاح».
(٢) في (د): «اللاتي ذكرها الله تعالى».
(٣) في (ج) و(ب) و(د) مكانها: «ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا».

الإسناد وصحَّته يذهبون إلى رأي سفيان، والله - تعالى - يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾(١)(٢) [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشِّرك، لعلَّه إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزَّيغ فيهلك(٣).

وقد وقع من التَّفريطِ في المتابعة وتركها، وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ على قوله ﷺ لا سيَّما من العلماء كما(٤) لا يخفى.

وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

● قوله: «**وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله**»، فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده، كما في الآيات المحكمات، وما فيها من الرَّد على كفَّار النَّصارى، وهم ثلاث طوائف:

طائفة قالوا: إنَّ عيسى هو الله.

وطائفة قالوا: [إنَّه] ابن الله.

وطائفة قالوا: [إنَّ الله] ثالث ثلاثة، يعنون عيسى وأمَّه، فبيَّن [الله] - تعالى - في كتابه الحق، وأبطل الباطل. فقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ

---

(١) في (ب) و(د) بعدها: «أو يصيبهم عذاب أليم».
(٢) من قوله: «عجبت لقوم . . .» إلى هنا. ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية.
(٣) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصارم المسلول» (٢/ ١٦)، والمرداوي في «التحبير شرح التحرير» (٨/ ٤١١١) وابن النجار في «شرح الكوكب المنير» (٤/ ٥٩٠).
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «ما».

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النِّسَاء: ١٧١] والآيات بعدها.

وقال - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ [المَائدة: ١٧] في مواضع من سورة «المائدة».

وأخبر - تعالى - عمَّا قال المسيح عليه السلام وهو في المهد، فقال: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مَريَم: ٢٧ - ٣٦]، فبيَّن - تعالى - الصِّراط المستقيم الذي من سلكه نجا، ومن خرج عنه هلك.

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٩، ٦٠]، فبيَّن - تعالى - الصِّراط المستقيم بيانًا شافيًا كافيًا وافيًا، وأقام حججه على توحيده، فأحقَّ الحق وأبطل الباطل ولو كره

المشركون.

● قوله: «وكلمته ألقاها إلى مريم [وروح منه]»، أي: قوله: «كن» فخلقه بكن فكان، ففيه إثبات صفة[1] الكلام لله - تعالى - خلافًا للجهمية أيضًا.

● وقوله: «وروح منه»، أي من الأرواح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام، وأخذ عليها العهد على أنَّه - تعالى - ربُّهم وإلههم، كما قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيات، وروح عيسى من تلك الأرواح التي خلقها الله - تعالى -.

وذكر ابن جرير عن وهب بن منبّه، قال: نفخ جبرئيل في جيب درع مريم، حتَّى وصلت النَّفخة إلى الرَّحم فاشتملت[2].

وعن السُّدِّي: أنَّ النَّفخة دخلت [في] صدرها فحملت[3].

وقال[4] ابن جريج[5]: يقولون: إنَّما نفخ في جَيْب درعها وكمِّها. انتهى مختصرًا[6]. فجبرئيل نفخ والله - تعالى - خلق بقوله: «كن»،

---

(١) في (د): «صفة إثبات».
(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٨/ ١٦٦).
(٣) قال في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩٥): «وأخرجه الحاكم [في المستدرك (٢/ ٥٩٣) برقم ٤١٥٦ ط دار المعرفة] وصحّحه البيهقي في «الأسماء والصفات»، [(٢/ ٢١٠)] وابن عساكر من طريق السدي». فذكره.
(٤) في (د): «وعن».
(٥) في (ب) و(د): «جرير».
(٦) التفسير للطبري (١٨/ ١٦٦).

فكان كما قال - تعالى - في آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: ٢٩]، فسبحان من لا يَخلق غيره ولا يُعبد سواه. لا إله إلَّا هو له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

وقد أورد بعضُ النَّصارى على بعض علماءِ المسلمين قول الله[١] - تعالى -: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّساء: ١٧١]، فقال في الجواب: هذا ليس[٢] بخاصٍّ[٣] بعيسى عليه السلام، بل المخلوقات كلها كذلك، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: خلقًا وإيجادًا، وعيسى كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته.

وفي هذا الحديثِ الرَّد على اليهود أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله، فإنَّهم كانوا هم والنَّصارى في طرفي نقيض، فنسبوه إلى أنَّه ولد بغي قاتلهم الله، فأكذبهم الله - [تعالى] - في كتابه وأبطل قولهم، كما أبطل - تعالى - قولَ الغلاةِ من النَّصارى فيما تقدَّم من الآيات ونحوها.

فالنَّصارى غلوا في عيسى [ابن مريم عليه السلام] أعظم الغلو والكفر والضَّلال، واليهود جفوا في حقِّه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضلَّ[٤] ضلالًا بعيدًا، بيَّنه الله - تعالى - في مواضع كثيرة من كتابه[٥]، وبيَّن - تعالى - الحقَّ والصِّدق ورفع قدر المسيح[٦] عليه السلام وجعله من أولي

---

(١) في (ج) و(د): «قوله».
(٢) في (هـ): «ليس هذا».
(٣) في (ط): «خاصًّا».
(٤) في (ب) و(د): «ضلوا».
(٥) في (د): «في كتابه في مواضع كثيرة من كتابه».
(٦) في (ب) و(د): «عيسى».

العزم الخمسة المذكورين في سورة «الأحزاب» و«الشورى»[(١)]، وأمر نبيَّه ﷺ أن يصبر كما صبروا، فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فهم أفضل الرُّسل على التَّحقيق[(٢)]، والنَّبي ﷺ أفضلهم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وأنَّ الجنة حق والنار حق.

● قوله: «وأنَّ الجنَّة حق» أعدَّها الله للمؤمنين يوم القيامة، وما فيها من القصور والثِّمار والفواكه، والنَّعيم المقيم، والنَّظر إلى وجه الله الكريم، كما قال - تعالى -: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨]، وقال - [تعالى] -: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السَّجدَة: ١٧].

● [قوله:] «والنَّار حق» أعدَّها الله تعالى لمن كفر به، وأشرك به في إلهيته و[(٣)] ربوبيَّته، وألحد في أسمائه وصفاته، ومن لم يؤمن بالجنَّةِ والنَّار، فقد كفر بالقرآن والرسول[(٤)] والمرسل، فإنَّ الله -

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ...﴾ [الشورى: ١٣] الآية.

(٢) في (ب) و(د): «الحقيقة».

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «أو».

(٤) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «الرسل».

تعالى - بيَّن الجنة وما أعدَّ فيها من النَّعيم المقيم، وذكر أنَّها دار المتقين، وذكر النَّار وما فيها من العذاب وأنَّه أعدَّها لمن كفر به وأشرك.

أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه.

• [و] قوله: «**أدخله الله الجنَّة على ما كان من العمل**»، جواب مَنْ الشَّرطيَّة، أي: من شهد أن لا إله إلا الله.. إلى آخره، أدخله الله الجنَّة، أي: بإخلاصه وصدقِه والإيمان برسولِه وما أرسل[1] به، وخالف النَّصارى واليهود[2] في الغلوِّ والجفاء في حقِّ عيسى، وعلم يقينًا أنَّه عبد اللهِ ورسوله وآمن بالجنَّةِ والنَّار، فمن كان كذلك أدخله الله الجنَّة وإن كان مقصِّرًا وله ذنوب، فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السَّيئات، فتدبَّر هذا الحديث فإنَّه عظيم. والله أعلم.

ولهما في حديث عتبان: فإنَّ الله حرَّم على النَّار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله.

• قوله: «**ولهما في حديث عتبان**[3]: «**فإنَّ الله حرَّم على النَّارِ مَنْ قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**».

---

(١) في (ج): «أرسله».

(٢) في (ب) و(د): «اليهود والنصارى».

(٣) هو عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري السالمي، ثم من بني عوف ابن الخزرج، شهد بدرًا، وكان ﷺ أعمى ذهب بصره على عهد رسول الله ﷺ. ومات في خلافة معاوية. «الاستيعاب» (٣/ ١٢٣٦) و«الإصابة» (٤/ ٤٣٢).

● **قوله**: «**ولهما**» أي البخاري[١] ومسلم.

وهو[٢] حديث طويل اختصره المصنِّف، وذكر منه ما يناسب التَّرجمة، وهو قوله: «من قال: لا إله إلَّا الله يبتغي بذلك وجه الله»، وهذا هو حقيقة معناها الذي دلَّت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشِّرك، والصِّدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإنَّ من لم يكن مخلصًا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقًا فهو منافق، والمخلص أن يقولها مخلصًا الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله - تعالى -، وهذا التَّوحيد هو[٣] أساس الإسلام الذي قال [فيه] الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤]، و[قد] قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

والحنيف: هو الذي ترك الشِّرك رأسًا وتبرَّأ منه، وفارق أهله وعاداهم وأخلص أعماله الباطنة والظَّاهرة لله وحده، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ

---

(١) في (ب) و(د): «للبخاري». والحديث أخرجه البخاري برقم (٤٢٠)، ومسلم برقم (٣٣).

(٢) في (هـ): «وهذا».

(٣) من قوله: «لمن لا يستحقها غيره» إلى هنا بدلها في (ب) و(ج) و(د): «الله وحده دون كل ما سواه، وهذا هو..».

﴿ٱلْوُثْقَىٰٓ﴾ [لقمان: ٢٢]، فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك، وهو معنى الآية ونحوها إجماعًا، فهذا هو الذي ينفعه قوله: «لا إله إلا الله»، ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضرُّ، كما ترى عليه أكثر الخلقِ، فهؤلاءِ[1] وإن قالوها فقد تلبَّسوا بما يناقضُها، فلا تنفع قائلَها إلَّا بالعلم بمدلولها نفيًا وإثباتًا، والجاهل بمعناها وإن قالها فإنَّها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد بها[2] من نفي الشِّرك وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقُّن له، فإذا انتفى اليقين وقع الشَّك.

ومما قيِّدت به في الحديث، قوله ﷺ: «غير شاك»، فلا تنفع إلَّا من قالها بعلم ويقين، وكذلك من قالها غير صادق في قوله فإنَّها لا تنفعه، لقوله: «صدقًا»[3] من قلبه خالصًا من قلبه [وكذلك من قالها غير صادق في قوله]، فإنَّها لا تنفعه[4] لمخالفة القلب اللِّسان، كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك حال المشرك، فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشِّرك للإخلاص.

ولِمَا دلَّت عليه هذه الكلمة مطابقة، فإنَّها دلَّت على نفي الشِّرك والبراءة منه، والإخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة [وتضمنًا]،

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «وهؤلاء».
(٢) في (هـ): «منها».
(٣) في (ب): «صادقًا».
(٤) جاءت العبارة في (هـ) كما يلي: «فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين لقوله صدقًا من قلبه خالصًا من قلبه، وكذلك من قالها غير صادق في قوله فإنها لا تنفعه».

ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله[١]: لا إله إلا الله، كما هو حال كثير من عبدة الأوثان، يقولون: لا إله إلا الله، وينكرون ما دلَّت عليه من الإخلاص، ويُعادون أهله وينصرون الشِّرك وأهله.

وقد قال الخليل ﷺ لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: ٢٦ـ ٢٨][٢]، وهي لا إله إلا الله، وقد عبَّر عنها الخليل[٣] بمعناها الذي وُضعت له ودلَّت عليه، وهو البراءة من الشِّرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدَّم تقريره، وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلَّت عليه من الإخلاص، كان قوله لهذه الكلمة كذبًا منه، بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشِّرك، ونفى ما أثبتته من التَّوحيد[٤].

فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين[٥] من هذه الأمَّة، بعد القرون الثَّلاثة، وسبب ذلك: الجهل بمعناها واتِّباع الهوى، فيصدفه[٦] عن اتِّباع الحق [و][٧] الوحي[٨] وما بعث الله به رسله من توحيده[٩]،

---

(١) في (ب): «قول».
(٢) في (ج) بعدها: «لعلهم يرجعون».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «الخليل عنها».
(٤) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «الإخلاص».
(٥) في (ج): «الأكثر».
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «فيصده»، وفي (هـ): «فيصرفه».
(٧) زيادة يقتضيها السياق.
(٨) رسمت في (أ) قريبًا من كلمة «الوحي».
(٩) في (ب) و(ج) و(د): «دينه».

الذي شرعه لعباده ورضيه لهم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا رب علِّمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أنَّ السموات السَّبع وعامرهنَّ - غيري - والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلَّا الله». رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

● قوله: [و] عن أبي سعيد [الخدري][1] عن[2] النَّبيِّ ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا ربِّ علِّمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: «لا إله إلا الله»، قال: [يا ربِّ] كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أنَّ السموات السَّبع وعامرهنَّ - غيري - والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلَّا الله». رواه ابن حبان والحاكم وصححه[3].

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، مشهور بكنيته، صحابي جليل مكثر، استصغر بأحد واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها. مات سنة (٧٤هـ)، وقيل: (٦٤)، وقيل: (٦٣). «الإصابة» (٣/ ٧٨).

(٢) في (هـ): «أنَّ».

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٨) كما قال المصنف، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٨٣٤) وفي «الكبرى» برقم (١٠٩٨٠، ١٠٦٧٠)، والطبراني في «الدعاء» برقم (١٤٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٧٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٥٢٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٥٤) كلهم من طريق درَّاج بن سمعان، عن أبي الهيثم سليمان بن عمرو العتواري، عن أبي سعيد =

فـ«لا» نافية للجنس نفيًا عامًّا إلَّا ما استثني، وخبرها محذوف تقديره: لا إله حق إلَّا الله.

قال - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَج: ٦٢] فإلهيته تعالى هي الحق، وكلُّ ما سواه من الآلهة[(١)] فإلهيته باطلة، كما في هذه الآية ونظائرها، فهذه كلمة عظيمة هي العروة الوثقى وكلمة التَّقوى وكلمة الإخلاص، وهي التي قامت بها السموات والأرض، وشرعت لتكميلها السُّنَّة والفرض، ولأجلها جُرِّدت سيوف الجهاد، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد، فمن قالها وعمل بها صدقًا وإخلاصًا[(٢)]، وقبولًا ومحبة

= به، ودراج بن سمعان مختلف فيه، وبعضهم يضعِّفه ولا سيما في روايته عن أبي الهيثم.
انظر: «الكامل» لابن عدي (٣/ ٩٨٢)، و«تهذيب التهذيب» (٣/ ١٨٠). وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي والحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٢٠٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٢): «رواه أبو يعلى ورجاله وثِّقوا وفيهم ضعف».
والحديث صحيح بشواهده، فقد أخرج ابن أبي شيبة برقم (٣٠٠٧٦) عن كعب قال: قال موسى... وذكره بنحوه، وأخرج الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» برقم (٥٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٧٥)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» ص (٢٥٥) رقم (٢٠٦) وغيرهم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «أن نوحًا ﷺ قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلَّا الله، فإنَّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفَّة، ولا إله إلَّا الله، في كفَّة، رجحت بهنَّ لا إله إلَّا الله، ولو أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع كنَّ حلقة مبهمة، قصمتهنَّ لا إله إلَّا الله». ويشهد له أيضًا حديث البطاقة الآتي.

(١) في (ب): «الإلهية».
(٢) في (هـ): «وأخلاقًا».

وانقيادًا، أدخله الله الجنَّة على ما كان من العمل.

وفي الحديث الصَّحيح: «أفضلُ الدُّعاءِ يوم عرفة، وأفضلُ ما قلتُ أنا والنبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير»[(١)].

وفي حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «يصاحُ برجلٍ من أمَّتي على رؤوسِ الخلائِقِ يومَ القيامةِ، فينشرُ له تسعةٌ وتسعون سجلًّا، كل سجلٍّ منها مدى[(٢)] البصرِ، ثم يقالُ: أتنكرُ من هذا شيئًا؟ فيقولُ: لا يا رب. فيقالُ: ألك عذرٌ أو حسنةٌ؟ فيهابُ الرَّجل فيقولُ: لا. فيقال: بلى، إنَّ لك عندنا حسنة[(٣)]، وإنَّه لا ظلمَ عليك، فيخرج له بطاقة فيها: أشهدُ[(٤)] أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلَّات؟ فيقالُ: إنَّك لا تُظلم. فتوضع السِّجلَّاتُ في كفَّة والبطاقةُ في كفَّة، فطاشت السّجلَّاتُ وثقلتِ

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٠)، والترمذي برقم (٣٥٨٥)، والبيهقي في «فضائل الأوقات» ص (٣٦٧)، والمحاملي في «الدعاء» ص (٦٣) من حديث طلحة بن عبيدالله بن كريز أن رسول الله ﷺ... فذكره. وقال البيهقي: «هذا مرسل حسن، وقد روي من حديث مالك موصولًا بإسناد آخر، فوصله ضعيف، وروي من وجه آخر».
والحديث صحيح بشواهده. انظر تعليق الشيخ مشهور حسن على كتاب «المجالسة» (١/ ٣٤٠).

(٢) في (ج) و(ط): «مد».

(٣) في (أ) و(ج) و(هـ) و(ط): «حسنات» والمثبت من (ب) وهو الموافق لما في سنن الترمذي.

(٤) في (ب): «شهادة».

البطاقة». رواه التِّرمذيُّ وحسَّنه(١).

● قوله: «لو أنَّ السَّموات السَّبع وعامرهنَّ غيري»، أي: كل من في السَّموات والأرض.

● وقوله: «غيري» استثنى ممن في السّموات نفسه، لأنَّه العليُّ الأعلى - تعالى وتقدَّس -، كما قال - تعالى -: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقـَرَة: ٢٥٥] علو القهر وعلو القدر(٢) وعلو الذَّات، فالثَّلاثة كلها صفته(٣) ودلَّت على كماله، كما قال - تعالى -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾(٤) [الفرقان: ٥٩] الآية، في سبعة مواضع من كتابه، كما قال - تعالى -: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال - [تعالى] -: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال - تعالى -: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٣٩) كما قال المؤلف، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٢)، وابن ماجه برقم (٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٢٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٧)، وصححه، والطبراني في «الدعاء» ص (٤٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٢١) وغيرهم، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
وفي سنن ابن ماجه: «قال محمد بن يحيى: البطاقة الرقعة، وأهل مصر يقولون للرقعة: بطاقة». وانظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣٣١).

(٢) في (ب): «علو القدر وعلو القهر»، وفي (ط): «القدرة».

(٣) في (ب) و(ج): «صفة».

(٤) بعدها في (هـ): «الرحمن».

إِلَيَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥] وأمثال هذه الآيات، فمن سلب علوَّ الله[(١)] - [تعالى] - على خلقه، فقد خالفَ صريحَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وألحدَ في أسمائه وصفاته.

ومعنى هذه الكلمة: نفي الإلهية عن كل شيء، سوى ما استثني بها، وهو الله - [تعالى] -.

وفيه النَّص على أنَّ الأرضين سبع كالسَّموات، لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلَّا في حقِّ من أتى بقيودِها، التي قُيِّدت بها في الكتاب والسُّنَّة، وقد ذكر - تعالى - في سورة «براءة» وغيرها كثيرًا ممن يقولها، ولم ينفعه[(٢)] قولها، كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوُّعهم في نفاقهم، فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود، فمنهم من يقولها جاهلًا بما وضعت له وبما دلَّت عليه من نفي الشِّرك والبراءة منه، والصِّدق والإخلاص وغيرها، كعدم القبول ممن دعي إليها علمًا وعملًا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه، كحالِ أكثر من يقولها قديمًا وحديثًا، لكن في أواخر هذه الأمَّة أكثر.

ومنهم من يمنعه من محبَّتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر، أو هوى أو غير ذلك من الأسباب، وهي كثيرة.

منها: قوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ

---

(١) في (ب) و(ج): «سلب علوه»، وفي (د): «سلبه علوه» وفوق الهاء من علوه «الله».

(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «ينفعهم».

﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [التوبة: ٢٤] إلى قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

وأمَّا أهل الإيمان الخلَّص، فهم الذين أتوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودُها التي قُيِّدت بها، علمًا ويقينًا وصدقًا وإخلاصًا ومحبةً وقبولًا وانقيادًا، وعادوا في الله(١) ووالوا فيه وأحبُّوا فيه وأبغضوا فيه، وقد ذكرهم [الله] - تعالى - في مواضع من سورة «براءة» وغيرها، وخصَّهم بالثَّناء عليهم والعفو عنهم، وأعدَّ لهم جنَّته وأنجاهم من النَّار، كما قال - تعالى -: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية(٢) [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، [فهؤلاء ومن اتبعهم بإحسان هم أهل لا إله إلَّا الله](٣)، [كما قال - تعالى -: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ﴾](٤) [الفتح: ٢٦].

وغير هذه(٥) [من] الآيات في الثَّناء عليهم وما أعدَّ لهم في الدَّار

---

(١) في (هـ): «فيه».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) بعدها: «إن الله عزيز حكيم».
(٣) ما بين المعقوفتين جاء في (ب) و(ج) و(د) قبل قوله: «فمن تدبر».
(٤) ما بين المعقوفتين ليس في أصل «أ» واستدركته من الحاشية.
(٥) في (ج): «ذلك».

الآخرة، فمن تدبَّر القرآن وعرف تفاوت الخلقِ في محبَّةِ ربِّهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وإيثار ما يحبُّه - تعالى - رغبة وعملًا، وترك ما يكرهه خشيةً ورجاءً، واعتبر النَّاس بأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونيَّاتهم وإراداتهم وما هم عليه من التَّفاوت البعيد، تبيَّن له خطأ المغرورين، كما في الحديث الصَّحيح [عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال]: «الكيِّسُ من دانَ نفسَه وعمل لما بعد الموتِ، والعاجزُ من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على اللهِ الأماني»(١).

وللترمذي - وحسَّنه - عن أنس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك لو أتيتَني بِقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتَني لا تشركُ بي شيئًا، لأتيتُكَ بقرابِها مغفرة».

● قوله: «وللترمذيِّ وحسَّنه»(٢) عن أنس رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللهُ تعالى: يا ابن آدم، إنَّك لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتَني لا تشركُ بي شيئًا لأتيتُكَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٤)، والترمذي في «سننه» برقم (٢٥٠٨)، وابن ماجه برقم (٤٣٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٥)، والطيالسي في «مسنده» برقم (١١٢٢)، والطبراني في «الكبير» (٧١٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٠٤) وغيرهم من حديث شدَّاد بن أوس. قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وتعقَّبه الذهبي، فقال: «لا والله، فإنَّ في إسناده أبا بكر بن أبي مريم الغساني، وهو واهٍ».

(٢) في (ب) و(د): «وصححه»، وفي هامش (د): «في نسخة: «وحسنه».

بقُرابِها[١] مغفرةً»[٢].

في هذا الحديثِ ما يبيِّنُ معنى لا إله إلَّا الله الذي[٣] رجحت بجميع المخلوقات وجميع السيِّئات، وأنَّ ذلك هو ترك الشِّرك قليله وكثيره، وذلك يقتضي كمال التَّوحيد، فلا يسلم من الشِّرك إلَّا من حقَّق توحيده، وأتى بما تقتضيه كلمةُ الإخلاص، من العلم واليقين والصِّدق والإخلاص، والمحبَّة والقبول والانقياد، وغير ذلك مما تقتضيه تلك الكلمة العظيمة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨، ٨٩].

---

(١) في هامش (د): «قوله: بقراب هو بضم القاف». وعليها علامة صح إشارة إلى أنه من صلب الكتاب.

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي برقم (٣٦٨١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه». قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٤٠ - ط دار ابن الجوزي): «هذا الحديث تفرَّد به الترمذي، وإسناده لا بأس به»، ثم قال: «وقد روي أيضًا من حديث أبي ذر خرَّجه الإمام أحمد من رواية شهر بن حوشب.. وروي من حديث ابن عباس خرَّجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩)».ا.هـ بتصرف.
قلت: وخرَّجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٨٧) بنحوه من حديث المعرور بن سويد، عن أبي ذر.

(٣) في (ب) و(ط): «التي» وفي هامش (د): «لعلها: التي».

٢ - باب
من حقَّق التَّوحيد دخلَ الجنةَ بغير حساب

● قوله[١]: «باب من حقَّقَ التَّوحيد دخل الجنة بغير حساب»، أي: ولا عذاب كما في الحديث، وتحقيق التَّوحيد: تخليصه وتصفيته[٢] من شوائب الشِّرك والبدع والإصرار على الذُّنوب، فمن كان كذلك فقد حقَّق توحيده[٣]، وتحقيق التَّوحيد عزيز في الأمَّة، لا يوجد إلَّا في أهل الإيمان الخلَّص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه، كما قال - تعالى - في يوسف ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]، وفي قراءة: ﴿المخلِصين﴾[٤]، وهم في صدر هذه الأمةِ كثيرون، وفي آخرِها هم الغرباءُ وقد قلُّوا، وهم الأعظمون قدرًا عندَ الله[٥]، وقال - تعالى - عن خليله ﷺ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩] أي: أخلصتُ ديني وأفردتُ عبادتي للذي فطر السَّمواتِ والأرضَ أي: خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق، ﴿حَنِيفًا﴾ أي:

---

(١) في هامش (د): «بلغ».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «تصفيته وتخليصه».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «التوحيد».
(٤) بكسر اللام، وقرأ بهذه القراءة بعض قراء البصرة. انظر: تفسير ابن جرير (١٦/ ٥٠).
(٥) في (ج): «عند الله قدرًا».

في حال كوني[١] حنيفًا، أي: مائلًا عن الشِّرك إلى التَّوحيد، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩].

ونظائر هذه الآية في القرآن كثير، كقوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ۝١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال العماد ابنُ كثير - [رحمه الله تعالى] -: «في هذه الآية: «يقول [الله] ـ تعالى - مخبرًا عمَّن أسلم وجهه لله، أي: أخلصَ له العملَ وانقادَ لأمره[٢] واتبع شرعه، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [البقرة: ١١٢]، أي: في عمله واتباع ما أمر به[٣] وترك ما عنه زجر»[٤].

فدلَّت هذه الآية[٥] العظيمة على أنَّ كمال الإخلاص، إنَّما يوجد بترك الشِّرك والبراءة منه وممن فعله، كما تقدَّم في الباب قبل هذا.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل: ١٢٠].

● قوله: «وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا

---

(١) في (ب): «كونه».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(ط): «لأوامره».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «به أمر».
(٤) «التفسير» لابن كثير (١١/٧٦).
(٥) في (د): «الآيات».

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠]»، قال العماد ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - [تعالى]: «يمدحُ [الله] - تعالى - عبدَه ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء، بتبرُّئه من المشركين ومن اليهوديَّة والنصرانيَّة»[(١)] [والمجوسيَّة].

والأمَّة: هو الإمام الذي يُقتدى به. والقانت: هو الخاشع المطيع. والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشِّرك إلى التَّوحيد، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال مجاهد: «كان إبراهيم أمَّةً، أي: مؤمنًا وحده، والنَّاس كلُّهم إذ ذاك كفَّار»[(٢)].

قلت: وكلا القولين حقٌّ، فقد كان الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ كذلك، وقول[(٣)] مجاهد والله أعلم[(٤)]، لما كان الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ كذلك في ابتداء دعوته ونبوَّته ورسالته عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمدحه[(٥)] [الله] - تعالى - بتبرُّئه من المشركين، كما قال - تعالى -: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ الآيات [مريم: ٤١، ٤٢]، وقوله: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤]، فهذا - والله أعلم - [كان] في ابتداء دعوته - [عليه الصَّلاة والسلام] -، ولم يكن إذ ذاك على وجه

---

(١) «التفسير» (٨/ ٣٦٥).
(٢) نقله عنه البغوي في تفسيره (٣/ ٨٩).
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «فتأمل قول».
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «إنما».
(٥) في (ب) و(ج) و(د): «مدحه».

الأرض مسلم غيره، وبذلك جاء الحديث[١].

• [و] قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل: ١٢٠] فقد فارق المشركين بالقلب واللِّسان والأركان، وأنكر ما كانوا عليه من الشِّرك بالله في عبادته، وكسر الأصنام[٢]، وصبر على ما أصابه في ذات الله، وهذا هو تحقيق التَّوحيد، وهو أساس الدِّين ورأسه، كما قال - تعالى -: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١﴾ [البقرة: ١٣١].

وأنت تجدُ أكثر من يقول: لا إله إلَّا الله ويدَّعي الإسلام يفعل الشِّرك بالله في عبادته؛ بدعوةِ من لا يضرُّ ولا ينفع من الأموات والغائبين، والطَّواغيت والجن وغيرهم، ويحبُّهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم، وينكر على من دعا إلى عبادةِ الله وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم أنَّ ذلك بدعة وضلالة، ويعادي من عمل به وأحبَّه وأنكر الشِّرك وأبغضه، وبعضهم لا يعدُّ التَّوحيد علمًا ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبَّته، فالله المستعان.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون: ٥٩].

• **وقوله: وقول الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾[٣] [المؤمنون: ٥٧-٥٩].

(١) يشير بذلك إلى حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري برقم (٢٢١٧، ٢٦٣٥)، وفيه أن إبراهيم قال لزوجته سارة: فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك. هذا لفظ مسلم.

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «أصنام قومه».

(٣) كذا ورد السياق عند المصنف رحمه الله تعالى، والذي وجدته في كل نسخ كتاب =

قال العماد ابن كثير [رَحِمَهُ اللَّهُ]: «أي: من(١) إحسانهم وعملهم الصَّالح مشفقون من الله، خائفون وجِلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحسانًا وشفقًا، والمنافق من جمع إساءة وأمنًا ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨﴾ [المؤمنون: ٥٨]؛ أي: يؤمنون بآيات الله الكونيَّة والشرعيَّة، لقوله - تعالى - عن مريم: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: ١٢]، أي: أيقنت أنَّ ما كان فهو من قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فإن كان أمرًا فهو ما يحبُّه الله ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو ما يكرهه [الله] ويأباه، وإن كان خبرًا فهو حقٌّ، كما قال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون: ٥٩] أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحِّدونه ويعلمون أنَّه لا إله إلَّا هو(٢) الأحد الصَّمد، الذي لم يتَّخذ صاحبة ولا [ولدًا](٣)، وأنه لا نظير له». انتهى(٤).

قلت: فترك الشِّرك يتضمَّن كمال التَّوحيد بمعرفته على الحقيقة، ومحبته وقبوله والدَّعوة إليه، كما قال - تعالى -: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد: ٣٦]. وتضمَّنت هذه الآيات كمال التَّوحيد وتحقيقه. وبالله التوفيق.

= التوحيد المخطوطة والمطبوعة هو ذكر قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون: ٥٩] فقط، والله تعالى أعلم.
وكذا جاء هذا في عدة مواضع فتجد فرقًا بين متن كتاب التوحيد وبين ما نقله الشارح كمثل إكمال آية أو بعض صيغ الترضي ونحوها، وهذا ألو موضع ورد وقد لا أنبه بعد ذلك، والله تعالى أعلم.

(١) في التفسير: «مع» وهو المناسب للسياق.
(٢) في (ط): «الله».
(٣) في (أ) و(ج)، «ولد»، وجاءت على الصواب في (ط) والتفسير.
(٤) «التفسير» (١٠/ ١٢٩ ط دار عالم الكتب).

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنتُ عند سعيد بن جبير، فقال: أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحةَ؟ فقلتُ: أنا. ثم قلت: أما إنِّي لم أكن في صلاة، ولكني لُدغتُ. قال: فما صنعتَ؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملكَ على ذلك؟ قلت: حديثٌ حدَّثناه الشعبي، قال: وما حدَّثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «عُرضت عليَّ الأمم، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهط، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيَّ وليسَ معه أحدٌ، إذ رُفعَ لي سوادٌ عظيمٌ، فظننتُ أنَّهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومُه، فنظرتُ فإذا سوادُ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلونَ الجنَّة بغير حسابٍ ولا عذاب». ثم نهضَ فدخلَ منزلَه، فخاضَ النَّاسُ في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضُهم: فلعلهم الذين وُلِدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء. فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن فقال: ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم»، ثم قام رجلٌ آخر فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»

● قوله: «عن حصين[١] بن عبد الرحمن». هو الحارثي[٢] من

(١) في (ج) و(د): «الحصين».
(٢) انظر: «تهذيب الكمال» (٦/ ٩١).

أتباع التَّابعين، [روى] عن الشَّعبي، قال: كنتُ عند سعيد بن جبير[١]. هو الوالبي مولاهم الفقيه [أخذ] عن ابن عبَّاس وخلق. قال اللالكائي[٢]: ثقة إمام حجة. قتله الحجَّاجُ بن يوسف فما أمهله الله بعده.

● قوله: **«فقال: أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة؟»** يعني كوكبًا رجم به تلك الليلة، يقال: البارحة، للّيلة[٣] الماضية إذا زالت الشَّمس، وأمَّا قبل الزَّوال فيقال: الليلة[٤].

● قوله: **فقلت: أنا.** أي: أنا رأيته، **ثم قلت: أما إنِّي لم أكن في صلاة،** قال ذلك حذرًا من الشِّرك، لئلَّا يظنَّ الحاضرون أنَّه قام من اللَّيل للعبادة، فيكون قد ادَّعى لنفسه ما لم يفعله، فما أشدَّ حذر التَّابعين ومن قبلهم من الشِّرك دقيقه وجليله، والحذر من أن يُحمد بما

---

(١) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، مولاهم، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الكوفي. روى له الجماعة. ثقة إمام حجة على المسلمين. قتل في شعبان سنة (٩٥هـ) وهو ابن ٤٩ سنة. «ثقات ابن حبان» (٤/ ٢٧٥)، و«تهذيب التهذيب» (٤/ ١١)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٨٧). قال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٢/ ١٠) وقال أبو القاسم الطبري: هو ثقة إمام حجة. وانظر: «تهذيب الكمال» (١٠/ ٣٧٦).

(٢) هو الإمام الحافظ المجود، المفتي أبو القاسم، هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري الرازي الشافعي، صنَّف كتابًا في السنة. توفي (٤١٨هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٦٩ - ط دار الفكر).

(٣) في (ب) و(هـ): «الليلة».

(٤) ذكره النووي في شرح مسلم (٣/ ٧١ ط دار الفكر) عن أبي العباس ثعلب.

لم يفعله، فما أعزَّ من سلم[(١)] من الشِّرك كما سيأتي[(٢)].

● **قوله: ولكن حديث حدَّثناه[(٣)] الشَّعبي، قال: وما حدَّثكم؟ قلت: حدَّثنا[(٤)] عن بريدة بن الحصيب أنَّه قال: «لا رقية إلَّا من عين أو حمة». هذا الحديث قد روي مرفوعًا[(٥)].**

والشّعبي: اسمه عامر بن شراحيل الحميري الشَّعبي الإمام، روى عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم، وعن أبي هريرة وعائشة وجرير وابن عبَّاس وخلق.

قال الشَّعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء، [أي كل ما][(٦)] سمعه حفظه [فحدَّث به من حفظه][(٧)]. توفي سنة ثلاث ومئة[(٨)].

وبريدة هو ابن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أسلم

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «يسلم».

(٢) حصل هنا تقديم في (ب)، فقد ذكر بعد هذا مباشرة قوله: قد أحسن من انتهى. وفي (هـ) من قوله: «لكن حديث حدثناه الشعبي» إلى قوله في ص (١٢٨) «رضي الله عنهم أجمعين» بعد فقرة «قد أحسن من انتهى».

(٣) رسمت في (أ) هكذا: «ثناه».

(٤) رسمت في (أ) هكذا: «ثنا».

(٥) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٥١٣)، وابن خزيمة في «التوكل» كما في «إتحاف المهرة» لابن حجر (٢/ ٥٦٣)، والروياني في «مسنده» (٥٣)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (٨/ ٤٠٥).

(٦) ما بين المعقوفتين ذهب مع التصوير واستدركته من النسخ الأخرى.

(٧) من قوله: «أي كلما . .» إلى هنا ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية.

(٨) انظر: «ثقات العجلي» (١/ ٢٤٣)، و«جامع التحصيل» ص (٢٠٤)، و«تهذيب الكمال» (١٤/ ٢٨).

قبل بدر، وعمل على اليمن في أيَّام النَّبيِّ ﷺ، صحابي مشهور(١).

● قوله: «**لا رقية إلَّا من عين أو حُمة**»(٢) هذا والله أعلم في أوَّل الأمر، ثم رخص في الرُّقى إذا كانت بحق، والله أعلم.

● قوله: «**ولكن حدثنا**(٣) **ابن عباس**»(٤). هو عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبيِّ ﷺ، حبر الأمَّة وترجمان القرآن، دعا له النبيُّ ﷺ، فقال: «**اللهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعَلِّمْهُ التَّأْويلَ**»(٥)، وصار آيةً في العلمِ والفهمِ وكثرة ما روى من الأحاديث،

---

(١) انظر ترجمته في «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ١٨٥)، و«الإصابة» لابن حجر (١/ ٢٨٦) وغيرهما.

(٢) بضم المهملة وتخفيف الميم، قال ثعلب وغيره: هي سم العقرب، وقال القزاز: قيل: هي شوكة العقرب. وكذا قال ابن سيده: إنها الإبرة التي تضرب بها العقرب والزنبور، وقال الخطابي: الحمة كل هامة ذات سم من حية أو عقرب. «فتح الباري». وانظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٤٤٦).

(٣) في (أ): «ثنا».

(٤) قوله: «ولكن حدثنا ابن عباس..» تأخرت في (ط) إلى ما بعد قوله: «قد أحسن من انتهى».

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٥٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٨٨٧) وغيرهم. قال في «المجمع» (٩/ ٤٤٩): «هو في الصحيح غير قوله «وعلمه التأويل». رواه أحمد والطبراني بأسانيد، وله عند البزار والطبراني: «اللهم علِّمه تأويل القرآن»، ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح». اهـ.
وهو في البخاري برقم (٧٥ و ١٤٣).
وسبب الدعاء لابن عباس بهذا، هو أنه لما كان في بيت ميمونة ابنة الحارث وضع لرسول الله ﷺ طهوره، فقال: «من وضع هذا؟» فقالت ميمونة: عبد الله، فقال.. فذكره.
=

على أنَّه من صغار الصَّحابة، لكن طلب الحديث من كبار الصَّحابة، فحفظ الأكثر مما كان عندهم - رضي الله عنهم أجمعين -[١].

● [و] قوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، فيه حسن الأدبِ مع العلمِ وأهله، وأنَّ من فعل شيئًا سئل عن مستنده في فعله، هل كان مقتديًا أم لا؟ ومن لم يكن معه حجَّة شرعيَّة فلا عذرَ له بما فعله، ولهذا ذكر ابنُ عبد البر[٢] الإجماعَ[٣] على أنَّ المقلِّد ليس من أهل العلم، فتفطَّن لهذا[٤].

● قوله: إنَّ النَّبي ﷺ قال: «عُرضت عليَّ الأمم».

قلت: فالله أعلم متى عرضت، كما عُرض عليه ﷺ الجنَّة والنَّار،

= وسبب ثانٍ: هو ما رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٣٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٨٨٥)، أن ابن عباس قال: أتيت النبي ﷺ من آخر الليل، فصلَّيت خلفه، فأخذ بيدي فجرَّني فجعلني حذاءه، فلما أقبل على صلاته خنست، فلما انصرف قال لي: «ما شأني أجعلك حذائي فتنخنسُ؟!». فقلت: أو ينبغي أحد أن يصلِّي حذاءك، وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟! قال: فأعجبته، فدعا الله لي أن يزيدني علمًا وفهمًا.

قلت: فحريٌّ بالمسلم أن يؤدِّب نفسه ومن يعول على التوحيد والسنَّة.

(١) انظر ترجمته في «معجم الصحابة» (٢/ ٦٦)، و«الاستيعاب» (٣/ ٩٣٣)، و«الإصابة» (٤/ ١٤١) وغيرها.

(٢) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أبو عمر، النمري المالكي من نابهي علماء قرطبة. له العديد من المصنفات. توفي سنة (٤٦٣هـ). انظر: «وفيات الأعيان» (٧/ ٦٦)، و«السير» (١٨/ ١٥٣)، وقول ابن عبد البر هذا في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٧).

(٣) في (ج) و(د): «إجماع».

(٤) من قوله: «وقوله: قد أحسن من . . .» إلى هنا موضعها (أ) و(هـ) في (ص ١٤٠) قبل قوله: «قوله: ولكن حديث حدثناه . . .».

في مقامه في الصَّلاة، كما في «البخاري» عن أنس قال: صلَّى لنا النَّبي ﷺ، ثم رقى المنبر، فأشار بيده قِبل قبلة المسجد، ثم قال: **«لقد رأيتُ الآن منذ صلَّيتُ لكم الجنَّة والنَّار، ممثَّلتين في قبلة هذا الجدار، فلم أرَ كاليوم في الخير والشَّر»** ثلاثًا[1]، فسبحان من هو على كلِّ شيءٍ قدير[2].

وعرضها: أنَّ الله - [تبارك و] تعالى - أراه مثالها إذا جاءت يوم القيامةِ الأنبياء، ومن تبعهم ممن نجا بالإيمان [بالله]، وبما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم، وهو عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، والأخذ بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، كما قال - تعالى - عن نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: ٢، ٣]. فعبادته: توحيده [وتقواه] وطاعته بامتثال ما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه وطاعة رسوله. هذا هو الدِّين: أن لا يعبد إلَّا الله، وأن لا يعبد إلَّا بما شرع فعلًا وتركًا، وأن يقدِّم طاعة رسوله على ما يحبُّه ويهواه.

● قوله: **«فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهط»**. الرَّهط العشرة فما دون، **«والنبيَّ ومعه الرَّجل والرَّجلان»**، أي: أتباعه، **«والنَّبيَّ وليس معه أحد»**، أي: يبعث في قومه، فلا يتبعه منهم أحد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٩)، ومسلم (٢٣٥٩).

(٢) قوله: «كما عُرض عليه . .» إلى هنا ليس في أصل «أ» واستدركته من الحاشية.

بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجر: ١٠، ١١]. وفيه دليل على أنَّ النَّاجين[(١)] من الأمم هم[(٢)] القليل [قديمًا وحديثًا] والأكثر غلبت عليهم الطِّباع البشريَّة، فعصوا الرُّسل فهلكوا، [كما قال - تعالى -: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الرُّوم: ٤٢].

وأمثال هذه الآيات في القرآنِ كثير، والنَّاجون وإن كانوا أقلَّ القليل فهم السَّواد الأعظم، فإنَّهم[(٣)] الأعظمون قدرًا عند اللهِ وإن قلُّوا، **فليحذر المسلم أن يغترَّ بالكثرة، وقد اغترَّ بهم كثيرون، حتَّى بعض من يدَّعي العلم، اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهَّال الضُّلَّال. ولم يلتفتوا إلى ما قاله الله ورسوله.**

● **قوله: «إذ رُفع لي سواد عظيم فظننتُ أنَّهم أمَّتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه»**، فيه فضيلة أتباع موسى من بني إسرائيل، ممن آمن منهم بالرُّسل والكتبِ التي أنزلها الله، التَّوراة والإنجيل والزَّبور والفرقان وغيرها، وكانت بنو إسرائيلَ قبل التَّفرُّق كثيرين وفيهم الأنبياء، ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود، وهذا الحديثُ يدلُّ على أنَّ التَّابع لموسى[(٤)] عليه السلام كثيرون جدًا، وقد قال - تعالى -:

---

(١) في (أ) و(ب) و(جـ) و(هـ) و(ط): «الناجي».
(٢) في (ج) و(د): «هو».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «لأنهم».
(٤) في (ب): «أتباع موسى».

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝١٦﴾ [الجاثية: ١٦] أي: في زمانهم، وذلك أنَّ في زمانهم وقبله ممّن كفر بالله خلقًا لا يحصيهم إلَّا الله[١]، كحزب جالوت وبُختنصَّر وأمثالهمُ، ففضَّل الله بني إسرائيل بالإيمان، فصاروا أفضل أهل زمانهم، وحدث فيهم ما ذكره الله - تعالى - في سورة «البقرة» وغيرها من معصيتهم لأنبيائهم، واختلافهم في دينهم، وقد ذكره الله - تعالى - محتجًّا به على اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، فتدبَّر ما ذكره الله - تعالى - من أحوالهم بعد الاختلاف.

● قوله: «**ثم نظرتُ فإذا سوادٌ عظيم**»، وفي رواية: «قد سدَّ الأفقَ». **فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا، يدخلون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذاب**، فيه فضيلة هذه الأمَّة وأنَّهم أكثر الأمم تابعًا لنبيِّهم ﷺ، وقد كثروا في عهدِ الصَّحابة ﷺ، وفي وقت الخلفاء الرَّاشدين ومن بعدهم، فملؤوا القرى والأمصار والقفار، وكثر فيهم[٢] العلمُ واجتمعت لهم الفنون في العلوم النَّافعة، فما زالت [هذه] الأمة على السُّنَّةِ في القرونِ الثَّلاثة المفضَّلة، وقد قلُّوا في آخر الزَّمان.

قال شيخنا[٣] - رحمه الله تعالى - في مسائله[٤]: وفيه فضيلة

---

(١) بدلها في (هـ): «لا يحصون».
(٢) في (ب) و(ج): «بهم».
(٣) أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
(٤) وهي المسألة التاسعة من مسائل هذا الباب من كتاب التوحيد ص (١١).

هذه الأمَّة بالكميَّة والكيفيَّة. فالكميَّة كثرة العدد[١]، والكيفيَّة فضيلتهم في صفاتهم، كما في هذا الحديث بقوله: «**ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنةَ بغير حساب ولا عذاب**».

● **قوله: «ثم نهض فدخل منزله، فخاض النَّاس في أولئك»**، أي: الحاضرون له في ذكر[٢] هذا الحديث.

وفيه أيضًا: فضل الصَّحابة ﷺ في مذاكرتهم العلم، وحرصهم على فهم ما حدَّثهم به نبيُّهم ﷺ حرصًا على العمل به.

وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل؛ لأنَّهم قالوا ما قالوا باجتهادِهم، ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم، لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه، بل يقول[٣]: لعلَّ الحكم كذا وكذا، كقول[٤] الصَّحابة ﷺ في هذا الحديث.

● **قوله: فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «هم الذين لا] يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون»**، أي: لا يطلبون الرّقية من أحد، ولا يكتوون إذا كان فيهم ما يستشفى[٥] بالكيِّ منه، ولا يتطيَّرون، - والطِّيرة شرك -، فتركوا

---

(١) في (هـ): «الكثرة والعدد».
(٢) في (ط): «ذكرهم».
(٣) في (د) و(هـ): «يقل»، وفي (أ): «يقال».
(٤) في (ب): «القول».
(٥) في (ب): «يستشفي»، وفي (هـ): «يستقي».

الشِّرك رأسًا ولم يُنزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرَّقية فما فوقها، وتركوا الكيَّ وإن كان يراد للشفاء[(١)]. والحامل لهم على ذلك قوّة توكُّلِهم على الله وتفويضهم أمورهم إليه، وأن لا تتعلَّق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبَّره[(٢)] وقضاه، فلا يرغبون إلَّا إلى ربِّهم ولا يرهبون إلَّا منه[(٣)]، ويعتقدون أنَّ ما أصابهم بقدره[(٤)] واختياره لهم، فلا يفزعون إلَّا إليه وحده في كشف ضرِّهم. قال - تعالى - عن يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: ٨٦].

● **قوله: «فقام عكاشة بن محصن»**. صحابي مشهور شهد بدرًا والمشاهد كلَّها مع النَّبيِّ ﷺ، وهو من بني أسد بن خزيمة، قتله طليحة بن خويلد[(٥)] شهيدًا. وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الرِّدَّة، فقاتل بني أسد لردَّتهم عن الإسلام، وكان فيهم طليحة وقد ادَّعى النُّبوَّة وصدَّقوه، فأكرم الله عكاشة على يده لـمَّا كان كافرًا[(٦)]. ثم بعد ذلك هداه الله إلى الإسلام وجاهد الفرسَ مع سعد ابن أبي وقاص، وصار له في الفرس وقائع معروفة في السِّير، وكان

---

(١) في (ب): «يراد منه للشفاء»، وفي (د): «به الشفاء».
(٢) في (ب): «قدره».
(٣) في (ط): «سواه».
(٤) في (هـ): «بقدرة الله».
(٥) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأسد الفقعسي، البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ، يقال: إنه استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين. «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٩٧) و«الإصابة» (٣/ ٥٤٢).
(٦) انظر في ترجمة عكاشة: «السير» (١/ ٣٠٧)، و«الإصابة» (٤/ ٥٣٣).

ممن استشهد في قتالهم في وقعة الجسر[1] المشهورة.

● **قوله: «فقال: يا رسولَ الله ادعُ الله أن يجعلني منهم».**

فيه: أنَّ شفاعة الحي لمن سأله الدُّعاء إنَّما كانت بدعائه، وبعد الموت قد تعذَّر ذلك بأمور لا تخفى على من له بصيرة، فمن سأل ميتًا أو غائبًا فقد سأله ما لا يقدر عليه وكل من سأل أحدًا ما لا يقدر عليه، إلَّا الله، فقد جعله ندًّا لله - [تعالى] - كما كان المشركون كذلك، وقال - تعالى -: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢] إنَّه ربكم وخالقكم ومن قبلكم، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، فلا ترغبوا[2] عنه إلى غيره، بل أخلصوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير.

● **قوله: «أنت منهم»**. لما كان يعلمه ﷺ من إيمانه وفضله وجهاده، كما في الحديث: **«لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[3].

● **قوله: ثم قام رجل آخر[4] فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم،**

---

(١) في (هـ): «الحيرة».
(٢) في (هـ): «ترغبون».
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧)، ومسلم برقم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٤) قيل: إنه سعد بن عبادة الأنصاري، واستبعده ابن حجر، ثم قال: «فإن كان محفوظًا فلعلَّه آخر باسم سيد الخزرج واسم أبيه ونسبته، فإن في الصحابة كذلك آخر له في مسند بقي بن مخلد حديث، وفي الصحابة: سعد بن عمارة الأنصاري فلعلَّ اسم أبيه تحرَّف». «فتح الباري» (١١/ ٤١٢)، «الأسماء المبهمة» =

فقال: «سبقكَ بها عكاشة». والظَّاهر أنَّه أراد[1] - صلوات الله وسلامه عليه - سدَّ الذَّريعة، لئلا يتتابع[2] النَّاسُ بسؤال ذلك، فيسأله من ليس أهلًا له، وذلك منه ﷺ تعريض كما لا يخفى.

= للخطيب (١٠٧)، «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» لابن العراقي (١/ ٧٢٩) برقم ٢٨١.

(١) في (ب): «المراد».

(٢) في (ب): «يتابع».

٣ - باب
الخوف من الشِّرك

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]

● قوله: «باب الخوف من الشِّرك».

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال النّووي [رحمه الله تعالى]: «أمَّا دخول المشرك النَّار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلَّد فيها، ولا فرق بين الكتابي واليهودي والنَّصراني، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملَّة الإسلام وبين من انتسب إليها، ثم حُكم بكفره بجحده وغير ذلك، وأمَّا دخول من مات غير مشرك الجنَّة فهو مقطوع [له] به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة، مصرًّا عليها دخل الجنة أوَّلًا، وإن كان صاحب كبيرة مُصرًّا عليها ومات على ذلك، فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل الجنَّة أوَّلًا، وإلَّا عذِّب في النَّار، ثمَّ أخرج منها وأدخل الجنَّة». انتهى(١).

قلت: هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة لا اختلاف بينهم في ذلك،

(١) قول النووي هذا في شرحه على «صحيح مسلم» (٢/ ٩٧).

وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشِّرك؛ لأنَّ[1] الله - تعالى - قطع المغفرة عن المشرك، وأوجب له الخلود في النَّار، وأطلق ولم يقيِّد، ثم قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فخصَّص وقيَّد فيما دون الشِّرك، فهذا الذَّنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه، فلا يرجى له معه نجاة، إن لم يتب منه قبل الوفاة.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

● قوله: «**وقال الخليل** عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]». أي: إبراهيم عليه السلام خليل الرَّحمن. والخلَّة أخصُّ من المحبة، ولهذا خصَّ[2] بها الخليلين[3] إبراهيم ومحمدًا - [عليهما الصلاة والسَّلام]-، ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وهذا أيضًا يخيف العبد، فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمَّة وحده[4] وابتلاه [الله] بكلمات فأتمَّهنَّ، وقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧]. وأمره[5] بذبح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام واشتدَّ نكيره على أهل الشِّرك. ومع ذلك يخاف أن يقع في الشِّرك، الذي هو عبادة الأصنام لعلمه أنَّه لا يصرفه عنه

(١) في (هـ): «إنَّ».
(٢) في (ج) و(ط): «اختصَّ».
(٣) في (ب): «الخليلين بها»، وفي (ط): «الخليلان»، وفي (هـ): «اختص بها للخليلين».
(٤) في (ب) و(ط): «واحدة».
(٥) في (هـ): «وأمر».

إلَّا الله بهدايته وتوفيقه لا بحوله [هو][(١)] وقوته[(٢)].

وما أحسن ما قال إبراهيم التَّيمي[(٣)]: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم[(٤)]؟! فهذا أمر لا يُؤمن من الوقوع فيه، وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمَّة بعد القرون المفضَّلة، فاتُّخذت الأوثان وعُبدت، فالذي خافه الخليل ﷺ على نفسه وبنيه[(٥)]، وقع فيه أكثر الأمَّة بعد القرون المفضَّلة، فبُنيت المساجد والمشاهد على القبور، وصُرفت لها العبادات بأنواعها واتخذ ذلك دينًا، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح، وكاللَّات والعُزَّى ومناة، وأصنام العرب وغيرهم، فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمَّة بحال أهل الجاهليَّة من مشركي العرب وغيرهم، بل وقع ما هو أعظم من الشِّرك في الإلهية: الشِّرك[(٦)] في الرُّبوبية ممَّا يطول عدُّه، فذكر[(٧)] ﷺ السَّبب الذي أوجب [له] الخوف

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «ولا بقوّته».

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، تيم الرباب، أبو أسماء الكوفي، كان من العباد، ثقة، لكنه لم يسمع من عائشة. قتله الحجاج، وقيل: بل مات في حبسه (٩٢هـ)، وقيل: (٩٤هـ). «السير» (٥/ ٦٠)، و«تهذيب التهذيب» (١/ ١٥٤).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٥٢ ط دار المعرفة) عند تفسيره للآية ٣٥ من سورة «إبراهيم»، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٤٩) برقم ١٢٢٨٧، وذكره غير واحد. انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٨/ ١٤٩).

(٥) في (هـ): «وبينه».

(٦) قوله: «في الإلهية: الشرك»، ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية. وفي (ب) و(ج) و(د): «من شركهم».

(٧) في (ب) و(ج) و(د): «فوجب».

عليه وعلى ذرِّيته بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقد ضلَّت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده، فمن تدبَّر القرآن عرف أحوال الخلق، وما وقعوا فيه من الشِّرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنَّهي عنه، والوعيد على فعله، والثَّواب على تركه، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه، نسأل الله الثَّبات على الإسلام والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التَّوحيد، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

وقال - تعالى -: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨] ردَّ(١) أمرهم إلى الله كما رَدَّه(٢) عيسى - عليهما(٣) السَّلام -، وقد بيَّن الله تعالى حكمه فيما أنزله على نبيِّه محمَّد ﷺ حكمه في أهل الشِّرك بأنَّه(٤) لا يغفره لهم فلا معارضة، وقد بيَّن حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز: الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصِّلت: ٤٢].

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشِّرك الأصغر» فسُئل عنه فقال: «الرياء».

● وقوله ﷺ [في الحديث لأصحابه]: «أخوف ما أخاف عليكم

---

(١) في (ج): «مرد».
(٢) في (ج) و(د) و(ط): «رَدَّ».
(٣) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «عليه».
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «فإنه».

الشِّرك الأصغر»، فسئل عنه؟ فقال: «الرِّياء».

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والطَّبراني والبيهقي[١] عن محمود بن لبيد[٢]، فإذا كان يخاف[٣] على أصحابه الَّذين وحَّدوا الله في العبادةِ ورغبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته، فهاجروا وجاهدوا من كفر به، وعرفوا ما دعاهم إليه نبيُّهم، وما أنزل[٤] الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشِّرك، فكيف لا يخاف من لا نسبة له إليهم في علم ولا عمل ما هو أكبر من ذلك، وقد أخبر ﷺ بوقوع الشِّرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان[٥] الآتي ذكره[٦]: «حتَّى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتَّى تَعبد فئام من أمَّتي الأوثان».

وقد جرى ما أخبر به ﷺ وعمَّت به البلوى في أكثر الأقطار،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٣٠١) من حديث رافع بن خديج ﷺ، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٣٣ ط دار الكتب العلمية).

(٢) هو محمود بن لبيد بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري الأوسي الأشهلي. قال البخاري: له صحبة، وكان من العلماء، مات سنة ست وتسعين. انظر: «تهذيب الكمال» (٢٧/ ٣٠٩)، و«الإصابة» (٦/ ٤٢)، و«أسد الغابة» (٥/ ١٢٢).

(٣) في (هـ): «يخافه ﷺ».

(٤) في (هـ): «أنزله».

(٥) في الأصل و(ب) و(د) و(ج) و(هـ): «بريدة»، وفي (ج) فوقها بخط غير واضح: «ثوبان» وهو الصواب، كما في (ط).

(٦) بعدها في (ب): «إن شاء الله تعالى»، وفي (ج) و(د): «إن شاء الله»، وسيأتي تحت باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

حتَّى اتَّخذوه دينًا مع ظهور الآيات المحكمات، والأحاديث الصّحيحة في النَّهي عنه والتّخويف منه، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾(١) [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠-٣١]، وهذا هو تحقيق(٢) التَّوحيد كما تقدَّم في الباب قبله، ثم قال - تعالى - محذِّرًا عباده من الشِّرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١]، ومن لا تخوفه(٣) هذه الآيات(٤) وتزجره عن الشِّرك في العبادة إذا تدبَّرها فلا حيلة فيه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النَّار» رواه البخاري.

● **قوله: «وعن [عبد الله] بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من ماتَ وهو يدعو لله ندًّا دخل النَّار». رواه البخاري»**(٥). وهذا الحديث فيه التَّحذير من الشِّرك أيضًا والتَّخويف منه.

والنِّدُّ: المثل والشَّبه(٦)، فمن دعا ميتًا أو غائبًا وأقبل إليه بوجهه

(١) في (ج) بعدها: «وما للظالمين من أنصار».
(٢) في ب: «حقيقة».
(٣) في (ط): «ومن لم تخوفه».
(٤) في (ج): «الآية».
(٥) برقم (٤٤٩٧)، ومسلم (٩٢) بنحوه.
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «التشبيه».

وقلبه رغبة إليه ورهبة منه، سواء سأله أو سأل به[(١)]، فهذا هو الشِّرك الذي لا يغفره الله، ولهذا حرَّم الله - تعالى - اتِّخاذ الشُّفعاء وأنكر على من فعل ذلك أشدَّ الإنكار، لكونه ينافي الإخلاص، الذي هو إقبال القلب والوجه على الله في كلِّ ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به.

ومن المعلوم أنَّه إذا التفت للشَّفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن الله - تعالى - [إلى غيره]، وذلك ينافي الإخلاص. ويأتي بيان ذلك في باب الشَّفاعة إن شاء الله - تعالى -.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنَّة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النَّار».

● **قوله: ولمسلم عن جابر[(٢)] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنَّة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النَّار»[(٣)].**

● [فـ] **قوله: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا»**. هذا هو الإخلاص، كما تقدَّم.

---

(١) في (ط): «أم لم يسأله».

(٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، له ولأبيه صحبة، لم يشهد بدرًا ولا أحدًا، منعه والده، فلما مات لم يتخلف، مناقبه كثيرة.
عن قتادة قال: كان آخر أصحاب النبي ﷺ موتًا بالمدينة. مات سنة (٧٨هـ)، وقيل غير ذلك. «الإصابة» (١/ ٤٣٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٣).

• وقوله: «ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النَّار»، هذا هو الشِّرك فمن لقي الله بالشِّركِ دخل النَّار قلَّ أو كثر، أمَّا الشِّرك الأكبر فلا عمل معه، ويوجب الخلودَ في النَّار كما تقدَّم في معنى الآيات، وأما الأصغر كيسير الرِّياء، وقول الرَّجل ما شاء الله وشئت، وقوله: ما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك، فهذا لا يُكَفَّر إلَّا برجحان الحسنات بالسَّيئات(١).

قال بعض العلماء: اقتصر على نفي الشِّرك لاستدعائه التَّوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم، إذ من كذَّب رسل الله، فقد كذَّب الله، ومن كذَّب الله فهو مشرك.. فالمراد: من مات حال كونه مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمان به إجمالًا في الإجمالي، وتفصيلًا في التَّفصيلي(٢). انتهى.

(١) في (ط): «السيئات بالحسنات».
(٢) «فيض القدير» (٦/ ٢٢٧ ط دار الكتب العلمية)، وإلى قوله: «الإيمان به». في «الفتح» (١/ ٣٠٤ ط دار الفكر).

٤ - باب
الدُّعاء إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٨]

● قوله: باب الدُّعاء إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله، وقول الله - تعالى -: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يُوسُف: ١٠٨] الآية.

قال أبو جعفر بن جرير(١): «يقول [الله] - تعالى - ذكره لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدَّعوة التي أدعو إليها، والطَّريقة الَّتي أنا عليها من الدُّعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته ﴿سَبِيلِىٓ﴾، وطريقتي ودعوتي، ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحده لا شريك له، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك، ويقين علم منِّي به .﴿أَنَا۠﴾ و[من] يدعو إليه، على بصيرة أيضًا ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى(٢)﴾ وصدَّقني وآمن بي، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يقول [له](٣) - تعالى ذكره -: وقل(٤) تنزيهًا لله وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، وصفه الذهبي بالإمام العالم المجتهد عالم العصر، صاحب التصانيف البديعة. مات سنة (٣١٠هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٦٧).

(٢) في (ب): «تبعني».

(٣) زيادة من التفسير.

(٤) في (ج) و(د): «وقال».

ملكه، أو معبود سواه في سلطانه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩] يقول: وأنا بريء من أهل الشِّرك [به]، لست منهم ولا هم منّي». انتهى[١].

وهذه الآية تدلُّ على أنَّ أتباعه هم أهل البصائر الدَّاعين إلى الله - تعالى-، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدَّعوى. قاله العلَّامة ابن القيِّم[٢] [رحمه الله تعالى] -.

وقد قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا[٣] أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد: ٣٦]، وما زال النَّبيُّ ﷺ وأصحابه يدعون إلى ما أمر الله به من الدَّعوة إلى توحيده في العبادة، والنَّهي عن الشِّرك به، ويجاهدون على ذلك، والآيات في الأمر بذلك كثيرة جدًّا[٤]، [كقوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

(١) ذكر الطبري ذلك في تفسيره «جامع البيان في تأويل القرآن» (١٦/ ٩١ ط مؤسسة الرسالة).
(٢) قول ابن القيم هذا في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٨١ ط دار البيان العربي).
(٣) في الأصل: «إني» وهو خطأ.
(٤) في (ب) و(د) بعدها: «كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].
وفي (ج): «كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

● وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنَّك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله».

في رواية[(١)]: «إلى أنْ يوحِّدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلِّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه[(٢)].

● قوله: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[(٣)] أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا بعث معاذًا إلى اليمن، قال له: «إنَّك تأتي قومًا[(٤)] من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلَّا الله...» الحديث. وأهل الكتاب المذكورون في هذا الحديث، من كان في اليمن من اليهود والنَّصارى إذا ذاك.

● قوله: «فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»،

---

(١) عند البخاري برقم (٧٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٩٥)، ومسلم برقم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ج) و(د) بعدها: «أي: عبد الله بن عباس».

(٤) في (ج): «قوم».

وكانوا يقولون: لا إله إلَّا الله[(١)]، لكنهم جهلوا معناها الذي دلَّت عليه من إخلاص العبادة لله وحده [لا شريك]، وترك عبادة ما سواه، فكان قولهم: لا إله إلَّا الله لا ينفعهم، لجهلهم بمعنى هذه الكلمة، كحال أكثر المتأخِّرين من هذه الأمَّة، فإنَّهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشِّرك بعبادة الأموات والغائبين والطَّواغيت والمشاهد، فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشِّرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم، وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك، وظن[(٢)] أنَّ معناها: القدرة على الاختراع، تقليدًا للمتكلِّمين من الأشاعرة ونحوهم[(٣)]، وهذا هو توحيد الرُّبوبيَّة الذي أقرَّ به المشركون [فلم يدخلهم في الإسلام]، كما قال - تعالى -: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤] إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٩]، وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير[(٤)].

وهذا التَّوحيد قد أقرَّ به مشركو الأمم، وأقرَّ به أهل الجاهليَّة الَّذين بعث فيهم محمد ﷺ، فلم يدخلهم في الإسلام؛ لأنَّهم [قد]

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «يقولونها».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «وظنوا»، وهو الأليق، ويمكن أن تكون: «وظُنَّ».
(٣) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «وغيرهم».
(٤) في (ب): «كثيرة».

جحدوا ما دلَّت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلهية، وهو إخلاص العبادة ونفي الشِّرك والبراءة منه، كما قال - تعالى -: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، فهذا التَّوحيد هو أصل الإسلام، وقال - تعالى -: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الروم: ٤٣][1]، وقال - تعالى -: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢]، وقال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وأمثال هذه الآيات في بيان التَّوحيد الذي دعت إليه الرُّسل، ونزلت[2] به الكتب في القرآن كثير، وسنذكر بعض ذلك إن شاء الله - [تعالى] - في هذا «التعليق».

● **قوله: «فليكن أوَّلَ»**، منصوب على أنَّه خبر «يكن» مُقدَّم، و«**شهادة**» اسمها مؤخَّر ويجوز العكس.

---

(١) في (ج) و(هـ) بعدها: «من الله»، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ﴾ [الرعد: ٣٦] الآية، وفي (ب): ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ﴾ [الرعد: ٣٦] الآية، وجاءت في (د) بعد قوله: وقال تعالى، وقبل ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ...﴾ [غافر: ١٢]، ثم: «وقال» ثم آية ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾.

(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «وأنزلت».

وفيه دليل على أنَّ التَّوحيد - [توحيد العبادة] - هو أوَّل واجب؛ لأنَّه أساس الملَّة، وأصل دين الإسلام.

وأمَّا قول المتكلِّمين ومن تبعهم: إنَّ أوَّل واجب معرفة الله بالنَّظر والاستدلال. فذلك[1] أمر فطري فطر الله عليه عباده، ولهذا كان مُفْتَتَح دعوة الرُّسل أُممهم إلى توحيد العبادة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢٦]، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال - تعالى -: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

قال العماد ابن كثير: «وهذا يحتمل شيئين:

- أحدهما: أفي وجوده شكٌّ فإنَّ الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإنَّ الاعتراف به ضروري في الفطر السَّليمة...

- والمعنى الثاني: [أي]: أفي إلهيَّته وتفرُّده بوجوب العبادة له شك؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة إلَّا هو وحده لا شريك له، فإنَّ غالب الأمم كانت مقرّة بالصَّانع، ولكن تَعبُد معه غيره من الوسائط الَّتي يظنونها[2] تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى». انتهى[3].

قلت: وهذا الاحتمال الثَّاني يتضمَّن الأوّل.

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «فكذلك».

(٢) في (ب) و(ط): «يظنون أنها».

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٧٦ ط دار طيبة).

وروى أبو جعفر بن جرير بسنده[(١)] عن عكرمة ومجاهد وعامر أنَّهم قالوا: ليس أحد إلَّا وهو يعلم أنَّ الله خلقه وخلق السموات والأرض، فهذا إيمانهم، وعن عكرمة أيضًا: تسألهم من خلق السَّموات والأرض؟ فيقولون: الله. فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره.

وقد تقدَّم أنّ لا إله إلَّا الله قد قُيِّدت في الكتاب والسُّنَّة بقيود ثقال، منها: العلم واليقين والإخلاص، والصّدق والمحبة والقبول والانقياد، والكفر بما يعبد من دون الله. فإن اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة، وإن لم تجتمع هذه لم تنفعه، والنَّاس متفاوتون في العلم بها والعمل، فمنهم: من ينفعه قولها، ومنهم: من لا ينفعه كما لا يخفى.

● **قوله: «فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»**، فيه دليل على أنَّ المشرك لا يطالب بفعل الصَّلاة إلَّا إذا أسلم بتركه الشِّرك باطنًا وظاهرًا؛ لأنَّ الإسلام شرط لصحَّة العبادة، كما قال النَّووي - رحمه الله [تعالى] - ما معناه: إنَّه يدلُّ على أنَّ المطالبة بالفرائض في الدُّنيا لا يكون إلَّا بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم في الآخرة، والصَّحيح أنَّ الكفَّار مخاطبون بفروع الشَّريعة المأمور به[(٢)] والمنهي عنه[(٣)]، وهذا قول الأكثرين[(٤)].

---

(١) في تفسيره (١٦/ ٢٨٦ - ٢٨٩) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يُوسُف: ١٠٦].

(٢) في (ب): «بها».

(٣) في (ب) و(د): «عنها».

(٤) قول النووي هذا في «شرحه على مسلم» (١/ ١٩٨).

● [و] قوله: «فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم»، فيه أنَّ الزكاة لا تنفع إلَّا من وحَّد الله، وصلَّى الصَّلوات الخمس بشروطها وأركانها وواجباتها، والزَّكاة قرينة الصَّلاة في كتاب الله، ويدلُّ على هذه الجملة: قوله - تعالى -: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيّنة: ٥]، فمن أتى بهذه الأمور فلا بدَّ أن يأتي[(١)] ببقية الأركان لقوَة الدَّاعي إلى ذلك؛ لأنَّ ذلك يقتضي الإتيان بها لزومًا[(٢)]، قال - تعالى -[(٣)]: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٥]، قال[(٤)] أنس في الآية [قال]: توبتهم: خلع الأوثان وعبادتهم[(٥)] ربّهم، وإقام الصَّلاة وإيتاء الزّكاة[(٦)].

وعن[(٧)] ابن مسعود مرفوعًا: «أمرتُ بإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة،

---

(١) قوله: «فلا بد أن يأتي» في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «أتى».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لقوة الداعي إلى ذلك».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «وقوله».
(٤) في (ب) و(د): «عن».
(٥) في (ب): «وعبادة».
(٦) أخرجه ابن ماجه بنحوه في «سننه» برقم (٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٤١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٣٢)، وعزاه لابن ماجه، ومحمد بن نصر المروزي ["تعظيم قدر الصلاة" (١/ ٨٦) رقم ١]، والبزار [في "مسنده" (١٣/ ١٣٢) برقم ٦٥٢٤]، وأبي يعلى، وابن جرير [في "تفسيره» (١٤/ ١٣٥ برقم ٦٤٧٥)]، وابن المنذر، وابن أبي حاتم [«تفسيرهؤ ٦/ ١٧٥٣ برم ٩٢٧٢]، وأبي الشيخ، والحاكم [في "المستدرك" (٢/ ٣٣١)، وصحَّحه، من طريق الربيع بن أنس.
(٧) في (ب) و(د): «عن» من غير واو.

ومن لم يزكِّ فلا صلاة له»[١].

وقال ابن زيد[٢]: أبى الله أن تُقبل الصَّلاة إلَّا بالزَّكاة[٣].

وفيه بيان مصرف الزَّكاة.

● قوله: «فإيَّاك[٤] وكرائم أموالهم»، تحذيرًا[٥] له من أن يتجاوز[٦] ما شرعه الله ورسوله في الزَّكاة، وهو أخذها من أوساط المال؛ لأنَّ ذلك سبب لإخراجها بطيب نفس ونيَّةٍ صحيحة، وكل ما زاد على المشروع فلا خير فيه، وهذا أصل ينبغي التَّفطُّن له[٧].

● قوله: «واتَّق دعوة المظلوم»، يدلُّ على أنَّ العاملَ إذا زاد على المشروع صار ظالمًا لمن أخذ ذلك منه، ودعوة المظلوم مقبولة ليس بينها وبين الله حجاب يمنع قبولها.

وفيه التَّحذير من الظُّلم مطلقًا، فعلى العامل أن يتحرَّى العدلَ فيما استعمل فيه، فلا يظلم بأخذ زيادة على الحق، ولا يحابي بترك شيء منه، فعليه أن يقصد العدل من الطَّرفين، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥٢).

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب. ضعفه أحمد وعلي وأبو داود وغيرهم. مات سنة (١٨٢هـ). «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٦١).

(٣) وقول ابن زيد ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٣٧)، وانظر: «تفسير الطبري» (١٥٢).

(٤) في (ب) و(ج) و(د): «وإياك».

(٥) في (ب): «تحذير».

(٦) في (د): «يجاوز».

(٧) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «وفيه بيان مصرف الزكاة».

ولهما عن سهل بن سعد ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ الراية غدًا رجلًا يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، فبات النَّاس يدوكون ليلتهم، أيُّهم يعطاها، فلمَّا أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأُتي به فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأنْ لم يكن به وجع، فأعطاه الرَّاية فقال: «انفذ على رسلك حتَّى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله؛ لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حمر النعم»(١). يدوكون: أي يخوضون

● قوله: عن سهل بن سعد، أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي السّاعدي، أبو العبّاس، صحابي شهير، وأبوه صحابي أيضًا، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المئة(٢).

● قوله: «[أنَّ رسول الله ﷺ] قال يوم خيبر: «لأعطينَّ الرّاية غدًا رجلًا يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»... [الحديث] فيه البشارة بالفتح، وهو علم من أعلام النُّبوّة، وقد وقع كما أخبر ﷺ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠)، ومسلم برقم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٦٦٤)، و«الإصابة» (٣/ ٢٠٠)، و«أسد الغابة» (٢/ ٥٤٧).

● قوله: «يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله». قال شيخ الإسلام: «ليس هذا الوصف مختصًّا[١] بعلي[٢] ولا بالأئمة[٣]، فإنَّ الله ورسوله يحبُّ كلَّ مؤمن تقي يحبُّ الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتجُّ به على النَّواصب[٤] الذين لا يتولَّونه، أو يكفِّرونه أو يفسِّقونه كالخوارج[٥]، لكنَّ هذا الاحتجاج لا يتمُّ على قول الرّافضة الذين يجعلون النّصوص الدَّالَّة على فضائل[٦] الصَّحابة كانت قبل ردَّتهم، فإنَّ الخوارج تقول في عليٍّ مثل ذلك، لكن هذا باطل، فإنَّ الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنَّه يموت كافرًا»[٧].

وفيه إثبات صفة المحبة لله خلافًا للجهمية ومن أخذ عنهم، وفيه

---

(١) في (د): «مختص».
(٢) في (ج): «لعلي».
(٣) في (ب) و(د): «الأمة».
(٤) هم الذين يناصبون العداء للصحابة خاصة آل البيت عقيدة، وأغلبهم من الخوارج. وهم يكفِّرون عثمان وعليًا وسائر أهل الجماعة. انظر: «الفتاوى» لابن تيمية (٣/ ٣٤٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني ص (١١٤)، و«القاموس المحيط» ص (١٧٧).
(٥) كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة، يسمَّى خارجًا. هذا الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم في كل زمان وهم القائلون بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار، وهم فرق كثيرة، منهم: الوعيدية، والأزارقة، والحرورية وغيرهم. انظر: «مقالات الأشعري» (١/ ١٦٧)، و«الفرق بين الفرق» (٧٢)، و«الملل والنحل» (١/ ١١٤).
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «فضل».
(٧) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٤٤).

فضيلة أخرى لعليٍّ ﷺ بما خصَّه به من إعطائه الرَّاية ودعوته أهل خيبر إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا، وقد جرى له ﷺ في قتالهم كرامات مذكورة في السِّير والمغازي(١).

وفيه مشروعيَّة الدَّعوة إلى الإسلام، الذي أساسه شهادة أن لا إله إلا الله، لقوله - تعالى -: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] الآية(٢).

● **قوله: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى»**: فيه ممَّا أمر به وشرعه من حقوق لا إله إلا الله، وهذا يدلُّ على أنَّ الأعمال من الإيمان، خلافًا للأشاعرة والمرجئة في قولهم: إنَّه القول، وزعموا أنَّ الإيمان هو مجرد التّصديق، وتركوا ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة؛ لأنَّ الدِّين ما أمر الله به فعلًا وما نهى عنه تركًا(٣).

وفيه الردّ على المشركين المستدلِّين على الشِّرك بكرامات الأولياء؛ لدلالتها على فضلهم، وأمير المؤمنين عليٌّ ﷺ وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره [وله من السّابقة والجهاد والفضائل ما ليس لغيره] وقد خدَّ الأخاديد وأضرمها بالنَّار وقذف فيها من غلا فيه، واعتقد فيه بعضَ ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم، فصار من أشدِّ الصَّحابة ﷺ بُعدًا عن الشِّرك وشدَّةً على من

(١) مثل ما حصل له في غزوة الخندق حيث قتل عمرو بن ود، وغزوة خيبر، كما في الحديث، وغيرهما.

(٢) في (ج) و(د) بعدها: «قوله: وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه».

(٣) في (ب): «شركًا»، وبعدها في (ب) و(د): «ونحوهم الذين زعموا أن الإيمان مجرد التصديق».

أشرك حتَّى حرَّقهم[١] بالنَّار[٢].

وكذلك عمر بن الخطاب، مع ما أُعطي من الكرامات، صار من أبعدِ الصَّحابة عن الشِّرك وذرائعه، وهؤلاء[٣] أفضل أهل الكرامات فما زادهم ذلك إلَّا قوَّة في التَّوحيد، وشدَّةً على أهل الشِّرك والتَّنديد، كما جرى لعمر ﷺ في الاستسقاء بالعبَّاس[٤]، وتعمية قبر دانيال لمَّا وجده الصَّحابة في بيت مال الهرمزان[٥]، كما أنَّ المعجزات إنَّما زادت الرُّسل قوة في الدَّعوة إلى التَّوحيد شدَّة على أهل الشِّرك والإنكار عليهم وجهادهم، لكن قد يقع من الأحوال الشَّيطانية لمن استحوذ عليه[٦] الشَّيطان، فأنساه ذكر ربه ما قد يلتبس

---

(١) في (ب) و(ج) و(هـ): «أحرقهم».

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» ص (١٨٧) وابن الأعرابي في «معجمه» (١/ ٦٨)، وأصل القصة في «صحيح البخاري» برقم (٣٠١٧).

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «وهما».

(٤) أخرج البخاري برقم (١٠١٠) عن أنس: أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحط استسقى بالعبَّاس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقِنا. قال: فيسقون.

(٥) أسندها ابن إسحاق في «مغازيه» ص (٤٣)، وأخرجها البيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٨١)، وذكر القصة ابن كثير في «البداية والنهاية»، وقال: «وهذا إسناده صحيح إلى أبي العالية». وعزاها ابن تيمية في «الرد على البكري» (١/ ٩٢) للبيهقي في «الشعب». وقال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٩٩ تحقيق العقل): «على أنا قد روِّينا في مغازي ابن إسحاق من زيادات يونس بن بكير، عن أبي خلدة خالد بن دينار، حدثنا أبو العالية قال:» فذكره.

(٦) في (ب): «عليهم».

على الجهال الذين قد تلبسوا بالشِّرك ويظنّون أنَّ ذلك كرامات، وهي من مكر الشَّيطان وإغوائه[1] لمن لم يعرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال. وقد قال - تعالى - لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

فكذلك يجب على كلِّ أحدٍ أن يطلب الحقَّ من القرآن بتدبُّره، فإنه الصِّراط المستقيم، ولا يلتفت إلى ما زخرفته الشَّياطين، كما[2] اغترَّ به من اغترَّ في هذه الأمَّة ومن قبلهم.

قال العلَّامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

حَذِّقْ بقلبك في النُّصوصِ كَمثلِ مَا
قَدْ حَذَّقُوا في الرَّأْيِ طُولَ زَمَانِ
واتْرُكْ رُسومَ الخَلْقِ لا تَعْبأ بِهَا
فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ دَبَرَانِ[3]

● **قوله[4]: فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه.**

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «الشياطين وإغوائهم».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «ممن».
(٣) قول العلَّامة ابن القيِّم في «الكافية الشافية» (٤٢٤٥).
(٤) في الأصل و(ب) جاء هذا التعليق بعد بيتي ابن القيم، وفي (هـ) جاء التعليق قبل قوله: «وفيه الرد على المشركين المستدلِّين على الشرك» ص (١٥٨). والمثبت من (ط) مع بيان الفروقات بين النسخ.

قال المصنِّف[١] - رحمه الله [تعالى] -: فيه الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع [لها]، ومنعها عمَّن سعى [لها].

● قوله: «يشتكي عينيه»، أي: من الرّمد، كما في «صحيح مسلم»[٢]: فأُتي به أرمد... الحديث.

● قوله: «فأرسل إليه»، أي: النَّبي ﷺ أرسل إليه من يأتيه به، وفي «صحيح مسلم» أنَّ الذي جاء به سعد بن أبي وقاص[٣]، وفي رواية عن إياس[٤] بن سلمة عن أبيه: أنَّ الذي جاء به سلمة[٥] رضي الله عنه.

● قوله: «فبصق في عينيه»، أي: تفل.

● قوله: «فدعا له فبرأ»، هو بفتح الراء والهمزة، أي: عوفي في الحال عافية كاملة، وذلك بدعوة النَّبي ﷺ كما في الحديث: فدعا له فاستجيب له عليه السلام، وفيه علم من أعلام النُّبوّة أيضًا، وذلك كلُّه بالله ومن الله وحده، وهو الذي يملك الضرَّ والنفع والعطاء والمنع، لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

● قوله: «انفذ»، هو بضم الهمزة والفاء.

---

(١) أي الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهي المسألة الثالثة والعشرون من مسائل هذا الباب من كتاب التوحيد ص (١٤). وكلمة «المصنف»، رسمت في (أ) هكذا: «المص». وكأنها اختصار.

(٢) برقم (٢٤٠٤/ ٣٢).

(٣) «صحيح مسلم» برقم (٢٤٠٤) من حديث عامر بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص.

(٤) في (ج): «أنيس».

(٥) صحيح مسلم» برقم (١٨٠٧).

● **قوله: «على رسلك»**، أمره أن يسير إليهم بأدب وأناة.

«حتَّى تنزل بساحتهم»، السَّاحة هي ما قرب من حصونهم.

● **قوله: «ثم ادعُهم إلى الإسلام»** هذا هو شاهد التَّرجمة، وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بجهادهم: هداية الخلق إلى **الإسلام والدخول فيه، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيَّتهم.**

[و] قال شيخ الإسلام: «دين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب، والخضوع لله وحده بعبادته [لا شريك له] دون ما سواه. فمن عبده وحده وعبد معه إلهًا آخر[1] لم يكن مسلمًا، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا... وأمَّا الإيمان فأصله تصديق القلب، وإقراره ومعرفته»[2]. [والأعمال كلها من مسمَّى الإيمان][3].

● **قوله: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله - تعالى - فيه»**، من أداء الفرائض على الوجه الشرعي والنهي عن تعدي الحدود التي حدها الله بين الحلال والحرام وذلك من الإيمان [خلافا للأشاعرة والمرجئة ونحوهما][4] فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرَّمه الله

(١) في (ب) و(ج) و(د): «غيره».
(٢) «الفتاوى» لشيخ الإسلام (٧/ ٢٦٣).
(٣) ما بين المعقوفتين ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية. وفي (ب) و(ج) و(د): «خلافًا للأشاعرة والمرجئة ونحوهما».
(٤) من قوله: «خلافًا للأشاعرة» إلى هنا. ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية.

والدين ما شرعه الله. فإذا أخذ بالإسلام الذي هو التوحيد والإخلاص، وأحلَّ ما أحله الله وحرَّم ما حرَّمه الله والدين ما شرعه الله، فإذا أخذ بالإسلام وأمر بذلك وجاهد عليه فقد قام بما وجب، وباب التوفيق.

● قوله: «فوالله»، فيه جواز الحلف[(١)]، حلف المفتي عِلى ما أفتى[(٢)] به[(٣)].

● **قوله: «[فوالله] لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النَّعم»**، حمْر[(٤)] - بسكون الميم -[(٥)] والإبل الحمر وهي أنفس الأموال عند العرب.

وفيه التَّرغيب في الدَّعوة إلى الله وطلب الهداية لمن أراد الله هدايته، ليحصل للدَّاعي إلى الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدى، فلا ينبغي التَّفريط في هذه المطالب العالية. وبالله التوفيق.

● **قوله: «يدوكون: أي يخوضون»**، بين المصنِّف، [رحمه الله تعالى] - معنى هذه اللفظة[(٦)]، بأنَّ المراد: خوض السَّامعين في هذا

---

(١) في (أ): «فيه جواز الحلف على ما أفتى به».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «غيبًا».
(٣) من قوله: «فوالله» إلى هنا جاء في (ب) و(ج) بعد قوله: «حمر النعم»، وقيل: قوله: «حمر النعم».
(٤) في (ج) و(د): «قوله: حمر»، وفي (ب) و(د) جاء بعدها: «النعم».
(٥) في (ب) و(ج) و(د) جاء بعدها: «حمر النعم».
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «الكلمة».

الخير، وتمنِّي حصوله[1]، والله أعلم.

(١) قال في «لسان العرب» (١٠/ ٤٣٠) مادة (دوك): «... أي يخوضون ويموجون ويختلفون فيه، والدوك: الاختلاط، وقع القوم في دَوكةٍ ودُوكة وبوح، أي وقعوا في اختلاط من أمرهم وخصومة وشر»...
وبيَّن ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» (٢/ ٣١٤) مادة (دوك) أن الدال والواو والكاف أصل واحد يدل على ضغطٍ وتزاحم.

٥ - باب
تفسير التَّوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا الله

● قوله: «باب تفسير التَّوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله».

● وقوله: «وشهادة أن لا إله إلَّا الله» من عطف الدَّالّ على المدلول؛ لأنَّ التَّوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة، وذلك يتبيَّن بما ساقه من الأحاديث والآيات[1]، لما فيها من زيادة البيان وكشف ما أشكل من ذلك، وإقامة الحجة على من غالط[2] في معنى لا إله إلا الله من أهل الجهل والإلحاد.

وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية.

● قوله[3]: «وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]»، أي: أولئك الذين يدعوهم أهل الشِّرك ممن لا يملك كشف الضرِّ ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصَّالحين، كالمسيح وأمِّه، والعُزير، فهؤلاء دينهم التَّوحيد، وهو بخلاف دين من دعاهم من دون الله ووصفهم بقوله:

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(ط): «الآيات والحديث».
(٢) في (د): «غلط».
(٣) بياض في (ج).

﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فيطلبون القربَ من الله بالإخلاص له، وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه.

وأعظم القربات[١]: التَّوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وأوجب عليهم العمل به والدَّعوة إليه، وهو[٢] الذي يُقرِّبهم إلى الله، أي: إلى عفوه ورضاه، ووصف ذلك بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فلا[٣] يرجون أحدًا سواه - [تعالى] - ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده[٤]؛ لأنَّ ذلك يمنعهم من الشِّرك ويوجب لهم الطَّمع في رحمة الله والهرب من عقابه، والدَّاعي لهم والحالة هذه قد عكس الأمر، وطلب منهم ما كانوا ينكرونه من الشِّرك بالله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]. وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٦]، وفيه[٥] الرَّدّ على من ادَّعى أنَّ شرك المشركين، إنَّما هو بعبادة الأصنام، وتبيَّن بهذه الآية أنَّ الله أنكر على من دعا معه غيره من الأنبياء، والصَّالحين، والملائكة، ومن[٦] دونهم، وأنَّ دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع، أو دفع ضرٍّ من الشِّرك الأكبر، الذي لا يغفره الله، وأنَّ ذلك ينافي ما دلَّت عليه

---

(١) في (هـ): «القربة».
(٢) في (هـ): «هذا».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «ولا».
(٤) في (ج): «التوحيد».
(٥) في (ب) و(ج) و(د): «ففيه».
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «فمن».

كلمة الإخلاص.

فتدبَّر هذه الآية العظيمة يتبيَّن لك التَّوحيد، وما ينافيه من الشِّرك والتَّنديد، فإنَّها نزلت فيمن يعبدُ الملائكة والمسيح وأمَّه والعُزير، فهم المعنيُّون بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].

ثم بيَّن - تعالى - أنَّ هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه، فقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقدَّم المعمول؛ لأنَّه يفيد الحصر، يعني: يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة لا إلى غيره. وأعظم الوسائل إلى الله - تعالى - التَّوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وخلق الخلق لأجله.

ومن التَّوسُّل إليه: التَّوسُّل إليه بأسمائه وصفاته، كما قال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وكما[1] ورد في الأذكار المأثورة من التَّوسُّل بها في الدَّعوات كقوله: اللهمَّ إنِّي أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلَّا أنت المنَّان، بديع السَّموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام»[2].

---

(١) في (ج) و(د): «كما».
(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٨)، وأخرجه أبو داود في «سننه» برقم (١٤٩٥)، والنسائي في «سننه» برقم (١٣٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٧٥) برقم (٨٩٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٤٠٤)، كلهم من طريق خلف بن خليفة، عن حفص بن عمر ابن أخي أنس، عن أنس به. =

• وقوله: «اللهمَّ إنِّي أسألك بأنَّك أنت الله[(١)] لا إله إلا أنت، الأحد الصَّمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»[(٢)]، وغير ذلك من الأعمال الصَّالحة الخالصة، التي لم يشُبها شرك، فالتَّوسُّل إلى الله هو بما يحبُّه ويرضاه، لا بما يكرهه ويأباه من الشِّرك الذي نزَّه نفسه عنه بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الطُّور: ٤٣]، وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٨]،

= وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٠)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٨٥٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ١٩٠) من طريق وكيع، عن أبي خزيمة، عن أنس به.
وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٤٤) من طريق عاصم الأحول وثابت، عن أنس. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، من حديث ثابت، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أنس». وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٤١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ٣٩) عن أبي الدرداء. ولفظ حديثهم أنَّ النبي ﷺ سمع رجلًا يدعو به، فقال: «لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

(١) العبارة في (هـ): «أسألك بأن لك الحمد».
(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٦٠)، وأبو داود في «سننه» برقم (١٤٩٣)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٤٧٥)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٨٥٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ١٨٩)، والطبراني في «الدعاء» (١١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٠٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. كلهم من طريق مالك بن مغول، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه به، وفيه: فقال ﷺ بعد أن سمع رجلًا يدعو: «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٢٨) في تعيينه للاسم الأعظم: «هو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك».

وقوله في الإنكار على من اتخذ الشُّفعاء: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يُونس: ١٨].

وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، يأمر عباده بإخلاص العبادة له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، ويعظِّمه ويعظِّم عقوبته، كما قد جرى على الأمم المكذِّبة للرّسل فيما جاؤوهم به من التَّوحيد والنَّهي عن الشِّرك [فلم يقبلوا]، فأوقع الله - [تعالى] - بهم ما أوقع، كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم، فإنَّهم عصوا الرُّسل فيما أمروهم به من التَّوحيد، وتمسَّكوا بالشِّرك، وقالوا لنوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هـود: ٢٧]، وقـالـوا لـهـود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هـود: ٥٣] الآيات، وقالوا لصالح: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هـود: ٦٢] [الآيات][١]، فتدبَّر ما قصَّ الله - تعالى - في كتابه ما[٢] دعت إليه الرسل وما أوقع[٣] بمن عصاهم، فإنَّ الله - تعالى - أقام به الحجَّة على كلِّ مشرك إلى يوم القيامة.

وأما ما ورد في معنى الآية عن ابن مسعود قال: [ناس من

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) مكانها: «وقالوا لشعيب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هـود: ٨٧]، وجاء في (ب) بعدها: «الآية»، وتمم الآية في (ج) و(د) بقوله تعالى: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ [هـود: ٨٧].

(٢) في (هـ): «مما».

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «وقع».

الجن[١] يُعبدون فأسلموا[٢]. وفي رواية: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسَّك هؤلاء بدينهم[٣].

قلت: وهذا لا يخالف ما تقدَّم؛ لأنَّ هذه الآية حجَّة على كلِّ من دعا مع الله وليًا [لله] من الأوَّلين والآخرين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في هذه الآية: «وهذه الأقوال كلُّها حق، فإنَّ الآية تعمُّ من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر»[٤].

> وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] الآية.

• وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] الآية[٥]. الكلمة: هي لا إله إلَّا الله بإجماع أهل العلم[٦]، وقد عبَّر عنها الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ بمعناها الذي أُريد بها [ووُضعت له]، فعبَّر عن المنفي [بها] بقوله:

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «كانوا».
(٢) والأثر أخرجه البخاري برقم (٤٧١٥).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٤)، ومسلم برقم (٣٠٣٠). وجاء العبارة في (هـ) هكذا: «قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم».
(٤) «الرد على البكري» (٢/ ٥٣٨).
(٥) في (ب) و(ج) و(د): ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨].
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «العلماء».

﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦﴾ [الزخرف: ٢٦]، وعبَّر عمّا أثبتته[١] بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧]، فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كلٍّ ما سواه ببراءته من ذلك، فما أحسن هذا التَّفسير لهذه الكلمة وما أعظمه.

قال العماد ابنُ كثير في قوله - [تعالى] -: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]: «أي: هذه الكلمة؛ وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلَّا الله [أي] جعلها [دائمة] في ذريَّته يَقتدي به فيها من هداه الله من ذريةِ إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤٨﴾ [الزخرف: ٤٨] أي إليها.

قال عكرمة ومجاهد والضَّحَّاك وقتادة والسُّدِّي وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]: يعني: لا إله إلَّا الله، لا يزال في ذرِّيته من يقولها»[٢].

وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية.

● وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الأحبار هم:[٣] العلماء، والرُّهبان: هم العبَّاد. وهذه الآية قد فسَّرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنَّه لمَّا جاء

(١) في (هـ): «أثبته».
(٢) «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٠٩).
(٣) في (د): «أحبارهم».

مسلمًا دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية، قال: فقلت[(١)]: إنَّهم لم يعبدوهم، قال: «**بلى، إنَّهم حرَّموا عليهم الحلال وحلَّلوا لهم الحرام فاتَّبعوهم، فذلك عبادتهم إيَّاهم**».

رواه أحمد، والتِّرمذيّ وحسَّنه، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني من طرق[(٢)]. قال السُّدِّي: استنصحوا الرِّجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١][(٣)].

---

(١) في (ب): «قلت»، وفي (ب) و(د) بعدها: «له».

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٣٧٨)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٠٩٥)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث».
وأخرجه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (١٠٠٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٩٢)، ورواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٥/ ٣٤) والواقدي في كتاب الردّة، وابن سعد في «الطبقات»، [جزء متمم الصحابة] (٦٤٢) برقم ٢٩١ ط مكتبة الصديق، الطائف، تحقيق الدكتور عبدالعزيز عبدالله السلومي، وابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٩)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (١٠/ ٢١١٦) وغيرهم كلهم من طريق عبد السلام بن حرب، عن غطيف بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن عدي به. وزاد البيهقي: فتلك عبادتهم. وحسَّن الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٧/ ٦٧).
وانظر: «الدر المنثور» (٤/ ١٧٤). وعبد بن حميد هو ابن نصر، أبو محمد، من حفاظ الحديث، من مصنفاته: تفسير القرآن، ومسند، وفاته عام ٢٤٩هـ الأعلام (٣/ ٢٦٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٧٨)، والسدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي صاحب التفسير والمغازي والسير. كان إمامًا عارفًا بأيام الناس، وثَّقه العجلي. مات سنة (١٢٧هـ). «الكاشف» (١/ ٢٤٧).

فصار ذلك عبادة لهم وصاروا به لهم أربابًا من دون الله، وقد قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠]، [و]قوله: ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١] أي: اتَّخذوه ربًّا بعبادتهم له من دون الله، وقد قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧]، فمن تدبَّر هذه الآيات تبيَّن له معنى لا إله إلَّا الله، وتبيَّن له التَّوحيد الذي جحده أكثر من يدَّعي العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخِّري هذه الأمَّة.

وقد عمَّت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة [المفضَّلة]، لمَّا وقع [من] الغلوِّ في قبور أهل البيت وغيرهم وبُنيت عليها المساجد، وبنيت لهم المشاهد، فاتَّسع الأمر وعظمت الفتنة في الشِّرك المنافي للتَّوحيد، لمَّا حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم بالعبادة(١)، فبهذه الأمور الَّتي وقع فيها الأكثر، عاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنَّة والسُّنَّة بدعة، نشأ على هذا الصَّغير وهرم عليه الكبير، وقد قال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعودُ غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون إذا فسد الناس**»(٢)، وفي رواية: «يُصلحون ما

(١) في (ب) و(ج) و(د): «في العبادة».

(٢) الحديث أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (٤/ ٧٣) من حديث =

أفسد النَّاس»[١].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥] الآية.

• قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥] الآية، الأنداد: الأمثال والنّظراء[٢]، كما قاله العماد ابن كثير وغيره من المفسِّرين.

فكلُّ من صرفَ من العبادةِ شيئًا لغير الله رغبةً إليه أو رهبة منه، فقد اتخذه ندًّا لله، لأنَّه أشرك[٣] مع الله فيما لا يستحقّه غيره - [تعالى] -.

قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله - [تعالى] -: «فتوحيد المحبوب

= عبد الرحمن بن سَنّة. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٥٢) من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع. وفي إسناده كثير بن مروان. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٥٠)، و«الصغير» برقم (٢٩٠) ومن طريقه الشهاب في «مسنده» (٢/ ١٣٩) عن سهل بن سعد الساعدي. وأصله في مسلم برقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ دون قوله: «الذين يصلحون إذا فسد الناس».
قال في «المجمع» (١/ ٢٩٧) عن كثير بن مروان: «كذَّبه يحيى والدارقطني». وفي (٧/ ٥٤٥) قال: «رواه عبد الله والطبراني وفيه: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وهو متروك».

(١) رواه الترمذي برقم (٢٦٣٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٦) من حديث عمرو ابن عوف المزني. وزاد بعد الناس: «بعدي من سنتي». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». والله أعلم.

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «أي النظراء». وقول ابن كثير هذا في «التفسير» (٢/ ١٤٢). وانظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٨).

(٣) في (ب): «أشركه».

أن لا يتعدَّد محبوبه، أي: مع الله بعبادته له، وتوحيد الحب: أن لا يبقى في قلبه بقيَّة حبٍّ حتَّى يبذلها له، فهذا الحب وإن سُمِّي عشقًا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلَّا بأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن تكون[1] محبته لغير الله تابعة لمحبة الله، فلا يحب إلَّا لله، كما في الحديث الصَّحيح: «ثلاث من كنَّ فيه...»[2] الحديث، ومحبّة رسوله هي من محبَّته، ومحبّة المرء إن كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مُضعِفة لها، ويُصدِّق هذه المحبة بأن تكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه، وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النَّار أو أشد.

ولا ريب أنَّ هذا من أعظم المحبة، فإنَّ الإنسان لا يقدِّم على محبّة نفسه [وحياته] شيئًا، فإذا قدَّم محبّة الإيمان بالله على نفسه، بحيث لو خُيِّر بين الكفر وإلقائه في النَّار؛ لاختار أن يُلقى في النَّار ولا يكفر، كان أحبَّ إليه من نفسه، [وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشَّاق من محبة محبوبهم، بل] ولا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلَّقت به، وهي محبَّة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النَّفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذُّلِّ والخضوع والتَّعظيم، والإجلال والطَّاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا. وهذا لا نظير له في محبَّة مخلوق ولو

(١) في (أ): «وأن يكون»، وفي (هـ): «وأن لا تكون».
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

كان المخلوق من كان، ولهذا من شرك[١] بين الله وبين غيره[٢] في المحبة الخاصَّة كان مشركًا شركًا لا يغفره الله، كما قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥].

والصَّحيح[٣]: أنَّ معنى الآية: أنَّ الذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله من أهل[٤] الأنداد لأندادهم، كما تقدَّم [بيانه] أنَّ محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا، كما لا يماثل محبوبهم غيره، وكلُّ أذى في محبَّة غيره فهو نعيم في محبَّته، وكلُّ مكروه في محبَّة غيره فهو قرَّة عين في محبته». انتهى[٥].

قلت: وهو قول مجاهد رحمه الله تعالى[٦] - وقال[٧] ابن القيِّم - رحمه الله تعالى - في «الكافية الشَّافية»:

وَحَيَاةُ قَلْبِ العَبْدِ في شيئينِ مَنْ
يُرْزَقْهُما يَحْيَا مَدَى الأَزْمَانِ

(١) في «الروضة» و(ب) و(ج) و(د) و(ط): «أشرك».
(٢) في (ب) و(د): «خلقه».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «وفي الصحيح».
(٤) في (هـ): «أصحاب».
(٥) «روضة المحبين» (٢٠٠ - ط دار الكتب العلمية) وما بين معقوفتين زيادة منه.
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٣/٢٧٩) حيث قال: «عن مجاهد في قوله تعالى ذكره: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥]: مباهاة ومضاهاة للحق بالأنداد. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥] من الكفار لأوثانهم».
(٧) في (ب) و(د): «قال».

ذِكْـرُ الإِلَـهِ وحـبُّـهُ مِـنْ غَـيْـرِ إِشْـــ
ـراكٍ بِـهِ وَهُـمـا فَـمُـمْـتَـنِـعَـانِ
مِنْ صَاحبِ التَّعْطِيلِ [حقًّا] كامتِنَا
عِ الطَّائرِ المقْصُوصِ مِنْ طَيَرانِ[(١)]

قال شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ما معناه: «فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجة أو تفريج كربة، لزم أن يكون محبًّا له، ومحبته هي الأصل في ذلك»[(٢)] [انتهى].

قلت: فمن أحبَّ مع الله غيره، لم ينفِ[(٣)] ما نفته لا إله إلا الله من الشِّرك، ولم يثبت ما أثبتته من التَّوحيد، بل قد جعل مع الله شريكًا في إلهيته لله، فتبيَّن[(٤)] أنَّ الإلهية هي العبادة، فنفيها عمّا سوى الله وإثباتها لله وحده بجميع أنواعها، هو معنى لا إله إلَّا الله كما تقدَّم بيانه[(٥)].

وفي «الصَّحيح» عن النبي ﷺ أنَّه قال: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم مالُه ودمُه، وحسابُه على الله ﷻ».

● **قوله[(٦)]: وفي «الصَّحيح»[(٧)] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «من قال: لا**

---

(١) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» برقم (٤١٢٣).
(٢) لم أقف عليه.
(٣) ذهبت مع التصوير من الأصل.
(٤) في (هـ): «وقد تبين».
(٥) من قوله: «قلت: وهو قول مجاهد . .» إلى هنا ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية.
(٦) في (أ) و(هـ) و(ط): «قال».
(٧) في (هـ): «الحديث».

إله إلَّا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ».

● قوله: في «الصَّحيح»، أي: «صحيح مسلم»[(١)]، عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ.. فذكره.

وأبو مالك اسمه سعد بن طارق، كوفي ثقة. مات في حدود الأربعين ومئة[(٢)].

● **قوله: «من قال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله»**، اعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ علَّق عصمة المال والدَّم في هذا الحديث بأمرين[(٣)]:

- **الأوَّل**: قول: لا إله إلَّا الله عن علم ويقين، كما هو قيد في قولها في غير ما حديث[(٤)].

- **والثَّاني**: الكفر بما يُعبد من دون الله، لكن ذكر في هذا الحديث «وكفر» تأكيدًا لما دلَّت عليه؛ لأنَّ المقام عظيم يقتضي التأكيد.

● **قوله: «حرم ماله ودمه وحسابه على الله ﷻ»**، فيه دليل أنَّه لا يحرم ماله ودمه إلَّا إذا قال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، فإن قالها ولم يكفر بما يُعبد من دون الله فدمه وماله حلال،

---

(١) برقم (٢٣).

(٢) انظر في ترجمته: «الثقات» لابن حبان برقم (٢٩٧٩)، و«ثقات» العجلي برقم (٥٦٥)، و«التقريب» لابن حجر ص (٢٣١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦/ ١٨٤).

(٣) في (هـ): «بأمرين في هذا الحديث».

(٤) انظر كلام الشارح في باب فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب.

لكونه لم يُنكر الشِّرك ويكفر به، ولم ينفِه كما نفته لا إله إلَّا الله. فتأمَّل هذا الموضع فإنه عظيم النَّفع.

قال شيخنا[(١)]: «وهذا من أعظم ما[(٢)] يبيِّن معنى لا إله إلَّا الله، فإنَّه لم يجعل التَّلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك؛ بل ولا كونه لا يدعو إلَّا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم دمه وماله[(٣)] حتَّى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله، فإن شكَّ أو تردَّد[(٤)] لم يحرم ماله ودمه. فيا لها [من] مسألة ما أجلَّها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع». انتهى[(٥)].

● قوله: **«وحسابه على الله ﷻ»** أي: الله - تعالى - هو الذي يتولَّى حسابهم[(٦)]، فإن كان صادقًا جازاه بجنَّات النَّعيم، وإن كان منافقًا عذَّبه العذاب الأليم.

وأمَّا في الدُّنيا فالحكم على الظَّاهر.

وأبوه[(٧)]: طارق بن أشيم بالمعجمة والمثناة التحتية، وزن أحمر

(١) في (ب) و(ج) و(د): «المصنف»، وقول الشيخ في آخر الباب من «كتاب التوحيد» ص (١٦).

(٢) في (ب) و(د): «مما».

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «ماله ودمه».

(٤) في (ط): «توقَّف».

(٥) كتاب «التَّوحيد» ص (٢٠ - ط الإفتاء).

(٦) كذا في الأصل، وفي (ط): «حسابه». وفي (هـ): كتب الناسخ فوقها: (به) أي: تقرأ (حسابه).

(٧) في (د): «وأبو».

بن مسعود الأشجعي، صحابي له أحاديث[١].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي مالك قال: وسمعته يقول للقوم: «من وحَّد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه. وحسابه على الله ﷻ»[٢]، وهذا الحديث الصَّحيح هو معنى قوله - تعالى -: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] وهي «لا إله إلا الله» والطَّاغوت: الشَّيطان وما أمر به من عبادة غير الله. قاله العماد ابن كثير[٣].

وقال العلَّامة ابن القيم: «الطَّاغوت ما تجاوز به العبد حدَّه، من معبود أو متبوع أو مطاع»[٤]. فمن لم يكفر بالطَّاغوت، لم يقل: لا

(١) طارق بن أشيم بن مسعود الأشجعي، روى عن النبي ﷺ أحاديث، روي له في مسلم حديثان. روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، روى عنه ابنه سعد. مات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين. انظر: «الطبقات» لابن سعد (٦/ ٣٧)، و«الإصابة» (٣/ ٥٠٧)، و«التقريب» ص (٢٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧٢)، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا أبو مالك الأشجعي، قال: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول. إذا أتاه الإنسان يقول: كيف يا رسول الله أقول حين أسأل ربي؟ قال -: «قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني». وقبض أصابعه الأربع إلَّا الإبهام. «فإنَّ هؤلاء يجمعن لك دنياك وآخرتك». قال: وسمعته يقول للقوم... فذكره.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٣١٨) من طريق شيخه الحسين بن إسحاق قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة قال: ثنا يزيد به. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ٥٧٧). ومن طريقه أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٣٩٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٦٦) من طريق عبد الله ابن الإمام أحمد، عن أبيه به. والحديث صحيح.

(٣) في «تفسيره» (١/ ٣١٢).

(٤) في «إعلام الموقعين» (١/ ٥٠).

إله إلَّا الله قولًا ينفع؛ لأنَّه لم يستمسك بها.

وقد تضمَّنت الجملة الأولى من «لا إله إلَّا الله» نفي الطَّاغوت بلا النَّافية؛ لأنَّها نفت الإلهية عن كلِّ ما سوى الله، وهذا هو الكفر بالطَّاغوت إذا قاله الإنسان عن علم ويقين كما تقدَّم بيانه، وقوله: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] هو معنى «إلَّا الله»[1]؛ لأنَّ الإيمان هو الإخلاص، كما قال - تعالى -: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣]، وقال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥] ونحو هذه الآيات يبيِّن[2] فيها أصل الإيمان والإسلام، وهو نفي الشِّرك وإخلاص العبادة لله وحده، فدلَّت هذه الكلمة على نفي الشِّرك والبراءة منه وإخلاص العبادة لله وحده، كما تقدَّم في قول الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزُّخرُف: ٢٦، ٢٧]، ومعنى هذه الكلمة هو الذي دعت إليه الرُّسل من أوَّلهم إلى آخرهم، كما تقدَّم في الآيات الَّتي في أوَّل الكتاب وغيرها.

وقد اشتبه معنى هذه الكلمة العظيمة التي هي الفارقة بين الكفر والإيمان، فظنَّ الأكثر أنَّها دلَّت على توحيد الرُّبوبيَّة، وأنَّه هو معناها كالأشعري وغيره من المتكلِّمين، قالوا: إنَّ الإله هو القادر على

---

(١) في (ب) و(د): «لا إله إلا الله».

(٢) في (ب): «بين»..

الاختراع. وهذا التَّوحيد[1] قد أقرَّ به المشركون من العرب وغيرهم، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ[2] لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩]، وقال - تعالى -: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١]، إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ١] وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥] الآيات، فلم يدخلهم هذا التَّوحيد في الإسلام؛ لأنَّهم جحدوا توحيد العبادة وهو توحيد القصد والطَّلب، كما قال - تعالى - في دعوة الرُّسل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، فأجابوه بقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقال: ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٢١﴾ [الأحقاف: ٢١]، وقال: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦]،

---

(١) في (ج): «وهذا هو التوحيد».

(٢) في (د): «خلق السموات والأرض».

وقال[١]: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: ٣١]، وقال: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾ [الرعد: ٣٦] والآيات في بيان هذا التَّوحيد الذي قد جحده الأكثرون أكثر من أن تحصر.

وفي حديث معاذ: «قال[٢]: **حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»، وقد تقدَّم الكلام عليه. وهذا هو التَّوحيد[٣] الذي دعا إليه رسول الله ﷺ وجاهد الخلق عليه وقاتل من لم يُقرَّ به وسبى ذراريهم ونساءهم، واستمرَّ الجهاد عليه في القرون الثَّلاثة، حتَّى حدث من الشِّرك ما حدث بالغلوِّ في أرباب القبور وبناء المساجد عليها والمشاهد، فعمَّت البلوى بهذا فأخذوا الشِّرك بدلًا عن التَّوحيد، فأنساهم ما وقعوا فيه من ذلك ما خلقوا له من التَّوحيد ودُعوا[٤] إليه، ولهذا جحده من جحده من هذه الأمَّة اتِّباعًا لسُنَّة[٥] من [كان] قبلهم من أعداء الرُّسل، فالحمد لله على بيانه بعد خفائه[٦]، فيا لها نعمة ما

---

(١) في (ب) و(د) بعدها: «﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وقال:».

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «فإن».

(٣) في (ب): «التوحيد هو»، وفي (د) بعدها: «هو».

(٤) في (ج): «ودعوة».

(٥) في (ب): «اتباع سنة».

(٦) في (ب): «إخفائه».

أجلّها لمن عرفه وقبله، ودان به وأحبَّه ودعا إليه(١). وبالله التوفيق، ويا خسارة من أنكره، وعادى من دان به كحال الأكثرين من الأمم، ومن بعدهم من هذه الأمَّة. نسأل الله [التوفيق و] العفو والعافية في الدنيا والآخرة(٢).

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

● قوله: «وشرح هذه التَّرجمة، ما بعدها من الأبواب»، فقد ذكر فيها ﵀ ما يبيِّن التَّوحيد وما ينافيه وما يقرِّب منه(٣) وما يوصل إليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السَّلف من بُعدهم عن الشِّرك في العبادة وشدَّة إنكارهم له وجهادهم على ذلك.

وقد جمع هذا الكتاب - على(٤) اختصاره - من بيان التَّوحيد ما لا يُعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبُّر، وكذلك الردّ على أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرَّدِّ على كل مبتدع، فتدبَّره تجد ذلك(٥) بيِّنًا.

وسيأتي التَّنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى [فيما يأتي من الأبواب].

---

(١) في (ب) و(د): «ودعا إليه وأحبه».
(٢) من قوله: «وأبوه طارق بن أشيم.. ص (١٩١) إلى هنا، ليس في الأصل و(هـ) و(ط)، وجاءت في (ب) و(ج) و(د) بعد قوله: «في حدود الأربعين ومئة» ص (١٩٠).
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «من الشرك».
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «مع».
(٥) طمست في (د).

٦ - باب
من الشِّرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

● قوله: «باب من الشِّرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه[(١)]» أي: لرفعه إذا نزل ودفعه قبل أن ينزل. يعني إذا كان هذا هو القصد فتعلَّق قلبه به في دفع ضر ما قد نزل، ومما لم ينزل، وقد صرَّحت الأحاديث بأنَّ هذا شرك بالله - [تعالى] -.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: ٣٨] الآية.

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ[(٢)] ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٨] قال مقاتل[(٣)]: فسألهم ﷺ فسكتوا؛ لأنَّهم لا يعتقدون ذلك فيها.

---

(١) طمست في (د).

(٢) سقطت من (د).

(٣) مقاتل هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ثم البلخي، أبو الحسن، من أعلام المفسرين، من مصنفاته «التفسير الكبير» و«نوادر التفسير» و«الرد على القدرية». توفي عام (١٥٠هـ) «الأعلام» (٧/ ٢٨١).
وقول مقاتل في «تفسير البغوي» (٤/ ٨٠)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٥٩ - ط دار عالم الكتب).

قلت: فإذا كان(١) آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لهاعلى أن تكشف(٢) ضرًّا أراده(٣) الله بعبده، أو تمسك رحمة أنزلها على عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله - تعالى - هو معبودهم وحده لزومًا لا محيد لهم عنه، وذكر - تعالى - مثل هذا السُّؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجَّه(٤) في الله، فقال: ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فأقام - تعالى - الحجَّةَ على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادةِ بضربِ الأمثالِ وغير ذلك، وهذا في القرآن كثير، كقوله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣]، وقال - تعالى -: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾(٥) [العنكبوت: ٤١، ٤٣]، وقال [تعالى]: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «كانت».

(٢) في (هـ): «على كشف».

(٣) في (ج): «أرادها».

(٤) في (د): «حاج».

(٥) من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١] إلى هنا ليس في =

دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النّحل: ٢٠، ٢١].

ذكر العماد ابن كثير - [رحمه الله تعالى] - في هذه الآية(١)، ما رواه ابن أبي حاتم عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصّنعاني عن ابن عبَّاس مرفوعًا: «**احفظِ اللهَ يحفَظْك، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجاهكَ، تعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يعرِفْكَ في الشِّدَّةِ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء [لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك](٢)، ولو اجْتمعُوا على أن ينفعُوكَ بشيءٍ لم يكتبْهُ اللهُ لكَ لم ينفعُوكَ، جفَّت الصُّحفُ ورُفِعتِ الأقلامُ. واعملْ للهِ بالشُّكرِ في اليقينِ، واعلمْ أنَّ في الصَّبرِ على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأنَّ النَّصْرَ معَ الصَّبرِ، وأنَّ الفرجَ معَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**»(٣).

= (ب) ومكانه: «الآية»، ومن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾ [العَنكبوت: ٤٢].. إلى هنا ليس في (د) ومكانه: «الآيتين».

(١) في «تفسيره» (١٢/ ١٣٢)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (١٨٣٩٥).

(٢) ما بين المعقوفتين في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «لم يكتبه الله عليك».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٠٧)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٥١٦)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٢١٦)، وأبو يعلى في «مسنده» إلى قوله: «وطويت الصحف»، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٣٨) كذلك، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٢٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١/ ٢١٤)، والشهاب في «مسنده» (١/ ٤٣٤) وغيرهم من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٤٦٠)، وفيه أيضًا: أن الحديث ورد عن آخرين كعلي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن جعفر، وفي أسانيدها كلها ضعف... وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيِّدة. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى رجُلًا في يدِهِ حَلْقةٌ من صُفْر فقال: «ما هذه؟» قال: من الواهِنَة. فقال: «انزِعْهَا فإِنَّها لا تزيدُكَ إلَّا وهنًا، فإنك لو مُتَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبدًا» رواه أحمد بسند لا بأس به.

● قوله: عن عمران بن حصين، أنَّ النبيَّ ﷺ رأى رجلًا في يدِهِ حلقة من صُفر، فقال: «ما هذه[(١)]»؟ قال: مِنَ الوَاهِنَةِ، [فـ] قال: «انزعْهَا فإنَّها لا تزيدُكَ إلَّا وهنًا، فإنَّك لو متَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبدًا»[(٢)]. رواه أحمد بسند لا بأس به.

---

(١) في (ب): «هذا».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٤٥)، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (٣٥٣١) إلى قوله: «وهنًا». وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٤٤٩) من طريق ابن فضالة عن الحسن عن عمران به. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٤٠) من طريق يونس، عن الحسن، عن عمران به، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٦) من طريق صالح الخزاز، وغيرهم عن الحسن، عن عمران به.
قال في «المجمع» (٥/ ١٧٦): «رواه أحمد والطبراني، وقال: «إن مت وهي عليك وكلت إليها». قال: وفي رواية موقوفة: انبذها عنك فإنك لو مت وأنت ترى أنها تنفعك لمتَّ على غير الفطرة. وفيه مبارك بن فضالة وهو ثقة، وبقية رجاله ثقات».
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وأقرَّه الذهبي، وحسَّن إسناده البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٤٠). وممن ذهب إلى تحسينه: الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأقرَّه الشيخ عبد الرحمن بن حسن كما هنا. والله أعلم.
وقد صرَّح الحسن بالتحديث في رواية الإمام أحمد، وروي موقوفًا. فقد رواه عبد الرزاق (٢٠٣٤٤) عن معمر. والطبراني (١٨/ ١٦٢) عن إسحاق العطار، وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٤٠) عن يونس وغيرهم، كلهم عن الحسن، عن عمران بن الحصين: أنَّه رأى في يد رجل حلقة من صُفر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، قال: لم تزدك إلَّا وهنًا، لو متَّ وأنت تراها نافعتك لمتَّ على غير الفطرة.

● قوله: «عن عمران بن حصين»، أي: ابن عبيد(١) بن خلف الخزاعي أبو نجيد - بنون وجيم مصغر - صحابي ابن صحابي. أسلم عام فتح خيبر، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة(٢).

● قوله: «رأى رجلًا»، في رواية الحاكم(٣): دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي(٤) حلقة [من] صفر، فقال: «ما هذه؟»... الحديث، فالمبهم في رواية أحمد هو: عمران راوي الحديث.

● قوله: «ما هذه؟» الظَّاهر أنَّه للإنكار عليه.

● قوله: «من الواهنة»، قال أبو السَّعادات(٥): «الواهنة: عرق يأخذ في المنكب، وفي اليد كلِّها فيرقى منها، وقيل: هو مرض يأخذ

= وقد روي هذا الحديث عن أبي أمامة وثوبان ﷺ. فأما حديث أبي أمامة فرواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٦٧)، وحديث ثوبان أخرجه الطبراني أيضًا في «المعجم الكبير» (٢/ ٩٩)، والدولابي في «الكنى» (٢/ ٥٩٤) برقم (١٠٦٥)، والحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١٠٥٥).

(١) في (ب): «أبي عبد الله».

(٢) في (ب): «بالبصرة سنة ٥٢»، وانظر: ترجمة عمران ﷺ في «الإصابة» (٤/ ٧٠٥).

(٣) رواية الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٠)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وأقرَّه الذهبي.

(٤) في (ب) و(ج) و(د): «يدي».

(٥) هو المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، أبو السعادات الجزري اللغوي الأصولي. مات سنة (٥٤٤هـ). «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٣٦٦)، و«الأعلام». وقوله هذا في «النهاية» (٥/ ٢٣٤).

في العضد، وهي تأخذ الرِّجال دون النِّساء».

وإنَّما نهاه عنها لكونه يظن بأنَّها[(١)] تمنع[(٢)] عنه هذا الدَّاء وترفعه[(٣)]، فأمره [النَّبي] ﷺ بنزعها لذلك، وأخبر أنَّها لا تزيده إلَّا وهنًا، فإنَّ المشرك يعامل بنقيض قصده؛ لأنَّه علَّق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، فإذا كان هذا فيمن تعلَّق بحلقة [من] صفر فما الظَّنُّ بما هو أطمُّ وأعظم؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطَّواغيت وغيرها، كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل.

قال المصنِّف[(٤)] رحمه الله تعالى[(٥)] -: «فيه شاهد لكلام بعض الصَّحابة أنَّ الشِّرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنَّه لم يعذر[(٦)] بالجهالة».

● **قوله[(٧)]: «فإنَّك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا»**، والفلاح هو الفوز والظَّفر والسَّعادة.

● **قوله: «رواه أحمد بسند لا بأس به»**. وهو الإمام أحمد بن محمد [بن حنبل] بن هلال بن أسد الشّيباني، أبو عبد الله المرزوي ثم البغداديّ، إمام أهل عصره وأعلمهم بالفقه والحديثِ وأشدّهم

---

(١) في (ب) و(هـ): «أنها».
(٢) في (ب) و(د): «تدفع».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «أو ترفعه».
(٤) تقدم أنها رسمت في (أ) هكذا: المص.
(٥) هي المسألة الثانية والثالثة من هذا الباب في كتاب التوحيد ص (١٧).
(٦) في (ب): «يعذره».
(٧) كذا في (أ) وجميع النسخ، وفي (ط): «لقوله».

ورعًا، ومتابعة للسنّة وهو الذي [كان] يقول فيه بعض أهل السُّنَّة: عن الدُّنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته الدُّنيا فأباها، والشُّبَه(١) فنفاها(٢).

روى عن: الشَّافعيِّ ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى القطان وابن عيينة وعبد الرزاق، وخلق لا يُحصون. مات سنة إحدى وأربعين ومئتين، وله سبع وسبعون سنة رحمه الله تعالى(٣).

وله عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا: «من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له». في رواية: «من تعلَّق تميمة فقد أشرك».

● **قوله: «وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له»(٤).**

---

(١) في (ب) و(ج): «الشبهة».

(٢) القائل هو أبو عمير عيسى بن محمد بن عيسى (ت ٢٧٦ هـ) كما في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٣).

(٣) انظر ترجمته في «الطبقات» لأبي يعلى (١/ ٨)، و«السير» (١١/ ١٧٧)، و«تاريخ بغداد» (٦/ ٩٠) وغيرها. وقد أفرده جمع من العلماء بترجمة مستقلة منهم البيهقي وابن الجوزي في كتابه «المناقب»، وهو مطبوع.

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٤)، وأبو يعلى (٣/ ٢٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤١٧)، والدولابي في «الكنى» (٢/ ١١٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ١٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٦٠٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥٠) وغيرهم، كلهم من طريق حيوة بن شريح، عن خالد ابن عبيد، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة به. وفي الإسناد خالد بن عبيد، متكلَّم فيه لم يوثِّقه إلَّا ابن حبان. وجاء من طريق آخر عند الطبراني في «مسند الشاميين» =

وفي رواية: «من تعلَّق تميمة، فقد أشرك»(١).

عقبة بن عامر صحابي مشهور، فقيه فاضل، ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريبًا من السِّتِّين(٢).

وفي هذا الحديث(٣) التَّصريح بأنَّ تعليق التَّمائم شرك، لما(٤)

= برقم (٢٣٤) قال: ثنا موسى بن جمهور التنيسي، ثنا أحمد بن عبود، ثنا الوليد ابن الوليد ثنا ابن ثوبان، عن أبي سعيد، عن عقبة به. وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (٢٨٩) لكن في الإسناد ابن لهيعة.
وقد صحَّح الحديث الحاكم، وأقرَّه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٣): «رجالهم ثقات». وجوَّد إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣٠٦).
والودع قال في «فيض القدير» (٦/ ١٨١): قال في «مسند الفردوس»: «شيء يخرج من البحر شبه الصدف يتَّقون به العين».

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣١٩) دون قوله: «من علق».
وأخرجه الحارث في «مسنده» (٢/ ٦٠١) برقم (٥٦٣). قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٣): «رواة أحمد ثقات». قال الشيخ سليمان بن عبد الله في كتابه «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٣١٠ ط دار الصميعي): وقوله: «وفي رواية هذا يوهم أنَّ هذا في بعض روايات الحديث المذكور، وليس كذلك، بل المراد أنه في حديث آخر رواه الإمام أحمد أيضًا فقال». وساق سنده: «أنَّ رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط. فبايع تسعة وأمسك عن واحد. فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ قال: «إنَّ عليه تميمة». فأدخل يده فقطعها، فبايعه. وقال: فذكره.
والتمائم كما في «النهاية» (١/ ١٩٧): «جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام».

(٢) انظر ترجمته في «الإصابة» (٤/ ٥٢٠)، و«الحلية» (٢/ ٨).

(٣) في (هـ): «وهذا الحديث فيه التصريح»، وفي (ب) و(ج) و(د) بعدها: «فيه».

(٤) في (ب) و(ج) و(د): «بما».

يقصده من علَّقها لدفع ما يضرُّه أو جلب ما ينفعه، وهذا أيضًا ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إله إلا الله؛ لأنَّ المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله، كما تقدَّم في قوله - [تعالى] -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النِّسَاء: ١٢٥]، فكمال التَّوحيد لا يحصل إلَّا بترك ذلك، وإن كان من الشِّرك الأصغر فهو عظيم، فإذا كان هذا قد خفي على بعض الصَّحابة رضي الله عنهم في عهد النّبوّة فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب، بعد ما حدث في الأمَّة[(١)] ما حدث من البدع والشِّرك؟!! كما في الأحاديث الصَّحيحة، وتقدَّمت الإشارة إلى ذلك.

وهذا ممّا يبيِّن معنى لا إله إلا الله[(٢)] أيضًا، فإنَّها نفت كل الشِّرك قليله وكثيره، كما قال - تعالى -: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٨].

● **قوله: «فلا أتمَّ الله له»** دعاء عليه. وكذلك قوله: **«فلا ودع الله له»** أي: لا جعله في دعة وسكون[(٣)].

---

(١) في (ب) و(د): «الأمم».
(٢) في (هـ): «وهذا مما تنفاه لا إله إلَّا الله».
(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ١٦٧).

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنَّه رأى رجلًا في يده خيطٌ من الحُمَّى فقطعه. وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

● قوله: «ولابن أبي حاتم عن حذيفة - [رضي الله تعالى عنه] - أنَّه رأى رجلًا في يده خيط من الحمَّى، فقطعه وتلا قوله - [تعالى] - : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]»[(١)].

ابن أبي حاتم، هو الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس المرادي التميمي الحنظلي، [الحافظ]، صاحب الجرح والتَّعديل والتَّفسير وغيرهما، مات سنة سبع وعشرين وثلاث مئة[(٢)].

وحذيفة هو ابن اليمان، واسم اليمان: حُسَيل - بمهملتين مصغر - ويقال: حِسْل - بكسر ثم سكون - العبسي[(٣)] - بالموحدة - حليف الأنصار، صحابي جليل من السَّابقين، ويقال له: صاحب السِّر، وأبوه أيضًا صحابي[(٤)]. مات حذيفة في أوَّل خلافة علي سنة ست وثلاثين[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٠٨)، وفي الإسناد عزرة. وهل سمع من حذيفة أم لا؟ وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» في موضعين عن حذيفة (١٢/ ٤١ - ٤٢)، وانظر «تفسير ابن كثير» (٨/ ٨٤)، وقد تصحَّفت فيه عزرة إلى عروة.

(٢) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٦٣).

(٣) في (ب) و(د) بعدها: «البيني».

(٤) في (هـ): «صحابي أيضًا».

(٥) انظر: «الإصابة» (٢/ ٤٤).

● قوله: «رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يُوسُف: ١٠٦]». فيه دليل على أنَّ هذا شرك، وأنَّ الصَّحابة ﷺ يستدلُّون بالآيات التي نزلت في الشِّرك الأكبر على الشِّرك الأصغر؛ لدخوله في [عموم] الشِّرك المنهي عنه في الآيات والأحاديث عمومًا وخصوصًا، لما[(١)] قد عرفت أنَّه ينافي كمال الإخلاص إذا كان مثل هذا، وقد خافه [النبي] ﷺ على أصحابه كما تقدَّم في قوله: «أخوفُ ما أخافُ عليكم الشِّرك[(٢)] الأصغر»[(٣)].

فإذا كان يقع مثل هذا في تلك القرون المفضَّلة، فكيف يؤمن أن يقع ما هو أعظم منه؟ لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظم ممَّا وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية مما قد تقدَّم التَّنبيه عليه، حتَّى إنَّ كثيرًا من العلماء في هذه القرون اشتدَّ نكيرهم على من أنكر الشِّرك الأكبر، فصاروا هم والصَّحابة ﷺ في طرفي نقيض، فالصَّحابة ينكرون القليل من الشِّرك، وهؤلاء ينكرون على من أنكر الشِّرك الأكبر، ويجعلون النهي عن هذا الشِّرك بدعة وضلالة!!

وكذلك كانت حال الأمم[(٤)] مع الأنبياء والرُّسل جميعهم، فيما

---

(١) في (ب) و(د): «كما».
(٢) في (د): «والشرك».
(٣) تقدم تخريجه ص (١٥٥).
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «حالهم».

بعثوا به من توحيد الله - تعالى - وإخلاص العبادة له وحده، والنَّهي عن الشِّرك به .

وقد بعث الله - تعالى - خاتم رسله[١] محمدًا ﷺ بذلك، كما بعث به من قبله، فعكس هؤلاء المتأخِّرون ما دعا إليه رسول الله ﷺ مشركي العرب وغيرهم، فنصر هؤلاء ما نهى عنه من الشِّرك غاية النُّصرة، وأنكروا التَّوحيد الذي بعث به غاية الإنكار، فإنه ﷺ لما قال لقريش: «قولوا[٢]: **لا إله إلا الله تفلحوا**»[٣]، عرفوا معناها الذي

(١) في (ب): «الرسل».

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «وقالوا».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٩٢؛ ٤/ ٣٤١)، وابنه عبد الله في «الزوائد» (٣/ ٤٩٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ٦١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥)، والدينوري في «المجالسة» (٤/ ١٣٥) برقم (١٣٠٤) وغيرهم، كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن ربيعة بن عباد الديلي.
قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٠): «رواه أحمد وابنه والطبراني في «الكبير» بنحوه، و«الأوسط» باختصار بأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال».
وأخرجه أبو يعلى في «المفاريد» برقم (١٠٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «صحيح». وأخرجه الدارقطني في «سننه» (٣/ ٤٤)، وابن حبان (١٤/ ٥١٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٨٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٣٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٤٢)، وغيرهم، كلهم من طريق أبي صخرة جامع بن شداد، عن طارق المحاربي به. وصحَّحه البوصيري. وانظر: «المجمع» (٦/ ٢٣). وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٧١)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٨٦)، وفيه: أبو جهل بدل أبو لهب. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٤٥ ط دار ابن كثير): «كذا قال: أبو جهل، والظاهر =

وضعت له وأريد منها، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] الآيات. و[قد] قال - تعالى -[١]: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ[٢] ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصَّافات: ٣٥، ٣٦].

وفي «صحيح البخاري»[٣] وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النَّبي ﷺ قال له: فماذا[٤] يأمركم؟ قلت[٥]: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول[٦] آباؤكم، ويأمرنا بالصَّلاة والصَّدقة[٧] والعفاف والصِّلة.

= أنه أبو لهب». روياه من طريق أشعث قال: حدثني شيخ من بني مالك بن كنانة». وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٢): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». وروي عن غيرهم.

(١) في (ب) و(ج) و(د): «وقوله».
(٢) في (ب) بعدها: «الآية»، وفي (ج) و(د): ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصَّافات: ٣٦].
(٣) برقم (٧).
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «ماذا».
(٥) في (ب) و(ج) و(د): «قال».
(٦) في (ج) و(د): «يقوله».
(٧) في (ب) و(د): «الصدق».

٧ - باب
ما جاء في الرقى والتمائم

● قوله: «باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم»، أي: من النَّهي عمَّا لا يجوز من ذلك.

في الصَّحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنَّه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «أن لا يبقينَّ في رقبة بعير قلادةٌ من وتر أو قلادة إلا قطعت».

● قوله: «وفي الصَّحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنَّه كان مع النَّبيِّ(١) ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «أن لا يبقينَّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قُطعت». هذا الحديث في الصَّحيحين(٢).

واسم(٣) أبي بشير: قيس بن عبيد. قاله ابن سعد(٤).

وقال ابن عبد البر(٥): «لا يوقف له على اسم صحيح»(٦)، وهو

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «رسول الله».
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٥)، ومسلم برقم (٢١١٥).
(٣) في (ج) و(د): «اسم».
(٤) هو محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم أبو عبد الله. مؤرخ ثقة. صحب الواقدي مدة. مات سنة (٢٣٠هـ)، وقوله هذا في «الطبقات» (٨/ ٤٢٣).
(٥) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، أبو عمر القرطبي المالكي، الحافظ المؤرخ. له العديد من المصنفات. مات سنة (٤٦٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٥٣).
(٦) «الاستيعاب» (٤/ ١٦١٠)، وانظر ترجمة أبي بشير فيه.

صحابي شهد الخندق، ومات بعد الستِّين، ويقال: إنَّه جاوز المئة.

● **قوله: «فأرسل رسولًا»**، هو زيد بن حارثة، روى ذلك الحارث ابن أبي أسامة في «مسنده». قاله الحافظ(١).

● **قوله: «أن لا يبقين»** - بفتح الياء والقاف - ويحتمل أن يكون - بضم الياء(٢) وكسر القاف -. والوَتَر - بفتحتين - واحد أوتار القوس. وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلَّدوا به الدواب؛ اعتقادًا منهم [بهذا] أنَّه يدفع(٣) عن الدابَّة العين، ولهذا أمر [النَّبيُّ] ﷺ بقطع الأوتار التي عُلِّقت على الإبل، لِما كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها.

● **قوله: «أو قلادة إلَّا قُطعت»** يحتمل أن يكون شكًّا(٤) من الرَّاوي. ولأبي داود(٥): «ولا قلادة» بغير شك، فعلى هذه الرِّواية تكون أو بمعنى الواو.

---

(١) هو الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، ولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، ورحل في سبيل ذلك. تصانيفه كثيرة. مات سنة (٨٥٢هـ). «الضوء اللامع» (٢/ ٣٦)، و«البدر الطالع» (١/ ٨٧).
وقوله هذا في مقدمة «الفتح» «هدي الساري» ص (٢٩١). قوله: في بعض أسفاره. قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ١٤١): «لم أقف على تعيينها».

(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «الياء المثناة».

(٣) في (هـ): «يرفع».

(٤) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «ذلك شك».

(٥) هذه الرواية أخرجها أبو داود في «سننه» برقم (٢٥٥٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٢٩٤).

قال البغوي[١] في «شرح السنة»: «تأوَّل مالك أمره ﷺ بقطع القلائد على أنَّه من أجل العين، وذلك أنَّهم كانوا يشدُّون تلك الأوتار والتَّمائم والقلائد، ويعلِّقون عليها العُوَذ، يظنّون أنَّها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النَّبيُّ ﷺ عنها، وأعلمهم أنَّ الأوتار[٢] لا تردُّ شيئًا من أمر الله»[٣].

قال أبو عبيد[٤]: «كانوا يقلِّدون الإبل الأوتار لئلَّا تُصيبها العين، فأمرهم النبيُّ ﷺ بإزالتِها، إعلامًا لهم بأنَّ الأوتار لا تردُّ شيئًا»[٥].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود.

● **قوله: «وعن ابن مسعود ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتّولة شركٌ» رواه أحمد وأبو داود».** ولفظ[٦] أبي

---

(١) هو الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ، الحسين بن مسعود، أبو محمد البغوي، الشافعي المفسِّر، صاحب التصانيف. مات سنة (٥١٥هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٣٩).

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «أنها».

(٣) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «من أمر الله شيئًا».
وقول البغوي في «شرح السنة» (١١/ ٢٧).

(٤) في (ب): «أبو عبيدة»، وأبو عبيد هو القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي، الإمام المشهور، صاحب التصانيف. مات سنة (٢٢٤هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٩٠).

(٥) «غريب الحديث» (٢/ ٢)، وانظر: «غريب الحديث» لابن الجوزي (٢/ ٤٥١)، و«النهاية» لابن الأثير (٤/ ٩٩).

(٦) في (ب) و(ج) و(د): «وفي لفظ».

داود: عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود، أنَّ عبد الله رأى في عنقي خيطًا، فقال: ما هذا؟ قلت: خيطٌ رُقِي لي فيه، قالت(١): فأخذه ثم قطعه(٢) ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشِّرك! سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقَى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِركٌ»(٣).

قال المصنِّف - [رحمه الله تعالى] -: لكن إذا كان المعلَّق من القرآن، فرخَّص فيه بعض السَّلف، وبعضهم لم يرخِّص فيه، ويجعله من المنهيِّ عنه، منهم: ابن مسعود رضي الله عنه(٤).

والمقصود بيان أنَّ هذه الأمور الشِّركيَّة وإن خفيت، فقد نهى عنها

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «قال».

(٢) في (هـ): «فأخذه فقطعه».

(٣) وتمامه: فقلت: لم تقول هكذا؟ لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فإذا رقاها سكنت! فقال عبد الله: إنَّما ذلك عمل الشَّيطان ينخسها بيده، فإذا رقاها كفَّ عنها. إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا». والحديث رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨١)، وأبو داود في «سننه» (٣٨٨٣)، وابن ماجه في «سننه» (٣٥٣٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢١٣) مقتصرًا على المرفوع، وأبو يعلى في «مسنده» (٩/ ١٣٣) برقم (٥٢٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٤٥٦)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٩/ ٣٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٦٣) وغيرهم من طرق عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب، عن زينب امرأة ابن مسعود، عن عبد الله ابن مسعود به.
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وأقرَّه الذهبي، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٨٥).

(٤) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٣٨٧ ط. الصميعي)، وقول المصنف هذا في كتاب التوحيد آخر الباب ص (١٩).

رسول الله ﷺ وأصحابه، لكمال علمهم بما دلَّت عليه «لا إله إلَّا الله»، من نفي الشِّرك قليله وكثيره لتعلُّق القلب بغير الله في دفع ضرٍّ أو جَلْبِ نفع، وقد عمَّتِ البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعَفة، فمن عرف هذه الأمور الشِّركيَّة المذكورة في هذين البابين، عرف ما وقع ممّا هو أعظم من ذلك كما تقدَّم بيانه.

وفيه ما كان عليه رسول الله(١) ﷺ من التَّحذير من الشِّرك والتَّغليظ في إنكاره، وإن كان من الشِّرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، وقد تقدَّم(٢) دليله في الباب [الذي] قبل هذا.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «من تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه» رواه أحمد والترمذي.

التَّمائم: شيء يعلَّق على الأولاد عن العين يتَّقون به العين، لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخَّص فيه بعض السَّلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

والرُّقى: هي التي تُسمَّى العزائم، وخصَّ منه الدليل ما خلا من الشِّرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنَّه يحبِّب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

● قوله: «عن عبد الله بن عُكيم مرفوعًا: «من تعلَّق شيئًا وُكِلَ

(١) في (ب) و(ج) و(د): «أصحاب رسول الله».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «وتقدَّم».

إليه» رواه أحمد والتِّرمذي»[١].

وعبد الله بن عكيم[٢] - بضم المهملة مصغر[٣] - ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي.

قال الخطيب[٤]: «سكن الكوفة وقدم المدائن[٥] في حياة حذيفة وكان ثقة»[٦].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣١٠)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٠٧٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٣٩ . عوامة)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٣٥١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ١٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٦) وغيرهم من طرق عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن قال: دخلنا على عبد الله بن عكيم وهو مريض.. فذكره.
قال الترمذي: «عبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ، وكان في زمن النبي ﷺ يقول: كتب إلينا رسول الله ﷺ».
قلت: وفي الإسناد: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضُعِّف لسوء حفظه، لكنَّ الحديث صحيح بشواهده. منها: حديث جابر، كما في «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ٣٥١)، وعن عقبة بن عامر كما ذكره الترمذي، وعن أبي هريرة، أخرجه النسائي في «سننه» (٧/ ١١٢)، ومن مراسيل الحسن عند البيهقي (٩/ ٣٥٩). والله أعلم.

(٢) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «هو».

(٣) في (ج) و(د): «مصغرًا».

(٤) هو أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ. مات سنة (٤٦٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٧٠).

(٥) في (ب): «المدينة».

(٦) «تاريخ بغداد» (١١/ ١٦٩)، وترجم له فيه، وانظر: «الطبقات» لابن سعد (٦/ ١١٣)، وفيه: أنه مات في ولاية الحجاج.

● قوله: «من تعلَّق شيئًا وكل إليه». التعلُّق يكون بالقلب وينشأ عنه القول[١] والفعل، وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنَّه ينفعه، أو يدفع عنه كما تقدَّم بيانه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله، وهو ينافي قوله - تعالى -: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿١١٢﴾﴾ [البقـرة: ١١٢]، فإن كان من الشِّرك الأصغر فهو ينافي كمال التَّوحيد، وإن كان من الشِّرك الأكبر، كعبادة أرباب القبور والمشاهد والطَّواغيت ونحو ذلك فهو كفر بالله، وخروجٌ من[٢] دين الإسلام، ولا يصحُّ معه قول ولا عمل.

● قوله: «وكل إليه» أي: وكله الله إلى ما علَّق قلبه به، من دون الله ومن وكله الله إلى غيره ضلَّ وهلك.

قال الإمام أحمد [رَحِمَهُ اللهُ]: حدَّثنا [هاشم][٣] بن القاسم، حدثنا[٤] أبو سعيد المؤدّب، [حدَّثنا] من سمع عطاء الخراساني، قال: لقيت وهب بن منبّه، وهو يطوف بالبيت، فقلت [له]: حدّثني حديثًا[٥] أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز[٦]، قال: نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا داود أما وعزَّتي [وجلالي] وعظمتي لا يعتصم بي عبدٌ من عبيدي دونَ خلقي، أعرف ذلك من نيَّته فتكيده السَّموات السَّبع ومن

(١) في (هـ): «كما تقدم».
(٢) في (ب): «عن».
(٣) وقع في أصل (أ): هاشم وصوب في الحاشية: هشام، وفي (هـ): «هشام». وهو هاشم بن القاسم الليثي أبو النضر البغدادي الحافظ لقبه: قيصر. ينظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٦٠) ط مؤسسة الرسالة، و«تهذيب الكمال» (٣٠/ ١٣١).
(٤) في (أ): «ثنا».
(٥) في (هـ): «بحديث».
(٦) في (ب): «وأوجز في مقامي هذا».

فيهن، والأرضون السَّبع ومن فيهن[(١)]، إلَّا جعلت له من بينهنَّ فرجًا ومخرجًا، أما وعزَّتي وعظمتي ما يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيَّته، إلَّا قطعت أسباب السَّماء من يده[(٢)] وأسختُ الأرضَ من تحتِ قدميه، ثم لا أبالي بأي وادٍ هلك»[(٣)].

وشاهدُ هذا في القرآن [كثير]، كما [قال][(٤)] - تعالى -: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾[(٥)] [الحج: ٣١] فَتَدبَّره[(٦)].

وروى الإمام أحمد عن رُويفَع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعلَّ الحياة تطول بك، فأخبر الناس أنَّ من عَقَدَ لحيتَه، أو تقلَّدَ وترًا، أو استنجى برجيعِ دابَّة أو عظم، فإنَّ محمدًا بريء منه».

---

(١) قوله: «ومن فيهن». ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية.

(٢) في (ب): «يديه». وفي (هـ): «من بين يديه».

(٣) بهذا الإسناد ليس في «مسند» أحمد، وفي «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٤) بإسناده ومتنه سواء. وفي «عدّة الصابرين» ص (١٠٢)، وهو إسناد آخر عن وهب.
وأخرجه أحمد في «الزهد» مختصرًا، وأخرجه أبو داود في «الزهد» ص (٥): ثنا مخلد بن خالد .. إلى وهب قال: قرأت في كتاب ثم ذكره، وحسّن إسناده المحقق، وكذلك في «الزهد» لابن المبارك (١٨٠).
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٦) من طريق فرج بن فضالة، عن عطاء به.
وقد روي من حديث كعب بن مالك كما أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» كما في «مختصر ابن منظور» (٣/ ٧٩)، وروي عن علي، أخرجه الشجري في «الأمالي الشجرية» ص (٢٩٤).

(٤) سقطت من الأصل ولم يبق منها إلا «ل».

(٥) من قوله: «كما قال تعالى ..» إلى هنا استدركته من الحاشية.

(٦) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «فتدبَّر».

● قوله: وروى [الإمام] أحمد عن رويفع، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعل الحياة تطول[(١)] بك، فأخبر النَّاس أنَّ من عقد لحيته أو تقلَّد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإنَّ محمدًا بريء منه[(٢)]».

رويفع هو ابن ثابت بن السَّكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، نزل مصر وولي برقة، له ثمانية أحاديث.

قال عبد الغني[(٣)]: «ولي طرابلس فافتتح أفريقية سنة سبع وأربعين».

وقال ابن يونس[(٤)]: «توفي ببرقة سنة ست وخمسين»[(٥)].

● قوله: «لعلَّ الحياة تطول بك»، فقد طالت حياته ﷺ كما

---

(١) في (ج): «ستطول».

(٢) في (ب): «منه بريء»، وفي (ج) و(د) بعدها: «الحديث».
والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٠٨)، وأبو داود في «سننه» برقم (٣٦)، والنسائي في «سننه» (٨/ ١٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ١١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ٢٨)، والطحاوي (١/ ١٢٧) وغيرهم، كلهم من طرق عن عيَّاش بن عباس القتباني أن شُييم بن بيتان سمع شيبان القتباني يقول: استخلف مسلمة بن مخلد رويفع بن ثابت... ثم ذكره، وفيه قصة. وجوّد إسناده الشيخ سليمان في «التيسير» (ط المكت بالإسلامي)، وقال: «وحسَّنه النووي وصحَّحه بعضهم».

(٣) هو المقدسي وكلامه هذا في «تهذيب الكمال» (٩/ ٢٥٤).

(٤) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري، ولد في الفسطاط سنة ٢٨١هـ وتوفي بها سنة ٣٤٧هـ، مؤرخ مصري مشهور، له «تاريخ مصر» و«تاريخ الغرباء» . «التقيد» (ص٣٣٣)، و«العبرؤ للذهبي (٢/ ٢٨٢). وقوله هذا في «تاريخ مصر» (١/ ١٨٢).

(٥) انظر ترجمته في «الإصابة» (٢/ ٥٠١).

أخبر النبي ﷺ.

● **قوله: «فأخبر النَّاس أنَّ من عقد لحيته»**، قال الخطابي: «أمَّا نهيه عن عقد اللِّحية فيُفسَّر على وجهين:

- **أحدهما**: ما كانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم، وذلك من زيٍّ بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها». قال أبو السَّعادات: «تكبرًا وعجبًا»[١].

- **ثانيهما**[٢]: أنَّ معناه: معالجة الشَّعَر ليتعقَّد ويتجعَّد»[٣]. انتهى[٤].

قلت: ويشبه هذا ما يفعله كثير من فتل أطراف الشَّارب، فيترك أطرافه لذلك وهي بعضه، وفي حديث زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ لَمْ يأخُذْ مِن شاربِهِ فليسَ مِنَّا»**. رواه أحمد والنَّسائي والتِّرمذي[٥] وقال: صحيح. وفي «الصَّحيح»: **«خالِفُوا المشركين، أحفُوا الشَّوارب وأعفُوا اللحى»**[٦]، وذلك يدلُّ على

---

(١) «النهاية» (٣/ ٢٧٠).

(٢) في (ب): «ثانيها».

(٣) في (أ): «ليتجعد ويتعقد».

(٤) «معالم السنن» للخطابي (١/ ٢٤).

(٥) الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٦)، والترمذي برقم (٢٧٦١)، والنسائي (١/ ١٥) وفي «الكبرى» (١/ ٦٦) برقم (١٤)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٨٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٤٠٦) وغيرهم. كلهم عن يوسف بن صهيب عن حبيب بن يسار عن زيد بن أرقم به. قال الترمذي: «وفي الباب عن المغيرة بن شعبة» ثم قال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٦) أخرجه البخاري برقم (٥٨٩٢)، ومسلم برقم (٢٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه.

الوجوب، وذكر ابن حزم(١) الإجماع على أنَّه فرض(٢)، فيتعيَّن النَّهي عنه لذلك.

● قوله: «أو تقلّد وترًا»، فيه [مع] ما تقدَّم من أنَّه شرك؛ لما كانوا يقصدونه(٣) بتعليقه على الدَّواب وغيرها.

● قوله: «أو استنجى برجيعِ دابَّة أو عظم، فإنَّ محمدًا بريء منه(٤)»، هذا دليل على أنَّ(٥) هذا والذي قبله من الكبائر؛ لأنَّ قوله: «فإن محمدًا بريء منه(٦)»، يدلُّ على ذلك.

وقول(٧) النَّووي(٨) - رحمه الله [تعالى] -، أي: بريء من فعله(٩). فهذا التَّأويل بعيد لعود الضَّمير إلى مَنْ، وقد ورد النَّهي عن الاستنجاء بالرَّوث والعظام في أحاديث صحيحة، كما لا يخفى،

---

(١) ابن حزم هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس، له العديد من المؤلَّفات. توفي سنة (٤٥٦ هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٨٤).

(٢) «المحلَّى» (٢/ ٢٢٠ ـ دار الفكر).

(٣) في (هـ): «يعقدونه».

(٤) في (ب): «منه بريء».

(٥) في (ج): «أنه».

(٦) في (ب): «منه بريء».

(٧) في (ط): «وقال».

(٨) في شرح مسلم (٢/ ١١١).

(٩) قال الشيخ في كتابه «فتح المجيد» (١/ ٢٤٩ ـ الفريان): «وهذا خلاف الظاهر، والنووي كثيرًا ما يتأول الأحاديث بصرفها عن ظاهرها فيغفر الله تعالى له، بل هو بريء من الفاعل وفعله».

منها: ما رواه مسلم في «صحيحه» عن ابن مسعود مرفوعًا: «لا تستنجوا بالرَّوثِ ولا العِظامِ؛ فإنَّه زادُ إخوانِكم منَ الجنِّ»[(١)]، ولما[(٢)] روى[(٣)] ابن خزيمة، والدَّارقطني عن أبي هريرة مرفوعًا: «نهى أن يستنجى بعظمٍ أو روث»[(٤)]. وقال: «إنَّهما لا يُطهِّران»[(٥)]، وعليه[(٦)] لا يجزئ الاستنجاء بهما، كما هو ظاهر مذهب أحمد[(٧)].

وعن سعيد بن جبير قال: «من قطعَ تميمة من إنسان كان كعدلِ رقبة» رواه وكيع.

● **قوله: «وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان، كان كعدل رقبة. رواه وكيع»**[(٨)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٤٥٠).

(٢) في (ج) و(د): «لما». وفي (ب): «وما».

(٣) في (ب): «رواه».

(٤) في (ب) و(ج) و(د): «بروث أو عظم».

(٥) رواه الإسماعيلي في «معجم شيوخه» (٢/ ٦٦٩)، والدارقطني في «السنن» (١/ ٥٦)، وفي «العلل» (٨/ ٢٣٩)، وقال: «إسناد صحيح»، وأخرجه ابن الجوزي في «التحقيق في أحاديث الخلاف» (١/ ١٢٥)، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣١) فيمن اسمه سلمة، وغيرهم، كلهم من طريق الحسن بن الفرات عن أبيه عن أبي حازم الأشجعي، عن أبي هريرة به. وحسَّن إسناده ابن حجر في «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» ص (٩٧)، وجوَّد إسناده الشيخ سليمان في «التيسير» ص (١٣٩).

(٦) في (هـ): «وعنه».

(٧) انظر: «المغني» (١/ ٢١٥).

(٨) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٤٣)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم.

هذا عند أهل العلم له حكم الرَّفع؛ لأنَّ مثل ذلك لا يقال بالرَّأي، ويكون هذا مرسلًا؛ لأنَّ سعيدًا[(١)] تابعي[(٢)]، فعلى هذا يجب النَّهي عن تعليق التَّمائم والتَّرغيب في قطعها، وأنَّ ذلك مما يجب.

وفيه مع ما تقدَّم وبيان أنَّه شرك[(٣)]: وبيان حال السَّلف ﷺ من تعظيم الشِّرك قليله وكثيره والنَّهي عنه، فلمَّا اشتدت غربة الإسلام في أواخر هذه الأمَّة، صار إنكار هذا وما هو أعظم[(٤)] منه، أعظم المنكرات حتَّى عند من ينتسب[(٥)] إلى العلم، كما لا يخفى.

ووكيع هو ابن الجرَّاح بن وكيع[(٦)] الكوفي، ثقة إمام صاحب تصانيف، منها «الجامع» وغيره، روى عنه الإمام أحمد وطبقته. مات سنة سبع وتسعين ومئة[(٧)].

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التَّمائم كلها، من القرآن وغير القرآن.

● **قوله: «وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التَّمائم كلَّها من القرآن وغير القرآن»[(٨)].**

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «سعيد».

(٢) في (ج): «كان تابعي».

(٣) قوله: «وبيان أنه شرك». ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية.

(٤) في (ج) و(د): «من أعظم».

(٥) في (ب) و(ج) و(د): «ينسب».

(٦) كذا نُسب هنا، وفي كتب التراجم وكيع ابن الجرَّاح بن مليح بدل وكيع الثانية: مليح.

(٧) انظر ترجمته في: «السير» (٩/ ١٤٠)، و«تهذيب الكمال» (٣٠/ ٤٦٨) وغيرهما.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٤٦٧).

إبراهيم هو: الإمام إبراهيم بن يزيد النَّخعي الكوفي(١)، يكنى أبا عمران ثقة من كبار الفقهاء، مات سنة ست وتسعين(٢)، وله خمسون سنة أو نحوها(٣).

● **قوله: «كانوا يكرهون التَّمائم»**. أراد أصحاب عبد الله بن مسعود، كعلقمة والأسود وأبي وائل، والحارث بن سويد وعَبيدة السَّلماني، ومسروق، والرَّبيع بن خيثم، وسويد بن غفلة وغيرهم، وهم من سادات التَّابعين، وفي(٤) زمانهم(٥) كانوا يطلقون الكراهة على المحرَّم. وهذا القول هو الصَّحيح؛ لأنَّ ما كان من غير القرآن قد تقدَّم النَّهي عنه بلا ريب، وأمَّا إذا كان من القرآن فيتعيَّن النهي عنه [أيضًا] لأمور ثلاثة:

منها: دخوله في عموم المنهي عنه.

ومنها: كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن، فيفضي إلى عدم إنكارها.

الثَّالث: أنَّ تعليق القرآن يكون سببًا في امتهانه، فإنَّ من علَّقه فلا بد أن يدخل به الخلاء ونحوه.

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «ثقة».

(٢) في (ج): «وتسعون».

(٣) انظر: «تهذيب الكمال» (٢/ ٢٣٥)، و«التقريب» ص (٩٥).

(٤) في (ب) و(هـ) و(ط): «في».

(٥) قال الشيخ في «فتح المجيد» (١/ ٢٥١): «وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم كما بيَّن ذلك الحفاظ كالعراقي وغيره». وانظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (١/ ٢١٧).

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: «والرُّقى هي التي تُسمَّى العزائم، وخصَّ منه الدليل ما خلا من الشِّرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمة. والتِّولة: شيء يصنعونه يزعمون أنَّه يحبِّبُ المرأة إلى زوجها والرَّجل إلى امرأته»(١).

قال الحافظ: «التولة - بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا - شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجِها وهو ضربٌ من السِّحر»(٢). والله أعلم.

(١) «كتاب التوحيد» ص (١٩).
(٢) «فتح الباري» (٦/ ١٩٦)، وانظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص ١٣٥).

٨ - باب
من تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما

● قوله: «باب من تبرَّك بشجرة[١] أو حجر و[٢] نحوهما»، كبقعة وقبر ومشهد[٣] ونحو[٤] ذلك[٥]، و«مَنْ» اسم شرط والجواب محذوف، تقديره: فقد أشرك بالله.

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النّجم: ١٩] الآيات.

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النّجم: ١٩، ٢٠] الآيات، هذه الأوثان الثّلاثة هي أعظم أوثان أهل الجاهليَّة من أهل الحجاز، فاللَّات لأهل الطائف ومن حولهم من العرب، والعُزَّى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال. وقال ابن هشام[٦]: «كانت لهذيل وخزاعة»[٧].

---

(١) في (ج) و(د): «بشجر».
(٢) في (ب): «أو».
(٣) في (ب): «أو قبر أو مشهد».
(٤) في (ب): «أو غير»، في (ج) و(د): «وغير».
(٥) من قوله: «تبرك بشجرة...» إلى هنا. جاء في (ج) بعد قوله: «تقديره: فقد أشرك بالله».
(٦) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، مؤرِّخ، عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب. أشهر كتبه: «السيرة النبوية» المعروف بسيرة ابن هشام. ت (٢١٣هـ). «البداية والنهاية» (١٠/ ٢١٣).
(٧) لم أجده في السيرة لابن هشام، وانظر: «الأصنام» للكلبي ص (١٤).

واللَّات بتخفيف التَّاء في قراءة الجمهور، وقرأ ابن عباس وابن الزُّبير ومجاهد وحميد، وأبو صالح ورويس[(١)]، عن يعقوب[(٢)] بتشديد التَّاء. فعلى الأولى قال الأعمش: سمَّوا اللَّات من الإله، والعُزَّى من العزيز[(٣)].

وقال ابن كثير[(٤)]: «اللَّات كانت صخرة بيضاء منقوشة، عليها بيت بالطَّائف، له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطَّائف، وهم ثقيف ومَنْ تبعها يفتخرون به على من عداهم[(٥)] من أحياء العرب بعد قريش. قاله ابن هشام[(٦)].

وعلى الثَّانية: قال ابن عبَّاس: كان رجلًا يلتُّ السَّويق للحاج، فمات فعكفوا[(٧)] على قبره، ذكره البخاري[(٨)].

---

(١) في (ج): «وأويس»، ورويس هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن اللؤلؤي البصري. توفي سنة (٢٣٨هـ). «تذكرة الحفاظ» (٤٧٣).

(٢) هو ابن إسحاق بن زيد الحضرمي البغوي، مقرئ، نحوي. مات سنة (٢٠٥هـ).

(٣) كذا في النسخ و«فتح المجيد» و«تيسير العزيز الحميد»، والذي يظهر أنّ هذا وهم، فقد نسبه المصنف في باب ٥٠ إلى ابن أبي حاتم من قول ابن عباس كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦١٦). وورد من قول مجاهد كما في تفسير الطبري (٩/ ١٠٣)، والله أعلم.

(٤) في «تفسيره» (٤/ ٢٥٤).

(٥) في (ب): «عاداهم».

(٦) في «تيسير العزيز الحميد»، و«فتح المجيد»: «قال ابن هشام: فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة، فهدمها وحرَّقها بالنار». انظر: «السيرة» (٤/ ١٩٥).

(٧) في (ب) و(ج) و(د): «فلما مات عكفوا».

(٨) في «صحيحه» برقم (٤٨٥٩).

قلت: فلا[(١)] منافاة بين ما ذكره البخاري وغيره من عبادتهم الصَّخرة، التي كان يلتُّ عليها السَّويق[(٢)] باسمه، وعبادة قبره لما مات[(٣)].

وأمَّا العُزَّى فقال ابن جرير[(٤)]: «كانت شجرة عليها[(٥)] بناء وأستار بنخلة، بين مكّة والطَّائف، كانت قريش يعظِّمونها، كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العُزَّى ولا عزَّى لكم. قال رسول الله ﷺ: «**قولُوا: اللهُ مولانا ولا مولى لكُم**»[(٦)].

ومناسبة هذه الآية للترجمة: أنَّ عبادة المشركين للعُزَّى[(٧)] والصَّخرة [ومناة] إنَّما كان بالتفات القلوب رغبة إليها، في حصول ما يرجونه ببركتِها من نفع أو دفع [ومن ذلك: التبرك بها]، فصارت أوثانًا تُعبد من دون الله، وذلك من شدة ضلال أهل الشِّرك وفساد عقولهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا

---

(١) في (ج) و(د) و(هـ): «ولا».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «السويق عليها»، وقوله: «عليها» ليس في (هـ).
(٣) عزاه في «فتح المجيد» (١/ ٢٥٤) لسعيد بن منصور. قلت: هو في «السنن». عزاه في «تيسير العزيز الحميد» للفاكهي في «أخبار مكة»، وهو فيه (٥/ ١٦٤).
انظر: «فتح المجيد» (٨/ ٦١٢)، و«الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣).
(٤) نقله ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٥٤) عن ابن جرير.
(٥) في (ب) و(ج): «عليها»، وفي (ط): «كانت صخرة عليها».
(٦) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٤٠٤٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
(٧) في (ب) و(ج): «العزى».

يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان: ٥٥][1] فصار[2] عبادة القبور وعبادة الشَّجر والحجر هو شرك المشركين، وقد جرى ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الأمَّة.

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سِدْرةٌ يعكُفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنْواط، فمررنا بسِدرة فقلنا: يا رسولَ الله اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنْواط، فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكبر! إنَّها السُّنن، قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨] لتركبُنَّ سنَنَ من كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه.

● **قوله: «عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سِدْرةٌ يعكُفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنْواط، فمررنا بسِدرة فقلنا: يا رسولَ الله اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنْواط، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهُ أكبر! إنَّها السُّنن، قلتُم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨] لتركبُنَّ سنَنَ من كان قبلكم».**

---

(١) الآية في (هـ): «﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨].

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «فصارت».

رواه الترمذي وصححه»[١].

● قوله: «عن أبي واقد»، هو صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وله خمس وثمانون سنة[٢].

● قوله: «خرجنا مع رسول الله ﷺ»، يشير إلى أهل مكة ممن إسلامه قريب إذ ذاك.

● قوله: «إلى حُنين»، هو اسم وادٍ[٣] بشرقي[٤] مكة معروف، قاتل فيه رسول الله ﷺ هوازن كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]، والوقعة مشهورة عند أهل المغازي [و] السِّير[٥] وغيرهم، وما جرى فيها من النَّصر وأخذ أموالهم وسبي[٦] ذراريهم ونسائهم كما في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٦].

● قوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر»، يشير إلى أهل مكّة، الذين أسلموا قريبًا [إذ ذاك]، فلذلك خفي عليهم هذا الشِّرك المذكور في

---

(١) أخرجه الترمذي كما قال المؤلف في «جامعه» برقم (٢١٨١)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». قلت: وأخرجه غيره. انظر: «فتح المجيد» (١/ ٢٥٩).

(٢) انظر ترجمته في «الإصابة» (٧/ ٤٥٥).

(٣) في (ج) و(د): «يشير إلى وادٍ».

(٤) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «شرقي».

(٥) في (ج): «السير والمغازي».

(٦) في (ج): «سبي».

الحديث، بخلاف من تقدَّم إسلامه.

● قوله: «وللمشركين سدرة يعكفون عندها»، عبادة لها وتعظيمًا وتبرُّكًا، لما كانوا يعتقدونه فيها من البركة.

● قوله: «يقال لها: ذاتُ أنواط»، هو برفع التاء كما لا يخفى.

● قوله: «ينوطون بها أسلحتهم»، أي: يعلِّقونها.

● قوله: «فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم» - [أي: للمشركين][(١)] - «ذات أنواط»، ظنّوا أنَّ النبيَّ ﷺ لو جعل[(٢)] ذلك لهم[(٣)] لجاز اتِّخاذها، لحصول البركة بها لمن اعتقد ذلك فيها[(٤)]. و«أنواط» جمع نوط، وهو مصدر سُمِّي به المنوط[(٥)].

● قوله: «فقال النبي[(٦)] ﷺ: «الله أكبر»»، تعظيمًا لله تعالى عَنْ[(٧)] أن يجعل له شريك في عبادته التي هي حقّه على عباده[(٨)]، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس في أصل «أ» واستدركته من الحاشية، ووقع في «أ»: أي المشركين.
(٢) في (ط): «قال».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «لهم ذلك».
(٤) في (هـ): «لمن اعتقدها فيها».
(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٢٧).
(٦) في (ج) و(د): «رسول الله».
(٧) في (ب) و(ج) و(د): «من».
(٨) في (ج) و(د) بعدها: «كالتبرك بالأحجار والأشجار ونحوها».

[يونس: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الرُّوم: ٤٣] وهو الإخلاص، والشِّرك ينافي ذلك، وتقدَّم معنى الحنيف[(١)].

وتضمَّنت هاتان الآيتان وما في معناهما[(٢)] التَّوحيد، الذي دلَّت عليه لا إله إلا الله، نفيًا وإثباتًا كما تقدَّم بيانه، فمن التفت قلبه إلى غير الله لطلب نفعٍ أو دفعِ ضرٍّ فقد أشركَ، والقرآن كلُّه في تقرير هذا الأصل العظيم، الذي هو أصل دين الإسلام[(٣)] الذي لا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه.

● **قوله**: «السُّنن» - بضم السين - أي: الطُّرق، يشير إلى الطُّرق التي تخالف دينه الذي شرعه تعالى لعباده[(٤)].

● **قوله**: «قلتم والذي نفسي بيده»، حلف [النبي] ﷺ على ذلك[(٥)] تأكيدًا لهذا الخبر وتعظيمًا له، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، أخبر أنَّ التبرُّك بالأشجار [والأحجار] يجعلها آلهة، وإن لم يسمُّوها آلهة، ولذلك[(٦)] شبَّه قولهم هذا بقول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فظهر بهذا الحديث أنَّ التَّعلُّق على الأشجار

---

(١) راجع ص (١٢١).
(٢) في (ب): «معناها».
(٣) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «وهو الإخلاص».
(٤) في (هـ): «لعبادته».
(٥) النبي ﷺ حلف في مواطن كثيرة، هذا منها.
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «وكذلك».

والأحجار وغيرها لطلب البركة بها، شرك في العبادة كشرك عبادة[(١)] الأصنام[(٢)].

● قوله: «لتركبنَّ سننَ من كانَ قبلَكم»، أي: اليهود والنَّصارى، وقد وقع كما أخبر به [النَّبيُّ] ﷺ في هذه الأمَّة، فركبوا طريق[(٣)] من كان قبلهم ممن ذكرنا، كما هو مذكور في الأحاديث الصَّحيحة، كحديث: «لتتبعنَّ سننَ مَنْ كانَ قبلَكم حذوَ القذَّةِ بالقذَّةِ، حتَّى لو دخلوا جحرَ ضبٍّ لدخلتمُوه»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» وهو في الصَّحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[(٤)].

وفي رواية: «ومَنِ النَّاس إلَّا أولئك؟»[(٥)].

---

(١) في (د) و(هـ): «عباد».

(٢) قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه «البدع والحوادث» ص (٣٣): «فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظِّمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها». وانظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٣٠) لابن القيِّم.

(٣) في (ج) و(د): «طرق».

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧٣٢٠)، ومسلم برقم (٢٦٦٩).

(٥) أخرجها البخاري برقم (٧٣١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٩ - باب
ما جاء في الذَّبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]

● قوله: «باب ما جاء في الذَّبح لغير الله».

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ الآية.

قال ابن كثير - [رحمه الله تعالى] -: «يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له، [أي] أنَّه أخلص لله صلاته وذبيحته؛ لأنَّ المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عمَّا هم فيه، والإقبال بالقصد والنِّيَّة والعزم على الإخلاص لله تعالى». انتهى[(١)].

فالصَّلوات[(٢)] الخمس، هي أعظم فرائض الإسلام بعد الشَّهادتين.

وقوله: ﴿صَلَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢][(٣)] يشمل الفرائض والنَّوافل،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٤٩).

(٢) في (ب): «فالصلاة».

(٣) في الأصل وباقي النسخ: «وصلاتي»، وهو خطأ صححته من (ط).

والصَّلوات كلُّها عبادة، وقد اشتملت على نوعي الدُّعاء: دعاء المسألة ودعاء العبادة، فما كان فيها من السّؤال والطَّلب فهو دعاء مسألة، وما كان فيها من الحمد والثَّناء والتَّسبيح[(١)] والرُّكوع والسُّجود، وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة، وهذا هو التَّحقيق في تسميتها صلاة؛ لأنَّها اشتملت على نوعي الدُّعاء الذي هو صلاة لغة وشرعا. [كما] قرَّره شيخ الإسلام وابن القيِّم[(٢)] - رحمهما الله تعالى - بهذا المعنى.

● قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ قال[(٣)] الثَّوري[(٤)] عن السُّدِّي[(٥)] عن سعيد بن جبير: ﴿نسكي﴾: ذبحي[(٦)]، وكذا قال الضَّحَّاك[(٧)].

● قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]، أي: ما آتيه[(٨)] في حياتي ومتُّ[(٩)] عليه من الإيمان والعمل الصَّالح، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [يونس: ١٠] خالصًا لوجهه ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «والتكبير».

(٢) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «وشيخه».

(٣) في (ج) و(د): «وقال».

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث. له الجامع كبير وصغير، كلاهما في الحديث. توفي سنة (١٦١هـ). «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٣٠).
وانظر: «الفتاوى» (١٠/ ١٩٠)، وانظر: «جلاء الأفهام» ص (١٥٦).

(٥) تقدمت ترجمته في (ص ١٨٤).

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨٢ - ط دار المعرفة)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٣/ ٤١٠) لعبد بن حميد، وأبي الشيخ. والأثر صحيح.

(٧) رواه الطبري في «التفسير» (٨/ ١١٢).

(٨) في (ب) و(ج) و(د): «أتيته».

(٩) في (هـ): «وأموت»، وفي (ط): «وما أموت».

﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٣]، أي: من هذه الأمَّة، وهذا قول أئمَّة التَّفسير، والمقصود أنَّ هذه الآية دلَّت على أنَّ أقوال العبد وأعماله الباطنة والظَّاهرة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله كائنًا من كان، فمن صرف منها شيئًا لغير الله، فقد وقعَ فيما نفاه تعالى من الشِّرك بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]، والقرآن كلّه في تقرير هذا التَّوحيد في العبادة[١] وبيانه ونفي الشِّرك والبراءة منه.

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر: ٢].

● قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر: ٢] قال شيخ الإسلام: «أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما[٢] الصَّلاة والنُّسك الدالَّتان على القُرب والتَّواضع والافتقار، وحسن الظنِّ وقوَّة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته، عكس حال أهل الكبر والنُّفرة وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربِّهم، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] الآية». انتهى[٣].

وقد قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[٤] [المائدة: ٣] الآية.

---

(١) في (ط): «عبادته»، وفي (هـ): «في عبادة الله».
(٢) في (ب) و(د): «وهي».
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٣٠).
(٤) في (أ): ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] فلعله تشابه عليه بآية البقرة رقم ١٧٣.

عن علي رضي الله عنه قال: حدَّثني رسولُ الله ﷺ بأربعِ كلماتٍ: «لعَنَ اللهُ من ذَبَحَ لغيرِ الله، لَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ والِدَيهِ، لَعَنَ اللهُ مَن آوى محدثًا، لَعَنَ اللهُ مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأرضِ». رواه مسلم.

● قوله: «عن علي رضي الله عنه قال: حدَّثني رسولُ الله ﷺ بأربعِ كلماتٍ: «لعَنَ اللهُ من ذَبَحَ لغيرِ الله، لَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ والِدَيهِ، لَعَنَ اللهُ مَن آوى محدثًا، لَعَنَ اللهُ مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأرضِ». رواه مسلم»[(١)].

وعلي بن أبي طالب[(٢)] هو الإمام أبو الحسن الهاشمي، ابن عمِّ النَّبيِّ ﷺ، وزوج ابنتِه فاطمة الزَّهراء[(٣)] رضي الله عنهما كان من أسبق السَّابقين الأوَّلين ومن أهل بدر، وبيعة الرّضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، ورابع الخلفاء الرّاشدين، ومناقبه مشهورة رضي الله عنه، قتله ابن ملجم[(٤)]

(١) في «صحيحه» برقم (١٩٨٧).

(٢) في (ج) و(د): «ولمسلم عن علي بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب..».

(٣) وقع في (أ): «الزهري» بدل «الزهراء» وهو خطأ واضح.

(٤) قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٥٩٢): «عبد الرحمن بن ملجم المرادي ذاك المعثَّر الخارجي، ليس بأهل أن يروى عنه، وما أظن له رواية، وكان عابدًا قانتًا لله، لكنه ختم بشر، فقتل أمير المؤمنين عليًّا، متقربًا إلى الله بدمه بزعمه، فقُطِعَتْ أربعته ولسانه، وسملت عيناه، ثم أحرق. نسأل الله العفو والعافية». اهـ.
وهناك بعض الشيعة المسلمين الذين تأثروا بغنوصية حران، لا يتعاملون مع عبد الرحمن بن ملجم على أنه كان مجرمًا قاتلًا، اغتالَ عليًّا رضي الله عنه، بل كان من أقرب النَّاس إلى هذا الإمام الجليل، وقد اطَّلع على كثير من أسرار علم الحقيقة (العرفان = الغنوصية) لذلك تولَّى تنفيذ ما رُسم له، وكان قضاءً إلهيًّا لغايات سامية.
«الأناجيل النصوص الكاملة» ص (١٠٩)، وانظر في (الغنوصية): كتاب «الغنوصية في الإسلام»، ومقدمة «تاريخ العقيدة الإسلامية» لعباس عزاوي بتحقيقي.

الخارجي في رمضان سنة أربعين[١].

قال أبو السّعادات: «أصل اللَّعن: الطَّرد والإبعاد من الله»[٢].

● قوله: «من ذبح لغير الله»، قال شيخ الإسلام: «قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٣]، ظاهره أنَّه ما ذُبح لغير الله مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا[٣] كان هذا هو المقصود فسواءٌ لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر[٤] من تحريم ما ذبح للَّحم[٥] وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أنَّ ما ذبحناه متقرِّبين به إلى الله كان أزكى وأعظم ممَّا ذبحناه للَّحم وقلنا عليه: بسم الله، فإذا حرَّم ما قيل فيه: باسم المسيح والزُّهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه: لأجل المسيح أو[٦] الزهرة أو قصد به ذلك أولى. فإنَّ العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله[٧]، فعلى هذا لو[٨] ذبح لغير الله متقرِّبًا إليه[٩]

---

(١) انظر ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في: «الإصابة» (٤/ ٥٦٤)، و«تهذيب الكمال» (٢٠/ ٤٧٢) وغيرهما.

(٢) في (ب): «الله تعالى»، وقول أبي السعادات في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٢٥٥)، وفيه: «ومن الخلق: السبّ والدعاء».

(٣) في (ج): «وإذ».

(٤) في (ج): «ظهر».

(٥) وفي «اقتضاء الصراط»: «ما ذبحه النصراني للحم».

(٦) في (ج) و(د): «و».

(٧) قال الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله في تعليقه على «قرة عيون الموحدين» ص (٧٨): «أي من الاستعانة بمجرد ذكر اسم غير الله في فواتح الأمور». كما يظهر من مراجعة العبارة في «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٢٥٩ تحقيق حامد الفقي)، وفي «تيسير العزيز الحميد» للعلامة سليمان بن عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص ١٥٥ طبعة المكتب الإسلامي).

(٨) في (ب) و(ج) و(هـ): «فلو».

يحرم وإن قال فيه: بسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمَّة، الذين[1] يتقرَّبون إلى الكواكب بالذَّبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدِّين لا تباح ذبيحتهم بحال»[2].

قلت: ومن ذلك: الذَّبح للجن.

● **قوله**: **«لعن الله من لعنَ والديه»**، يعني أباه وأمَّه وإنْ عَلَيا[3]. وفي الصَّحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائِرِ شتمُ الرَّجلِ والديه**»، قالوا: يا رسولَ الله، وهل يشتمُ الرَّجلُ والديه؟ قال: «**نعم، يسبُّ**[4] **أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه**»[5].

● **قوله**: **«لعن الله من آوى محدثًا»**، هو بفتح الهمزة ممدودة أي: ضمَّه إليه وحماه. وأمَّا محدثًا، فقال أبو السَّعادات: «يروى[6] بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر: من نصر جانيًا وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يُقتصَّ منه، والفتح: هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرّضى به والصَّبر[7]،

---

(١) في (ج): «متقربًا به إليه».
(٢) في (ب): «الذ».
(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٥٩).
(٤) في (ط): «علوا»، وانظر: «فيض القدير» (٥/ ٢٧٥).
(٥) في (ج) بعدها: «الرجل».
(٦) أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٣)، ومسلم برقم (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٧) في (ب): «يروى: محدثًا».
(٨) في (ط): «والنَّصر».

فإنَّه إذا ارتضى[(١)] بالبدعة وأقرَّ فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه»[(٢)].

قال ابن القيِّم - رحمه الله [تعالى] -: «هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث بنفسه، فكلَّما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم»[(٣)].

● **قوله: «لعن الله من غيَّر منار الأرض»** - بفتح الميم -: علامات حدودها، وهي التي توضع لتمييز[(٤)] حق الشُّركاء إذا اقتسموا ما بينهم من[(٥)] الأرض والدُّور. قال في «النِّهاية»: أي: «معالمها وحدودها»[(٦)].

قلت: وذلك بأن يرفع ما جعل علامة على تمييز حقه من حق شريكه، فيأخذ من حق شريكه بعضه، فهذا ظلم عظيم، وفي الحديث: «**من ظلم شِبرًا**[(٧)] **من الأرض طُوِّقَهُ من سبع أرضين يومَ القيامَةِ**»[(٨)]. فما أجهل أكثر الخلق، حتى وقعوا بجهلهم وظلمهم فيما يضرُّهم في دنياهم وأخراهم، وذلك لضعف الإيمان بالمعاد والحساب

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «رضي».
(٢) «النهاية» (١/ ٣٥١).
(٣) لم أقف عليه في كتبه المطبوعة، ويعزوه بعضهم لكتاب الكبائر لابن قيم الجوزية.
(٤) في (ج) و(د): «لتميز».
(٥) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «في».
(٦) (١/ ١٨٣)، وانظر: «فتح المجيد» (١/ ٢٧٣).
(٧) في (ب) و(د): «قيد شبرٍ»، وفي (ج): «شبرٍ».
(٨) رواه البخاري برقم (٢٤٥٣)، ومسلم برقم (١٦١٢) عن عائشة ﵂، وورد عندهما من حديث سعيد بن زيد ﵁.

على الأعمال والجنَّة والنَّار، نسأل الله العفو والعافية في الدُّنيا والآخرة.

وعن طارق بن شهاب أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «دخلَ الجنَّةَ رجلٌ في ذُباب، ودخلَ النارَ رجلٌ في ذُبابٍ» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم، لا يجوزه أحدٌ حتى يقرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّبْ. قال: ليس عندي شيءٌ أقرِّبُ. قالوا له: قرِّبْ ولو ذبابًا. فقرَّب ذبابًا، فخلَّوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّبْ. فقال: «ما كنتُ لأقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دونَ اللهِ ﷻ، فضربُوا عنقَه، فدخلَ الجنَّةَ» رواه أحمد.

● قوله: [و] عن طارق بن شهاب، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «دخلَ الجنَّةَ رجلٌ في ذُباب، ودخلَ النارَ رجلٌ في ذُبابٍ» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّبْ. قال: ليس عندي شيءٌ أقرِّبُ. قالوا له: قرِّبْ ولو ذبابًا. فقرَّب ذبابًا، فخلَّوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّبْ. فقال: «ما كنتُ لأقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دونَ اللهِ ﷻ، فضربُوا عنقَه، فدخلَ الجنَّةَ» رواه أحمد».

● قوله: «عن طارق» هو ابن شهاب، البجلي الأحمسي أبو عبد الله، قال أبو داود: رأى النَّبيَّ ﷺ ولم يسمع منه شيئًا[1].

---

(١) كما في «تهذيب الكمال» (١٣/ ٣٤٢).

قال الحافظ: «إذا ثبت أنَّه لقي النَّبيَّ ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنَّه لم يسمع منه[1] فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح»[2]. وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبَّان سنة ثلاث وثمانين[3].

قال ابن القيِّم - رحمه الله -: [قال الإمام أحمد رحمه الله - تعالى-]: حدثنا[4] أبو معاوية [قال:] حدثنا الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «**دخل الجنّة رجل في ذباب**».. الحديث[5].

[قال]: قوله: «**في ذباب**» أي من أجله وسببه. قوله: قالوا: «**وكيف ذلك يا رسول الله؟**» كأنَّهم والله أعلم تقالُّوا[6] هذا العمل[7]،

---

(١) في (ج): «يسمع منه شيئًا».
(٢) «الإصابة» (٣/ ٥١٠)، وانظر ترجمته فيه، والحديث من روايته عن سلمان الفارسي، فهو ليس مرسلًا.
(٣) في «الثقات» (٣/ ٢٠١).
(٤) في (أ): «ثنا».
(٥) قول ابن القيم في «الجواب الكافي» أو «الداء والدواء» (ص٥٢) ط دار ابن الجوزي.
قال الشيخ سليمان بن عبد الله في «التيسير» ص (١٥٧): «وقد طالعت «المسند» فما رأيته فيه، فلعل الإمام رواه في كتاب «الزهد» أو غيره».
قلت: هو في «الزهد» ص (٢٢)، وفي «الحلية» لأبي نعيم (١/ ٢٠٣)، وفي «المصنف» لابن أبي شيبة برقم (٣٣٧٠٩) من طريق الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان، فذكره.
(٦) في (ج) و(د): «تعالوا»، وفي (ب): «تعالوا عن».
(٧) في (ج) و(د): «الفعل».

وهو تقريبُ الذُّبابِ للصَّنم، فبيَّن لهم النَّبيُّ ﷺ أنَّ من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النَّار.

● قوله: **«فقال: مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم، لا يجوزُه أحدٌ حتَّى يقرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيءٌ أُقَرِّب، قالوا له: قرِّبْ ولو ذبابًا، فقرَّب ذبابًا فخلَّوا سبيله فدخلَ النَّار»**؛ لأنَّه قصد[1] غير الله بقلبِه وانقادَ بعملِه فوجبت له النَّار، ففيه معنى حديث مسلم الذي تقدَّم في باب الخوف من الشِّرك عن جابر مرفوعًا: **«من لقيَ الله لا يشركُ به شيئًا دخل الجنَّة. ومن لقيه يشركُ به شيئًا دخل النار»**[2]، فإذا كان هذا فيمن قرَّب للصنم ذبابًا، فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم، ليتقرَّب بنحرِها وذبحِها لمن كان يعبده من دون الله من ميت، أو غائب أو طاغوت أو مشهد أو شجر أو حجر أو غير ذلك» وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمَّة يعدُّون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شرعت فيه، وربَّما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحِّي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله، وقد عمَّت البلوى بهذا وما هو أعظم منه.

● قوله: **«وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كنتُ لأقرِّبَ لأحد شيئًا دون الله ﷻ، فضربوا عنقَه فدخل الجنَّة»**[3].

ففيه معرفة قدر الشِّرك في قلوب أهل الإيمان ونفرتهم عنه

(١) في (ب): «لأن قصده».
(٢) تقدَّم ص (١٥٧).
(٣) في (ج) و(د) بعدها: «رواه أحمد».

وصلابتهم في الإخلاص، كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي إن شاء الله تعالى: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمانِ**»، وفيه: «**وأن[(١)] يكرهَ أن يعودَ في[(٢)] الكفرِ بعدَ إذ أنقذهُ اللهُ منه، كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النَّارِ**»[(٣)]، وفيه تفاوت النَّاس في الإيمان؛ لأنَّ هذا الرّجل الذي قرَّب الذُّباب لم يكن له عمل يستحقُّ به دخولَ النَّارِ قبل ما فعله مع هذا الصَّنم، كما هو ظاهر الحديث. والله أعلم.

(١) في (ب): «أن».
(٢) في (ج) و(د): «إلى».
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣).

١٠ - باب

لا يُذْبح لله بمكان يُذْبَحُ فيه لغيرِ الله

● قوله: «باب لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله».

أشار - رحمه الله [تعالى] - إلى ما كان النَّاسُ يفعلونه في نجد وغيرها[١]، قبل دعوتهم إلى التَّوحيد من ذبحهم للجنِّ، لطلب الشِّفاء منهم لمرضاهم، ويتَّخذون للذَّبح لهم مكانًا مخصوصًا في دورهم، فنفى الله سبحانه الشِّرك بهذه الدَّعوة الإسلامية، فللَّه[٢] الحمد على زوال الشِّرك والبِدَع والفساد بطلعة الدَّاعي إلى توحيدِ ربِّ العباد[٣].

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية.

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية، أي: مسجد الضِّرار المذكور في قوله - [تعالى] -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨]، وهو مسجد قباء، فقد أُسِّسَ على التَّقوى من

(١) في (ب): «وغيره».
(٢) في أصل (أ) سواد من آثار الحبر والكلمة غير واضحة.
(٣) في (ط): «ربّ العالمين».

أوَّل يومٍ قدمَ فيه ﷺ المدينةَ مهاجرًا[١]، وكان أهل مسجد الضِّرار قد بنوه قبلَ خروجِ النَّبيِّ ﷺ إلى غزوةِ تبوك، فأتوه فسألوه أن يصلِّي فيه، وذكروا له أنَّهم بنوه للضُّعفاء وأهل العلَّة في اللَّيلةِ الشَّاتية، فقال: «**إنَّا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله**»، فلمَّا قفل عليه السلام راجعًا إلى المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضُه نزل الوحيُ بخبر المسجدِ، فبعث إليه وهَدَمَه قبل قدومِه إلى المدينةِ صلوات الله وسلامه عليه، وأنزل الله فيه هذه الآيات[٢].

ووجه مطابقة الآية للترجمة: أنَّ هذا المسجد لمَّا أُسِّسَ على معصية الله والكفر[٣] به، صار محلَّ غضب، فنهى الله نبيَّه ﷺ أن يقومَ فيه، لوجودِ العلَّة المانعة، وخرج [لوجود العلة المانعة] مخرج

---

(١) قال في «التيسير» ص (١٦٠): وقد صرَّح بأنَّ المسجد المؤسَّس على التقوى هو مسجد قباء ذكره جماعة من السلف.
منهم: ابن عباس وعروة وعطية والشعبي والحسن وغير واحد. وقيل: هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «هو مسجدي هذا». رواه مسلم. وهو قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم.
قال ابن كثير: وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنَّه إذا كان مسجد قباء قد أُسِّس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى».

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «المغازي» كما في «الدلائل» للبيهقي (٥/ ٢٥٩)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٤)، ورواه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٢٣)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٨٩).

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «الكفر».

الخصوص[١]، والنَّهي عام، وما كان مثله من الأمكنة، [ممّا أعدَّ للمعصية وخصَّ بفعلها فيه]، فإنَّه يعطى حكمه؛ لأنَّ المعصية صيَّرته محَلًّا[٢] خبيثًا وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه، ويقابل[٣] ذلك المساجد فإنَّ الله شرَّفها لما بنيت لطاعته والصَّلاة فيها جمعة وجماعة وهي أشرف بقاع الأرض، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النُّور: ٣٦، ٣٧] الآية، فما أحسن هذا القياس[٤].

ويأتي تقريره في الحديث في الباب إن شاء الله تعالى.

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نَذَرَ رجلٌ أن يَنْحَرَ إبلًا ببُوانَة، فسألَ النَّبيَّ ﷺ فقال: «هل كانَ فيها وَثَنٌ من أوثانِ الجاهليَّةِ يُعبَدُ؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيدٌ مِن أعيادِهِم؟» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أوفِ بنذرِك، فإنَّهُ لا وَفَاءَ لنذرٍ في معصيةِ الله، ولا فيما لا يَملِكُ ابنُ آدمَ» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

(١) العبارة في (هـ): «وخروج مخرج الخصوص».
(٢) في أصل (أ) سواد من أثر الحبر أثر على الكلمة.
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «ويقال بل».
(٤) وقع في (أ) تقديم وتأخير على النحو التالي: «ويقابل ذلك: المساجد، وهي أشرف بقاع الأرض، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [النُّور: ٣٦-٣٧]الآية فما أحسن هذا القياس».

● قوله: «عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: نَذَرَ رجلٌ أن يَنْحَرَ إبِلًا ببُوانَة، فسألَ النَّبيَّ ﷺ فقال: «هل كانَ فيها وَثَنٌ من أوثانِ الجاهليَّةِ يُعبَدُ؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيدٌ[1] مِن أعيادِهِم؟» [قالوا: لا]. فقال النَّبيُّ[2] ﷺ: «أوفِ بنذرِك، فإنَّهُ لا وَفَاءَ لنذرٍ في معصيةِ الله[3]، ولا فيما لا يَملِكُ ابنُ آدمَ» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما»[4].

● قوله: «عن ثابت بن[5] الضَّحَّاك»، أي: ابن خليفة الأشهلي، صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة وغيره، مات سنة أربع وستِّين[6].

● قوله: «ببوانة»: «ببوانة»[7] - بضم الباء وقيل بفتحها - قال

---

(١) في (ج): «عيدًا».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «رسول الله».
(٣) في (ج): «الله تعالى».
(٤) رواه أبو داود في «سننه» (٣٣١٣)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (١٠/ ٨٣) من طريق أبي داود، وذكره ابن حزم في «المحلَّى» (٨/ ٢٢) من طريقه أيضًا، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٧٥). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (١٨٦): «أصل هذا الحديث في الصحيحين، وهذا الإسناد على شرط الصحيحين، وإسناده كلهم ثقات مشاهير، وهو متصل بلا عنعنة».
وكذلك صحَّحه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ سليمان بن عبد الله رحمهم الله.
(٥) في (ب) و(د): «أي: ابن».
(٦) انظر ترجمته في: «الإصابة» (١/ ٣٩١)، و«التقريب» ص (١٣٢).
(٧) كذا في الأصل.

البغوي: «موضع في أسفل مكة دون يلملم»[١].

قال أبو السَّعادات: «هضبة من وراء ينبع»[٢].

● **قوله: «فهل كان فيها وثنٌ من أوثان[٣] الجاهلية يُعبَد؟»** ففيه المنع من الوفاء بالنَّذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله، قاله المصنف[٤] - رحمه الله [تعالى] - وهو شاهد الترجمة[٥].

● **قوله: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟»** قال شيخ الإسلام: «العيد اسمٌ لما يعودُ من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، إمّا بعود السّنة أو بعود الأسبوع أو[٦] الشَّهر ونحوه، والمراد به هنا: الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية. فالعيد يجمع أمورًا:

منها: يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة.

ومنها: اجتماع فيه.

ومنها: أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات[٧]، وقد يختصُّ العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكلٌّ من هذه الأمور قد يُسمَّى عيدًا[٨].

---

(١) في شرح السنة له (١٠/ ٣١).
(٢) «النهاية» (١/ ١٦٤).
(٣) في (أ) و(ط): «أوثانهم».
(٤) تقدم أنها رسمت هكذا: «المص»، وهي اختصار لكلمة المصنف.
(٥) في المسألة السادسة من مسائل هذا الباب من «كتاب التوحيد» ص (٢٥).
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «و».
(٧) في (ب) و(د): «الغادة»، وفي (هـ): «والواردات».
(٨) في (ب): «عيد».

فالزَّمان كقول النَّبيِّ[(١)] ﷺ في يوم الجمعة: «**إنَّ هذا يومٌ جعلهُ اللهُ للمسلمين عيدًا**»[(٢)]، والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضي الله عنه[(٣)]: شهدتُ العيدَ مع رسول الله[(٤)] ﷺ. والمكان كقول النَّبيِّ ﷺ: «**لا تتَّخِذُوا قبري عيدًا**»[(٥)]، وقد يكون لفظ العيد اسمًا لمجموع[(٦)] اليوم والعمل فيه، وهو الغالب كقول النَّبيِّ[(٧)] ﷺ: «**دعهما**[(٨)] **يا أبا بكر، فإنَّ لكلِّ قومٍ عيدًا**»[(٩)]. انتهى[(١٠)].

وقد أحدثَ هؤلاء المشركون أعيادًا عند أهل[(١١)] القبور التي تُعبد

---

(١) في (ب) و(د): «كقوله».

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (١٠٩٨)، وأخرجه بحشل في «تاريخ واسط» ص (٢٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٣٠) من طريق عبيد بن السبَّاق، عن ابن عباس به.

(٣) وقع في (أ): «كقول النبي ﷺ»، ثم ضرب عليها وكتب من فوق: «ابن عباس».
وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٣)، والبيهقي في «الكبرى» من حديث أبي هريرة، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٣٦٧): «فيه صالح بن أبي الأخضر ليَّنه الجمهور، وباقي رجال الإسناد ثقات».

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٩٧٧)، ومسلم برقم (٨٨٤).

(٥) سيأتي تخريجه ص (٣٤٤).

(٦) في (ب) و(ج) و(د): «بمجموع».

(٧) في (ب) و(د): «كقوله».

(٨) في (ج) و(د): «دعها».

(٩) في (ب): «يوم عيدٍ»، والحديث أخرجه البخاري برقم (٩٥٢)، ومسلم برقم (٨٩٢).

(١٠) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (١٩٠).

(١١) كذا في الأصل.

من دون الله ويسمُّونها عيدًا، كمولد البدوي[١] بمصر وغيره، بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشِّرك والمعاصي العظيمة.

قال المصنِّفُ[٢] - [رحمه الله تعالى] -: «وفيه استفصال المفتي، والمنع من الوفاء بالنَّذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله»[٣].

قلت: وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلًّا للعبادة[٤]؛ لكونها صارت محلًّا لما حرَّم الله من الشِّرك والمعاصي، والحديث وإن كان في النَّذر فيشمل كل ما كان عبادة لله إذ لا فرق، فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتُّخِذت محلًّا لما يسخط الله، فبهذا صار الحديثُ شاهدًا للترجمة، والمصنِّف - رحمه الله [تعالى] - لم يرد[٥] التخصيص بالذَّبح، وإنَّما ذكر الذَّبح كالمثال[٦].

وقد استشكل جعل محل اللَّات بالطَّائف مسجدًا، والجواب - والله أعلم -: أنَّه لو ترك هذا المحل في هذه البلدة، لكان يخشى أن تفتتن به قلوب الجهال، فيرجع إلى جعله وثنًا كما كان يفعل فيه أوَّلًا، فجعله مسجدًا والحالة هذه ينسي ما كان يفعل فيه ويذهب به

---

(١) هو أحمد بن علي بن إبراهيم الحسني، أبو العباس البدوي المتصوف. أصله من المغرب، ولد بفاس، وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة. توفي ودفن في طنطا حيث تقام في كل عام سوق عظيمة، يفد إليها الناس من جميع أنحاء القطر المصري احتفاءً بمولده. توفي سنة (٦٧٥هـ). «الأعلام» (١/ ١٧٥).

(٢) تقدم أنها رسمت على الاختصار.

(٣) المسألتان: الرابعة والسابعة من مسائل هذا الباب من كتاب التوحيد ص (٢٥).

(٤) في (ب) و(ج) و(د): «لعبادة الله».

(٥) في (ج): «يقصد».

(٦) في (ب) و(د): «كالأمثال».

أثر الشِّرك بالكليَّة، فاختصَّ هذا المحل لهذه العلَّة وهي قوَّة المعارض. والله أعلم.

● قوله: «فأوفِ بنذرِك»، وذلك لعدم المانع.

● قوله: «فإنَّه لا وفاء لنذر في معصية الله»، فالحديث دلَّ على أنَّ اتِّخاذ أماكن الشِّرك والمعاصي لا يجوز أن يعبد الله فيها، ونذر ذلك معصية لا يجوز الوفاء به.

● قوله: «ولا فيما لا يملكُ ابنُ آدم»، قال في «شرح المصابيح»: «يعني إذا أضاف[(١)] النَّذر إلى معيَّن[(٢)] لا يملكه[(٣)]؛ بأن قال: إن شفى الله مريضي فللَّه عليَّ أن أُعتق عبد فلان ونحو ذلك. فأمَّا إذا التزم في الذِّمَّةِ شيئًا بأن قال: إن شفى اللهُ مريضي فللَّهِ عليَّ أن أُعتقَ رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكُها ولا قيمتَها، فإذا شُفيَ[(٤)] مريضه ثبت ذلك في ذمَّتِه[(٥)].

● قوله: «رواه أبو داود وإسناده على شرطهما»، أي: البخاري ومسلم، وأبو داود اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق[(٦)] بن بشير ابن شدَّاد الأزدي السِّجستاني صاحب الإمام أحمد بن حنبل،

---

(١) في (ب): «ضاف».
(٢) في (ب) و(د): «المعين».
(٣) في (ب): «يملك».
(٤) في (هـ): «فإن شفى الله».
(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٦/ ٥٨٣).
(٦) «ابن إسحاق» ضرب عليها في (د).

ومصنِّف «السُّنن» و«المراسيل» وغيرها، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين[(١)] ومئتين رَحِمَهُ اللهُ[(٢)].

(١) في (ج): «خمسين».
(٢) وانظر ترجمة أبي داود في: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٠٣)، وكتاب «السنن والمراسيل».

١١ - باب

من الشِّركِ النَّذْرُ لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧]

● قوله: «باب من الشِّرك النَّذرُ لغير الله».
وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧](١).

قال العماد ابن كثير - [رحمه الله تعالى] -: «أي يتعبَّدون الله [تعالى] بما(٢) أوجبه(٣) عليهم من فعل الطَّاعات الواجبة بأصل الشَّرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النَّذر»(٤).

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

● قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

قال [العماد] ابن كثير: «يخبرُ تعالى بأنَّه عالمٌ بجميع ما يعمله العاملون من النَّفقات والمنذورات، وتضمَّن ذلك مجازاته على ذلك أوفرَ الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه»(٥).

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا»، وفي (د) و(هـ) بعدها: «الآية».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «فيما».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «أوجب».
(٤) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/ ٤٥٥).
(٥) «التفسير» (١/ ٣٢٣).

قال شيخ الإسلامِ - [رحمه الله تعالى] -: «وأمّا النَّذر[(١)] لغيرِ الله - كالنَّذر للأصنام والشّمس والقمر والقبور ونحو ذلك - فهو شرك[(٢)].

وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دُهنًا لتنوَّر به، ويقول: إنَّها تقبل النَّذر كما يقوله بعض المشركين: «فهذا النَّذر معصيةٌ باتِّفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالًا[(٣)] للسَّدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة، فإنَّ فيهم شبهًا من السَّدنة التي كانت عند اللَّات والعزَّى ومناة، يأكلون أموال النَّاس بالباطل ويصدُّون عن سبيل الله.

والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢]، فالنَّذر لأولئك السَّدنة والمجاورين في هذه البقاع: نذر معصية، وفيه شبه من النَّذر لسدنة[(٤)] الصُّلبان والمجاورين عندها». انتهى[(٥)].

وذلك لأنَّ الناذر[(٦)] لله وحده قد علَّق[(٧)] رغبته به وحده لعلمه بأنَّه[(٨)] تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه لا مانع لما أعطى

(١) في (ب) و(ج) و(د): «ما نذر».
(٢) في (ب): «مشرك».
(٣) في (ب): «مال».
(٤) في (ب) و(د): «السدنة سدنة».
(٥) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (٣١٥).
(٦) في (ج): «النذر».
(٧) في (ب): «علت».
(٨) في (ج): «بأن الله».

ولا معطي لما منع، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب[(١)] عليه وجوب الوفاء فيما نذر طاعة لله، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركًا بالله لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، فقد جعله شريكًا لله في العبادة[(٢)] فيكون قد أثبت ما نَفَتْه «لا إله إلا الله» من إلهية غير الله، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنِّف - [رحمه الله تعالى] - تدلُّ على أنَّ من أشرك مع الله غيره بالقصد والطَّلب فقد خالف ما نفته[(٣)] لا إله إلَّا الله، فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التَّوحيد، وهذا معنى قول شيخنا - [رَحِمَهُ اللهُ] -: «وشرح هذه التَّرجمة ما بعدها من الأبواب»[(٤)]. فكل شرك يقع أو قد وقع فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تضمَّنته من التَّوحيد.

قال الرَّافعي[(٥)] في «شرح المنهاج»: «وأمَّا النَّذر للمشاهد[(٦)] التي

---

(١) في (ب) و(د): «مرتب».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «عبادته».
(٣) كتب في الهامش: ««لعلّه ما أثبتته».
(٤) كتاب التوحيد ص (١٥).
(٥) كذا في جميع النسخ، وفي «التيسير» ص (١٦٧): «قال الإمام الأذرعي». وهو أحمد بن حمدان الآذرعي (ت ٧٨٣هـ)، وله شرحان على «المنهاج» هو «غنية المحتاج في شرح المنهاج»، وله شرح آخر اسمه «قوت المحتاج». انظر: «الفتاوى الفقهية» لابن حجر (٤/ ٢٨٦) و«مغني المحتاج» (٤/ ٣٧١).
وقوله هذا فيه كما في «الدرر السّنيَّة في الأجوبة النجدية» (١/ ٣٠١)، و«قوت المحتاج» توجد له نسخة خطية، قطعة منه في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، و«المنهاج» للنووي.
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «المشاهد».

على قبر وليٍّ أو شيخ، أو على اسم من حلّها من الأولياء أو تردَّد في تلك البقعة [من الأولياء والصالحين، فإن قصد الناذر بذلك - وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة - تعظيم البقعة] أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم(١) من دفن بها أو نسبت(٢) إليه أو بُنِيَتْ على اسمه، فهذا النَّذر باطل غير منعقد، فإنَّ معتقدهم أنَّ لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون(٣) أنَّها ممّا يُدفع به البلاء، ويُستجلب به النَّعماء، ويُستشفى بالنَّذر لها من الأدواء(٤) حتَّى إنَّهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم: إنَّه استند إليها(٥) عبدٌ صالح، وينذرون(٦) لبعض القبور السُّرُج، والشُّموعَ(٧) والزَّيت ويقولون: القبر الفلاني [أو المكان الفلاني] يقبل النَّذر!! يعنون بذلك أنَّه يحصل به الغرض المأمول، من شفاء مريض أو قدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النَّذر على هذا الوجه باطل لا شكَّ فيه، بل نذر الزَّيت والشَّمع ونحوهما للقبور باطل مطلقًا.

ومن ذلك نذر الشُّموع الكثيرة العظيمة وغيرها، لقبر [إبراهيم] الخليل ﷺ، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء، فإنَّ النَّاذر لا يقصد

---

(١) في (ج) و(د): «وتعظيم».
(٢) في (ب) و(د): «بنسب».
(٣) في (ب): «ويرونه».
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «الأذى».
(٥) في (ب) و(د): «إليه».
(٦) في (ب): «وينذر».
(٧) في (هـ): «الشمع».

بذلك إلَّا الإيقاد على القبر تبرُّكًا[١] وتعظيمًا ظانًّا أنَّ ذلك قُربة، فهذا ممّا لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرَّمٌ سواءٌ انتفع به مُنتفعٌ أم لا».

وقال الشَّيخ قاسم الحنفي في شرح «درر البحار»[٢]: «النَّذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد، كأن يكون لإنسان[٣] غائبٌ[٤] أو مريض أو له حاجة، فيأتي إلى بعض الصُّلحاء ويجعل على رأسه سُتْرَةً[٥]، ويقول: يا سيِّدي فلان، إن ردَّ الله غائبي[٦] أو قضيت حاجتي، فلك من الذَّهب كذا أو من الفضَّة كذا أو من الطَّعام كذا أو من الماء[٧] كذا أو من الشَّمع كذا والزَّيت كذا، فهذا النَّذر باطلٌ بالإجماع، لوجوه:

منها: أنَّه نذر لمخلوق، والنَّذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنَّه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أنَّ المنذور له ميِّت، والميِّت لا يملك [شيئًا].

(١) في (ب) و(د): «إلّا تبركًا».
(٢) في (ب): «البخاري». والشيخ قاسم: هو قاسم بن قُطلوبُغا بن عبد الله المصري الحنفي محدِّث أصولي. توفي سنة (٧٨٩هـ). وكتاب «درر البحار» في الفروع للقونوي. توفي سنة (٧٨٨هـ). «البدر الطالع» (٢/ ٤٥).
(٣) في (ب): «الإنسان».
(٤) في (ب): «غائبًا».
(٥) في (ب): «سترًا».
(٦) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «أو عوفي مريضي».
(٧) في (ب) و(د): «المال».

ومنها: أنَّه ظنَّ أنَّ الميِّت يتصرَّف في الأمورِ دون الله [ﷻ]، واعتقاد ذلك كفر..» إلى أن قال: «إذا علمتَ هذا فما يؤخذ من الدَّراهم والشَّمع والزَّيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح[١] الأولياء تقرُّبًا إليهم، فحرام بإجماع المسلمين». نقله عنه ابن نجيم في[٢] «البحر الرائق»[٣]، ونقله المرشدي[٤] في تذكرته وغيرهما عنه، وزاد: «وقد ابتلي النَّاس بهذا لا سيما في مولد البدوي».

وقال الشَّيخ صنع الله الحلبي الحنفي[٥] [رحمه الله] في الردِّ على من أجاز الذَّبح والنَّذر للأولياء: «فهذا الذَّبح والنَّذر إن كان على اسم فلان، فهو لغير الله [تعالى] فيكون باطلًا، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. والنَّذر لغير الله إشراكٌ[٦] مع الله كالذَّبح لغيره». انتهى[٧].

---

(١) في (ج): «ضريح».

(٢) في (هـ): «إلى».

(٣) «البحر الرائق» (٢/ ٣٢٠)، وابن نجيم هو زين العابدين إبراهيم بن محمد بن نجيم المصري. توفي سنة (٩٦٩هـ)، وقيل: (٩٧٠هـ). «الأعلام» (٣/ ٦٤).

(٤) في (أ) «ونقله المرشدي وغيرهما عنه». والمرشدي هو حنيف الدين بن عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري المكي. له العديد من المصنفات. توفي سنة (١٠٦٧هـ). «الأعلام» (٢/ ٢٨٧) وفيه أن التذكرة (خ).

(٥) والشيخ هو صنع الله بن الحلبي، ثم المكي المتوفى سنة (١١٢٠هـ). «هدية العارفين» (٥/ ٤٢٨).

(٦) في (ب) و(د): «شرك إشراك».

(٧) «سيف الله على من كذب على أولياء الله» بتحقيق: علي رضا - ط دار الوطن.

وفي «الصحيح» عن عائشة ﵂ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصِه».

● **قوله: «وفي «الصحيح» عن عائشة ﵂ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصِه»**[(١)].

● **قوله: «[و] في الصَّحيح»**، أي: «صحيح البخاري».

● **قوله: «عن عائشة»**، هي أمُّ المؤمنين زوج النَّبيِّ ﷺ، وابنة الصدِّيق[(٢)] وأعلم النساء بحديث رسولِ الله ﷺ، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ [وهي] بنت[(٣)] سبع، ودخل بها وهي ابنة[(٤)] تسع، وأفضل أزواج النَّبيِّ[(٥)] ﷺ إلَّا خديجة ففيها خلاف؛ بل لا[(٦)] يقال: خديجة أفضل ولا عائشة أفضل، والتَّحقيق أنَّ لخديجة من الفضائل في بدء الوحي، ما ليس لعائشة مِن سبْقِها إلى الإيمان بالنَّبيِّ ﷺ، وتأييده في تلك الحال التي بدئ بالوحي فيها، كما في «صحيح البخاري»[(٧)] وغيره، فما زالت كذلك حتى توفِّيت ﵂ قبل الهجرة، ولعائشة من العلم

---

(١) في (ج): «يعصيه»، والحديث في البخاري كما ذكر الشيخ وهو برقم (٦٧٠٠).
(٢) في (ج) بعدها: «﵄»، وفي (ب) و(د): «﵂».
(٣) في (ج): «ابنة».
(٤) في (ب): «بنت».
(٥) في (ب) و(د): «رسول الله».
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «فلا ينبغي أن».
(٧) أول الصحيح برقم (٣)، وهو عند مسلم أيضًا برقم (١٦٠)، وانظر ترجمة خديجة ﵂ في «الإصابة» (٧/ ٦٠٠).

بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة؛ لعلمها بأحوال النَّبيِّ ﷺ ونزول القرآن بالأحكام وبيان الحلال والحرام، وكان الصَّحابة ﷺ بعد وفاته ﷺ يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من أحوال النَّبيِّ ﷺ وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عن أصحابه وأزواجه، [و] توفِّيت سنة سبع وخمسين رضي الله عنها[١].

● قوله: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»؛ لأنَّه[٢] نذره لله خالصًا فوجب عليه الوفاء به فصار عبادة، وقد أجمع العلماء على أنَّ من نذر طاعة لشرط يرجوه كـ إن شفى الله مريضي فعليَّ أن أتصدَّق بكذا ونحو ذلك، وجب عليه[٣] إن حصل له ما علَّق نذره على حصوله، إلا أن أبا حنيفة قال: لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشَّرع، كالصَّوم [ونحوه]، وأمَّا ما ليس كذلك فلا يُوجَب[٤] عليه الوفاء به.

● قوله: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» وزاد[٥] الطحاوي: «وليكفِّر عن يمينه»[٦].

---

(١) انظر: «الإصابة» (٨/ ١٦).
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «لأنَّ».
(٣) في (ب) و(د): «له».
(٤) في (ب) و(د): «يجب».
(٥) في (د): «يروى».
(٦) «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٣)، قال في «التيسير» ص (١٧٠): «قال ابن القطان: عندي شك في رفع هذه الزيادة». وقول ابن القطان نقله الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٢٢) ط مؤسسة قرطبة.

وقد أجمع العلماء على أنَّه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية، واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد، إحداهما: تجب وهو المذهب، وروي عن ابن مسعود وابن عبَّاس، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه(١).

---

(١) انظر: «المغني»، وفيه: «وروي عن أحمد ما يدلُّ على أنه لا كفارة عليه.. وروي هذا عن مسروق والشعبي وهو مذهب مالك والشافعي».
وانظر: «فتح الباري» (٥/٦٦). زاد في «فتح المجيد» (١/٢٩٣): «وأما نذر اللجاج والغضب، فهو يمين عند أحمد، فيخيَّر بين فعله وكفارة يمين».

١٢ - باب
مِنَ الشِّركِ الاستعاذةُ بغير الله

● قوله: «باب من الشِّرك الاستعاذةُ بغير الله [تعالى]».

الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، فالعائذ قد هرب إلى ربِّه، والتجأ إليه ممَّا يخافه عمومًا وخصوصًا.

قال ابن القيِّم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به والانطراح بين يدي الربِّ، والافتقار إليه والتذلُّل له، أمرٌ لا تحيط به العبارة». انتهى(١).

وقد أمر الله تعالى عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع، كقوله - تعالى -: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨]، وفي «المعوذتين» وغير ذلك، فهي(٢) عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادة.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجنّ: ٦].

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٢٧).
(٢) في (أ): «فهو».

مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾[١] [الجنّ: ٦] الآية.

[و] قال أبو جعفر بن جرير - [رحمه الله تعالى] - في تفسير هذه الآية عن ابن عبَّاس ﷺ قال: «كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهليَّة، فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي، فزادهم ذلك إثمًا.

وقال بعضهم: فزاد الإنسُ الجنَّ[٢] باستعاذتهم[٣] بالجن باستعاذتهم بعزيزهم جراءة عليهم، وازدادوا هم بذلك إثمًا[٤].

وقال مجاهد: فازداد[٥] الكفار طغيانًا، وقال ابن زيد: وزادهم[٦] الجنُّ خوفًا»[٧].

وقد أجمع العلماء على أنَّه لا تجوز الاستعاذة بغير الله، وقال ملّا علي قاري الحنفي[٨] - [رحمه الله] -: «لا تجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذمَّ الله الكافرين على ذلك وذكر الآية، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٨][٩]،

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) بعدها: «فزادوهم رهقًا».
(٢) في (ج) و(د): «بالجن».
(٣) في (ب): «باستغاثتهم».
(٤) قوله: «إثمًا» جاء في (ب) و(د) بعد قول ابن زيد: «وزادهم الجن خوفًا».
(٥) في (ب) و(ج) و(د): «فازدادوا».
(٦) في (ب) و(د): «وزاد».
(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٩/١٠٨) بتصرف.
(٨) هو الشيخ ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي. له العديد من المصنفات. توفي سنة (١٠١٤هـ). «البدر الطالع» (١/٤٤٦).
(٩) في (هـ): «الآية».

فاستمتاع الإنسي بالجني[١] في قضاء حوائجه، وامتثال[٢] أوامره وإخباره بشيء من المغيَّبات، واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه له». انتهى ملخصًا[٣].

قال المصنِّف [رحمه الله تعالى] -: «وفيه أنَّ كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدلُّ على أنَّه ليس من الشِّرك»[٤].

وعن خولة بنت حكيم ﵂ قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من نزلَ منزلًا فقال: أعوذُ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق، لم يضرَّه شيء حتى يرحل من منزله ذلك». رواه مسلم.

● قوله: **«وعن خولة بنت حكيم ﵂ قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من نزلَ منزلًا فقال: أعوذُ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق، لم يضرَّه شيء حتى يرحل من منزله ذلك». رواه مسلم**[٥].

[هي] خولة بنت حكيم بن أميّة السُّلَمِيَّة، يقال لها: أم شريك[٦]، ويقال: إنَّها هي الواهبة، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون، قال ابن عبد البر - [﵀] -: «وكانت صالحة فاضلة»[٧].

---

(١) في (ب) و(د): «الإنس بالجن».
(٢) في (ج) و(د): «أو امتثال».
(٣) أصل هذا الكلام مأخوذ من «العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز ص (٥٧٠).
(٤) المسألة الخامسة من مسائل هذا الباب في «كتاب التوحيد» ص (٢٨).
(٥) في «صحيحه» برقم (٢٧٠٨).
(٦) وفي (أ) وقع: «أم سليم». ثم ضرب عليها كما هو مثبت.
(٧) «الاستيعاب» (٤/ ١٨٣٢)، وانظر في ترجمتها أيضًا: «الإصابة» (٧/ ٦٢١).

● قوله[١]: «أعوذُ بكلمات الله التامات»، شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا[٢] به بدلًا عمَّا يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع الله تعالى للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته.

قال القرطبي[٣] - [رحمه الله تعالى] -: «قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب، كما يلحق كلام البشر، وقيل: معناه الكافية الشَّافية، وقيل: الكلمات[٤] هنا هي القرآن، فإنَّ الله[٥] أخبر عنه أنَّه[٦] هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى، وعلى هذا فحقٌّ المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أن يَصدُق[٧] الله في التجائه[٨] إليه، ويتوكَّل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه، فمن فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه»[٩].

قال شيخ الإسلام - [رحمه الله تعالى] -: «وقد نصَّ الأئمة كأحمد وغيره، على أنَّه لا تجوز[١٠] الاستعاذة بمخلوق، وهذا ممَّا استدلُّوا به

(١) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «من نزل منزلًا فقال».
(٢) في (ب) و(د): «يتعوّذوا».
(٣) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري المالكي المحدِّث. توفي سنة (٦٥٦هـ). «العبر في خبر من غبر» (٥/ ٢٢٦).
(٤) في (ج) و(د): «معناه».
(٥) في (ب) و(د): «فإنه».
(٦) في (ج) و(د): «بأنه».
(٧) في (د): «يقصد».
(٨) في (هـ): «الالتجاء».
(٩) «المفهم» (٧/ ٣٦).
(١٠) في (ب) و(ج) و(د): «يجوز».

على أنَّ كلام الله غير مخلوق[١]. قالوا: لأنَّه ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهى العلماء عن التَّعازيم والتَّعاويذ، التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك»[٢].

قال ابن القيِّم - [رحمه الله تعالى] -: «ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرَّب إليه بما يحبُّ فقد عبده، وإنْ لم يسمِّ ذلك عبادة ويسمِّيه استخدامًا، وصدق؛ هو استخدام من الشَّيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، ولذلك يخدمه الشَّيطان، لكن خدمة الشّيطان له ليست خدمة عبادة، فإنَّ الشَّيطان لا يخضع له ولا يعبده، كما يفعل[٣] هو به»[٤].

● **قوله: «من شرِّ ما خلق»**، قال ابن القيِّم: «من [شر] كل[٥] شر، في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره، إنسيًا[٦] [كان] أو جنِّيًا[٧] أو هامة أو دابة أو ريحًا[٨] أو صاعقة، أيَّ نوع كان من أنواع البلاء في الدُّنيا والآخرة»[٩].

و(ما) ههنا موصولة ليس إلَّا، وليس المراد بها العموم الإطلاقي،

---

(١) في (هـ): «ليس بمخلوق».
(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٣٦).
(٣) في (ب) و(د): «يفعله».
(٤) «بدائع الفوائد» (٢/ ١٧٩).
(٥) في (أ): «من كل شر».
(٦) في (د): «إنسي».
(٧) في (د): «جني».
(٨) في (د): «ريح».
(٩) «بدائع الفوائد» (٢/ ١٧٥).

بل المراد التّقييدي الوصفي، والمعنى: من شرِّ كل مخلوق فيه شر، لا من كل[1] ما خلقه الله، فإنَّ الجنَّة والأنبياء والملائكة[2] ليس فيهم شرّ، والشَّرُّ يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه[3].

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «لا من شر كل».
(٢) في (ب) و(د): «والملائكة والأنبياء».
(٣) «بدائع الفوائد» لابن القيم، (٢/ ٢١٥) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٣ - باب
من الشِّـرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

● قوله: «باب من الشِّرك أن يستغيث بغير الله تعالى أو يَدعُوَ غيره»[(١)].

قال شيخ الإسلام - [رحمه الله تعالى] -: «الاستغاثة: هي[(٢)] طلب الغوث، وهو إزالة الشدَّة، كالاستنصار[(٣)]: طلب النصر[(٤)]، والاستعانة: طلب العون». انتهى[(٥)].

قلت: فبين الاستغاثة والدُّعاء عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادّة وهو دعاء المستغيث، وينفرد الدُّعاء الذي هو مطلق الطَّلب والسّؤال من غير المستغيث. وقد نهى تعالى عن دعاء غيره الأخصَّ [منه] والأعم في كتابه، كما يأتي بيانه، [قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]]، فكل[(٦)] ما قصد به غير[(٧)] الله ممَّا لا يقدر عليه إلَّا الله، كدعوة الأموات والغائبين فهو من الشِّرك

---

(١) في (ب): «يدعوه غير».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «هو».
(٣) في (ب) و(د): «كالانتصار».
(٤) في (ج) و(د): «البصرة»، وفي (هـ): «النصرة».
(٥) «الفتاوى» (١/ ١٠٣).
(٦) في (ب) و(د): «وكل».
(٧) في (ب) و(ج) و(د): «لغير».

الذي لا يغفره الله، والأدلَّة على ذلك من القرآن والسُّنَّة أكثر من أن تحصر.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧] الآية.

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] الآية.

• وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، ففي هذه الآية النَّهي عن أن يُدعى أحد من دونه تعالى[1]، وأخبر تعالى أنَّ غيره لا يضرُّ ولا ينفع.

• وقوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، والظُّلم في هذه الآية هو الشِّرك، كما قال تعالى عن لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

• وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، هذا في حقِّ المستغيث، أخبر [الله] تعالى أنَّه لا يكشف ضرَّه إلَّا الله وحده دون ما سواه مطلقًا، وقوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وهذا في حق كل طالب وراغب، أخبر

---

(١) في (د): «الله تعالى»، وفي (ج) بعدها: «أحد».

تعالى أنَّه هو الذي يتفضَّل على من سأله، ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئًا من فضل الله عليه، فهو المعطي والمانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عبَّاس، وفيه: «**واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعوا**[(١)] **على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوكَ لم يضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ عليكَ**»[(٢)].

فمن تدبَّر هذه الآية وما في معناها، علم أنَّ ما وقع فيه الأكثر من دعوة[(٣)] غير الله هو الظُّلم العظيم، والشِّرك الذي لا يغفر[(٤)]، وأنَّهم قد أثبتوا ما نفته «لا إله إلَّا الله» من الشِّرك في الإلهية، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٢-٣]. والدِّين هو طاعة الله فيما أمر به وشرعه ونهى عنه وحرَّمه، وأعظم ما أمر [الله] به: التَّوحيد والإخلاص، وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته، وأرسل[(٥)] الرُّسل[(٦)] بذلك، وأنزل به كتبه، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النِّساء: ١٦٥]، وأعظم ما نهى عنه: الشِّرك به في ربوبيته وإلهيته.

---

(١) في (د): «اجتمعت».
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي برقم (٢٥١٦).
(٣) في (ب) و(د): «عبادة».
(٤) في (ج): «لا يغفره الله».
(٥) في (ج) و(د) و(هـ): «وأرسل بذلك».
(٦) في (ب) و(ط): «رسله».

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥] الآيتين.

● [و] قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، فهذه الآية تبيِّن وتوضِّح ما تقرَّر في الآية قبلها، فأخبر تعالى أنَّه لا أضلُّ ممن يدعو أحدًا من دونه كائنًا من كان، وأخبر أنَّ المدْعُو لا يستجيب لما طلب منه من ميت أو غائب، أو ممن لا يقدر على الاستجابة مطلقًا من طاغوت ووثن(١)، فليس لمن دعا غير الله إلَّا الخيبة والخسران، ثم قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: ٥]، كما قال [تعالى] في آية «يونس»: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ [يونس: ٢٨] إلى قوله: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ۝٢٩﴾ [يونس: ٢٩]، ثم قال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٦]، [وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٨٦﴾] [النحل: ٨٦]، فلا يحصل للمشرك(٢) يوم القيامة إلَّا نقيض قصده(٣) فيتبرأ منه [المدعو] ومن

(١) في (ج) و(د): «أو وثن».
(٢) في (ب) و(د): «للمشركين».
(٣) في (ب): «قصدهم».

عبادته، وينكر ذلك عليه أشدَّ الإنكار، فقد[١] صار المدعو للداعي عدوًّا. ثم أخبر تعالى أنَّ ذلك الدُّعاء عبادة بقوله: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٦]، فدلَّت أيضًا على أنَّ دعاء غير الله عبادة له، وأنَّ الداعي له في غاية الضلال.

وقد وقع من هذا الشِّرك في [آخر] هذه الأمَّة ما عمَّ وطمَّ، حتَّى أظهر الله من يبيِّنه[٢] بعد أن كان مجهولًا عند الخاصة والعامة، إلا من شاء[٣] الله - [تعالى] -، وهو في الكتاب والسُّنَّة في غاية البيان، لكن القلوب انصرفت إلى ما زيَّن لها الشَّيطان، كما جرى للأمم مع الأنبياء والمرسلين لمَّا دعوهم إلى توحيد الله، جرى لهم من شِدَّةِ العداوة ما ذكره الله - [تعالى] -، كما قال [تعالى]: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

ويشبه هذه الآية في المعنى قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤] أخبر [الله تعالى] أنَّ ذلك الدُّعاء شرك بالله، وأنَّه لا يغفره لمن لقيه به، فتدبَّر هذه الآيات وما في معناها كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا[٤] ۝١٨﴾ [الجن:

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «وقد».
(٢) في (ب) و(د): «بينه»، وفي (ج): «دينه».
(٣) في (د): «هدى».
(٤) في (ب) و(د) بعدها: «الآية، وقوله».

١٨]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾ [الجن: ٢٠] وهو في القرآن أكثر من أن يستقصى.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] الآية.

● وقوله: «﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢]»، وهذا مما أقرَّ به مشركو العرب وغيرهم في جاهليَّتهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥]، أخبر تعالى أنَّهم يخلصون الدُّعاء له إذا وقعوا في شدَّة[(١)].

قال أبو جعفر بن جرير - رحمه الله [تعالى] -: «يقول تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم[(٢)] عليكم؟ وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢]، يقول: تذكرًا[(٣)] قليلًا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون، وتعتبرون حجج[(٤)] الله عليكم يسيرًا، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

(١) في (ب) و(د): «الشدة».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «وينعم بهذه النعم».
(٣) في (ب): «تذكر».
(٤) في (ب) و(د): «بحجج».

وروى الطبراني بإسناده أنَّه كان في زمن النَّبيِّ ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضُهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّهُ لا يستغاثُ بي، وإنَّما يستغاثُ بالله».

● **قوله: «وروى الطبراني [بإسناده] أنَّه كان في زمن النَّبيِّ ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضُهم: قوموا بنا[1] [نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّهُ لا يستغاثُ بي، وإنَّما يستغاثُ بالله»][2].**

الطَّبراني هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني صاحب «المعاجم» الثَّلاثة وغيرها، روى عن النَّسائي وإسحاق بن إبراهيم الدبري[3] وخلق كثير، مات سنة ستين وثلاث مئة[4]. روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

● **قوله: «فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق»**[5]. قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة - [رحمه الله تعالى] -: «إنَّ

---

(١) في (أ): «قوموا بنا . . الحديث».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩)، وعزاه للطبراني في «معجمه» شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١/ ٣٢٩)، و«الرد على البكري» (١/ ٤١٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣١٧)، ورواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٨٧).
قال في «المجمع»: «رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث».
قال شيخ الإسلام في كتابه «الرد على البكري» (١/ ٣٠٧): «معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة». ثم ذكر أنه صالح للاعتضاد.

(٣) في (هـ): «الديري».

(٤) انظر ترجمة الطبراني في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١١٩).

(٥) قال في «فتح المجيد» (١/ ٣٢٣): «لم أقف على اسم هذا المنافق».

النَّبيَّ ﷺ كان لا يقدرُ أن يغيثهم منه»[١].

قلت: لعله[٢] أراد أنَّ النَّبيَّ ﷺ [كان] يترك[٣] المنافقين أن يفعل بهم ما يستحقُّونه، مخافة[٤] أن يفتتن[٥] بعضُ المؤمنين من قبيلة المنافق، وفي السنَّة ما يدلُّ على ذلك كما فعل مع ابن أُبيّ وغيره.

فإن قيل[٦]: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق، فيكون نهيه ﷺ[٧] عن الاستغاثة به حماية لجناب التَّوحيد، وسدًّا لذرائع الشِّرك كنظائره[٨] مما[٩] للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعًا[١٠]، مخافة أن يقع من أمَّته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع، ولا يسمع ولا يستجيب من الأموات والغائبين، والطَّواغيت والشَّياطين[١١] والأصنام وغير ذلك، وقد وقع من هذا الشِّرك العظيم ما عمَّت به البلوى، كما تقدَّم ذكره، حتَّى إنَّهم

---

(١) انظر: «الرد على البكري» (١/ ٣٠٧).
(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «فلعله».
(٣) في (ط): «كان يقدر أن يترك».
(٤) في (ط): «لكنه لم يفعل مخافة».
(٥) في (ط): «ينفض».
(٦) في هامش الأصل: «لعله: وقيل»، وفي (ط): «وقيل».
(٧) في (ب) و(ج) بعدها: «على هذا القول».
(٨) في (ب) و(ج) و(د): «كنظائر ذلك».
(٩) في (ب) و(د): «مما نهى عنه، وإن كان يستعمل».
(١٠) وقع في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «فنهى عنه».
(١١) في (ب) و(د): «والشياطين والطواغيت».

أشركوهم مع الله في ربوبيته وتدبير أمر[١] خلقه، كما أشركوهم معه في إلهيَّته وعبوديَّته، والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها. والله أعلم.

(١) في (ج) و(د): «أمور».

١٤ - باب

قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢]

● قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢] الآية».

وهذا ممَّا احتجَّ به تعالى على المشركين، لمّا وقع منهم من اتّخاذ الشُّفعاء والشُّركاء في العبادة؛ لأنَّهم مخلوقون، فلا يصلح أن يكونوا هم شركاء لمن هم خلقه وعبيده، وأخبر أنَّهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصرًا، أي: لمن سألهم النُّصرة، ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩٢]، فإذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه، فلأن لا ينصر غيره من باب أولى، فبطل تعلّق(١) المشرك(٢) بغير الله بهذين الدَّليلين العظيمين، وهو كونهم عبيدًا لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون معبودًا(٣).

الدّليل الثاني: أنّه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم، فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم؟! فتدبَّر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم.

---

(١) في (ط): «تملق».
(٢) في (ب) و(د): «المشركين».
(٣) في (ج): «معبود».

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣﴾ [فَاطِر: ١٣] الآية.

● قوله: «﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فَاطِر: ١٣ ١٤]»[(١)].

ابتدأ - تعالى - هذه الآيات بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ [فَاطِر: ١٣] يخبر الخبير أنَّ الملك له وحده، والملوك وجميع الخلق تحت تصرُّفه وتدبيره[(٢)]، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣﴾ [فَاطِر: ١٣]، فإنَّ من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سواه تعالى وتقدَّس، بل يجب إخلاص الدُّعاء له الذي هو من أعظم أنواع العبادة[(٣)].

وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشِّرك[(٤)] لا يملك شيئًا، وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو فرض أنَّهم يسمعون فلا يستجيبون

---

(١) قول الله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فَاطِر: ١٤] ليس في (ب) و د، ومكانه: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [فَاطِر: ١٤] الآية.
(٢) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «وفضل بحكمته وعلمه».
(٣) في (د) بعدها: «له».
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «المشرك».

لداعيهم، وأنَّهم يوم القيامة يكفرون بشركهم[(١)]، أي: ينكرونه ويتبرؤون ممن فعله معهم[(٢)]، فهذا الذي أخبر به الخبير الذي ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥].

وأخبر أنَّ ذلك الدُّعاء شرك به، وأنَّه لا يغفره لمن لقيه به. فأهل الشِّرك ما صدَّقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم[(٣)] به وشرع[(٤)]، بل قالوا إنَّ الميّت يسمع، ومع سماعه ينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأسًا كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمَّة.

وفي «الصحيح» عن أنس قال: شجَّ النَّبيُّ ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال: «كيف يفلح قومٌ شجّوا نبيهم؟» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].
وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الرُّكوع في الركعة الأخيرة من الفجر -: «اللهمَّ العن فلانًا وفلانًا» بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. الآية.
وفيه في رواية: يدعو على صفوان بن أميَّة وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

● **قوله: «في «الصحيح» عن أنس رضي الله عنه قال: شُجَّ النَّبيُّ ﷺ يوم أُحد وكُسرت رباعيته، فقال: «كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيَّهم؟» فنزلت**

(١) في (ب) و(د): «بشرككم».
(٢) في (هـ): «منهم».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «أمر».
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «وشرعه».

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[(١)] [آل عِمرَان: ١٢٨].

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه[(٢)] أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الرُّكوع في الرَّكعة الأخيرة من الفجر ـ: «اللهمَّ العن فلانًا وفلانًا»، بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده ربَّنا ولك الحمد»، فأنزل الله [تعالى]: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[(٣)] [آل عِمرَان: ١٢٨].

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أميَّة، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[(٤)] [آل عِمرَان: ١٢٨]، وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم[(٥)].

● قوله: «في الصَّحيح»، أي: «الصحيحين»، علَّقه البخاري عن حميد، عن ثابت[(٦)]، عن أنس، ووصله أحمد والتِّرمذي والشَّافعي[(٧)] عن

---

(١) في (ج) بعدها: «أو يتوب عليهم»، وفي (ط): «الآية»، والحديث علَّقه البخاري (٧/ ٣٦٥ . فتح)، وأخرجه مسلم برقم (١٧٩١).

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو في أوَّل التي تليها. اهـ. من «فتح المجيد» (١/ ٣٣٣)، وانظر: «تيسير العزيز الحميد» ص (٢١١).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٤٠٦٩ . ٤٠٧٠ وغيرهما).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٤٠٧٠) مرسلًا. انظر: «الفتح» (٧/ ٣٦٦)، وقد وصلها أحمد في «مسنده» (٢/ ٩٣)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٠٠٤)، وقال: «حسن غريب».

(٥) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص ٢١٠).

(٦) كذا في (أ) وهو خطأ، والصواب: «وثابت» كما في «صحيح البخاري» (كتاب المغازي . باب ٢٢ قبل حديث رقم ٤٠٦٩).

(٧) كذا فيما لدى من نسخ الحاشية وفي «فتح المجيد»: «النسائي» بدل الشافعي، وهو الموافق لما في «فتح الباري» و«تيسير العزيز الحميد»، وهو عند النسائي في «الكبرى» برقم (١١٠٧٧).

حميد عن أنس، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعرَاف: ٥٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والمقصود: أنَّ الذي له الأمر كله والملك كلُّه لا يستحقُّ غيره شيئًا من العبادة، ولهذا[1] المعنى قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القَصَص: ٥٦]. فالذي[2] قال الله تعالى في حقِّه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨]، وهو خيرة الله تعالى من خلقه ما زال يدعو النَّاس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كلُّه وهو الله [تعالى]، فهذا دينه ﷺ الذي بُعثَ به وأمر أن يبلِّغه أمته ويدعوهم إليه، كما تقدَّم في باب الدُّعاء إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله[3]، فإياك أن تتبع سبيلًا غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصَّهم به.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤]، فقال: «يا معشرَ قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسَكُم لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله - ﷺ - لا أُغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنكِ من الله شيئًا».

---

(١) في (ب): «هذا».
(٢) في (د): «فالذين»، وبعدها في (أ): «ليس له من الأمر شيء».
(٣) راجع ص (١٥٨).

● **قوله: «وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل عليه:** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَراء: ٢١٤]، قال: «يا معشرَ قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسَكُم لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبد المطلب **لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله** - [ﷺ] - لا أُغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنكِ من الله شيئًا».

● **قوله: «وفيه [عن أبي هريرة]»**، أي [في] «صحيح البخاري»(١)، واختلف في اسم أبي هريرة، وصحَّح النَّووي(٢) أنَّ اسمه: عبد الرحمن بن صخر(٣)، وهو دوسي من حفَّاظ الصحابة، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره، كما في «صحيح البخاري» عن وهب بن منبّه، عن أخيه(٤) سمعت أبا هريرة ﷺ يقول: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر(٥) حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو(٦) فإنَّه كان يكتب ولا أكتب(٧).

مات سنة سبع، أو ثمان، أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان

---

(١) برقم (٢٧٥٣) وغيره، وأخرجه أيضًا مسلم برقم (٢٠٦).
(٢) في «تهذيب الأسماء» له (٢/٥٤٦).
(٣) جاء في «المستدرك» للحاكم (٣/٥٠٧٩) عن أبي هريرة: كان اسمي في الجاهلية: عبد شمس بن صخر، فسمِّيت في الإسلام: عبد الرحمن.
(٤) في (ج) و(د): «أبيه».
(٥) في (د): «أحد أكثر».
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «عمر».
(٧) أخرجه البخاري برقم (١١٣).

وسبعين[١] سنة.

وهذا الحديث له طرق كثيرة في «الصحيحين» و«المسند» و«السنن» وغيرهما[٢].

● قوله: «قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم»»، أي: بالإيمان بالله ورسوله[٣] واتّباعه فيما جاءكم به، مما أنزل عليه من توحيد الله تعالى في العبادة، وترك ما كنتم تعبدونه من دونه من الأوثان والأصنام، فإنَّهم بعد ذلك[٤] الشِّرك صاروا عبيدًا لمن لا يضر ولا ينفع، ولا يستجيب ولا يسمع [إلا هو]، وهم قد عرفوا أن ما كانوا يفعلونه من عبادة غير الله شرك بالله، فإنَّهم كانوا يقولون في تلبيتهم: لبّيك لا شريك لك، إلَّا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك.

فسبحان الله كيف جاز في عقولهم، أنَّ المملوك يكون شريكًا لمالكه، وقد قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الرُّوم: ٢٨، ٢٩].

---

(١) في (ب) و(د): «سبعون»، وانظر ترجمته في: «الإصابة» (٧/ ٤٢٥) وغيرها.

(٢) في (هـ): «وغيرها».

(٣) في (ب) و(ج): «وبرسوله».

(٤) في (ب) و(ج) و(د): «بذلك».

● قوله: «لا أغني عنكم من الله شيئًا»، هذا هو معنى ما تقدَّم من أنَّه تعالى هو المتصرِّف في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم، والعبد لا يعلم إلّا ما علّمه الله، ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إلا بإخلاص العبادة له وحده [لا شريك له]، والبراءة من عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والنبي ﷺ في هذا الحديث أنذر الأقربين عمومًا نذارة خاصة، [وأخبر أنَّه لا يغني عنهم من الله شيئًا، وبلغهم، وأعذر إليهم، فأنذر قريشًا ببطونها][١]، وقبائل العرب في مواسمها، وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب النَّاس إليه، وأخبر أنَّه لا يغني عنهم من الله شيئًا، إذا لم يؤمنوا به، [ويقبلوا][٢] ما جاء به من التَّوحيد وترك الشِّرك به[٣].

● قوله: «سليني من مالي ما شئتِ»، لأنَّ هذا هو الذي يقدر

(١) ما بين المعقوفتين جاء في (ب) و(ج) و(د) و(ط)بعد قوله: «في مواسمها» بالترتيب التالي: (ب) و(د): «وأعذر إليهم، فأنذر قريشًا وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا».

(٢) في (ب) و(د): «ولم يقبلوا».

(٣) قال في «التيسير» (ص٢١٦): «فإذا صرَّح وهو سيِّد المرسلين لأقاربه المؤمنين وغيرهم، خصوصًا سيِّدة نساء العالمين وعمِّه وعمته، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلَّا الحق، ثم نظر إلى ما وقع في قلوب كثير من الناس من الاعتقاد فيه وفي غيره من الأنبياء والصالحين، أنهم ينفعون ويضرُّون، ويغنون من عذاب الله، حتّى يقول صاحب «البردة»:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ والقَلَمِ».

عليه ﷺ وما كان أمره إلى الله [سبحانه] فلا قدرة لأحد عليه، كما في هذا الحديث.

ولمَّا مات أبو طالب - وكان يحوط رسول الله ﷺ ويحميه - ولم(١) ينكر ملة عبد المطلب من الشِّرك بالله، [وقال](٢) ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزل الله [تعالى]: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣](٣)، فأخبر أنَّ أبا طالب من أصحاب النَّار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلَّا الله، فلم تنفعه حمايته النَّبيّ(٤) ﷺ من المشركين بدون البراءة من الشِّرك، [فكل تعلق](٥) على غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله، يكون عليه وبالًا في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص(٦) خاصة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن

---

(١) في (ب) و(د): «وكان لا»، وفي (ج): «وقد كان لا».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «فقال النبي».
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٦٠)، ومسلم برقم (٢٤) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.
(٤) في (د): «للنبي».
(٥) في (ب) و(ج) و(د): «ولاعترافه بأن النبي ﷺ على الحق، لكنه لم يتبرَّأ من ملة أبيه فكل تعلق»، و(ط) بعده: «ولا الاعتراف بأن النَّبيَّ ﷺ على الحق بدون البراءة من الشرك؛ لأنَّه لم يبرأ من ملة أبيه، فكل تعلَّق... إلخ». وفي (هـ): «والاعتراف بأن النبي ﷺ على الحق لم يبرأ من ملة أبيه».
(٦) في (هـ): «إلا بالإخلاص».

يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذلك الأحاديث. والله أعلم.

[وسيأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى].

١٥ - باب

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

● قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، أي زال عنها الفزع. قاله ابن عباس(١) وغيره(٢)، وذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله - [تعالى] -: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢].

[و] قال ابن جرير: «قال بعضهم: الذين فزع عن قلوبهم: الملائكة، قالوا: وإنَّما فزع عن قلوبهم من غشية(٣) تصيبهم عند سماع كلام الله ﷻ بالوحي»(٤).

قال ابن كثير: «وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحَّة الأحاديث فيه والآثار»(٥).

---

(١) «تفسير ابن جرير الطبري» (٢٢/ ٩٠).

(٢) كابن عمر، وأبي عبد الرحمن السلمي، والشعبي، والحسن وغيرهم.
انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص ٢١٩)، و«فتح المجيد» ص (١٧٣).

(٣) في (ب) و(د): «خشية».

(٤) «تفسير الطبري» (٢٢/ ٩٠).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٣٨).

وقال أبو حيَّان[١]: «تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنَّ قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سَبَإ: ٢٣]، إنَّما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل[٢] وأمر الله [تعالى] به سمعت كجرِّ السِّلسلة[٣] الحديد على الصَّفوان، فتفزع عند ذلك تعظيمًا وهيبة»، قال[٤]: «وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أنَّ الملائكة مشار إليهم من أوَّل قوله[٥]: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ [الإسرَاء: ٥٦][٦]، لم تتصل له هذه الآية بما قبلها»[٧].

وهذه الآيات[٨] تقطع عروق الشِّرك بأربعة أمور[٩]:

الأوَّل: أنَّهم لا يملكون مثقالَ ذرَّةٍ مع الله، والذي لا يملكُ مثقالَ ذرة في السَّموات والأرض[١٠] لا ينفع ولا يضرُّ، فهو تعالى هو الذي يملكهم ويدبِّرهم ويتصرَّف فيهم وحده.

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الجيَّاني، مفسِّر نحوي ت (٧٤٥هـ).
(٢) في (ج): «جبرئيل».
(٣) في (ب): «سلسلة».
(٤) في (ب): «وقال».
(٥) في (ب): «قوله تعالى».
(٦) في (ب) بعدها: «من دونه».
(٧) هذا القول لابن عطيَّة كما في تفسيره «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٨٣) وعنه أخذه أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٦٥).
(٨) في (ب) و(ج) و(د): «الآية».
(٩) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «بأمور أربعة».
(١٠) في (ب) و(د): «السموات ولا في الأرض».

الثَّاني: قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، أي: في السَّموات والأرض، أي: وما لهم شرك مثقال ذرَّة من السَّموات والأرض.

الثَّالث: قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢] والظَّهير: المعين، فليس لله معين من خلقه، بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم [ويدفع عنهم ما يضرُّهم] لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلى ربهم فيما قلَّ وكثر من أمور دنياهم وأخراهم.

الرَّابع: قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، فلا يشفع(١) عنده(٢) أحد إلَّا إذا أذن له(٣)، كما قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، وأخبر تعالى أنَّ من اتَّخذ شفيعًا من دونه حُرم شفاعة(٤) الشفعاء، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]؛ [لأنَّ اتخاذ الشفعاء شرك؛ لقوله تعالى في حقِّهم(٥): ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾] [يونس: ١٨]، والمشرك منفيَّة الشَّفاعة في حقِّه، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ

---

(١) في (ب) و(د): «ينفع»، وفي حاشية (د): «لعله: يشفع».
(٢) في (ب): «غيره».
(٣) في (هـ): «إلَّا بإذنه».
(٤) في (ب): «شفاعته».
(٥) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «قل أتنبئون الله بما لا يقع إلا به» ونقصت في (ج) عبارة: «لا يقع إلا به».

ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

وذلك أنَّ متَّخذ الشفيع لا بدَّ أن يرغب إليه ويدعوه ويرجوه، ويخافه ويحبَّه لما يؤمِّله منه، وهذه هي من أنواع العبادة التي لا يصرف منها شيء لغير الله، وذلك هو الشِّرك [الأكبر] الذي ينافي الإخلاص.

في الصَّحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمرَ في السماء ضربت الملائكةُ بأجنحتِها خضعانًا لقوله، كأنَّه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا، بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفِّه فحرفها وبدَّد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتَّى يلقيها على لسان الساحرِ أو الكاهن، فربَّما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا[(١)]؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

---

(١) قال الشيخ إسماعيل الأنصاري: «قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» (١/٣٤٧): (قوله: فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا) هكذا في نسخة بخط المصنف كالذي في «صحيح البخاري» سواء، وأما =

• وقوله: «في «الصَّحيح» عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمرَ في السماء ضربت الملائكةُ بأجنحتِها خضعانًا لقوله، كأنَّه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٣]، فيسمعها مسترق السَّمع، ومسترق السَّمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصفه سفيان بكفِّه فحرفها وبدَّد[(١)] بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها[(٢)] إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتَّى يلقيها على لسان الساحرِ أو الكاهن، فربَّما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق[(٣)] بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

• قوله: «في الصَّحيح» أي: «صحيح البخاري[(٤)]».

ففي هذا الحديث أن من عرف الله تعالى ذلَّ له تعظيمًا ومهابة وخوفًا، لا سيَّما عند سماع كلامه تعالى[(٥)]؛ لأنَّ قوله: «إذا قضى الله الأمر» أي: بكلامه ووحيه إلى جبريل[(٦)].

= الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» فيقول: (قوله: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا) هكذا بيَّض المصنف في هذا الموضع، ولفظ الحديث في الصحيح: «فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا». ويحمل ذلك من هذين الإمامين على اختلاف نسختيهما في ذلك».

(١) في (ج): «وبددها».

(٢) في (ج): «فيلقيه».

(٣) في (ب): «فيصد».

(٤) برقم (٤٧٠١) وغيره.

(٥) في (هـ): «كلام الله تعالى».

(٦) في (ب) و(ج): «جبرئيل».

• وقوله[١]: «في السماء» يدلُّ على العلوِّ، ففيه إثبات كلام الله وعلو[٢] الله[٣] على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

وهذا الحديث ونحوه مما احتجَّ به أهل السُّنَّة على الجهميَّة[٤] والأشاعرة والكلَّابية[٥] وغيرهم من أهل البدع ممن ألحد بالتعطيل في أسماء الله وصفاته.

• قوله: «خضعانًا»، [هو] مصدر خضع.

• قوله: «لقوله» صريح في أنَّهم سمعوا قوله تعالى وأنَّه بصوت، وأنَّ ذلك ينفذ جميع الملائكة، أي: يسمعونه كلهم.

• قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سَبَإ: ٢٣] أي: زال[٦] عنها الفزع.

• قوله: «فيسمعها مسترق السمع» أي: الكلمة التي [سمعتها][٧] الملائكة وتحدَّثوا بها.

• قوله: «ومسترق السّمع»، هكذا وصفه سفيان راوي الحديث[٨]

(١) في (ج): «وهو».
(٢) في (ط): «علوّه».
(٣) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «وعلوه».
(٤) هي فرقة من فرق الجبرية من أصحاب جهم بن صفوان، وكان من ترمذ، وهم ينفون صفات الله، ويسمُّون أهلَ السنة: مجسِّمة.
(٥) في (ط): «الكلاميّة».
(٦) في (ط): «أزيل».
(٧) في كل النسخ: «سمعها»، والمثبت من (ط).
(٨) في (ب): «الراوي».

- وهو ابن عيينة[١] - بكفِّه.

● قوله: «فيسمع الكلمة»، يعني مسترق السَّمع، «فيلقيها إلى من تحته» من الشَّياطين، «ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان السَّاحر أو الكاهن[٢]...» الحديث.

● قوله: «فيكذب معها» أي: السَّاحر أو[٣] الكاهن. «مائة كذبة»، «فيصدَّق» في المائة كلها «بتلك الكلمة التي سُمِعت من السَّماء»؛ لقبول النُّفوس[٤] للباطل.

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلَّم بالوحي أخذت السَّموات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة، خوفًا من الله ﷻ، فإذا سمع ذلك أهل السَّموات صعقوا وخرُّوا لله سجدًا، فيكون أوَّل من يرفع رأسه جبريل، فيكلِّمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرُّ جبريل على الملائكة كلَّما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ

---

(١) هو سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلَّا أنه تغيَّر حفظه بأخرة، وربما دلَّس لكن عن الثقات. مات سنة ثمان وتسعين ومئة، وله إحدى وتسعون سنة. اهـ من «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٢٢)، و«فتح المجيد» (١/ ٣٤٥). وانظر: «السير» (٨/ ٤٥٤) و «تهذيب الكمال» (١١/ ١٧٧). وانظر «الكفاية في علوم الرواية» (ص٥١٦).

(٢) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «فيتكلم بها».

(٣) في (ب) و(د): «و».

(٤) في (ط): «الناس»، وفي (هـ): «النفس».

● قوله: «وعن النَّوَّاس بن سمعان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السَّموات منه رجفة - أو قال: رَعْدَة - شديدة خوفًا من الله ﷿، فإذا سمع ذلك أهل السَّموات صَعقوا وخرُّوا[(١)] لله سجدًا، فيكون أوَّل من يرفع رأسه جبرئيل، فيكلِّمه الله من وحيه بما أراد ثم يمرُّ جبرئيل على الملائكة، كلَّما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبرئيل؟ فيقول جبرئيل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل، فينتهي جبرئيل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷿ [الحديث]»[(٢)].

رواه ابن أبي حاتم بسنده عن النَّوَّاس بن سِمعان - بكسر السين - ابن خالد الكلابي، ويقال [له]: الأنصاري، صحابي [و] يقال: إنَّ أباه صحابيٌّ أيضًا[(٣)].

● قوله: «إذا أراد الله [تعالى]»، فالإرادة صفة من صفات الله [﷿، وهي نوعان: شرعية وقدرية]، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] الآية، [وقال]: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، ونحو هذه الآيات.

---

(١) في (ج): «وقال فروا».

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٤٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٢).

(٣) انظر: «الإصابة» (٦/ ٤٧٨).

● **قوله: «أن يوحي بالأمر»**، فيه[١] بيان معنى ما تقدَّم في الحديث قبله من قوله: «إذا قضى الله الأمر».

● **قوله: «تكلَّم بالوحي»** [فيه تصريح بأنه يتكلم بالوحي]، فيوحيه إلى جبرئيل عليه السلام، ففيه الردّ على الأشاعرة في قولهم: إنَّ القرآن[٢] عبارة عن كلام الله - تعالى -.

● **قوله: «أخذت السَّموات منه رجفة ـ أو قال: رعدة شديدة - خوفًا من الله عز وجل»**، في هذا معرفة عظمة الله - تعالى -، ويوجب للعبد شدّة الخوف منه تعالى، وفيه إثبات العلو.

● **قوله: «فإذا سمع ذلك أهل السَّموات صَعِقوا وخرُّوا لله سجَّدًا»**، هيبة وتعظيمًا لربهم - تعالى -، وخشية لما[٣] سمعوه من كلامه تعالى وتقدَّس.

● **قوله: «فيكون أوَّل من يرفع رأسه جبرئيل»**؛ لأنَّه ملك الوحي عليه السلام.

● **قوله: «فيكلِّمه الله من وحيه بما أراد»**، فيه التَّصريح بأنَّه تعالى يوحي إلى جبرئيل بما أراده من أمره، كما تقدَّم في أوَّل الحديث.

● **قوله: «ثم يمرُّ جبرئيل على الملائكة، كلَّما مرَّ بسماء سأله ملائكتها»**، وهذا أيضًا من أدلَّة علو الرب تعالى.

---

(١) في (ب): «في».
(٢) في (ب): «الكلام».
(٣) في الأصل و(ب) و(ج): «ولما».

● **قوله: «ماذا قال ربنا يا جبرئيل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير[(١)]. فينتهي جبرئيل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ»**، وهذا دليل بأنَّه تعالى قال ويقول، وأهل البدع من الجهمية ومن تلقَّى عنهم كالأشاعرة جحدوا ما أثبته الله تعالى في كتابه، وأثبته رسوله[(٢)] ﷺ في سنَّته من علوِّه وكلامه وغير ذلك من صفات كماله، التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله والمؤمنون من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم من أهل السُّنة والجماعة على ما يليق بجلال الله وعظمته، بشبهات[(٣)] اختلقوها ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) بعدها: «فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل»، وفي (ج) بزيادة: «فيقولون: قال الحق وهو العلي الكبير».

(٢) في (ج): «رسول الله».

(٣) في (ب): «شبهات»، وفي (ط): «تشبيهات».

١٦ - باب
الشفاعة

● قوله: «باب الشفاعة».

الشَّفاعة نوعان:

شفاعة منفية في القرآن: وهي الشَّفاعة للكافر والمشرك، قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال - تعالى -: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨] ونحو هذه الآيات، كقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

يخبر تعالى أنَّ ما اتخذه[1] هؤلاء شفعاء عند الله أنَّه لا يعلمه[2] [أنَّهم يشفعون له بذلك]، وما لا يعلمه لا وجود له، فنفى وقوع هذه الشَّفاعة، وأخبر أنَّها شرك بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] - إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) في (ب) و(ج) و(د): «أنهم اتخذوا»، وفي (ط): «مَنِ اتَّخَذَ».
(٢) في (هـ): «لا يعلم».

يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٣] فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعًا يزعم أنَّه يقرِّبه[(١)] إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته؛ لأنَّه جعل لله شريكًا يرغب إليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبُّه، كما يحب الله أو أعظم.

النّوع الثاني: الشَّفاعة التي أثبتها القرآن، وهي خاصة[(٢)] لأهل الإخلاص وقيَّدها - تعالى - بأمرين:

[الأوَّل]: إذنه للشَّافع أن يشفع، كما قال[(٣)]: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وإذنه - تعالى - لا يصدر إلَّا إذا رحم عبده الموحِّد المذنب، فإذا رحمه - تعالى - أذن للشَّافع أن يشفع له.

الأمر الثّاني: رضاه عمن أذن[(٤)] للشَّافع أن يشفع فيه، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] فالإذن بالشَّفاعة[(٥)] له بعد الرِّضى كما في هذه الآية، وهو [سبحانه] لا يرضى إلَّا التَّوحيد.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعَام: ٥١]

● **قوله**: وقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ

---

(١) في (ب): «يقرِّب».
(٢) في (ط): «خالصة».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «كقوله تعالى».
(٤) في (ج): «عن المشفوع أن يأذن».
(٥) في (ب): «للشفاعة»، وفي (ج) و(د): «في الشفاعة».

رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]

الإنذار: هو الإعلام بأسباب المخافة[(١)] والتَّحذير منها.

● قوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن[(٢)] ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١]، وهم أهل الإخلاص الذين لم يتخذوا لهم شفيعًا، بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده، ولم يلتفتوا[(٣)] إلى أحد سواه فيما يرجون نفعه ويخافون ضرَّه.

قال الفضيل بن عياض[(٤)]: ليس كلُّ خلقه عَاتبَ، إنَّما[(٥)] عاتب[(٦)] الذين يعقلون[(٧)].

● قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]، قال الزَّجَّاج[(٨)]: «موضع ليس نصب على الحال، كأنَّه قال: متخلِّين من وليٍّ وشفيع، والعامل فيه: يخافون»[(٩)].

---

(١) في (ط): «المخالفة».
(٢) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «روح المعاني» (٧/ ١٥٧).
(٣) في (ج) و(د): «يلتفتون».
(٤) هو الفضيل بن عياض بن مسعود اليربوعي، أبو علي الزاهد، أحد العبَّاد، المجاور بحرم الله. مات بمكة أوّل سنة (١٨٧هـ). «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢٢)، و«تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٧٥).
(٥) في (ج) و(د): «وإنما».
(٦) قوله: «إنما عاتب» سقطت من (ب).
(٧) قول الفضيل بن عياض أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٧٣٢٨).
(٨) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج النحوي. قال الخطيب: «كان من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد، جميل المذهب».
وله مصنَّفات حسان في الأدب. توفي سنة (٣١١هـ). «الوافي بالوفيات» (٥/ ٢٢٨) و«بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» (١/ ٤١١).
(٩) كلام الزجاج لم أجده في كتبه، ونقله عنه الفخر الرازي في «التفسير الكبير» (١٢/ ١٩٢) فلعل المصنف أخذه عنه.

• قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي: فيعملون في هذه الدَّار عملًا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة، وتركوا(١) التّعلق على الشُّفعاء وغيرهم؛ لأنَّه ينافي الإخلاص الذي(٢) لا يقبل الله من أحد عملًا بدونه؛ [لأنَّه طلب وسؤال من غير(٣) الله].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤].

• قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤]، دلَّت الآية على أنَّ الشَّفاعة له سبحانه؛ لأنَّها(٤) لا تقع إلَّا لأهل التَّوحيد بإذنه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى في الآية السَّابقة، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [يُونس: ٣] الآية، فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه، ولا تقع إلَّا ممن أذن له فيها، فتدبَّر هذه الآيات العظيمة في اتِّخاذ الشُّفعاء.

• وقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفُرقان: ٢] يُبطل التعلق على غيره سبحانه؛ لأنَّه الذي انفرد بملك كل شيء، فليس لأحد في ملكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده.

والإسلام: هو أن تسلم قلبك وجوارحك(٥) لله [بالإخلاص]،

---

(١) كذا في الأصل والجادة: يتركوا.
(٢) في (ب): «الذين».
(٣) في (ج) و(د): «خير».
(٤) في (ب): «لا أنها».
(٥) في (ب) و(ج) و(د): «ووجهك».

كما في «المسند» عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّه قال لرسول الله ﷺ: فبالذي بعثك بالحق ما بَعثك به؟ قال: «الإسلام»، قال: وما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك وأن توجِّه وجهك إلى الله(١) وأن تصلِّي الصَّلاة المكتوبة، وتؤدِّي الزَّكاة المفروضة»(٢).

والآيات في بيان الإخلاص كثيرة، وهو أن لا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الأعمال كلِّها إلا لله وحده، كما قال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، فادعوه مخلصين له الدِّين، فأمر(٣) تعالى بإخلاص الدُّعاء له وحده، وأخبر أنَّه الدِّين الذي تصحُّ معه الأعمال وتقبل. [قال شيخ الإسلام: «الإخلاص: محبة الله، وإرادة وجهه»](٤).

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]

● قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، تقدَّم معنى هذه الآية.

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «لله».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤)، والنسائي (٢/ ٤٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٤٣)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) في (هـ): «فأمره».

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٤٥).

قوله: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النّجم: ٢٦]

● قوله: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النّجم: ٢٦]، فإذا كان هذا في حق ملائكته الذين وصفهم تعالى بقوله: ﴿عِبَادٌ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩]، فظهر من هذه الآيات المحكمات ما يبيِّن حقيقة الشَّفاعة المثبتة في القرآن، التي هي ملك لله لا يملكها غيره، وقيّد حصولها بقيدين، كما في هذه الآية وغيرها كما تقدَّم [قريبًا:] إذنه للشَّافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحِّدين.

فاختصَّت الشَّفاعة بأهل الإخلاص خاصة، وأنَّ اتخاذ الشُّفعاء من دين المشركين [و] قد أنكره الله - [تعالى] - عليهم فيما تقدَّم من الآيات.

وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سَبَإ: ٢٢] الآيتين.

قال أبو العباس: «نفى الله عما سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشَّفاعة فبين أنَّها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهذه الشَّفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النَّبي ﷺ أنَّه: «يأتي فيسجد لربِّه ويحمده - لا يبدأ بالشَّفاعة أوَّلًا - ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفَّع». وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه». فتلك الشَّفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته أنَّ الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشَّفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشَّفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النَّبي ﷺ أنَّها لا تكون إلا لأهل التَّوحيد والإخلاص». انتهى كلامه

● [و] قوله[1]: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢] الآيتين[2]، قال أبو العباس: «نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون[3]، فنفى[4] أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا

(١) مكررة في (ب).
(٢) في (ج) و(ب) و(د): «الآيات».
(٣) في (ط): «... إلخ، وفيه تحقيق لأمر الشفاعة وجمع للأدلة، والله أعلم».
(٤) تنبيه: من هنا إلى آخر الباب لا يوجد في (ط).

الشَّفاعة فبيَّن أنَّها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب[١]، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهذه الشَّفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية[٢] يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النَّبيّ ﷺ أنَّه يأتي فيسجد لربِّه ويحمده لا يبدأ بالشَّفاعة أوَّلًا، ثم يقال له: «ارفع رأسك وقل يُسْمع وسَلْ تُعْطَه واشفع تشفع»[٣]، وقال له أبو هريرة ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال[٤]: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»[٥]، فتلك الشَّفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أنَّ الله سبحانه هو الذي يتفضَّل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشَّفاعة التي نفاها القرآن ما[٦] كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشَّفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النَّبيّ ﷺ أنَّها لا تكون إلا لأهل التَّوحيد والإخلاص». انتهى كلامه رحمه الله تعالى[٧].

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «الرحمن».
(٢) في (ج): «منفيَّة».
(٣) جزء من حديث الشفاعة الطويل. أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم برقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «فقال».
(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٠).
(٦) في (ب) و(ج) و(د): «هي ما».
(٧) وقول شيخ الإسلام في «الكلام على حقيقة الإسلام» ص (١١٩).

وفيه تحقيقٌ لأمر الشَّفاعة وجمع[1] للأدلة. والله تعالى أعلم[2].

---

(١) في (ب): «وجمعه»، وفي أنواع الشفاعة. انظر: شرح «العقيدة الطحاوية» ص (٢٥٢)، و«تيسير العزيز الحميد» ص (٢٤٤)، و«فتح المجيد» (١/ ٣٦١).
وانظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣٤١)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ٢٣٨).

(٢) في (ب): « رحمه الله تعالى»، وفي (ج) و(د): «رَحِمَهُ اللهُ والله أعلم».

١٧ - باب

قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القَصَص: ٥٦] الآية

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القَصَص: ٥٦] الآية.

قال ابن كثير - [رحمه الله تعالى] -: «يقول تعالى لرسوله ﷺ: إنَّك يا محمد لا تهدي من أحببت، أي: ليس إليك ذلك، إنَّما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٢]، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٧]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٣]»(١).

قلت: والمنفي ههنا: هداية التوفيق والقبول، فإنَّ أمر ذلك إلى الله وحده وهو القادر عليه.

وأمَّا الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، فإنَّها هداية الدِّلالة والبيان، فهو المبيِّن عن الله والدالُّ على دينه وشرعه.

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٩٥).

في الصَّحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله»، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النَّبيّ ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النَّبيّ ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك»، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

● قوله: «في «الصَّحيح» عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أميَّة وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلَّا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله». فقالا له: أترغبُ عن ملّة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك»، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية، وأنزل [الله] في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] الآية.

● قوله: «في الصَّحيح»، أي الصَّحيحين[١].

وابن المسيِّب هو سعيد بن المسيِّب بن حزن بن أبي وهب بن

---

(١) البخاري برقم (١٣٦٠)، ومسلم برقم (٢٤).

عمرو[١] بن عائذ بن عمران بن مخزوم، القرشي المخزومي، أحد العلماء والفقهاء الكبار السّبعة من التّابعين، واتّفق أهل الحديث أنَّ مراسيله أصحُّ المراسيل.

وقال ابن المديني: لا أعلم في التّابعين أوسع منه علمًا[٢]. مات بعد التّسعين وقد ناهز الثّمانين[٣]، وأبوه المسيب صحابي بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه[٤]، وكذلك جده حزن صحابي استشهد باليمامة[٥].

● **قوله: «لما حضرت أبا طالب الوفاةُ»**، أي: علاماتها ومقدماتها.

● **قوله: «جاءه رسول الله ﷺ»** يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين، فإنّهما من بني مخزوم وهو أيضًا مخزومي، وكان الثّلاثة إذ ذاك كفارًا[٦]، فقُتِلَ أبو جهل على كفره، وأسلم الآخران.

● **قوله: «يا عم، قل: لا إله إلّا الله»**، أمره بقولها[٧] لعلم أبي طالب أنّها دلّت على نفي الشّرك بالله وإخلاص العبادة له وحده، فإنَّ من قالها عن علم ويقين وقبول، فقد أنكر الشّرك وتبرأ منه، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلّت عليه من نفي الشّرك والبراءة منه، ولهذا عارضوا قول النّبيِّ ﷺ بقولهم: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ لأنَّ

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «عمر».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «أوسع علمًا منه»، وكلام ابن المديني نقله المزي في «تهذيب الكمال» (١١/ ٧٣).
(٣) انظر: «تهذيب الكمال» (١١/ ٦٦)، و«السير» (٤/ ٢١٧).
(٤) انظر ترجمته في «الإصابة» (٦/ ١٢١).
(٥) انظر ترجمته في «الإصابة (٢/ ٦١).
(٦) في (ب) و(ج): «كفار».
(٧) في (ب) و(د): «أن يقولها».

ملة عبد المطلب: الشِّرك بعبادة الأوثان، كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك.

● **قوله: «كلمةً»**، قال القرطبي: «بالنصب على أنَّه بدل من «لا إله»[(١)]، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف»[(٢)].

● **قوله: «أحاجُّ لك بها عند الله»**؛ لأنَّه لو قالها في تلك الحال لقبلت منه ودخل بها في الإسلام.

● **قوله: «فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟»** ذكَّراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين، كقول فرعون [لموسى]: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: ٥١]، وكقوله - تعالى -: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣].

● **قوله: «فأعاد عليه النَّبيّ ﷺ فأعادا[(٣)]»**؛ فيه مضرَّة أصحاب[(٤)] السُّوء على الإنسان، والحذر من قربهم والاستماع لهم، ففيه معنى قول الناظم[(٥)]:

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «لا إله إلا الله»، وفي (هـ): «الإله».
(٢) «المفهم» (١/ ١٩٣).
(٣) في (ج): «فأعادا عليه».
(٤) في (ب) و(ج) و(د): «جلساء».
(٥) في (ب): «الشاعر»، وانظر البيت في «العقد الفريد» (٢/ ١٦٧). البيت لعدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتدي
وصاحب أولي التقوى تنل من تقاهم ... ولا تصحب الأردي فتردى مع الردي

ينظر: «بهجة المجالس» لابن عبدالبر (ص٥٥٨) «نهاية الأرب» (٣/ ٦٥)، «زهر الآداب» (٤/ ١١٦٤).

إذا ما صَحِبتَ القومَ فاصْحَبْ خِيَارَهُمْ
وَلا تَصْحَبِ الأَرْدَى فتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

● قوله: «**فكان آخرَ ما قال: هو[١] على ملة عبد المطلب**»، وأبى أن يقول: لا إله إلَّا الله، قال الحافظ: هو تأكيد من الرَّاوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب[٢].

قال المصنِّف - [رحمه الله تعالى] -: «وفيه الردّ على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه»[٣].

● قوله: «**فقال النَّبيُّ ﷺ: لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك**»، اللام لام القسم، قال النَّووي: «فيه جواز الحلف من غير استحلاف»[٤].

قال ابن فارس[٥]: «مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد[٦] عشر يومًا، وتُوفِّيت خديجة أمّ المؤمنين ﵂ بعد موت أبي طالب بثمانية أيام»[٧].

---

(١) وقد رواه الإمام أحمد بلفظ: «أنا»، قال في «التيسير»: «فغيَّره الراوي أنفةً أن يحكي كلام أبي طالب استقباحًا للفظ المذكور». وهو موجود في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٢٢)، وانظر: «فتح الباري» (٨/ ٥٠٧).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٥٠٧).

(٣) وهي المسألة السادسة من مسائل هذا الباب من «كتاب التوحيد» ص (٤٢).

(٤) شرح مسلم للنووي (١/ ٢١٥).

(٥) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين الرازي الأديب اللغوي. له العديد من المصنفات. توفي سنة (٣٩٥هـ). «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١١٨).

(٦) في (ب): «وإحدى».

(٧) قول ابن فارس هذا ذكره النووي في شرحه على مسلم (١/ ٢١٥).

● قوله: «**فأنزل الله** ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]» الآية. [وهو خبر بمعنى النهي] والظَّاهر أنَّ هذه الآية نزلت في أبي طالب، فإنَّ الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: «فأنزل الله» بعد قوله: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك**» يفيد ذلك. وقد ذكر العلماء في(١) نزول هذه الآية أسبابًا أخر(٢) فلا منافاة؛ لأنَّ الآية الواحدة قد يتعدَّد نزولها. وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبَّتهم.

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «السبب».
(٢) أقوال العلماء باختصار: قالوا: إنها نزلت في أبي طالب عم النبي ﷺ. وقال آخرون: إنها نزلت في أم رسول الله ﷺ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها. وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قومًا من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين. انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٠٩).

١٨ - باب
ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

● قوله: «باب ما جاء أنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصَّالحين».

قد أنذر ﷺ أمَّته[1] من[2] الغلو، وأبلغ في الإنذار؛ تحذيرًا عمَّا وقع من جهلة هذه الأمَّة كما سيأتي ذكره.

وقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النِّسَاء: ١٧١].

● قوله: «﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١]» الآية.

الغلو: هو الإفراط في التَّعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته الَّتي أنزله الله [فتشركون]، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو تحذير لهذه الأمَّة أن يفعلوا مع نبيهم ﷺ كما فعلت النَّصارى مع المسيح وأمِّه، واليهود مع العزير[3].

وقد وقع ذلك الشِّرك في العبادة في هذه الأمة نظمًا ونثرًا، كما

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «الأمة».
(٢) في (ج) و(د): «عن».
(٣) في (ط): «وأمة اليهود مع العزير».

في كلام البوصيري والبرعي[١] وغيرهما، وفيما فعلوه من الغلو والشِّرك محادة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ، فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة من قول من قال للنبي ﷺ: أنت سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فكره ذلك [النبيُّ] أشدَّ الكراهة كما سيأتي في الكلام على هذا الحديث إن شاء الله [تعالى][٢]، وقول القائل: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل**[٣] **ما شاء الله وحده**».

قال شيخ الإسلام: «ومن تشبَّه من هذه الأمَّة باليهود والنَّصارى، وغلا في الدِّين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم»[٤].

قال: «وعليٌّ ﷺ حرَّق الغالية من الرَّافضة فأمر بأخاديد خدَّت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها، واتَّفق الصَّحابة على قتلهم، لكنَّ ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسَّيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء»[٥].

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «البراعي». والبرعي هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، شاعر متصوف من سكان النيابتين في اليمن. توفي سنة (٨٠٣هـ). «الأعلام» (٣/ ٣٤٣).

(٢) انظر ص (٦٢٢).

(٣) في (ب): «قل».

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٩، ٣٧٠، ٣٩٤)، و«منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» (١/ ٢٨).

(٥) بنحوه في «منهاج السنة» (١/ ٣٠٧)، وانظر: «مفيد المستفيد» ص (٢٩١)، «الفتاوى الكبرى» (١/ ٧١) ط. دار الكتب العلمية.

في الصَّحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشَّيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد. حتَّى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت.

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

● **قوله: «في «الصَّحيح»[(١)] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] قال: هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشَّيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتَّى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت».**

● **قوله: «في الصَّحيح»**، أي: «صحيح البخاري»، وهذا الأثر اختصره المصنِّف رحمه الله، ولفظ ما[(٢)] في «البخاري» [عن ابن عباس]: صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد، أمّا ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وامَّا سواع فكانت لهذيل، وأمّا يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأمّا يعوق فكانت لهمدان،

---

(١) في (ب): «صحيح البخاري»، وهو فيه برقم (٤٩٢٠).

(٢) في (هـ): «والذي».

وأمّا نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين في قوم نوح... إلى آخره[(١)].

● **قوله: «أن انصبوا»** - هو بكسر المهملة - قوله: «**أنصابًا**» جمع نصب وهي الأصنام التي صوروها على صور الصالحين.

● **قوله: «ففعلوا فلم تعبد، حتَّى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت»**. الذي في «البخاري»: ونسخ العلم، [فلعل الذي هنا رواية][(٢)]، فصارت هذه الأصنام بهذا[(٣)] التّصوير على صور الصالحين سُلَّمًا إلى عبادتها، وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت، فالأصل في عبادته هو الغلو فيه كما لا يخفى على ذوي البصائر، كما جرى لأهل مصر وغيرهم، فإنَّ أعظم آلهتهم: أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة[(٤)]، ومع هذا صار أعظم آلهتهم، مع أنَّه لا يعرف إلَّا أنَّه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصلِّ. [ذكره السخاوي عن أبي حيان][(٥)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/ ٩٩)، و«تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٥٢) وغيرهما.

(٢) الذي في المطبوع من صحيح البخاري: «تنسَّخ العلم»، وبعض روايات الصحيح فيها: «نسخ العلم» كما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) في (ب): «بهذه».

(٤) في (ج): «ولا عبادة ولا علم».

(٥) قال السّخاوي في «الضّوء اللامع» (٩/ ١٥٠) في ترجمة محمد بن محمد بن علي ابن عبد الرزاق الشمس أبي عبد الله الغماري ثم المصري المالكي النَّحوي... «حدَّث المقريزي في عقوده عن شيخه أبي حيان، قال: ألزمني الأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي بن البابا المسير معه لزيارة أحمد البدوي بناحية طنتدا. =

فزيَّن لهم الشَّيطان عبادته، فاعتقدوا فيه أنَّه يتصرَّف في الكون ويطفئ الحريق، وينجي الغريق، وصرفوا له الإلهيَّة والربوبيَّة، وعلم الغيب!! وكانوا يعتقدون أنَّه يسمعهم ويستجيب لهم من الدِّيار البعيدة!! وفيهم من يسجد على عتبة حضرته!! وكان أهل العراق ومن حولهم، كأهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني(١)، كما يعتقد أهل مصر في البدوي، وعبد القادر من متأخِّري الحنابلة وله كتاب «الغنية»(٢)، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في العلم والزُّهد، لكن فيه زهد وعبادة، وفُتنوا به أعظم فتنة كما جرى من الرَّافضة مع أهل البيت، وسبب ذلك الغلو دعوى(٣) أنَّ له كرامات، وقد جرت(٤) الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض

= فوافيناه يوم الجمعة وإذا هو رجل طوال عليه ثوب جوخ عال وعمامة صوف رفيع، والنَّاس يأتونه أفواجًا، فمنهم من يقول: يا سيدي خاطرك مع غنمي، وآخر يقول: مع بقري، وآخر: مع زرعي. إلى أن حان وقت الصَّلاة فنزلنا معه إلى الجامع وجلسنا لانتظار إقامة الجمعة، فلمَّا فرغ الخطيب وأقيمت الصلاة، وضع الشَّيخ رأسه في طوقه بعدما قام قائمًا وكشف عن عورته بحضرة النَّاس، وبال على ثيابه!! وحصر المسجد واستمر ورأسه في طوق ثوبه وهو جالس إلى أن انقضت الصلاة ولم يصلِّ».اهـ.

(١) هو عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني، أبو محمد. مات سنة (٥٦١هـ). «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٤٣٩).

(٢) الكتاب مطبوع، واسمه: «الغنية لطالبي طريق الحق».
قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: «.. وقد صنف كتاب «الغنية»، و«فتح الغيب»، وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعةً.

(٣) في (ج): «ودعوى»، وفي (هـ): «ادعوا».

(٤) في (ب): «جرى».

الصَّحابة والتَّابعين، وهكذا حال أهل الشِّرك مع من فتنوا به، وأعظم من هذا: عبادة أهل الشَّام لابن عربي(١) وهو إمام أهل الوحدة، الذين هم أكفر أهل الأرض، وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء [و] لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيرها(٢).

وجرى في نجد قبل هذه الدَّعوة مثل هذا وفي الحجاز واليمن وغيرهما، من عبادة الطَّواغيب والأشجار والأحجار والقبور ما عمَّت به البلوى، كعبادتهم للجن(٣) وطلبهم الشَّفاعة منهم، والأصل في ذلك الغلو بتزيين الشَّيطان.

وذكر أهل السِّير أنَّ التلبية من عهد إبراهيم ﷺ: «لبيك اللَّهم لبيك، لا شريك لك لبيك»، حتَّى كان عمرو بن لُحي [الخزاعي]، فبينما هو يلبِّي تمثَّل له الشَّيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال: لبيك لا شريك لك، فقال الشَّيخ: إلَّا شريكًا هو لك، فأنكر ذلك عمرو فقال: وما هذا؟ فقال الشَّيخ: [قل] تملكه وما ملك. فإنَّه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب(٤).

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الطائي، ولد في الأندلس ثم رحل إلى مصر سنة (٥٩٠هـ)، ظهرت منه شطحات فأُهدر دمه، ثم نجا وذهب إلى العراق ثم إلى ربوع الروم، ومنها إلى الشام، فبثَّ ما يحمل من آراء ونزعات. توفي سنة (٦٣٨هـ). انظر «تاريخ العقيدة» للمحامي عباس العزاوي بتحقيقي (ص ٣٦٤).

(٢) (أ)، وفي (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «وغيره».

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «الجن».

(٤) انظر: «أخبار مكة» للفاكهي (٥/ ١٦١)، وانظر البخاري برقم (٣٥٢١)، وابن إسحاق (١/ ٢٠١)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٢٠٣) وغيرها.

وعن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنَّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه.

● قوله: **«وعن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنَّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه»**[(١)].

● قوله: **«عن عمر»** هو ابن الخطاب بن نُفيل - بنون وفاء مصغر - العدوي، أمير المؤمنين وأفضل الصَّحابة بعد الصِّدِّيق رضي الله عنهما، وليَ الخلافة عشر سنين ونصفًا، فامتلأت الدُّنيا عدلًا، وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة[(٢)].

● قوله: **«لا تطروني»**، الإطراء: هو الغلو، **«كما أطْرَتْ النَّصارى ابن مريم»**، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النِّساء: ١٧١].

● قوله: **«إنَّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»**، أمرهم ﷺ أن لا يتجاوزوا هذا القول في الخطاب[(٣)]، وقد أمر الله عباده بالصَّلاة

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٤٤٥)، ومسلم برقم (١٢٩١).
(٢) وقعت هكذا في (أ) و(هـ): «سنة ثلاث وعشرين سنة». انظر ترجمة عمر بن الخطاب في «الإصابة» (٤/ ٥٨٨) و«الاستيعاب» (٣/ ١١٤٤)، وكتاب «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن المبرد.
(٣) في (هـ): «المخاطبة».

والسَّلام عليه؛ لأن أشرف مقامات الأنبياء: العبودية الخاصة والرسالة [العامة].

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلو».

● **قوله: «قال: قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكم والغلو، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ»[(١)].**

هذا الحديث ذكره المصنف - [رحمه الله تعالى] - بدون ذكر راويه[(٢)].

وقد رواه الإمام أحمد، والتِّرمذي، وابن ماجه من حديث ابن عباس، [وهذا لفظ رواية أحمد عن ابن عباس][(٣)].

---

(١) قال الشيخ سليمان في كتابه «التيسير» ص (٢٦٥): «هكذا ثبت هذا البياض في أصل المصنف. وذكره أيضًا غير معزو».

(٢) في (ب): «رواية ابن عباس»، وفي (ج) و(د): «رواية».

(٣) مكررة في الأصل، والحديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٤٧)، والنسائي في «سننه» برقم (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن الجارود في المنتقى (٤٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦٦)، ولم أجده عند الترمذي. وهذا لفظ ابن ماجه عن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة، وهو على ناقته: «القط لي حصًى»، فلقطتُ له سبع حصيات هنَّ حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «أمثال هؤلاء فارموا...».
وقال شيخ الإسلام في «الاقتضاء» ص (١٠٦): «هذا إسناد صحيح على شرط مسلم»، وصححه في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٨٣).

قال شيخ الإسلام: «هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال»(١).

ولمسلم عن ابن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ قال «هلك المتنطِّعون» قالها ثلاثًا.

● **قوله: «ولمسلم عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطِّعون» قالها ثلاثًا»(٢).**

قال الخطَّابي: «المتنطِّع: المتعمِّق في الشيء المتكلِّف في البحث عنه على مذهب أهل الكلام الدَّاخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم»(٣).

وقال أبو السَّعادات: «هم المتعمِّقون الغالون في الكلام المتكلِّمون بأقصى حلوقهم»(٤).

وقال النَّووي: «فيه كراهة التقعُّر في الكلام والتشدُّق، وتكلُّف الفصاحة واستعمال وحشيِّ اللغة، ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام(٥) ونحوهم»(٦).

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (١٠٦).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٧٠).
(٣) «معالم السنن» (٤/ ٢٧٧).
(٤) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٧٣).
(٥) في (ط): «القوم».
(٦) في (ب): «وغيرهم»، وقول النووي في كتابه «رياض الصالحين» ص (٣٩٣).

● قوله: «**قالها ثلاثًا**»، أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة في التعليم والإبلاغ، فقد بلَّغ[١] البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة: أنَّ الغلو من التنطُّع والزّيادة لما فيه من الخروج إلى ما يوصل إلى الشِّرك بالله.

(١) في (ج): «أبلغ».

١٩ - باب
ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عَبَدَه؟!

● قوله: «باب ما جاء في التغليظ فيمن عبدَ الله عند قبرِ رجل صالح فكيف إذا عبدَه؟!».

فكلُّ ما كان وسيلة إلى الشِّرك فهو حرام، لكونه يوقع في الشِّرك بالله وعبادة ما سواه كما في هذه الأحاديث.

في الصَّحيح عن عائشة ﵂ أنَّ أم سلمة ﵂ ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا على قبره مسجدًا وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله .

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل.

● قوله: «في «الصحيح» عن عائشة ﵂ أنَّ أم سلمة ﵂ ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور...» الحديث.

● قوله: «في الصَّحيح» أي: «الصَّحيحين»(١).

قوله: «أنَّ أمَّ سلمة»، هي هند بنت أبي أميَّة بن المغيرة بن عبد الله

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٧)، ومسلم برقم (٥٢٨).

ابن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل: ثلاث، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة[١] إلى الحبشة، ماتت[٢] سنة اثنتين وستين[٣].

● قوله: «ذَكَرَت لرسول الله ﷺ». وفي «الصَّحيحين»: أنَّ أمَّ حبيبة وأمَّ سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ[٤].

والكنيسة - بفتح الكاف وكسر النون - متعبَّد النَّصارى.

● قوله: «رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور»؛ لأنَّ أم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة، ثم رجعا إلى مكة فهاجرا منها إلى المدينة، والحبشة دينهم النَّصرانيَّة[٥]، وفيهم من أسلم.

● قوله: «فقال: أولئكِ» - بكسر الكاف - خطاب للمرأة.

● قوله: «إذا مات فيهم الرَّجل الصَّالح - أو العبد الصَّالح -»، هذا - والله أعلم - شكٌّ من الرَّاوي.

● قوله: «أولئكِ شرار الخلق عند الله»، ولم يذكرا[٦] غير بناء

---

(١) في (ب) بعدها: «سنة أربع وقيل ثلاث»، وفي (أ) و(ج) و(د): «سنة أربع وقيل ثلاث، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة».
وجاء في النسخة (ب): «سنة أربع وقيل ثلاث». ولعله سبق قلم.

(٢) في (ط): «توفيت».

(٣) في (ج): «وسبعين»، وانظر في ترجمتها: «الإصابة» (٨/ ١٥٠).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٤١٧)، ومسلم برقم (٥٢٨).

(٥) في (ب): «نصرانية».

(٦) في (ب) و(هـ): «يذكر».

المساجد والتَّصوير، لكونه ذريعة إلى عبادة من بَنَوا عليه المسجد وصوَّروا صورته، فبذلك صاروا شرار الخلق، فانظر إلى ما وقع في هذه الأمة من ذرائع الشِّرك والوقوع فيه، مما هو أعظم من هذا [كالبناء على القبور وتعظيمها وعبادتها]، ومع ذلك يعتقدونه دينًا، وهو الشِّرك الذي حرَّمه الله، وأرسل الرُّسل وأنزل الكتب بالنَّهي عنه.

● **قوله: «فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التّماثيل».** هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - [رحمه الله تعالى] - لم يذكره المصنف - [رحمه الله تعالى] - لأنَّ ذلك معلوم عند من يقرأ[١] هذا[٢] الكتاب[٣].

ولهما عنها قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنَّه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه.

● **قوله: «ولهما عنها قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنَّصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز[٤] قبره، غير أنَّه خشي أن يُتَّخذ مسجدًا.**

---

(١) في (ب): «يقره».
(٢) في (ب): «من».
(٣) انظر: «الاقتضاء» (ص ٣٣٣)، و«الإغاثة» (١/ ٢٠٣).
(٤) في (أ) و(ب) و(د) و(ط): «أبرز».

أخرجاه»[١].

[● قوله]: «الخميصة»: كساء له أعلام. والشَّاهد للترجمة: قوله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنَّصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، فلعنهم ﷺ على تحرِّي الصَّلاة عندها، وإن كان المصلِّي إنَّما يصلِّي[٢] لله، فمن كان يصلِّي عند القبور ويتَّخذها مساجد فهو ملعون؛ لأنَّه ذريعة إلى عبادتها، فكيف إذا عبد أهل القبور والغائبين بأنواع العبادة، وسألهم ما لا قدرة لهم عليه؟

وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها، واللعنة ليست مختَصَّة باليهود والنَّصارى؛ بل تعم من فعل فعلهم وما هو أعظم منه، وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنة اليهود والنصارى على هذا الفعل، تحذيرًا لأمَّته أن يفعلوا ما فعلته اليهود والنَّصارى، فيقع بهم[٣] من اللعنة ما وقع بهم.

● قوله: «ولولا ذلك». أي ما كان يحذِّر من اتِّخاذ قبر النَّبيِّ ﷺ مسجدًا لأُبْرِزَ قَبْرُهُ مع قبور أصحابه بالبقيع.

● قوله: «غير أنَّه خُشي أن يُتَّخذ مسجدًا». روي بفتح الخاء وضمِّها، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك ﷺ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون

---

(١) الحديث أخرجه البخاري برقم (٤٤٤٣ ـ ٤٤٤٤)، ومسلم برقم (٥٢٩).

(٢) في (ج): «إنما كان يصلِّي».

(٣) في (ب): «به».

الصَّحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة، فلم يبرزوا قبره، خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة، غلوًّا وتعظيمًا لما أبدى وأعاد من النّهي والتّحذير منه ولعن فاعله.

قال القرطبي: «ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذَّريعة في قبر النَّبيِّ ﷺ، فأعلوا حيطان تربته، وسَدُّوا المداخل إليها، وجعلوها مُحْدِقَةً بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يُتَّخذ موضع قبره قِبْلةً إذ[(١)] كان مستقبل المصلِّين، فتصور الصَّلاة إليه بصورة العبادة، فبَنَوا جدارين من ركني القبر الشَّماليين وحرَّفوهما، حتَّى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتَّى لا يتمكن[(٢)] أحد من استقبال قبره». انتهى[(٣)].

قلت: فبذلك صان الله قبره وقبل دعوته بقوله: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضب الله على قوم اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إنِّي أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإنَّ الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا. ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتَّخذت أبا بكر خليلًا. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يَتَّخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنِّي أنهاكم عن ذلك».

(١) في (أ) و(ج) و(ط): «إذا».
(٢) في (ج): «يمكن».
(٣) «المفهم» (٢/ ١٢٨).

فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنَّه لعن - وهو في السياق - من فعله. والصَّلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا»، فإنَّ الصَّحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قُصِدت الصَّلاة فيه فقد اتُّخِذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ: «جُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا».

● قوله: «ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النَّبيَّ[1] ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إنِّي أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإنَّ الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا. ولو كنت متَّخذًا من أمَّتي خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكر خليلًا. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتَّخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تَتَّخذوا القبور مساجد، فإنِّي أنهاكم عن ذلك»[2].

● قوله: «عن جندب بن عبد الله»، أي ابن سفيان البجلي وينسب إلى جدِّه، صحابي مشهور مات بعد السِّتِّين[3].

قال شيخ الإسلام ﷺ: «أمَّا بناء المساجد على القبور فقد صرَّح عامّة الطوائف بالنَّهي عنه للأحاديث الصَّحيحة، وصرَّح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشَّافعي بتحريمه».

قال: «ولا ريب في القطع بتحريمه»، ثم ذكر الأحاديث في

---

(١) في (ب): «رسول الله».
(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٣٢).
(٣) انظر ترجمته في «الإصابة» (١/ ٦١٣) برقم ١٢٢٣.

ذلك.. إلى أن قال: «وهذه المساجد المبنيّة على قبور الأنبياء والصَّالحين والملوك[(١)] وغيرهم، تتعيَّن إزالتها بهدم أو غيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين»[(٢)].

● **قوله: «فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنَّه لعن - وهو في السِّياق - مَنْ فَعَلَه، والصَّلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد»**[(٣)]، وهو معنى قولها[(٤)]: «خشي أن يُتَّخذ مسجدًا»[(٥)]، فإنَّ الصَّحابة لم يكونوا لِيَبْنُوا حول قبره مسجدًا، وكل[(٦)] موضع قصدت الصَّلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلَّى فيه يُسمَّى مسجدًا[(٧)]، كما قال ﷺ[(٨)]: «**جُعِلَت لِيَ الأرضُ مسجدًا وطهورًا**»[(٩)].

هذا ذكره شيخنا وهو من تقرير شيخ الإسلام ابن تيمية - [رحمهما الله تعالى] - على هذه الأحاديث.

---

(١) في (ج): «أو الملوك».
(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٣٣٠).
(٣) في (ب): «مسجدًا».
(٤) في (ب): «قوله».
(٥) في الأصل و(ج) و(د): «مسجد».
(٦) في (هـ): «بل كل».
(٧) في (د): «مسجدًا وطهورًا».
(٨) في (ج): «النبي ﷺ».
(٩) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٣٥)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «إنَّ من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد». ورواه أبو حاتم في صحيحه.

● قوله: «ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعًا: «إنَّ من شرار النَّاس من تدركهم السَّاعة وهم أحياء، والذين يتَّخذون القبورَ مساجد». ورواه أبو حاتم [بن حبان] في صحيحه»[١].

قلت: وقد وقع هذا في الأمة كثيرًا[٢] كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النَّبيِّ ﷺ، كما لا يخفى على ذوي البصائر، وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشِّرك بأمور:

منها: أنَّهم يخلصون عند الاضطرار لغير الله، وينسون الله.

ومنها[٣]: أنَّهم يعتقدون أنَّ آلهتهم من الأموات يتصرَّفون في

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٤٣٥)، وأبو حاتم في «صحيحه» برقم (٦٨٤٧) وغيرهما. قال الذهبي في «السير» (٩/ ٤١٠): «حديث حسن قوي الإسناد». وحسَّن إسناده الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٧)، وجوَّد إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (ص ٣٣٠)، فجملة الحديث الأولى وهي قوله: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» أخرجها مسلم برقم (٢٩٤٩). والجملة الثانية: «وإن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك التصاوير، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». أخرجها البخاري برقم (٤٢٧).

(٢) في الأصل وباقي النسخ: «كثير».

(٣) في (هـ): «ومنهم».

الكون دون الله، وجمعوا بين نوعي الشِّرك في الإلهيَّة والرُّبوبية، وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عمان وأمثاله: إنَّ عبد القادر الجيلاني يسمع من دعاه، ومع سماعه ينفع، فزعم أنَّه يعلم الغيب وهو ميت.

فلقد ذهب عقل هذا وضلَّ، فكفر بما أنزله[1] الله في كتابه كقوله - [تعالى] -: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤]. فما صدَّقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ولا آمنوا بما أنزله[2] الله في كتابه، بل بالغوا وعاندوا في ردِّه، وكذَّبوا وألحدوا وكابروا المعقول والمنقول. فالله المستعان.

---

(١) في (ب): «أنزل».

(٢) في (ب): «أنزل».

٢٠ - باب
ما جاء أنَّ الغلو في قبور الصالحين يُصيِّرها أوثانًا تُعبَدُ من دون الله

روى مالك في الموَطَّأ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللَّهم لا تجعل قبري وَثَنًا يُعبَد، اشتدَّ غضبُ اللهِ على قوم اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد».

● قوله: باب ما جاء أنَّ الغلوَّ في قبور الصَّالحين يصيِّرها أوثانًا تُعبد من دون الله.

روى مالك[1] في «الموطأ» أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللَّهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2]، وذلك أنَّه ﷺ خاف أن يقع من أمَّته في حقِّه، كما وقع

(١) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدني، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة وأحد المتقنين للحديث حتى قال البخاري: أصحُّ الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر. مات سنة تسع وسبعين ومئة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقيل: أربع وتسعين، وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة. «سير أعلام النبلاء» (٨/٤٨).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» برقم (٤١٤) عن عطاء بن يسار مرسلًا، وعن زيد بن أسلم مرسلًا أيضًا. وروي موصولًا من حديث أبي سعيد الخدري.
رواه البزار في «مسنده» (٤٤٠ . كشف)، وهذا الحديث صحَّحه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/٤٢)، والشيخ سليمان في «التيسير» ص (٢٨٤)، وذكر المؤلف في «فتح المجيد» (١/٤٠٦) أنَّ له شاهدًا عند الإمام أحمد (٢/٢٤٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

من اليهود والنَّصارى في حقِّ أنبيائهم من عبادتهم من دون الله.

وسبب ذلك: الغلو فيهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

وكذلك رغب ﷺ إلى ربِّه أن لا يجعل قبره وثنًا يُعبد، وقد عُبدت القبور بأنواع العبادة كما لا يخفى، وتقدَّم في حديث عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنَّه خشي أن يتخذ مسجدًا[(١)]، وقد استجاب الله دعوة نبيِّه ﷺ وصان قبره، وأحاطه بثلاثة جدران، كما قال العلَّامة ابن القيِّم - رحمه الله [تعالى] -:

فـأجـابَ ربُّ الـعـالـمـيـنَ دُعـاءَهُ
وأحـاطَـهُ بـثـلاثـةِ الـجُـدْرانِ[(٢)]

ولابن جرير بسنده عن سفيان[(٣)]، عن منصور[(٤)]، عن مجاهد[(٥)] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ

(١) في الأصل و(ج) و(د): «مسجد».

(٢) هذا البيت في «الكافية الشافية» لابن القيِّم برقم (٤٠٤٢).

(٣) قال في «التيسير» ص (٢٨٩): «هو أحد السفيانين، إما ابن عيينة وإما الثوري». وقال في «فتح المجيد (١/ ٤١١): «الظَّاهر أنَّه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، وهو ثقة حافظ فقيه إمام عابد، كان مجتهدًا، وله أتباع يتفقهون على مذهبه. مات سنة إحدى وستين ومئة وله أربع وستون سنة».اهـ. من فتح المجيد، وانظر: «السير» (٧/ ٢٢٩).

(٤) منصور هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي، ثقة ثبت فقيه، مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة. «السير» (٥/ ٤٠٢).

(٥) مجاهد هو ابن جبر ـ بالجيم الموحدة ـ أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة إمام في التفسير، أخذ عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم، مات سنة أربع ومئة، =

ﭐﻟﻠَّﺖَ وَﭐﻟۡﻌُﺰَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يَلُتُّ لهم السويق، فمات، فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء[(١)] عن ابن عبَّاس: كان يَلُتُّ السويق للحاج.

● قوله: «ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يَلُتُّ لهم السويق[(٢)]، فمات، فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عبَّاس: كان يَلُتُّ السويق للحاج».

«ابن جرير»[(٣)] هو أبو جعفر [محمد] بن جرير صاحب «التفسير الكبير»، وهو أجلُّ[(٤)] التفاسير وأحسنها، وهو من أئمة المسلمين المجتهدين، وله كتاب «الأحكام» رَحِمَهُ ٱللَّهُ [تعالى].

● قوله: «كان يلتُّ لهم السَّويق فمات فعكفوا على قبره»، فيه شاهد للترجمة، فإنَّهم غَلَوا فيه لأجل صلاحه[(٥)]، واتَّخذوه وثنًا بتعظيمه وعبادته، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية.

= قاله يحيى القطان، وقال ابن حبان: مات سنة اثنتين أو ثلاث ومئة وهو ساجد، ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه. اهـ «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٤٩).

(١) أبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعي بفتح الراء والباء، ثقة مشهور، مات سنة ثلاث وثمانين. اهـ «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٩٢)، و«التقريب» ص (١١٦).

(٢) في (ج): «يلت السويق للحاج».

(٣) في (ط): «قوله: ولابن جرير».

(٤) في (ب) و(د): «أحد».

(٥) في «التيسير» (ص ٢٨٩): «وقد قيل: إن اسم الرجل: صرمة بن غنم».

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رسول الله ﷺ زائراتِ القبورِ والمتَّخذين عليها المساجد والسُّرُج». رواه أهل السُّنن.

● قوله: «وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لعنَ رسول الله ﷺ زائراتِ القبور والمتَّخذين عليها[1] المساجد والسُّرج. رواه أهل السُّنن»[2].

[و] هذا الحديث صحيحٌ صحَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى[3] -: ويكفيك في الاحتجاج به رواية أهل «السُّنن» له، ولم يذكر أحد منهم له علّة ولا معارض له.

---

(١) في (ب): «عليه».

(٢) «يعني أبا داود برقم (٣٢٣٦)، والترمذي برقم (٣٢٠)، وابن ماجه برقم (١٥٧٥) فقط، ولم يروه النسائي». قاله في «التيسير» (ص٢٩٢)، و«فتح المجيد» (١/ ٤٢١).
قلت: أخرجه النسائي في سننه «الصغرى» (٤/ ٩٥)، و«الكبرى» برقم (٢١٧٠)، وأخرجه غيرهم.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٤٩)، ولخَّصه المؤلف في «فتح المجيد» (١/ ٤١٥)، وتكلم في الخلاف في زيارة القبور، فانظره.

٢١ - باب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التَّوحيد وسَدِّهِ كلَّ طريق يوصل إلى الشِّرك

● قوله: «باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التَّوحيد وسَدِّهِ كلَّ طريق يوصل إلى الشِّرك».

قد تقدَّم فيما سلف من الأبواب قبل هذا.

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية.

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة:١٢٨](١) الآية.

ووجه الدّلالة من الآية: أنَّه ﷺ يعزُّ عليه كل ما يؤثِّم الأمة ويشقُّ عليهم، وأعظم ما يؤثِّم الأمة [ويشقُّ عليهم]: الشِّرك بالله قليله وكثيره ووسائله وما يقرِّب منه(٢) من كبائر الذنوب، وقد بالغ ﷺ في النَّهي عن الشِّرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى، وقد كانت هذه حال الصَّحابة(٣) رضي الله عنهم في قطعهم الخيوط التي رقي للمريض فيها، ونحو ذلك من تعليق التَّمائم.

---

(١) في (ب): جاءت الآية إلى قوله تعالى: «أنفسكم»، وفي (د): إلى «عليكم»، وفي (ج): إلى «المؤمنين» ومكان ما لم يذكر «الآية».

(٢) في (ب): «إليه».

(٣) في (هـ): «أصحابه».

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم».
رواه أبو داود بإسناد حسن رواته ثقات.

● قوله: «عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تَبْلُغُني حيث كنتم». رواه أبو داود بإسناد حسن رواته[١] ثقات»[٢].

قال الحافظ محمد بن عبد الهادي: «هو حديث حسن جيِّد الإسناد، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحَّة»[٣].

نهاهم ﷺ أن يهجروا بيوتهم عن الصَّلاة فيها، كما تُهْجَرُ القبورُ عن الصَّلاة إليها مخافة الفتنة بها، وما يفضي إلى عبادتها من دون الله؛ لأنَّ النَّهي عن ذلك قد تقرَّر عندهم، فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك.

● قوله: «ولا تجعلوا قبري عيدًا»، فيه شاهد للترجمة.

قال شيخ الإسلام: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام، على وجه معتاد عائد، إمَّا بعود السَّنة، أو بعود الأسبوع أو الشَّهر أو

---

(١) في (ج) و(ط): «ورواته».
(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود - كما قال المؤلف - في «سننه» برقم (٢٠٤٢) وغيرهم، وحسَّنه شيخ الإسلام في «الاقتضاء» (ص٣٢١)، والشيخ سليمان في «التيسير» ص (٢٩٥)، والمؤلف في «فتح المجيد» (١/ ٤٢٨).
(٣) «الصَّارم المنكي في الرد على السبكي» ص (٤١٤).

نحو ذلك»[١].

وقال ابن القيِّم [رَحِمَهُ اللَّهُ]: «العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإذا كان اسمًا للمكان[٢]: فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها[٣]، كما أنَّ المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر[٤] جعلها الله عيدًا للحنفاء ومثابة، كما جعل أيَّام العيد فيها عيدًا، وكان للمشركين أعياد[٥] زمانية ومكانية، فلمَّا جاء الله بالإسلام أبطلها وعَوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النَّحر وأيَّام منى، كما عوَّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر»[٦].

وعن علي بن الحسين أنَّه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النَّبيِّ ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؟ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في «المختارة».

● قوله: «وعن[٧] علي بن الحسين: أنَّه رأى رجلًا يجيء إلى

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (١٨٩).
(٢) في (ج): «اسم مكان».
(٣) في (ب): «غيرها».
(٤) في (ب): «والمشاهد».
(٥) في (ب) و(ج): «أعيادًا».
(٦) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٩).
(٧) في (ب): «عن».

فرجة كانت عند قبر النَّبيِّ ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؟ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في «المختارة».

هذا الحديث رواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضّياء في «المختارة»[(١)].

قال شيخ الإسلام: «فانظر هذه السُّنَّة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النَّسب وقرب الدَّار؛ لأنَّهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط». انتهى[(٢)].

● **قوله: «[و] عن علي بن الحسين»**، أي ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رضي الله عنه، أفضل التَّابعين من أهل بيته[(٣)]

---

(١) رواه الحافظ الضياء في «المختارة» برقم (٤٢٨)، وأبو يعلى في «مسنده» برقم (٤٦٩)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» كما قال المؤلف برقم (٢٠). وكذلك رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٨٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (٧٢٢٥).

وكتاب «المختارة» قال عنه الشيخ سليمان في «التيسير» (ص٣٠٦): «كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على «الصحيحين»، ومؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، الحافظ ضياء الدين الحنبلي، أحد الأعلام وحفاظ الحديث. قال الذهبي [في «السير» (٢٣/ ١٢٦)]: أفنى عمره في الشأن، مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والثقة والإتقان. انتفع الناس بتصانيفه، والمحدثون بكتبه، فالله يرحمه ويرضى عنه».

وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٢٢/ ٢٤٢٦): «تصحيحه في «مختارته» خير من تصحيح الحاكم بلا ريب». مات سنة (٦٤٣هـ)».اهـ.

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (٣٢٤).

(٣) في (ب): «البيت».

وأعلمهم، قال الزُّهري: ما رأيتُ قرشيًا أفضل منه، مات سنة ثلاث وتسعين على الصَّحيح(١).

● قوله: «**أنَّه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة**» - بضم الفاء وسكون الراء - وهي الكوَّة في الجدار والخوخة ونحوهما.

● قوله: «**فيدخل فيها فيدعو، فنهاه**»، هذا يدلُّ على النَّهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدُّعاء والصَّلاة عندها.

قال شيخ الإسلام: «ما علمت أحدًا رخَّص فيه(٢)؛ لأنَّ ذلك نوع من اتِّخاذه عيدًا، ويدلُّ أيضًا على أنَّ قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلِّي منهي عنه؛ لأنَّ ذلك لم يشرع، وكره مالك لأهل المدينة كلَّما دخل إنسان المسجد، أن يأتي قبر النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ السَّلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها(٣). وكان الصَّحابة والتَّابعون ﭬ يأتون إلى مسجد النَّبيِّ ﷺ فيصلُّون، فإذا قَضَوا الصَّلاة قعدوا وخرجوا(٤)، ولم يكونوا يأتون القبر للسَّلام لعلمهم أنَّ الصَّلاة والسَّلام عليه في الصَّلاة أكمل وأفضل(٥).

وأمَّا دخولهم عند قبره للصَّلاة والسَّلام عليه هناك أو للصَّلاة

---

(١) انظر ترجمته في: «السير» (٤/ ٣٨٦).
(٢) أي في الذهاب للقبر دون المسجد.
(٣) نقله عنه القاضي عياض في «الشفاء» (٢/ ٨٧).
(٤) في (ب): «أو خرجوا».
(٥) العبارة بعدها في (هـ): «عند دخول المسجد هو السنَّة».

والدُّعاء فلم يشرعه لهم، بل نهاهم [عنه] في قوله: «لا تتَّخِذوا قبري عِيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تَبْلُغُنِي»، فبيَّن أنَّ الصَّلاة تصل إليه من بعد وكذلك السَّلام، ولعن مَنِ اتَّخَذَ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب لما كانت عائشة ﵂ فيها وبعد ذلك إلى أن بُني الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكُّن من الوصول إلى قبره، لا يدخلون إليه، لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتَّى يسمعهم كلامًا أو سلامًا، فيظنُّون أنَّه هو كلَّمهم وأفتاهم وبيَّن لهم الأحاديث، وأنَّه قد ردَّ عليهم السَّلام بصوت يسمع من خارج، كما طمع الشَّيطان في غيرهم فأَضَلَّهم عند قبره وقبر غيره، حتَّى ظنُّوا أنَّ صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدِّثهم في الظَّاهر، وأنَّه يخرج من القبر ويرونه خارجًا من القبر، ويظنُّون أنَّ نفس أبدان الموتى خرجت تُكَلِّمهم، وأنَّ روح الميت[1] تجسَّدت لهم فرأوها.

والمقصود أنَّ الصَّحابة - رضوان الله عليهم - لم يكونوا يعتادون الصَّلاة والسَّلام عليه عند قبره، كما كان يفعله من بعدهم من الخلوف»[2].

قال سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا[3] عبد العزيز بن محمد، أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن

---

(١) في (ط): «أرواح الموتى».
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٨٦).
(٣) في (أ) «ثنا».

أبي طالب عند قبر النَّبيِّ ﷺ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشَّى، فقال: هلمَّ إلى العشاء، قلت: لا أريده. قال[(١)]: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلَّمت على النَّبيِّ ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد فسلِّم. ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تتَّخِذُوا قبري عيدًا، ولا [تَتَّخِذُوا] بيوتَكم مقابر**[(٢)]**، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم. لعن الله اليهودَ والنَّصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجد**»، ما أنت ومن بالأندلس إلَّا سواء»[(٣)].

قلت: وهذا أيضًا له قرب النَّسب وقرب الدَّار، فنهى عن المجيء إلى القبر[(٤)] للدعاء عنده، فالمجيء إلى القبر للسَّلام عليه وتحرِّي إجابة الدُّعاء ليس ممَّا شرعه الله ورسوله لهذه الأمة، ولو كان مشروعًا لما تركه الخلفاء والسَّابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمَّة التَّابعين، ولما أنكروا على من فعله، وقولهم هو الحجة[(٥)]، وهو الذي دلَّت عليه الأحاديث، كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما،

---

(١) في (ب): «فقال».
(٢) في (ب) و(ط): «قبورًا».
(٣) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية بسند ومتن سعيد بن منصور في «الرد على الإخنائي» ص (٩٣)، وفي «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٢٢)، وأخرجه إسماعيل القاضي في «فصل الصلاة على النبي ﷺ» (٣٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (٧٧٢٩). ولم يذكر: «ما أنت ومن بالأندلس إلّا سواء».
(٤) في (ب): «للقبر».
(٥) في الأصل وباقي النسخ عدا (هـ) بعد هذه الكلمة: «الذي» وبعدها في (ب) و(ج) بياض.

لعلم السَّلف بما أراده النَّبيُّ ﷺ بنهيه عن الغلو، وخوفه مما[١] وقع ممن غلا في الدِّين واتبع غير سبيل المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، ولمَّا حدث الشِّرك بأرباب القبور في هذه الأمة [وتعظيمها] وعبادتها، صارت تُشَدُّ الرِّحال إليها لقصد دعائها والاستغاثة بها، وبذل نفيس المال تقرُّبًا إليها، وتعظيم سدنتها، فيا لها مصيبة ما أعظمها.

نسأل الله السَّلامة من هذا الشِّرك، وما يقرِّب منه أو[٢] يوصل إليه.

---

(١) في (ج) و(د): «ما».
(٢) في (هـ): «و».

٢٢ - باب

ما جاء أنَّ بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]

● **قوله: «باب ما جاء أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان».**

وقوله(١) - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]. الوثن يُطلق على [كل] من قُصد بنوعٍ من أنواع العبادةِ من دون الله، من صنم أو قبر أو غيره، لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ(٢) أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٧١].

● **قوله: «وقوله(٣): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]».**

روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب ابن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم ومحمد؟ فقالوا: نحن

---

(١) في (ب) و(هـ): «وقول الله».
(٢) في (ب): «دونه».
(٣) في (ط): «وقول الله تعالى».

نصلُ الأرحام وننحر الكوماء[(١)] ونسقي الماء على اللَّبن ونفكُّ العناة ونسقي الحجيج، ومحمد صنوبر[(٢)]: قطع أرحامنا، واتَّبعه[(٣)] سُرَّاق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلًا[(٤)]. فأنزل الله [تعالى]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٢٣] إلى قوله: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١][(٥)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

• وقوله: «﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠]».

قال البغوي في «تفسيره»: «﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: ٦٠] يعني قولهم: لم نرَ أهل دينٍ أقلَّ حظًّا في الدُّنيا والآخرة منكم، ولا [دينًا] شرًّا[(٦)] من دينكم، فذكر الجواب بلفظ

---

(١) في (ب): «الكوم».
(٢) كذا في النسخ، وفي (ط)، والمصادر: «صُنْبُور». والصنبور: الأبتر الذي لا عقب له. «النهاية» (٣/ ٥٥).
(٣) في (ب): «وتبع».
(٤) في (ب): «وأهدى من الذين آمنوا سبيلًا».
(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٥٤٤١)، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٣٤)، وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه»، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٦٢) قال في «المجمع» (٧/ ٦): «فيه يونس بن سليمان الجمال ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».
(٦) في (ب): «شرار».

الابتداء، كقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

وقوله[(١)]: ﴿مَثُوبَةً﴾ [المائدة: ٦٠] ثوابًا وجزاءً نصب على التفسير ﴿عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]، فالقردة: أصحاب السَّبت، والخنازير: كفار مائدة عيسى.

وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس: أنَّ المسخين[(٢)] كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير، ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشَّيطان فيما سوَّل له»[(٣)].

وفي «تفسير الطبري»: قرأ حمزة: (وعَبُدَ الطَّاغُوتِ) - بضم الباء وجر التَّاء -، وقرأ ابن عبَّاس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب: (وعُبُدَ الطاغوتِ) بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء[(٤)].

● قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الفرقان: ٣٤] مما تظُنُّون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [المائدة: ٦٠]، وهذا من باب استعمال أفعل[(٥)] التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارك، كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤]. قاله ابن كثير[(٦)].

---

(١) في (ب): «قوله».
(٢) في (ب): «الممخين»، وفي (هـ) و«التفسير»: «الممسوخين».
(٣) «معالم التنزيل» للبغوي (٣/ ٧٥).
(٤) «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٩).
(٥) في (ب): «أفعال».
(٦) في «تفسيره» (٢/ ٧٥).

قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: ٢١](١).
عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم حذو القذَّةِ بالقذة، حتَّى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنَّصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه.

● قوله: «عن أبي سعيد [الخدري] رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لتتَّبعنَّ سَنَن من كان قبلكم حذوَ القذَّةِ بالقذَّة، حتَّى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنَّصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه»(٢).

وهذا سياق مسلم، فبيَّن ﷺ في هذا الحديث أنَّ كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمَّهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد(٣) أن يقع جميعه من هذه الأمة وهو الشّاهد للترجمة.

● قوله: «سَنَن» - بفتح المهملة - أي: طريق من كان قبلكم.

---

(١) لم يعلِّق الشيخ عبد الرحمن هنا شيئًا على هذه الآية، وقد ذكر في «فتح المجيد» (١/ ٤٤٢) ما نصه: «والمراد: أنَّهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم».

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٣٢٠)، ومسلم برقم (٢٦٦٩)، وسياق مسلم: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لاتبعتموهم...» قال في «التيسير» ص (٣١١): «أراد أصله لا لفظه».

(٣) في (ب): «إلا أنه».

● قوله: «حَذْوَ القُذَّةِ» بنصب حذو على المصدر، والقُذَّة - بضم القاف - واحدة القذاذ[١] وهو ريش السهم، أي: لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوا و[٢] تشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السَّهم القذة الأخرى، فوقع كما أخبر ﷺ.

قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النَّصارى. انتهى[٣].

ولمسلم عن ثوبان أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها. وأعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض. وإنِّي سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإنَّ ربي قال: يا محمد، إنِّي إذا قضيت قضاء فإنَّه لا يردُّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتَّى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا».

● قوله: عن ثوبان ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها[٤] ومغاربها، وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي

(١) في (ط): «القذذ».
(٢) في (ب): «أو».
(٣) نقله عنه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (٥).
(٤) في (هـ): «مشارق الأرض».

لي منها. وأعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض. وإنِّي سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإنَّ ربي قال: يا محمد، [إنِّي] إذا قضيت قضاء فإنَّه لا يردُّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتَّى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»(١).

ورواه البرقاني في «صحيحه» وزاد: «وإنَّما أخاف على أمَّتي الأئمة المُضلِّين، وإذا وقع عليهم السَّيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم السَّاعة حتَّى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتَّى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنَّه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون كلّهم يزعم أنَّه نبيّ، وأنا خاتم النَّبيِّين لا نبيّ بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرُّهم من خذلهم(٢) حتَّى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

هذا الحديث رواه أبو داود في «سننه» وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف(٣).

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٨٨٩).
(٢) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «ولا من خالفهم».
(٣) في (ب): «المصنف ﷺتعالى»، والزيادة المذكورة أخرجها أبو داود برقم (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٤) قال في «التيسير» ص (٣١٣): «ورواه الترمذي مختصرًا ببعضها».

● قوله: «عن ثوبان»: هو مولى النَّبيِّ ﷺ ولازمه ونزل بعده الشَّام ومات بحمص سنة أربع وخمسين[(١)].

● قوله: «زوى لي الأرض» قال التوربشتي[(٢)]: «زويت الشيء: جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها حتَّى اطّلع عليه اطلاعه على[(٣)] القريب ﷺ، وحاصله أنَّه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره»[(٤)].

قال الطّيبي[(٥)]: «جمعها لي حتَّى أبصرت ما تملكه أمَّتي، من أقصى المشارق والمغارب منها».

● قوله: «وإنَّ أمَّتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»، قال القرطبي: «هذا الخبر وجد مخبره، كما قال: وكان ذلك من دلائل نبوَّته ﷺ[(٦)]، وذلك أنَّ ملك أمَّته اتَّسع إلى أن بلغ أقصى طنجة -

---

(١) انظر ترجمته في «الفخر المتوالي» للسخاوي ص (٣٧).

(٢) في (ط): «النوربشتي».
والتوربشتي هو: فضل الله بن حسن أبو عبد الله التوربشتي الشافعي، محدِّث فقيه من أهل شيراز، له «الميسَّر في شرح مصابيح السنة» للبغوي. توفي سنة (٦٦١هـ).
انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/ ٣٤٩)، ووقع في «الأعلام» (٥/ ١٥٢) و«معجم المؤلفين» (٨/ ٧٣) أنه حنفي.
وكلامه هذا في «الميسر في شرح المصابيح».

(٣) في (ب): «اطلاع».

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح» (١٠/ ١٥).

(٥) كذا في النسخ، و«فتح المجيد»: «الطيبي». وفي «التيسير»: «القرطبي». وقوله هذا في «المفهم» (٧/ ٢١٦).

(٦) في (ب): «النبوة».

بالنُّون والجيم - الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق، ممّا وراء خراسان والنَّهر وكثير من بلاد[1] الهند [والسند] والصَّغد، ولم يتَّسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشَّمال، ولذلك لم يذكره ﷺ أنَّه أريه[2]، ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه»[3].

● قوله: **«زوي لي منها»** يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل، وأن يكون مبنيًا للمفعول.

● قوله: **«وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»**، قال القرطبي: «يعني بها[4] كنز كسرى [وهو] ملك الفرس، وكنز قيصرَ وهو ملك الرُّوم وقصورهما[5] وبلادهما، وقد قال ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله»**[6]، وعبَّر بـ«الأحمر» عن كنز قيصر؛ لأنَّ الغالب عندهم كان الذَّهب، وبـ«الأبيض» عن كنز كسرى؛ لأنَّ الغالب عندهم كان الجوهر والفضَّة، ووجد ذلك في خلافة عمر»[7].

● قوله: **«وإنِّي سألت ربّي لأمَّتي أن لا يهلكها بسنة بعامَّة»**، هكذا ثبت في أصل المصنف بالباء، وهي رواية صحيحة في «صحيح

---

(١) في (ب) و(د) بعدها: «النهر وكثير من بلاد».
(٢) في (ج) بعدها: «وأخبر به».
(٣) «المفهم» (٧/ ٢١٧).
(٤) في (ج): «بهما»، وفي «المفهم» و(ط): «به».
(٥) في (ب): «وقبصرهما».
(٦) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٦٢٩)، ومسلم برقم (١٩١٩) من حديث جابر بن سمرة، وكذلك أخرجاه من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٧) «المفهم» (٧/ ٢١٧).

مسلم»، وفي بعضها بحذفها.

قال القرطبي: «وكأنَّها زائدة؛ لأنَّ عامّة صفة السّنة، والسّنة: الجدب الذي[(١)] يكون به الهلاك العام»[(٢)].

● قوله: «من سِوَى أنفسهم»، أي: من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي[(٣)] بعضهم بعضًا كما[(٤)] هو مبسوط في التاريخ.

● قوله: «فيستبيح بيضتهم» قال الجوهري[(٥)]: «بيضة كل شيء: حوزته، وبيضة القوم: ساحتهم»[(٦)].

وعلى هذا فيكون معنى الحديث: أنَّ الله لا يسلِّط العدو على كافة المسلمين حتَّى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض[(٧)] وهي جوانبها[(٨)].

وقيل: بيضتهم: معظمهم وجماعتهم وإن قلُّوا.

● قوله: «حتَّى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم

---

(١) في (ب): «التي».
(٢) المصدر السابق.
(٣) في (هـ): «ويسبي».
(٤) في (ب): «و».
(٥) هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، أشهر كتبه «الصحاح». توفي سنة (٣٩٣هـ). «معجم الأدباء» لياقوت (٢/ ٢٦٩).
(٦) في (ب): «سادتهم»، وقوله في «الصحاح» له (٣/ ١٠٦٨).
(٧) في (ب): «بأقطارها».
(٨) «المفهم» (٧/ ٢١٨).

بعضًا»، الظَّاهر أنَّ «حتَّى» هنا لانتهاء الغاية، أي: إن أمر أمّته ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضًا.

● **قوله: «وإنَّ ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنَّه لا يرد»** هذا كما في الحديث: «ولا رادَّ لما قضيت»[(١)].

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنَّما أخاف على أمتي الأئمة المضلِّين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم السَّاعة حتَّى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتَّى تعبد فئام من أمتي الأوثان. وإنَّه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلّهم يزعم أنَّه نبي، وأنا خاتم النَّبيِّين، لا نبي بعدي».

● **قوله: «ورواه البرقاني في صحيحه»**، هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشَّافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، ومات سنة خمس وعشرين وأربع مئة، قال الخطيب[(٢)]: «كان ثبتًا ورعًا لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه، كثير التَّصانيف، صنَّف مسندًا ضمنه[(٣)] ما اشتمل عليه الصَّحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة»[(٤)].

---

(١) جزء من حديث أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٩ - ط الرشد)، والطبراني في كتاب «الدعاء» برقم (٦٨٦) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال في «الفتح» (١١/ ٥١٣): «أخرجه الطبراني بسند صحيح»، وأصل الحديث في البخاري برقم (٨٤٤) وغيره.

(٢) تقدمت ترجمة الخطيب (ص).

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «سماه».

(٤) انظر ترجمة البرقاني في «السير» (٤/ ٣٧٤) وغيرها.

● قوله: «وإنَّما أخاف على أمَّتي الأئمّة المضلِّين»، أي: الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون[١] فيهم بغير علم فيضلُّوهم[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصَّافات: ٧١]، وأمثال هذه الآيات كثيرة في القرآن.

وعن زياد بن حدير[٣] قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلَّة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلِّين. رواه الدّارمي[٤].

● قوله: «وإذا وقع عليهم السَّيف لم يُرفع إلى يوم القيامة»، وقد وقع ذلك، وما زالت الأمَّة كذلك، نسأل الله العفو والعافية في الدُّنيا والآخرة.

وفيه ما هو حق كقتال أهل التَّوحيد لأهل الشِّرك بالله، وجهادهم على تركهم الشِّرك، وقد مَنَّ الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزَّمان بالدَّعوة إلى توحيده، لكن أهل الشِّرك بدأوهم بالقتال، وأظهرهم الله عليهم كما لا يخفى على من تدبَّر آيات[٥] هذا الدِّين في

(١) في (ب): «يحكمون».
(٢) في (ب): «فيضلون»، وفي (د) و(ط): «فيضلونهم».
(٣) في (ج): «جرير».
(٤) في «سننه» (٢٦٤)، وصحَّح إسناده المحقق، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» برقم (١٤٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٧٩) وغيرهم، وزياد بن حدير الأسدي ثقة عابد. «التقريب» ص (٢١٨).
(٥) في (ج): «الآيات».

هذه الأزمنة.

● **قوله: «ولا تقوم السَّاعة حتَّى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين»**، الحي واحد الأحياء وهي القبائل. وفي رواية أبي داود: «**حتَّى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**»(١). وكَمْ وكم؟

● **قوله: «وحتَّى تعبد فئام من أمَّتي الأوثان»**، والفئام مهموز: الجماعات الكثيرة. قاله أبو السَّعادات(٢).

وهذا هو شاهد التَّرجمة، وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان، حتَّى إنَّه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك، حتَّى أقام الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب(٣) - رحمه الله [تعالى] - الذي أنكره ونهى عنه ودعا النَّاس إلى تركه، وإلى أن يعبدوا الله [تعالى] وحده لا شريك له في ربوبيته، وإلهيته(٤) وأسمائه وصفاته، فرموه(٥) الملوك وأتباعهم بقوس العداوة، فأظهره(٦) الله بالحجَّة(٧) وأعزَّ أنصاره على من ناوأهم، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، ولكن من النَّاس من عرف، ومنهم من أنكر، فانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرهم، فللَّه

---

(١) سنن أبي داود (٤٢٥٤).

(٢) في «النهاية» (٣/ ٤٠٦).

(٣) تقدَّمت ترجمته في المقدمة.

(٤) في (ج) و(ط): «وألوهيته».

(٥) في (ط): «فرماه».

(٦) في (ب) و(ج) و(د): «فأظهر».

(٧) في (ج): «به الحجة».

الحمد على هذه النِّعمة العظيمة جعلنا الله شاكرين لها[(١)] ذاكرين[(٢)].

● قوله: «وإنَّه سيكون في أمّتي كذّابون ثلاثون، كلُّهم يزعم أنَّه نبي»، قال القرطبي[(٣)]: «وقد جاء عددهم معيّنًا في حديث حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكونُ في أمّتي كذَّابون دجَّالون سبع وعشرون، منهم

---

(١) في (ب) و(ج) و(د): «لها شاكرين».

(٢) لقد دافع عن دعوة الشيخ علماء فضلاء أجلاء، وأفردوا دفاعاتهم بمصنفات وكتب. فمن الكتب التي دافعت عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على سبيل المثال لا الحصر: كتب شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسن وابنه الشّيخ عبد اللطيف، والشّيخ سليمان بن سحمان والشّيخ السهسواني الهندي في كتابه: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، والألوسي في كتبه: «غاية الأماني» و«الآية الكبرى»، و«فتح المنان»، وكذلك الشريف الحازمي والأمير الصنعاني وعلي السويدي العراقي، والمحامي عباس العزاوي وغيرهم رحم الله الجميع.
وانظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» إعداد عبد العزيز آل عبد اللطيف، والذين عادوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ كثر، بعضهم لمَّا عرف حقيقة الدعوة رجع وعاد ودعا إلى ما دعا إليه الشيخ محمد، وبعضهم أصرَّ على معاداة الدعوة، فإن كانت دعوة الشيخ محمد - ونحن لا نعرف له إلّا دعوة واحدة - إن كانت هذه الدعوة موافقة لما دعا إليه رسول الله ﷺ والصحابة والقرون المفضَّلة فنحن نؤيدها وندعو لها ونناصرها ونترحَّم على الأئمة الذين بيَّنوها وقدَّموها لنا، وإن كانت هذه الدعوة مخالفة لما دعا إليه رسول الله ﷺ والصحابة والقرون المفضَّلة، فلهم الحق في التحذير منها أشدَّ التحذير. وهذه كتب الشيخ والأئمة من بعده، وهذه رسائله تزخر بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار الصحابة، لا تخرج عنها قيد أنملة. والإنصاف عزيز.

(٣) في «التذكرة في أحوال الموتى» (٣/ ١٢٢٦). والقرطبي هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري، أبو عبد الله القرطبي، من المفسِّرين الكبار، له العديد من المصنفات. توفي سنة (٦٧١هـ). «نفح الطيب» (٧/ ٢٢١)، و«الأعلام».

أربع نسوة» أخرجه أبو نعيم(١) وقال: «هذا حديث غريب».

وحديث ثوبان أصحُّ من هذا.

قال القاضي عياض: «عُدَّ من تنبَّأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن، ممن اشتهر بذلك وعرف واتّبعه جماعة على ضلالته، فوجد هذا(٢) العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتَّواريخ عرف صحَّة هذا، وآخرهم الدَّجَّال الأكبر»(٣).

● **قوله: «وأنا خاتم النَّبيِّين [لا نبي بعدي]»**. قال الحسن: الخاتم الذي ختم به، يعني أنَّه آخر النَّبيِّين(٤)، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وإنَّما ينزل عيسى ﷺ في آخر الزَّمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، مصلِّيًا إلى قبلته فهو كآحاد أمَّته، بل هو أفضل هذه الأمة.

«ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرُّهم من خذلهم، حتَّى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

---

(١) في «الحلية» (٤/ ١٧٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٦)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤٥٠)، و«الكبير» (٣/ ١٦٩)، والبزار في «مسنده» (٣٣٧٤ . كشف)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧/ ٣٩٧) وغيرهم. وجوّد إسناده ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٨٧)، وقال في «المجمع» (٧/ ٣٣٢): «ورجال البزار رجال الصحيح».

(٢) في (ب): «ذلك».

(٣) «إكمال المعلم» (٨/ ٤٦٣).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٦).

● **قوله: «ولا تزال طائفة من أمتي[١] على الحقِّ منصورة لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم»**، قال النَّووي[٢]: «يجوز أن تكون الطَّائفة جماعة متعدِّدة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدِّث ومفسِّر، وقائم بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في بلد واحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض منهم أوَّلًا فأوَّلًا[٣]، إلى أن لا يبقى إلَّا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله». انتهى ملخصًا مع زيادة فيه، قاله الحافظ[٤].

قال المصنِّف: «وفيه الآية العظيمة أنَّهم مع قلَّتهم لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، والبشارة بأنَّ الحق لا يزول بالكليَّة»[٥].

● **قوله: «حتَّى يأتي أمر الله»**، الظَّاهر أنَّ المراد به ما روي من قبض من بقي من المؤمنين بالرِّيح الطيِّبة ووقوع الآيات العظام، ثمَّ لا يبقى إلَّا شرار النَّاس.

● **وقوله: «تبارك وتعالى»**، قال ابن القيِّم - [رحمه الله تعالى] -:

---

(١) قوله: «من أمتي» ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية.
(٢) في شرح مسلم (١٣/ ٦٧) بنحوه.
(٣) في (ب): «فأوّل».
(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٢٩٥).
(٥) المسألتان: التاسعة والعاشرة من مسائل هذا الباب من «كتاب التوحيد» ص (٦١).

البركة نوعان:

- **أحدهما**: بركة هي فعلُهُ، والفعل منها: بارك، ويتعدَّى بنفسه تارة وبأداة «على» تارة، وبأداة «في» تارة، والمفعول منها: مبارك، وهو ما جعل منها كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالى.

- **والنّوع الثّاني**: بركة تضاف إليه إضافة الرَّحمة والعزَّة، والفعل منها: تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصحُّ إلَّا له ﷻ، فهو سبحانه المتبارك، وأمّا عبده ورسوله: المبارك، وأما صفة «تَبَارَكَ» فمختصة به، كما أطلقها على نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [المُلك: ١]. أفلا تراها كيف اطَّردت في القرآن جارية عليه مختصَّة به لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السَّعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوه، فجاء بناء ﴿تَبَارَكَ﴾ على بناء تعالى، الذي هو دالٌّ على كمال العلوِّ ونهايته، فكذلك ﴿تَبَارَكَ﴾ دالٌّ على كمال بركته وعظمتها وسعتها، وهذا معنى قول من قال من السَّلف: تبارك: تعاظم[1]، وقال ابن عبَّاس: جاء بكل بركة[2].

---

(١) في (ب): «وتعاظم»، انظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ٤١٠)، وانظر تفسير الثعلبي «الكشف والبيان» (٧/ ٢٢)، والبغوي «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٦)، وغيرها.

(٢) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤١٠).

٢٣ - باب
ما جاء في السِّحْر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]

● قوله: «باب ما جاء في السِّحْر»، أي: والكهانة.

السِّحْرُ في اللغة: عبارة عمَّا خَفِي ولَطُفَ سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إنَّ من البيانِ لَسِحْرًا»(١)، وهذا من التَّشبيه البليغ، شبَّهه بالسِّحر لكونه بالبيان يحصل منه ما يحصل من السِّحْر.

قال أبو محمَّدٍ المقدسي في «الكافي»: «السِّحر عزائم ورقىً، ومنه ما يؤثِّرُ في القلوب والأبدان، فيُمرض ويقتل ويفرِّقُ بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، وقال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفَلَق: ٤] يعني السَّواحر اللَّاتي يعقدن في سِحرِهنَّ وينفثن في عُقدهنّ(٢). ولولا أنَّ السِّحر حقيقةٌ لم يأمر(٣) بالاستعاذة منه»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم برقم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر.

(٢) في (هـ) «يعني السواحر اللاتي ينفثن في سحرهن».

(٣) في (ب): «يؤمر».

(٤) «الكافي» (٤/ ١٦٥)، وأبو محمد المقدسي هو عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي، صاحب المصنفات النافعة. توفي سنة (٦٢٠هـ). «شذرات الذهب» (٥/ ٨٨).

واختلفوا: هل يكفر السَّاحر أو(١) لا؟

فذهب(٢) طائفة من السَّلف إلى أنَّه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، قال أصحابه: إلَّا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضرّ فلا يكفر، ومما يدلُّ على أنَّه كفر: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢](٣).

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النِّساء: ٥١] قال عمر: الجبت: السِّحْر، والطاغوت: الشَّيطان. وقال جابر(٤): الطواغيت: كُهَّان كان ينزل عليهم الشَّيطان، في كل حي واحد(٥).

وقال عمر [في قوله تعالى]: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النِّساء: ٥١]: الجبت: السِّحْر، والطَّاغوت: الشَّيطان، وتقدَّم كلام

(١) في (ب): «أم».
(٢) في (ب): «فذهبت».
(٣) انظر: «المغني» (١٢/ ٣٠٠)، و«حاشية ابن عابدين» (٤/ ٢٤٠)، و«الاستذكار» (٨/ ١٥٨)، و«المحلَّى» (١١/ ٣٩٤ ـ فكر)، وذهب الشافعي إلى أنه لا يكفر إلَّا أن يكون في سحره ما يكفر. انظر: «الأم» (١/ ٢٥٦).
(٤) تقدمت ترجمته (ص١٤٥).
(٥) أثر جابر هذا علَّقه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٥١ ـ فتح) قال في «فتح المجيد»: «رواه ابن أبي حاتم بنحوه مطولًا عن وهب بن منبه، قال: سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها؟ فقال: إنَّ في جهينة واحدًا، وفي أسلم واحدًا، وفي هلال واحدًا، وفي كل حيٍّ واحدًا، وهم كهَّان كانت تنزل عليهم الشَّياطين». اهـ «فتح المجيد» (٢/ ٤٤٦)، وانظر: «تغليق التعليق» (٤/ ١٩٥)، و«التيسير» ص (٣٢٧).

العلَّامة ابن القيِّم - [رحمه الله تعالى] - في حَدِّ[١] الطَّاغوت وأنَّ له أفرادًا، منها: عبادة غير الله، فالمعبود طاغوت، كما دلَّت عليه الآيات، ومنهم: الكُهَّان، ومن يحكم بغير الحق، أو يأمر بما يخالف الحق، أو يرضى به، وغير ذلك.

● قوله: **الطَّواغيت: كهَّان.** أراد أنَّ الكهَّان من الطَّواغيت.

● قوله: «**كان ينزل عليهم الشَّيطان**» أراد الجنس لا الشَّيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشَّياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السَّمع فيصدقون مرَّة، ويكذبون مئة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشِّرك بالله، والسِّحْر، وقتل النفس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحق، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزَّحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

● **قوله: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشِّرك بالله، والسِّحْر، وقتل النفس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحق، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتَّولِّي يومَ الزَّحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».**

كذا[٢] أورده المصنِّف - [رحمه الله تعالى] - غير معزوٍّ، وقد

---

(١) (أ) و(ب) و(ج) و(ط): «حده».

(٢) في (ب) و(ج) و(د): «هكذا».

رواه البخاري ومسلم(١).

● قوله: «اجتنبوا» أي: ابعدوا، وهو(٢) أبلغ من قوله: دعوا أو اتركوا(٣) لأنَّ النَّهي عن القربان أبلغ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١](٤).

● قوله: «الموبقات» - بموحدة وقاف - أي: المهلكات، وسُمِّيت هذه موبقات؛ لأنَّها تهلك فاعلها في الدُّنيا بما يترتَّب عليها من العقوبات، وفي الآخرة في العذاب(٥).

وفي حديث ابن عمر عند البخاري في «الأدب المفرد» مرفوعًا وموقوفًا قال: «**الكبائر تسع**» ـ وذكر السَّبعة المذكورة - «**والإلحاد في الحرم، وعقوق الوالدين**»(٦).

● قوله: «قال: الشِّرك [بالله]» هو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله ويرجوه(٧) كما يرجو الله، **قال العلَّامة ابن القيِّم** رحمه الله **[تعالى]**:

(١) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٨٩).
(٢) في (ب): «وهذا».
(٣) في (ب) و(ج) و(د): «واتركوا».
(٤) ذكره الطيبي في شرحه على «المشكاة» (١/ ١٨٧).
(٥) في (ط): «مِنَ العذاب».
(٦) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٨).
وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٧١)، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٥٤)، وغيرهم.
(٧) في (ب) و(ط): «أو يرجوه»، وفي (هـ): «يدعوه أو يرجوه».

والـشِّـركَ فـاحـذَرْهُ فـشـركٌ ظـاهـرٌ
ذا الـقِـسـمُ لـيـسَ بـقـابـلِ الـغُـفـرانِ
وهـوَ اتِّـخـاذُ الـنِّـدِّ لـلـرَّحـمـنِ أيًّـ
ـا كـانَ مِـنْ حَـجَـرٍ(١) ومِـن إنـسـانِ
يَـدْعُـوهُ أو يَـرْجُـوهُ ثـمَّ يـخـافُـهُ
ويُـحِـبُّـهُ كـمـحـبَّـةِ الـدَّيَّـانِ(٢)

وبدأ به لأنَّه أعظم ذنب عُصي الله به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

● **قوله**: والسِّحْر، [و] تقدَّم تعريفه.

● **قوله**: «**وقتل النَّفس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحق**»، أي: نفس المسلم المعصوم، وقتل المعاهد، كما في الحديث: «**من قتل مُعاهَدًا لم يَرحْ رائحةَ الجنَّة**»(٣).

وذهب ابن عبَّاس وأبو هريرة إلى أنَّه لا توبة لمن قتل مؤمنًا متعمِّدًا، وذهب جمهور الأمَّة(٤) سلفًا وخلفًا، إلى أنَّ القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب وعمل صالحًا بدَّل الله سيئاته حسنات، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ

---

(١) في (ب): «حجرًا».
(٢) «الكافية والشافية» برقم (٣٤٩٣-٣٤٩٥).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٤) في (ب) و(د): «الأئمة».

أَثَامًا ﴿٦٨﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفُرقان: ٦٨ ـ ٧٠](١).

● قوله: «وأكل الربا»، أي: تناوله بأيِّ وجهٍ كان، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقَرَة: ٢٧٥] الآيات(٢).

قال ابن دقيق العيد(٣): «وهو مجرَّب(٤) لسوء الخاتمة»(٥) نعوذ بالله من ذلك. قال [الله] تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٠]، وفي الحديث: «**الرِّبا نيِّف وسبعون حوبًا**(٦)**، أيسرها مثل أن ينكح الرَّجل أمَّه**»(٧).

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٦٣ . الفكر).

(٢) في (ب): «الآية».

(٣) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، مجتهد أصولي، له العديد من المصنفات النافعة، وله أشعار وملح وأخبار. توفي سنة (٧٠٢هـ). «الأعلام» (٦/ ٢٨٣).

(٤) في (ط): «يجرُّ».

(٥) نقله الهيتمي في «الزواجر» (١/ ٤٨٣)، والمناوي في «فيض القدير» (١/ ١٩٩).

(٦) في (ب) و(ج) و(د): «بابًا».

(٧) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٢٧٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٣١٩) برقم (٢٢٤٣٧)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٥٦٤)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» برقم (١٧٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وإسناد ابن ماجه فيه أبو معشر. ضعَّفه في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٢٠)، وقال: «أبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن، متفق على تضعيفه».

● قوله: «وأكل مال اليتيم»؛ يعني التعدِّي فيه، وعُبِّر بالأكل لأنَّه أعمّ وجوه الانتفاع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾(1) [النِّساء: ١٠].

● قوله: «والتَّولِّي يوم الزَّحف»؛ أي: الإدبار عن الكفَّار وقت التحام القتال، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

● قوله: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»، هو بفتح الصاد: المحفوظات من الزِّنا، وبكسرها: الحافظات فروجهنَّ منه، والمراد: الحرائر العفيفات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ(2)﴾ [النُّور: ٢٣] الآية.

وعن جندب مرفوعًا: «حدُّ السَّاحرِ ضربة بالسيف». رواه الترمذي. وقال: «الصَّحيح أنَّه موقوف».

● قوله: [و] عن جندب مرفوعًا: «حدُّ السَّاحر ضربة بالسَّيف». رواه التِّرمذي وقال: «الصَّحيح أنَّه موقوف»(3).

---

(١) في (ب) و(د): «الآية».

(٢) في (ب) بعدها: «ولهم عذاب عظيم».

(٣) أخرجه الترمذي في «جامعه» (١٤٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦)، وقال: «إسماعيل بن مسلم ضعيف». وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٠١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم، فإنه غريب صحيح، وله =

● قوله: «عن جندب»، رواه الطَّبراني في ترجمة جندب بن عبد الله البجلي[(١)]، قال الحافظ: «والصَّواب أنَّه غيره. وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير، أنَّه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتَّى مات، وقال[(٢)]: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: فذكره»[(٣)].

● قوله: «حدُّ السَّاحرِ ضربة بالسَّيف» روي بالهاء وبالتَّاء وكلاهما صحيح، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة، فقالوا: يقتل السَّاحر. وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر، وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز. ولم يرَ الشَّافعي عليه القتل بمجرد السِّحْر، إلَّا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر به. قال ابن المنذر: وهو رواية عن أحمد، والأول أولى للحديث والأثر عن عمر، وعمل به النَّاس في خلافته من غير نكير[(٤)(٥)].

= شاهد على شرطهما جميعًا في ضد هذا».
وقال الذهبي: «صحيح غريب».
وأخرجه الدارقطني في «سننه» (٣/ ١١٤) وغيرهم، والحديث ضعَّفه غير واحد من أهل العلم، ورجَّح الترمذي وقفه على جندب. قال في «التيسير» ص (٣٣٢): «وأشار مغلطاي إلى أنه وإن كان ضعيفًا يتقوَّى بكثرة طرقه».

(١) «المعجم الكبير» (٢/ ١٦١).
(٢) في (ج): «قال».
(٣) «الإصابة» (١/ ٥١٢)، وجندب الخير هو جندب بن كعب، وقيل: ابن زهير، وقيل: هما واحد. «الإصابة» (١/ ٥١١).
(٤) انظر: «تيسير العزيز الحميد» ص (٣٣٣).
(٥) من قوله: «وبهذا الحديث أخذ . .» إلى هنا ليس في أصل (أ) واستدركته من الحاشية.

وفي «صحيح البخاري» عن بَجالة بن عَبدَة قال: كتب عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه أن اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاثَ سواحِر.

● قوله: «في «صحيح البخاري» عن بَجالة بن عَبَدة، قال: «كتب عمر أن اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر». هذا الأثر رواه البخاري كما قال المصنِّف[(١)]، لكن لم يذكر قتل السّواحر.

● قوله: «عن بجالة» - بفتح الموحدة بعدها جيم - ابن عبدة - بفتحتين - التميمي العنبري، بصري ثقة.

● قوله: «كتب إلينا[(٢)] عمر بن الخطّاب أن اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة»، وظاهره أنَّه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأنَّ علم السِّحر لا يزول بالتوبة. وعن أحمد: يستتاب فإن تاب قُبِلت توبته، وبه قال الشَّافعي؛ لأنَّ ذنبه لا يزيد على الشِّرك، والمشرك يستتاب وتُقبل توبته، [ولذلك][(٣)] صحَّ إيمان سحرة فرعون وتوبتهم[(٤)].

وصحَّ عن حفصة رضي الله عنها أنَّها أمرت بقتل جارية لها سحَرتها، فقُتلت.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١٥٦) مختصرًا، وقال في «التيسير» ص (٣٣٣): «وعلى هذا فعزو المصنف إلى البخاري يحتمل أنه أراد أصله لا لفظه. ورواه الترمذي والنسائي مختصرًا.. وإسناده حسن».

(٢) هذه اللفظة ليست من الحديث.

(٣) في (د): «وذلك».

(٤) «الكافي» لابن قدامة (٤/ ١٦٥ و«الأم» (١/ ٢٥٦) للشافعي.

● قوله: «وصحَّ عن حفصة ﷺ أنَّها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتِلَت». هذا الأثر رواه مالك في «الموطأ»[(١)].

وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطَّاب، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد خنيس بن حذافة، وماتت سنة خمس وأربعين[(٢)].

وكذلك صحَّ عن جندب.
قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبيِّ ﷺ.

● قوله: «وكذا صحَّ عن جندب»، أشار المصنِّف بهذا إلى قتله[(٣)] السَّاحر، كما رواه البخاري في «تاريخه»[(٤)] عن أبي عثمان النهدي، قال: كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا وأبان رأسه فعجبنا، فأعاد رأسه؛ فجاء جندب الأزدي فقتله[(٥)]. وراه البيهقي في «الدلائل» مطوَّلًا[(٦)]، وفيه: «فأمر به الوليد فسُجن»، فذكر القصَّة بتمامها ولها طرقٌ كثيرة[(٧)].

---

(١) (٢/ ٨٧١) عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد أنه بلغه عن حفصة، ووصله عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٧٤٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ٣٠١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٨٧) وغيرهم عن ابن عمر، وصححه ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٥).

(٢) انظر ترجمتها في «السير» (٢/ ٢٢٧)، و«الإصابة» (٧/ ٥٨١).

(٣) في (ط): «قتل».

(٤) «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٢).

(٥) قال في «التيسير» ص (٣٣٤): «المراد به هنا قطعًا: جندب الخير الأزدي قاتل الساحر».

(٦) لم أجدها في «الدلائل».

(٧) أخرجها الطبراني في «الكبير» (١٦٦٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٣٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (١١/ ٣١١)، وغيرهم.

● قوله: «قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ»[1]، أحمد هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل[2]، أي: صحَّ قتل السَّاحر[3] عن ثلاثة[4].

(١) نقله عنه ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٥).
(٢) في (ب) و(د): «هو الإمام أحمد بن حنبل».
(٣) في (هـ): «السواحر».
(٤) يعني عمر وحفصة وجندبًا. «التيسير» ص (٣٣٥).

٢٤ - باب

بيان شيء من أنواع السِّحْر

قال أحمد: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا عَوف، عن حَيَّان بن العَلاء، حدَّثنا قَطنُ بن قَبيصة، عن أبيه، أنَّه سمع رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ العيافةَ والطَّرق والطِّيَرَة من الجبت». قال عوفٌ: العيافةُ: زجرُ الطَّيرِ، والطَّرق: الخطُّ يُخَطُّ بالأرض، والجِبتُ قال الحسن: رَنَّةُ الشَّيطان. إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حِبَّان في صحيحه المسنَد منه.

● قوله: باب بيان شيء من أنواع السِّحْر.

قال أحمد: حدَّثنا[1] محمد بن جعفر، حدَّثنا[1] عَوف، عن حَيَّان ابن العَلاء، حدَّثنا[1] قَطنُ بن قَبيصة، عن أبيه، أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ العيافةَ والطَّرق والطِّيَرَة من الجبت».

قال عوفٌ: العيافةُ: زجرُ الطَّيرِ، والطَّرق: الخطُّ يُخَطُّ بالأرض، والجِبتُ قال الحسن: رَنَّةُ الشَّيطان[2].

● [قوله]: «ولأبي داود [والنسائي] وابن حبَّان في «صحيحه» المسند منه».

---

(١) في (أ): «ثنا».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٦٠)، ولم يذكر فيه قول الحسن: رنة الشيطان، وإنما الذي فيه: الجبت قال الحسن: إنَّه الشيطان، وكذلك في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩)، وجوَّد إسناده الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٣٣٩).

● قوله: «المسند منه»، لم يذكروا قول عوف.

● قوله: «قال أحمد». هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

ومحمد [هو ا] بن جعفر المشهور بـ(غندر) الهذلي البصري: ثقة مشهور. مات سنة ست ومئتين[(١)].

وعوف هو ابن أبي جَميلة - بفتح الجيم - العبدي البصري، المعروف بـ(عوف الأعرابي): ثقة. مات سنة ست أو سبع وأربعين، وله ستّ وثمانون سنة[(٢)].

وحيَّان بن العلاء - هو بالتحتية - ويقال: حيَّان بن مخارق أبو العلاء البصري: مقبول[(٣)].

وقطن - بفتحتين - أبو سهلة البصري: صدوق[(٤)].

● قوله: «عن أبيه»، هو قبيصة - بفتح أوله - ابن مُخارق - بضم الميم - أبو عبد الله الهلالي صحابي، نزل البصرة[(٥)].

● قوله: **«إنَّ العيافة والطَّرق والطِّيَرة من الجبت، قال عوف: العيافة: زجر الطَّير»**، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها[(٦)]، وهو

---

(١) انظر: «التقريب» لابن حجر ص (٤٧٢)، وفيه أنَّ وفاته سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومئة، والذي ذكره الشيخ من تاريخ الوفاة تبع فيه الشيخ سليمان ولعلّه سبق منه.

(٢) ترجمته في المصدر السابق ص (٤٣٣).

(٣) البصري لحيَّان بن عمير وهو قبل المترجم له مباشرة في «التقريب» ص (١٨٤).

(٤) «التقريب» ص (٤٥٦).

(٥) ترجمته في «الإصابة» (٥/ ٥٤٦).

(٦) في (ب) و(د): «وغيرها».

من عادة العرب وكثير في أشعارهم، ويقال: عاف يعيف إذا زجر وحدس وظن(١).

● قوله: «والطَّرق» الخطّ يخطُّ بالأرض، هكذا فسَّره عوف وهو كذلك، قال أبو السَّعادات: «هو الضَّرب بالحصى الذي يفعله النِّساء»(٢).

● قوله: «من الجبت» أي: السِّحْر.

● قوله: «قال الحسن: رنَّة الشَّيطان».

قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح(٣) أنَّ في «تفسير» بقي بن مخلد: إنَّ إبليس رنَّ أربع رنات: رنة حين لُعن، ورنَّة حين أهبط، ورنَّة حين وُلد رسول الله ﷺ، ورنَّة حين أُنزِلَتْ فاتحة الكتاب(٤).

وروى الحافظ الضِّياء في «المختارة»(٥) [عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس بلفظ: لما فتح رسول الله ﷺ مكّة، رنَّ إبليس رنَّة، اجتمعت إليه جنوده](٦). الرَّنين: الصوت، وقد رنَّ يَرِنُّ رنينًا. وبهذا

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٣٠).
(٢) المصدر السابق (٣/ ١٢١).
(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح المقدسي، فقيه حنبلي. (ت٨٨٤هـ). له كتاب «المبدع شرح المقنع». ينظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٤).
(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٧٦)، وابن الأنباري في كتابه الرد كما في «التذكار» للقرطبي (١٧١) وتفسيره الجامع (١/ ١٠٩)، وابن أبي شيبة كما في «الدر المنثور» (١/ ١١) والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٩٥) عن أبي هريرة قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣١١) ورجاله رجال الصحيح. وقال ابن رجب في «لطائف المعارف» (١٩٢): «والمعروف هذا عن مجاهد من قوله . . . خرجه وكيع غيره». وانظر «تفسير القرطبي» (١/ ١٠٩).
(٥) (١٠/ ١٠٥) رقم (١٠١).
(٦) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٦٣).

يظهر معنى قول الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن اقتبس شُعبةً من النجوم فقد اقتبسَ شُعبةً مِنَ السِّحْرِ، زاد ما زاد» رواه أبو داود بإسناده صحيح.

● قوله: **«وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن اقتبس شُعبةً من النُّجوم فقد اقتبسَ شُعبةً مِنَ السِّحْرِ، زاد ما زاد» رواه أبو داود بإسناد صحيح»**، وكذا[1] صحَّحه النَّووي[2] والذَّهبي[3]، ورواه أحمد وابن ماجه[4].

● قوله: **«من اقتبس»** قال أبو السَّعادات: «قبست[5] العلم وأقبسته[6] إذا علمته». انتهى[7].

● قوله: **«شعبة»** أي: طائفة من علم النُّجوم، والشُّعبة: الطَّائفة، ومنه الحديث: «**الحياء شعبة من الإيمان**»[8] أي جزء منه.

● قوله: **«فقد اقتبس شعبة من السِّحْر»** المحرَّم تعلُّمه[9]، قال

---

(١) في (ط): «ولذا».
(٢) في «رياض الصالحين» ص (٣٠٧).
(٣) في كتاب «الكبائر» ص (١٢٣).
(٤) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٣١)، وأبو داود في «سننه» برقم (٣٩٠٥)، وابن ماجه برقم (٣٧٢٦)، والحديث صحّحه غير واحد.
(٥) في (ب) و(د): «اقتبست».
(٦) في (ج): «واقتبسته»، وفي (ط): «أقبست».
(٧) «النهاية» (٤/ ٤).
(٨) أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٩) في (ب) و(هـ): «تعليمه».

شيخ الإسلام: «فقد صرَّح رسول الله ﷺ بأنَّ علم النُّجوم من السِّحر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩]»[١].

● قوله: «زاد ما زاد»، أي: كلَّما زاد من تعلُّم علم النُّجوم زاد في الإثم[٢] الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه، فإنَّما يعتقدونه في النُّجوم من التَّأثير باطل، كما أن تأثير السِّحْر باطل. والله أعلم.

وللنَّسائي من حديث أبي هريرة: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليه».

● قوله: وللنَّسائي من حديث أبي هريرة: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليه»[٣]، هذا[٤] الحديث ذكره المصنِّف - [رحمه الله تعالى] - من حديث أبي هريرة، وعزاه للنسائي. وقد رواه النَّسائي مرفوعًا، وحسَّنه ابن مفلح[٥].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٩٣).

(٢) في (هـ): «زاد في السحر وفي الإثم».

(٣) رواه النسائي في «سننه» (٧/ ١١٢)، وفي «السنن الكبرى» برقم (٣٥٤٢)، والطبراني في «الأوسط» برقم (١٤٦٩) وغيرهم، وفي الإسناد عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عنه به. قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٧٨): «هذا الحديث لا يصحُّ لِلينِ عباد، وانقطاعه»، لكن تعقَّبه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٦٩)، فقال: «كذا قال، ويتوجَّه أنه حديث حسن». وعلة أخرى في الحديث وهي تدليس الحسن وقد عنعن. وهو قليل التدليس فتحمل العنعنة على السماع.

(٤) في (د): «وهذا».

(٥) هو محمد بن مفلح المقدسي، أبو عبد الله الحنبلي. «الدرر الكامنة» (٦/ ١٤). وتحسينه هذا في «الآداب الشرعية» (٣/ ٦٩).

● **قوله: «وللنسائي»**؛ هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي ابن سنان بن بحر(١) بن دينار، أبو عبد الرحمن صاحب «السنن الكبرى» و«المجتبى» وغيرهما، روى عن محمد بن المثنَّى، وابن بشَّار، وقتيبة، وخلق، وكان إليه المنتهى في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلاث مئة، وله ثمان وثمانون سنة(٢).

● **قوله: «من عقدَ عقدةً ثم نفث فيها فقد سحر»**، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] يعني: السَّواحر اللَّاتي(٣) يفعلن ذلك. والنَّفث(٤): هو [النفخ] من ريق وهو دون التَّفل.

● **قوله: «ومن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه»**، أي: من علَّق قلبه بشيء بحيث يرجوه ويخافه، وَكَلَه الله تعالى إلى ذلك الشيء، ومن قصر تعلُّقه(٥) على الله وحده كفاه ووقاه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ومن تعلَّق قلبه بغيره(٦) في رجاء نفع أو دفع ضر فقد أشرك.

---

(١) في جميع النسخ عدا (هـ): «بحير»، وهو خطأ، والمثبت من (هـ) وهو الصواب الموافق لمصادر ترجمته.
(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٢٥).
(٣) في (ب) و(د): «الآتي».
(٤) في (ط) بعده: «هو دون النفس».
(٥) في (ب) و(ج) و(د): «توكله».
(٦) في (هـ): «بغير الله».

وعن ابن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أُنبِّئُكُم ما العَضْه؟ هي النَّميمةُ، القالة بين النَّاس». رواه مسلم.

● قوله: «**وعن ابن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أُنبِّئُكُم ما العَضه؟ هي النَّميمةُ، القالة بين النَّاس». رواه مسلم**»(١).

● قوله: «**ألا هل أنبئكم ما العَضْه؟**» بفتح المهملة(٢) وسكون المعجمة، ثم فسَّرها بقوله: «هي النَّميمة، القالة بين النَّاس»، فأطلق عليها(٣) العضه؛ لأنَّ النَّمَّام يعمل عمل السَّاحر(٤).

وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير، قال: يفسِد النَّمَّام والكذَّاب في ساعة ما لا يفسد السَّاحر في سنة(٥).

وقال أبو الخطَّاب(٦) في «عيون المسائل»: ومن السِّحْر: السَّعي بالنَّميمة والإفساد بين النَّاس(٧). قال ابن حزم: واتَّفقوا على تحريم الغيبة والنَّميمة في غير النَّصيحة الواجبة، وفيه دليل على أنَّها من الكبائر(٨).

---

(١) برقم (٢٦٠٦).

(٢) في (د): «المهملتين».

(٣) في (ب) و(د): «عليه».

(٤) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٥٤)، و«المفهم» (٦/ ٥٩٠).

(٥) «بهجة المجالس» لابن عبد البر (١/ ٤٠٣).

(٦) هو محفوظ بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني شيخ الحنابلة، له العديد من المصنفات. توفي سنة (٥١٠هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٤٩).

(٧) نقله عنه ابن مفلح في «الفروع» (٦/ ١٧٠).

(٨) «مراتب الإجماع» (١٥٦)، و«المحلى» (١١/ ٤٠٠ . فكر).

● قوله: «القالة بين النَّاس»، ومنه الحديث: «ففشت القالة بين النَّاس»[(١)] أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة[(٢)].

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من البيان لسحرًا».

● **قوله: «ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من البيان لسحرًا»**، البيان: الفصاحة والبلاغة.

قال ابن عبد البر: «تأوَّله طائفة على الذَّمِّ؛ لأنَّ السِّحر مذموم.

وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب، إلى[(٣)] أنَّه على المدح؛ لأنَّ الله تعالى مدح البيان».

قال: «وقال عمر بن عبد العزيز - [رحمه الله تعالى] - لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله، قال: هذا والله السِّحر الحلال»[(٤)]. انتهى.

والأوَّل أصحُّ، والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السَّامع وتلبيس، كما قال بعضهم:

فـي زخـرفِ الـقـولِ تـزيـيـنٌ لـبـاطِـلِـهِ
والـحـقُّ قَـدْ يَـعْـتَـرِيـهِ سُـوءُ تَـعْـبِـيـرِ[(٥)]

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (٢٥٠٥ . ٢٥٠٦)، ومسلم برقم (١٢٤٠).
(٢) «النهاية» (٤/ ١٢٣).
(٣) في (ج): «على».
(٤) «التمهيد» (٥/ ١٧٤)، و«الاستذكار» (٨/ ٥٥٧).
(٥) لأحمد بن شافع الجيلاني (ت ٥٦٥هـ). انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» ص (١٢٨).

مأخوذ من قول الشَّاعر[١]:

تَـقُـولُ هـذا مُـجـاجُ الـنَّـحـلِ تَـمْـدَحُـهُ
وَإنْ تَـشَـأْ[٢] قُـلْـتَ ذا قَـيْءُ الـزَّنَـابِـيـرِ
ذمًّـا ومـدحًـا وَمَـا جَـاوَزْتَ وَصْـفَـهُـمَـا
والـحـقُّ قَـدْ يَـعْـتَـرِيـهِ سُـوءُ تَـعْـبِـيـرِ

● **قوله: «إنَّ من البيانِ لسحرًا»**، هذا من التّشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السَّاحر، فيجعل الحقَّ في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق، فيستميل به قلوب الجهَّال حتَّى يقبل[٣] الباطل وينكر[٤] الحق.

وأمَّا البيان الذي يوضِّح الحق ويقرِّره، ويُبْطِلُ الباطلَ ويبيِّنه، فهذا هو الممدوح، وهكذا حال الرُّسل وأتباعهم، ولهذا عَلَتْ مراتبهم في الفضائل وعَظُمَتْ حسناتهم.

---

(١) في (هـ): «من قول الآخر».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «شئت».
(٣) في (د): «يقبلوا».
(٤) في (ب) و(ج): «ويكره»، وفي (د): «ويكرهوا».

٢٥ - باب

ما جاء في الكهَّان ونحوهم

● **قوله: باب ما جاء في الكهَّان ونحوهم.**

الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السَّمع، وكانوا قبل المبعث كثيرًا، وأمَّا بعد المبعث فإنَّهم قلُّوا؛ لأنَّ الله حرسَ السَّماء بالشُّهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمَّة ما يخبر به الجنُّ مواليهم من الإنس من الأشياء الغائبة، مما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنُّه الجاهل كشفًا وكرامة، وقد اغترَّ بذلك كثير من النَّاس يظنُّون ذلك المخبر لهم عن الجنِّ وليًّا لله، وهو من أولياء الشَّيطان، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٨] الآية.

روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء فصدَّقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا».

● **قوله: روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء فصدَّقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»(١).**

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣٠) دون قوله: «فصدَّقه بما يقول». وبدل «يوم»: «الليلة». وزيادة: «فصدَّقه» رواها الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٨٠).

● **قوله: «عن بعض أزواج النَّبيِّ ﷺ»**؛ هي حفصة، ذكره أبو[1] مسعود الثَّقفي؛ لأنَّه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها[2].

قال البغوي: «العرَّاف الذي يدَّعي معرفة الأمور [بمقدِّمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالَّة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عمَّا في الضمير»].

وقال شيخ الإسلام: «العرَّاف اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمَّال ونحوهم»[3]، وقال أيضًا: «والمنجِّم يدخل في اسم العرَّاف».

وقال ابن القيِّم: من اشتهر بإحسان الزَّجر عندهم سمَّوه عائفًا وعرَّافًا[4].

● **قوله: «لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا»**. قال النَّووي وغيره ما معناه: إنَّه لا ثواب له فيها، وإن كانت مُجزئةً بسقوط الفرض عنه، ولا بدَّ من هذا التَّأويل في هذا الحديث، فإنَّ العلماء متَّفقون على أنَّه لا يلزم من أتى العرَّاف إعادة صلاة أربعين ليلة». انتهى ملخَّصًا[5].

---

(١) في جميع النسخ عدا (هـ): «ابن»، وهو خطأ، والمثبت من (هـ)، وهو الصواب.
(٢) انظر: «تحفة الأشراف» (١١/ ٢٩٢)، و«فتح الباري» (١٠/ ١٢٧).
(٣) «مختصر الفتاوى المصرية» ص (١٥٢)، و«مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٧٣، ١٩٣).
(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٥٥١).
(٥) شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢٢٧ - ط دار إحياء التراث العربي).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما نُزِّل على محمد» ﷺ. رواه أبو داود.
وللأربعة والحاكم -وقال: صحيح على شرطهما - عن...[1]: «من أتى عرّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما نُزِّل على محمد» ﷺ.
ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

● قوله: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما نُزِّل على محمد ﷺ». رواه أبو داود. وفي رواية أبي داود: «أو أتى امرأة»، قال مسدَّد: «امرأته حائضًا»، «أو أتى امرأة» قال مسدَّد: «امرأته في دبرها، فقد برئ مما أنزل على محمَّد ﷺ».

● قوله: وللأربعة والحاكم - وقال: صحيح على شرطهما - عن...[2]: «من أتى عرّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما نُزِّل

---

(١) بيَّض المصنف لاسم الراوي.
(٢) رواه أبو داود في «سننه» برقم (٣٩٠٤) كما قال المؤلف، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٠٨)، والترمذي في «جامعه» برقم (١٣٥)، وقال: «لا نعرفه إلَّا من حديث الأثرم، وضعَّف محمد [أي البخاري] هذا الحديث من قبل إسناده».
وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٠١٦)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٦٣٩) وغيرهم، كلهم من طريق حكيم الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عنه به، وبين الهجيمي وأبي هريرة انقطاع. وضعَّف إسناده البغوي كما في «التيسير» ص (٣٤٩).
وقال الذهبي في «الكبائر» ص (١٢٣ . مستو): «إسناده صحيح»، وورد من حديث جابر عند البزار وجوَّد إسناده الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٧). وقال الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٣٤٩): «له شواهد صحيحة».

على محمد ﷺ»، هكذا بيَّض المصنِّف لاسم الرَّاوي، وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا(١).

● **قوله: «من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**، قال القرطبي: «المراد بالمنزَّل: الكتاب والسُّنَّة». انتهى.

● **قوله:** ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا(٢).

أبو يعلى اسمه أحمد بن علي بن المثنَّى الموصلي، الإمام صاحب التَّصانيف كـ «المسند» وغيره، روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر(٣) بن أبي شيبة وخلق، وكان من الأئمَّة الحفَّاظ، مات سنة سبع وثلاث مئة(٤).

وهذا الأثر رواه البزَّار أيضًا، ولفظه: **«من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**(٥)، [و] في هذه الأحاديث التَّصريح بكفره.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨) من طريق خلاس عن أبي هريرة به، وقال الحاكم: «صحيح على شرطهما»، وقال الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٣٤٩): «وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري».

(٢) كذا وقع هنا: «القرطبي»، وفي «التيسير»: «الطيبي». وقول الطيبي في شرحه على المشكاة (٢/ ١٣٩).

(٣) في (ب) و(د): «وعن أبي بكر..».

(٤) انظر ترجمته في «السير» (١٤/ ١٧٤).

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٥/ ٢٥٦) رقم (١٨٧٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٢٨٠)، والجصاص في «أحكام القرآن» (١/ ٦١)، وابن الجعد في «مسنده» (١/ ٢٨٧)، وقال ابن حجر في «الفتح»: «وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود بسند جيد لكن لم يصرِّح برفعه. ومثله لا يقال بالرأي».

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسَ مِنَّا من تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لَهُ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومَنْ أتى كاهنًا فصَدَّقَهُ بما يقولُ فقد كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمد» ﷺ. رواه البَزَّار بإسناد جيد، ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «وَمَنْ أتى» إلى آخره.

قال البَغَوِيُّ: العرَّافُ: الذي يَدَّعي معرفةَ الأُمور بمقدِّماتٍ يستدلُّ بها على المسروقِ ومكان الضَّالَّةِ ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عمَّا في الضمير. وقال أبو العبَّاس تقي الدين ابن تيمية: العرَّافُ اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمَّال ونحوهم، ممن يتكلَّمُ في معرفة الأمور بهذه الطُّرق. وقال ابن عبَّاس في قوم يكتبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم: ما أرى مَن فعل ذلك لَه عندَ الله مِن خلاق.

● قوله: وعن عمران بن حصين مرفوعًا: «ليس منَّا من تَطّيَّر أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سحر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بما أنزل على محمَّد ﷺ. رواه البزَّار[1] بإسناد جيِّد من

(١) (٩/ ٥٢ رقم ٣٥٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢)، وقال في «المجمع»: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة». ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٦٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣٩) وغيرهما من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح وهو ضعيف، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٧): «إسناد الطبراني حسن، وإسناد البزار جيد». وحسَّنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ سليمان بن عبد الله.

حديث ابن عبَّاس[١] دون قوله: «ومن أتى...» إلى آخره.

● قوله: «ليس منَّا» دليل على نفي الإيمان الواجب، وهو لا ينافي ما تقدَّم من أنَّ الطِّيرة شرك والكهانة كفر.

● قوله: «رواه البزَّار»، هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزَّار البصري صاحب «المسند الكبير». روى عن ابن بشار وابن المثنَّى وخلق، مات سنة اثنتين وتسعين ومئتين[٢].

● **قوله: «قال ابن عبَّاس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النُّجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».**

هذا الأثر رواه الطَّبراني عن ابن عبَّاس مرفوعًا، وإسناده ضعيف[٣].

● قوله: «ما أُرى»، يجوز فتح الهمزة بمعنى لا أعلم، ويجوز ضمُّها بمعنى لا أظن.

وكتابة أبي جاد وتعلُّمها لمن يدَّعي بها علم الغيب، هو الذي

---

(١) كذا في جميع النسخ، والذي في نسخ كتاب التوحيد: «رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس»، فالظاهر أنها ساقطة من نسخة المصنف من كتاب التوحيد، والله أعلم.

(٢) انظر: «السير» (١٣/ ٥٥٤).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤١)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٥/ ٢٤٠ رقم ٢٥٦٤٨)، وحميد بن زنجويه، كما في «فيض القدير» (٤/ ١٧) و«التيسير» ص (٣٥٥). قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١١٧): «فيه خالد بن يزيد العمري، وهو كذّاب». وانظر: «فتح الباري» لابن رجب (٢/ ٢٩٧).

يُسمَّى علم الحروف، وهو الذي فيه الوعيد[١]، وأمَّا تعلُّمها للتهجِّي وحساب الجمل فلا بأس به.

● قوله: «وينظرون في النُّجوم»، أي: [و] يعتقدون أنَّ لها تأثيرًا في باب التَّنجيم، وفيه الحذر[٢] من كلِّ علم لا تُعلم صحَّتُه من كتاب الله وسنَّةِ رسوله ﷺ، وقد ورد النَّهي عنها والتَّحذير من قرب أهلها وسؤالهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم، فما أكثر من يغترّ بهذه الأمور.

(١) في (ج) بعدها: «الشديد».
(٢) في (ب) و(د): «التحذير».

٢٦ - باب

ما جاء في النُّشرة

● قوله: باب ما جاء في النُّشْرَة. قال في «القاموس»: النُّشرة؛ بضم النُّون(١).

قال أبو السَّعادات: «النُّشرَة ضرب من العلاج والرُّقية، يعالج به من كان يظنُّ أنَّ به مَسًّا من الجن، سُمِّيت نُشرة؛ لأنَّه ينشر بها عنه ما خامره من الدَّاء، أي يُكْشَف ويزال»(٢).

قال ابن الجوزي: «النُّشرة حلُّ السِّحْرِ عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلَّا من يعرف السِّحْرَ»(٣).

عن جابر أنَّ النَّبيَّ ﷺ سئل عن النُّشرة، فقال: «هي من عملِ الشَّيطان». رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود. وقال: سُئِلَ أحمدُ عنها فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كلَّه.

وفي البخاريِّ عن قَتادَة: قلتُ لسعيد بن المسيِّب: رجلٌ به طِبٌّ أو يُؤخَّذُ عن امرأتِه، أَيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به، إنَّما يُريدون به الإصلاح، فأمَّا ما يَنفَعُ فلم يُنْهَ عنه. انتهى.

---

(١) ص (٦٢١)، مادة: نشر، وفيه: «رقية يعالج بها المجنون والمريض». وفي (هـ): «بضم النون كما في القاموس».

(٢) «النهاية» (٥/ ٥٣).

(٣) «غريب الحديث» له (٢/ ٤٠٨)، وتمامه: «ومع هذا فلا بأس بذلك».

● قوله: عن جابر أنَّ رسولَ الله ﷺ سئل عن النُّشرة، فقال: «هي من عملِ الشَّيطان». رواه أحمد بسند جيِّد، وأبو داود. وقال: سُئِلَ أحمدُ عنها[(١)] فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كلَّه[(٢)].

هذا الحديث رواه أحمد، ورواه عنه أبو داود في «سننه»[(٣)]، وحسَّن الحافظ إسناده[(٤)].

● قوله: «سُئل عن النُّشرة»، الألف واللَّام في النُّشرة للعهد، أي النُّشرة المعهودة، الَّتي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشَّيطان.

● قوله: وفي «البخاريِّ» عن قَتادَة، قلتُ لابن المسيِّب: رجلٌ به «طِبٌّ» أو يُؤخَّذُ[(٥)] عن[(٦)] امرأتِه، أَيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به، إنَّما يُريدون به الإصلاح، فأمَّا ما يَنفَعُ فلم يُنْهَ عنه[(٧)].

---

(١) في (ج): «عنها أحمد».
(٢) انظر: «الآداب» لابن مفلح (٣/ ٦٣).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٩٤)، وأبو داود في «سننه» برقم (٣٨٦٨)، وأخرجه مرسلًا عن الحسن: ابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (٢٣٩٨٢)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥٣)، وعزاه في «المجمع» (٥/ ١٧٥) للبزار والطبراني في «الأوسط»... ورجال البزار رجال الصحيح. وروي عن الحسن عن أنس. والصواب أنه مرسل، كما قال ابن أبي حاتم في «كتاب العلل» (٦/ ١٤٠).
(٤) في «الفتح» (١٠/ ٢٣٣)، وجوَّد إسناده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٦٣).
(٥) في (أ) و(ح) و(ط): «تؤخذ».
(٦) في (ج): «عنه».
(٧) علَّقه البخاري في «صحيحه» (١٠/ ٢٣٢ ـ فتح) بصيغة الجزم، قال الحافظ في «تغليق التعليق» (٥/ ٤٩)، وذكر من وصله، قال: «وإسناده صحيح».

● قوله: «عن قتادة»، هو ابن دعامة - بكسر الدَّال - الدّوسي[١]، ثقة فقيه من أحفظ التَّابعين وأئمَّة التَّفسير، قالوا[٢]: إنَّه ولد أكمه، مات سنة بضع عشرة ومئة[٣].

● قوله: «رجل به طِبٌّ» - بكسر الطَّاء - أي: سحر، يقال: طُبَّ الرَّجُلُ - بالضَّمِّ - إذا سُحِرَ.

● قوله: «أو يُؤخَّذ[٤] عن[٥] امرأته» - بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة - أي يحبس عن امرأته لا يصل إلى جماعها، والأُخذة - بضم الهمزة -: الكلام الذي يقوله[٦] السَّاحر.

● قوله: «أيُحل» - بضم الياء وفتح الحاء - مبني للمفعول.

● قوله: «أو ينشَّر»، بتشديد المعجمة.

● قوله: «لا بأس به»، يعني أنَّ النُّشرة لا بأس بها؛ لأنَّهم يريدون بها الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النُّشرة لا يعلم أنَّه سحر[٧].

---

(١) كذا في الأصل وباقي النسخ، وهو خطأ، والصواب: «السدوسي»، وقد سقطت من (ب).
(٢) في (ب): «قال»، وفي هامشها: «لعله: قيل».
(٣) انظر ترجمته في «السير» (٥/ ٢٦٩).
(٤) في (أ) و(ج) و(ط): «تؤخذ».
(٥) كذا في الأصل وباقي النسخ، إلَّا (ج) ففيها: «عنه».
(٦) في (هـ): «قاله».
(٧) انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣).

وروي عن الحسن أنَّه قال: لا يَحُلُّ السِّحرَ إلَّا ساحر. قال ابن القيِّم: النُّشْرة: حَلَ السِّحْرِ عن المسحور، وهي نوعان حَلّ بسحر مثلهِ، وهو الذي من عمل الشَّيطان، وعليه يُحمَلُ قولُ الحسن، فيتقرَّبُ الناشرُ والمنتشِرُ من الشَّيطان بما يحبُّ، فَيبطلُ عمله عن المسحور.
والثاني: النُّشرةُ بالرُّقيةِ والتعوُّذات والدعواتِ والأدوية المباحة، فهذا جائز.

● قوله: «ورُويَ عن الحسن أنَّه قال: لا يحل السِّحْرَ إلَّا ساحر»(١).

هذا الأثر ذكره(٢) ابن الجوزي في «جامع المسانيد»(٣).

والحسن هو ابن أبي الحسن، واسمه: يسار - بالتحتية والمهملة - البصري الأنصاري مولاهم [ثقة فقيه]، إمام من خيار التَّابعين، مات سنة عشر ومئة، وقد قارب التِّسعين(٤).

● قوله: «قال ابنُ القيِّم: النُّشرةُ حلُّ السِّحْرِ عن المسحور، وهي نوعان(٥)» إلخ(٦).

---

(١) انظر: «التيسير» ص(٣٥٨).
(٢) في (ب) و(د): «رواه».
(٣) الكتاب مطبوع.
(٤) انظر: «السير» (٤/ ٥٦٣).
(٥) وقول ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٩٦ - ط دار الجيل).
(٦) بدلها في (هـ): «حل سحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز».

ومما جاء في صفة النُّشرة الجائزة: ما روى ابن أبي حاتم وأبو الشَّيخ عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أنَّ هؤلاء الآيات شفاء من السِّحْر بإذن الله تعالى، تُقرأ في إناء فيه ماء - ثم يُصبُّ على رأس المسحور - الآية الَّتي في سورة «يونس»: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٨١] إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس: ٨٢]. وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر الآيات الأربع. وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩][(١)].

وقال ابن بطال[(٢)]: «في كتاب وهب بن منبِّه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقّه بين حجرين ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل[(٣)]، ثمَّ يحسو منه ثلاث حسوات ثمَّ يغتسل به، يذهب عنه كل ما به. وهو جيِّد للرجل إذا حُبس عن أهله[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٤)، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣٨١).

(٢) هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال البكري القرطبي. «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٠/ ٢٣٣).

(٣) في (ج): «القوقل».

(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٤٤٦ - ط الرشد)، وانظر: «الفتح» (١٠/ ٢٣٣).

٢٧ - باب
ما جاء في التَّطَيُّر

● [قوله:] باب ما جاء في التَّطيُّر، أي: من النَّهي عنه والوعيد.

والطِّيَرة - بكسر الطَّاء وفتح الياء، وقد تسكَّن -: اسم مصدر من تطيَّر طيرة، وأصله: التَّطيُّر بالسّوانح والبوارح من الطَّير والظِّباء وغيرهما، وكان ذلك التَّطيُّر يصدُّهم عن مقاصدهم، فنفاه الشَّرع وأبطله وأخبر أنَّه لا تأثير له في جلب نفع ودفع ضر.

قال المدائني: سألت رؤبة بن العجَّاج[١] قلت: ما السَّانح؟ قال: ما ولَّاك[٢] ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولَّاك مياسره، والذي يجيء من أمامك فهو النَّاطح والنَّطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد[٣].

(١) هو رؤبة بن عبد الله العجَّاج بن رؤبة التميمي أبو الجحاف، أحد فصحاء العرب، كان أكثر مقامه بالبصرة، وكانوا يحتجُّون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية سنة (١٤٥هـ). «وفيات الأعيان» (٢/٣٠٣)، وفيه: «ورُؤْبة هي في الأصل اسم لقطعة من الخشب يشعب بها الإناء، وجمعها: رئاب، وباسمها سمي الراجز المذكور».

(٢) في (ج): «والاك».

(٣) في (هـ): «القعيد»، وقول رؤبة ذكره غير واحد. انظر: «لسان العرب» (٢/٤٩٠) مادة (سنح)، والمخصص لابن سيده (٤/١٩)، و«تاج العروس» (٦/٤٨٨) مادة (سنح) و«مفتاح دار السعادة» (٢/٢٢٩) لابن القيم وغيرها. وورد أنَّ السائل لرؤبة أبو عمرو بن العلاء كما في «البصائر والذخائر» لأبي حيَّان التوحيدي (٦/١٥٣).

وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣١].

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣١]. ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١] الآية. والمعنى أنَّ آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة أي الخصب والسعة والعافية، كما فسَّره مجاهد وغيره قالوا: لنا هذه[(١)]، أي: نحن الجديرون والحقيقون به ونحن أهله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بلاء وقحط ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا شؤمهم، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عبَّاس: طائرهم: ما قضي عليهم[(٢)] وقُدِّر لهم[(٣)].

وفي رواية: شؤمهم عند الله ومن قِبَلِهِ[(٤)]. أي: إنَّما جاءهم الشُّؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

● قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ[(٥)] لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، أي أنَّ أكثرهم جهَّال[(٦)] لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنَّه ليس فيما

(١) ليست في (هـ) وكتب الناسخ فوقها: «كذا».
(٢) في (ب) و(د): «لهم».
(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٣٢)، و«تفسير ابن جرير» (٩/ ٣٠).
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٩٠).
(٥) في الأصل و(هـ): «أكثر الناس».
(٦) في (ج) و(أ): «جهالًا».

جاء به موسى عليه السلام إلَّا الخير والبركة والسَّعادة والفلاح لمن آمن به واتَّبع قوله.

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] الآية.

● **وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] الآية**، المعنى والله أعلم: حظكم وما نالكم من شرٍّ معكم، بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم النَّاصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعدوانكم. فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشُّرور فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، وقوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ [يس: ١٩] أي من أجل أنَّا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾ [يس: ١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى، ولا طِيرَة، ولا هامةَ، ولا صَفَر» أخرجاه. زاد مسلم: «ولا نَوءَ، ولا غُول».

● **قوله: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى، ولا طِيَرَة، ولا هامةَ، ولا صَفَر» أخرجاه. زاد مسلم: «ولا نَوءَ، ولا غُول»**(١).

[● **قوله: «لا عدوى»**]؛ قال أبو السَّعادات: «العدوى اسم من الإعداء كالدَّعوى(٢)، يقال: أعداه الدَّاء يعديه إعداء إذا أصابه مثل ما

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٧)، ومسلم برقم (٢٢٢٠).

(٢) كذا في النسخ والتيسير (ص ٣٦٢)، وفي «فتح المجيد»، و«النهاية»: «كالرّعوى».

بصاحب الدَّاء[١].

● **قوله: «ولا طِيَرة»**، قال ابن القيِّم: «يُحتمل أن يكون نفيًا أو نهيًا، أي: لا تطيَّروا، ولكن قوله في الحديث: «**ولا عدوى ولا صفر ولا هامة**»، يدلُّ على أنَّ المراد النَّفي وإبطال هذه الأمور، الَّتي[٢] كانت [أهل] الجاهلية تعانيها، والنَّفي في هذا أبلغ من النَّهي؛ لأنَّ النَّفي يدلُّ على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنَّهي إنَّما يدلُّ على المنع منه.

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عبَّاس، فمرَّ طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال له ابن عبَّاس: لا خير ولا شر[٣]. فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشرِّ. وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاوس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبني[٤]. انتهى ملخصًا[٥].

● **قوله: «ولا هامة»** - بتخفيف الميم - على الصَّحيح، قال الفراء: الهامة طير من طير الليل[٦]، كأنَّه[٧] يعني البومة.

---

(١) «النهاية» (٣/ ١٩٢).
(٢) في (د): «الذي».
(٣) انظر: «التمهيد» (٢٤/ ١٩٤).
(٤) رواه الخلال كما في «الآداب الشرعية» (٣/ ٣٦٦).
(٥) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٣٤).
(٦) انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٢٤١).
(٧) في (ط): «كان».

قال ابن الأعرابي[١]: كانوا يتشاءمون بها، إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعتْ إليَّ نفسي أو أحدًا[٢] من أهل داري[٣]. فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

● قوله: «ولا صفر» - بفتح الفاء - روى أبو عبيد[٤] في «غريب الحديث»[٥] عن رؤبة أنَّه قال: هي حيَّة تكون في البطن، تصيب الماشية والنَّاس، وهي أعدى من الجرب عند العرب.

وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، وممن قال بهذا: سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير، وقال[٦]: المراد به شهر صفر، والنَّفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النَّسيء، وكانوا يحلُّون (المُحرَّم) ويحرِّمون (صفر) مكانه، وهذا قول مالك.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمَّن سمعه يقول: إنَّ أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنَّه شهر مشؤوم، فأبطل ذلك النَّبيُّ ﷺ[٧]. قال ابن رجب: «ولعلَّ هذا القول أشبه الأقوال»[٨].

---

(١) هو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الهاشمي مولاهم الأحول النسابة. له مصنفات كثيرة أدبية. توفي سنة (٢٣١هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٠/٦٨٨).

(٢) في (ب) و(ج): «أحد».

(٣) انظر: «الفتح» (١٠/٢٤١).

(٤) هو القاسم بن سلام، تقدمت ترجمته ص (٢١٣).

(٥) (١/٢٥).

(٦) في «التيسير» و «فتح المجيد»: «وقال آخرون».

(٧) رواه أبو داود برقم (٣٩١٥).

(٨) «لطائف المعارف» ص (٧٤).

والتّشاؤم بصفر كتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النِّكاح فيه خاصة.

● **قوله: «ولا نوء»** سيأتي الكلام عليه إن شاء الله في بابه.

● **قوله: «ولا غُول»** هو بالضَّم اسم، وجمعه: أغوال وغيلان، وهو المراد هنا، والمعني بقوله: «لا غول» أنَّها لا تستطيع أن تضلَّ أحدًا مع ذكر الله والتوكُّل عليه، ومنه الحديث: **«إذا تغوَّلت الغيلان فعليكم بالأذان»**(١)؛ أي ادفعوا شرَّها بذكر الله [تعالى](٢).

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٨١)، والنسائي مختصرًا برقم (١٠٧٩١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤/ ١٥٣)، وابن السني في «عمل اليوم» برقم (٥٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٣٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ١٤٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٣٥٤) وغيرهم عن الحسن البصري عن جابر عنه به، والحسن هو البصري، لم يسمع من جابر، وتصريحه بالسماع منه في رواية ابن خزيمة (٤/ ١٤٤) برقم (٢٥٤٨)، وابن ماجه برقم (٣٢٩) هي الطريق ذاتها ولكن دون قوله: «إذا تغولت الغيلان» لكن في طريقهما هذه علل: في إسناده سالم الخياط ضعيف الحفظ، وزهير بن محمد الراوي عنه ضعيف إذا روى عنه أهل الشام. وهذا الحديث منها.
وفي الباب عن أبي هريرة، كما عند ابن خزيمة برقم (٢٥٥٠)، وفي «المجمع» (١٠/ ١٩٢)، وانظر «صحيح مسلم» برقم (٣٨٩)، وأنس رواه عنه البزار، وسعد ابن أبي وقاص، كما في «المجمع» (١٠/ ١٩١)، وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات إلَّا أن الحسن البصري لم يسمع من سعد فيما أحسب».
وعمر كما في «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣٥٤)، و«مصنف عبد الرزاق» (٥/ ١٦٢ رقم ٩٢٤٩) عن يسير بن عمرو قال: ذكر عند عمر الغيلان، فقال: إنه لا يتحوَّل شيء عن خلقه الذي خلق له، لكن فيهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم من ذلك شيئًا فأذنوا.
وصحَّح إسناده الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٤٤).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٩٦).

ولهما عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيِّبة».

● قوله: ولهما عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيِّبة».

قال أبو السَّعادات: «الفأل - مهموز - فيما يسرُّ ويسوء، والطِّيَرة لا تستعمل إلَّا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسرُّ»[(١)].

● قوله: «قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة». بيَّن ﷺ أنَّ الفأل يعجبه، فدلَّ على أنَّه ليس من الطِّيرة المنهيِّ عنها.

قال ابن القيِّم: «ليس في الإعجاب[(٢)] بالفأل ومحبته شيء من الشِّرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطَّبيعة، وموجب الفطرة الإنسانيّة الَّتي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، والله تعالى جعل في غرائز النَّاس من الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبَّته وميل نفوسهم[(٣)] إليه، وكذلك جعل فيها[(٤)] الارتياح والاستبشار والسُّرور باسم الفلاح والسَّلام والنَّجاح والتَّهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا سمعت الأسماع أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها[(٥)]

(١) «النهاية» (٣/ ٤٠٥).
(٢) في (ب) و(د): «ليس بالإعجاب»، وفي (ط): «ليس الإعجاب».
(٣) في (ب) و(د): «نفس نفوسهم».
(٤) في (ب) و(د): «في».
(٥) في (ب) و(د): «وأحزنها».

ذلك، وأثار[(١)] لها خوفًا وطيرًا[(٢)] وانكماشًا وانقباضًا عمَّا قصدته وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا[(٣)] في الدُّنيا، ونقصًا في الإيمان، ومقارفة[(٤)] للشرك»[(٥)].

ولأبي داود بسند صحيح، عن عقبة بن عامر[(٦)]، قال: ذكرت الطِّيَرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا تردُّ مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهمَّ لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت، ولا يدفع السيئات إلَّا أنت، ولا حول ولا قوة إلَّا بك».

● **قوله: ولأبي داود بسندٍ صحيح، عن عُقبة بن عامر، قال: ذكرت الطِّيَرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها: الفأل، ولا تردُّ مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهمَّ لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت، ولا يدفع السَّيِّئات إلَّا أنت، ولا حول ولا قوة إلَّا بك»[(٧)].**

---

(١) في (هـ): «وأثار ذلك».

(٢) في (ب): «وطيرة»، وفي (ط): «وتطيرًا».

(٣) في (ب): «ضرارًا».

(٤) في (ب): «مفارقة»، وفي هامشها: «لعلها: مقاربة».

(٥) «مفتاح دار السعادة» له (٢/ ٢٤٤ - ط دار الكتب العلمية).

(٦) كذا وقع عند المصنف وسينبِّه عليه الشارح.

(٧) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٢٧٦)، و«الأدب» (٢٠٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٣٩)، وفي «الدعوات الكبير» (٢/ ٢٨٧) وغيرهم من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن عامر، عنه به. وحبيب بن أبي ثابت كثير الإرسال، وعروة بن عامر مختلف في صحبته، قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٦٧): «أثبت غير واحد له صحبة، وشك فيه بعضهم، وروايته عن بعض الصحابة، لا تمنع أن يكون صحابيًّا، والظاهر =

● قوله: «عن عقبة بن عامر» هكذا وقع في نسخ التَّوحيد، وصوابه عن عروة بن عامر [القرشي]، كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما، وهو مكي اختلف[(١)] في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني.

واختلف[(٢)] في صحبته، فقال البَاوَرْدِي[(٣)]: له صحبة. وذكره ابن حبَّان في ثقات التَّابعين[(٤)]، وقال المزِّي: لا صحبة له تصحُّ[(٥)].

قال ابن القيِّم: «أخبر ﷺ أنَّ الفأل من الطِّيَرة، وهو أحسنها[(٦)]، فأبطل الطِّيَرة وأخبر أنَّ الفأل منها ولكنَّه خير منها، ففصل بين الفأل

= أن رواية حبيب عنه منقطعة». والحديث صحَّحه النووي في «رياض الصالحين» ص (٣٨١)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كتاب التوحيد».

(١) في (ب): «واختلفوا»، وفي (د): «واختلف».

(٢) في (ب): «واختلفوا».

(٣) وقع في (أ): «الـمَاوَرْدي» نقله ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٤٩٠)، وانظر: «التيسير» (٢/ ٨٨٤)، و«فتح المجيد» (٢/ ٥٣٠).
قلت: الباوردي، ويقال: الأبيوردي، ويقال أيضًا: الأباوردي. نسبة إلى بلدة أبي ورد. منهم محمد بن يوسف الباوردي، ومسلم بن عبد الله بن مكرم وغيرهما.
وأما الماوردي فجماعة منسوبون إلى بيع ماء الورد أو عمله. «إكمال الكمال» (١/ ٤٧٧).

(٤) «ثقات ابن حبان» (٧/ ١٤٧).

(٥) انظر: «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» (٧/ ٩٥)، ومال ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٤٩٠) إلى صحبته، والمزي هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج الحافظ. توفي سنة (٧٤٢هـ). «الدرر الكامنة» (٦/ ٢٢٩).

(٦) في (ط): «خيرها».

والطِّيَرة لما بينهما من الامتياز والتَّضاد، ونفع أحدهما ومضرَّة الآخر»[١].

● قوله: «ولا تردُّ مسلمًا»، قال الطِّيبي[٢]: «تعريض أنَّ[٣] الكافر بخلافه»[٤].

● **قوله: «اللهمَّ لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت، ولا يدفع السَّيِّئات إلَّا أنت، ولا حول ولا قوة إلَّا بك»**، أي: لا تأتي الطِّيَرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك، الذي تأتي بالحسنات وتدفع السَّيِّئات، والحسنات هنا: النِّعم، والسَّيِّئات: المصائب، ففيه نفي تعلُّق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التَّوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطِّيَرة، وتصريح بأنَّها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًّا ويعد من يعتقدها سفيهًا مشركًا.

● قوله: **«ولا حول ولا قوة إلَّا بك»**، والحول: التَّحوُّل والانتقال من حال إلى حال، والقوَّة على ذلك بالله وحده، ففيه التَّبرِّي من الحول والقوَّة والمشيئة بدون حول الله وقوَّته ومشيئته،

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٤٥).

(٢) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله، الطيبي، من علماء التفسير والحديث. له شرح على «مشكاة المصابيح» اسمه: «الكاشف عن حقائق السنن»، مطبوع. (ت ٧٤٣هـ). «الدرر الكامنة» (٢/ ١٨٥)، «الأعلام» (٢/ ٢٥٦).

(٣) في (ب) و(د) و(هـ): «بأن».

(٤) قاله في شرح المشكاة (٨/ ٣٢٤).

وهذا هو التّوحيد في الرُّبوبية، وهو الدَّليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله [تعالى] بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدَّم بيان ذلك بحمد الله.

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «الطِّيَرة شرك، الطِّيَرة شرك، وما منا إلَّا، ولكن الله يذهبه بالتوكُّل» رواه أبو داود والترمذي وصحَّحه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

● **قوله: «وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «الطِّيَرة شرك، الطِّيَرة شرك. وما منَّا إلَّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»**[(١)]. رواه أبو داود والترمذي وصحَّحه، وجعل آخره من قول ابن مسعود[(٢)]، ولفظ أبي داود: «الطِّيَرة شرك، الطِّيَرة شرك» ثلاثًا. وهذا صريح في تحريم الطِّيَرة وأنَّها من الشِّرك، لما فيها من تعلُّق القلب بغير الله.

قال ابن مفلح: «الأولى القطع بتحريمها»[(٣)]؛ لأنَّها شرك، وكيف يكون الشِّرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟!

● **قوله: «وما منَّا إلَّا»**، قال أبو القاسم الأصبهاني[(٤)] والمنذري:

(١) رواه أبو داود في «سننه» برقم (٣٩١٠)، والترمذي في «جامعه» (١٦١٤)، وقال: «حسن صحيح». وأخرجه ابن ماجه (٣٥٣٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» برقم (٩١٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧)، وغيرهم عن ابن مسعود.

(٢) نصَّ على ذلك غير واحد من المحدِّثين كالبخاري والترمذي وسليمان بن حرب والمنذري وغيرهم.

(٣) «الآداب الشرعية» (٣/ ٣٦٠).

(٤) وهو المعروف بقوام السنة، وكلامه هذا في «الترغيب والترهيب»، له (١/ ٤١٦).

«في الحديث إضمار، التقدير: وما منا إلّا، وقد وقع في قلبه شيء من ذلك»[(١)]. انتهى.

● قوله: «**ولكن الله يُذهبه بالتوكل**»، لكن إذا توكَّلنا على الله في جلب النَّفع ودفع الضُّر، أذهبه الله عنَّا بتوكُّلنا عليه وحده.

● قوله: «**وجعل آخره من قول ابن مسعود**»، قال ابن القيِّم: «وهو الصَّواب، فإنَّ الطِّيَرَة نوع من الشِّرك»[(٢)].

ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو: «من ردَّته الطِّيَرَةُ عن حاجته فقد أشركَ» قالوا: فما كَفَّارَةُ ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهمَّ لا خير إلَّا خيرك، ولا طير إلَّا طيرك، ولا إله غيرك».

● قوله: **ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردَّته الطِّيَرَةُ عن حاجته فقد أشركَ» قالوا: فما كَفَّارَةُ ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهمَّ لا خير إلَّا خيرك، ولا طير إلَّا طيرك، ولا إله غيرك»**. هذا الحديث رواه أحمد والطَّبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابن لهيعة وبقيّة رجاله ثقات[(٣)].

● قوله: «**من حديث ابن عمرو**»، هو عبد الله بن عمرو بن

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣٣).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٠)، والطبراني كما في «كنز العمال» (١٠/ ١١٥) و«المجمع» (٥/ ١٠٥)، وابن عبد البر في «التمهيد (٢٤/ ٢٠١) قال في «المجمع»: «رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات». =

العاص بن وائل السَّهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السَّابقين المكثرين من الصَّحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرَّة على الأصح(١) بالطائف(٢).

● **قوله: «من ردَّته الطِّيَرَة عن حاجته فقد أشرك»**، وذلك أنَّ الطِّيَرَة هو التَّشاؤم بالمرئي والمسموع، فإذا ردَّه عن سفر أو عمل أو حاجة فقد أشرك لما يخامر قلبه من الخوف من ذلك، فيكون شركًا بهذا الاعتبار.

● **قوله: «فما كفارة ذلك... إلى آخره؟ قال: أن تقول: اللهمَّ لا خير إلَّا خيرك، ولا طير إلَّا طيرك»**، فيه تفويض الأمور كلِّها إلى الله تقديرًا وخلقًا وتدبيرًا، والبراءة مما فيه تعلُّق بغير الله تعالى كائنًا من كان.

● **قوله: «ولا إله غيرك»**، أي: لا معبود [مستحق] سواك. فإذا قال ذلك وأعرض عمَّا وقع في قلبه ولم يلتفت إليه، واستمرَّ على فعل ما عزم عليه توكلًا على الله وتفويضًا إليه، كفَّر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك.

= وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٢٧٠) من حديث بريدة ﷺ، وهو شاهد لما تقدَّم، قال في «التيسير» ص (٣٧٦): «وفي إسناده ابن لهيعة، وفيه اختلاف، وبقية رجاله ثقات».

(١) في (هـ): «الصحيح»، وكانت وقعة الحرة سنة (٦٣هـ).
انظر في تفصيل هذه الوقعة: «البداية والنهاية» (٨/ ٣١١ - ط دار ابن كثير)، و«تاريخ الإسلام» وفيات سنة (٦٣)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٣٥٤).

(٢) انظر: «تقريب التهذيب» ص (٣١٥).

وله من حديث الفضل بن عبَّاس: «إنَّما الطِّيَرَة ما أمضاك أو ردَّك».

● **قوله: «وله من حديث الفضل بن العبَّاس[(١)]: «إنَّما الطِّيَرَة ما أمضاك أو ردَّك»[(٢)].** هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل ابن العبَّاس، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فساقه إلى أن قال: «إنَّما الطِّيَرة ما أمضاك أو ردَّك».

و«الفضل» هو الفضل بن العبَّاس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ، قال ابن معين: قتل يوم اليرموك، وقال غيره: قتل يوم مرج الصُّفَّر[(٣)] سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. وقال أبو داود: قتل بدمشق، كان عليه درع النبي ﷺ[(٤)].

● **قوله: «إنَّما الطِّيَرَة ما أمضاك أو ردَّك».** هذا حدُّ الطِّيَرَة المنهيِّ عنها، أنَّها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده، ويمنعه من المضي فيه كذلك. وأمَّا الفأل الذي كان يحبُّه ﷺ ففيه نوع بشارة، فيُسرُّ به العبد ولا يعتمد عليه، بخلاف الطِّيَرَة، فافهم الفرق.

---

(١) في (ج): «عباس».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٣)، قال في «التيسير» ص (٣٧٧): «وفي إسناده نظر. وقرأت بخط المصنف: فيه رجل مختلف فيه، وفيه انقطاع، أي بين مسلمة وبين الفضل». اهـ.

(٣) في الأصل وجميع النسخ عدا (هـ): «مرج الصغرى»، والصواب: «مرج الصُّفَّر» كما في (هـ)، وكتب التاريخ والسير، و«مرج الصفر» بليدة بنواحي دمشق.

(٤) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ١٨٢)، و«التقريب» لابن حجر ص (٤٤٦)، وفي «البداية والنهاية» (٧/ ٩٤) أنه تأخر إلى سنة ثماني عشرة. قال ابن كثير: «وهو الصحيح».

٢٨ - باب
ما جاء في التنجيم

● قوله: باب ما جاء في التنجيم.

قال شيخ الإسلام: «هو الاستدلال بالأحوال[(١)] الفلكيَّة، على الحوادث الأرضيَّة»[(٢)].

وقال الخطَّابي: «علم النّجوم المنهيُّ عنه، هو: ما يدَّعيه أهل التَّنجيم من علم الكوائن والحوادث الَّتي ستقع في مستقبل الزَّمان، كأوقات هبوب الرِّياح ومجيء المطر وتغيُّر الأسعار وما في معناها من الأمور الَّتي يزعمون أنَّها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، يدَّعون أنَّ لها تأثيرًا[(٣)] في السُّفليَّات، وهذا منهم تحكُّم على الغيب، وتعاطٍ لعلم[(٤)] قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه[(٥)].

---

(١) في (ب): «بالأحكام».
(٢) «الفتاوى» (٣٥/ ١٩٢).
(٣) في (ب): «تأثير».
(٤) في (أ) و(ب) و(ج): «وتعاطي العلم»، وفي هامش (ب) بعدها: «لعله: الذي»، وفي «المعالم»: «تعاطيًا».
(٥) «معالم السنن» (٥/ ٣٧١).

قال البخاري في «صحيحه»: «قال قتادة: خلق الله هذه النُّجوم لثلاث: زينةً للسَّماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهْتَدى بها. فمن تأوَّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وَتَكَلَّف ما لا علم له به». انتهى[(١)].

● **قوله: قال البخاري في «صحيحه»: «قال قتادة: خلق الله هذه النُّجوم لثلاث: زينةً للسَّماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهْتَدى بها؛ فمن تأوَّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وَتَكَلَّف ما لا علم له به». انتهى.**

هذا الأثر علَّقه البخاري في «صحيحه»[(٢)]، وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير[(٣)] وابن المنذر وغيرهم، وأخرجه الخطيب في «كتاب النُّجوم»[(٤)] عن قتادة بلفظ أطول من هذا.

وقول قتادة - رحمه الله [تعالى] - يدلُّ على أنَّ التَّنجيم هذا قد

---

(١) لقد ارتبط الإنسان بحبِّ معرفة الكواكب، والنظر إلى النجوم ودراستها، وقاد ذلك البعض إلى الظَّنِّ أنَّ لها تأثيرًا استقلاليًّا على السفليات، وأنَّ الكواكب فاعلة مختارة، فقد انتشرت في هذا العصر، رغم الزعم بالتقدُّم والتحضُّر! وقد انتشر هذا (العلم) عبر الوسائل الموجودة اليوم كالصحف المقروءة والمجلات، تحت عنوان: الأبراج أو الحظ أو غيرهما، اعتقادًا بأنَّ لها تأثيرًا.
وكذلك عبر القنوات الفضائية و(الإنترنت)، ذكر الدكتور عبد المجيد المشعبي، في كتاب «التنجيم والمنجِّمون» ص (١٤٩): «.. أذاع التلفزيون الرسمي البريطاني في شهر محرم سنة (١٤٠٦هـ) برنامجًا كبيرًا عن أعمال السحر والشعوذة والطلاسم في بريطانيا استغرق أمسية كاملة»!!

(٢) (٦/ ٣٤١).

(٣) في تفسيره (١٤/ ٩١).

(٤) ص (١٨٥) طبعة دار أطلس.

حدث في عصره، فأوجب له إنكاره على من اعتقده وتعلَّق به، وهذا العلم ممَّا ينافي التَّوحيد، ويوقع في الشِّرك؛ لأنَّه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه بمشيئته وإرادته، كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]؟، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

● قوله: «خلق الله هذه النُّجوم لثلاث». قال تعالى[(١)]: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك: ٥] وفيه إشارة إلى أنَّ النُّجوم في السَّماء الدُّنيا، كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أمَّا السَّماء الدُّنيا فإنَّ الله خلقها من دُخان، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وزيَّنها بمصابيح، وجعلها رجومًا للشَّياطين، وحِفْظًا من كل شيطان رجيم»[(٢)].

● قوله: «وعلامات»؛ أي دلالات على الجهات. «يهتدى بها»، أي: يهتدي بها النَّاس في ذلك، كما قال تعالى: [﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦]. قال - تعالى -]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] أي: ليعرفوا بها جهة قصدهم.

---

(١) في (ب) و(د): «قال الله تعالى».

(٢) أخرجه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/٦٩) عن ابن مسعود ﷺ، وأخرجه الطبراني في «الأحاديث الطوال» (١٩) ضمن حديث طويل، وابن عساكر كما في «مختصر تاريخ دمشق» (٢/٢٦٦). انظر: «تاريخ دمشق» (٧٢/٨٦)، وأخرجه عمر ابن شبَّة في «أخبار المدينة» (١/٣٠٣) من حديث ابن عباس ﷺ.

فإن قيل: المنجِّم قد يصدق.

قيل[١]: صدقه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة ويكذب في مئة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا فيكون فتنة في حقِّ من صدَّقه.

> وكره قتادة تعلُّمَ منازِلِ القمر، ولم يرخِّص فيه ابن عيينة. ذكره حرب عنهما. ورخَّص في تعلُّم المنازل: أحمد وإسحاق.

● **قوله: «وكره قتادة تعلُّمَ منازِل القمر، ولم يرخِّص ابن عيينة فيه[٢]، ذكره حرب عنهما، ورخَّص في تعلم المنازل أحمد[٣] وإسحاق».**

قال الخطَّابي: «أمَّا علم النُّجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر، الذي يُعرف به الزَّوال وتُعلَم به جهة القبلة، فإنَّه غير داخل فيما نُهي عنه. وذلك أنَّ معرفة هذا العلم تصحُّ بالمشاهدة. وأمَّا ما يُستدل به من النُّجوم على جهة القبلة، فإنَّها من الكواكب رصدها أهل الخبرة بها من الأئمَّة الذين لا نشكُّ في عنايتهم بأمر[٤] الدِّين، ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة عنها، فكان إدراكهم الدَّلالة منها

---

(١) في (ج): «وقيل».
(٢) في (ج) و(ط): «فيه ابن عيينة». وانظر: «فتح الباري» لابن رجب (٢/ ٢٩٦).
(٣) انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٢/ ٢٩٦).
(٤) في (ب) و(ج): «بأمور».

بالمعاينة، وإدراكنا[١] ذلك بقبول خبرهم، إذ كانوا عندنا غير متَّهمين في دينهم، ولا مقصِّرين في معرفتهم». انتهى[٢].

وروى ابن المنذر عن مجاهد أنَّه كان لا يرى بأسًا[٣] أن يتعلَّم الرَّجل من النُّجوم ما يهتدي به[٤].

قال ابن رجب: «والمأذون في تعلمه [علم] التَّسيير[٥] لا علم التَّأثير، فإنَّه باطل محرَّم قليله وكثيره. أمَّا علم التَّسيير فيتعلَّم منه ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة والطُّرق، جائز عند الجمهور»[٦].

● قوله: «**ذكره حرب عنهما**»؛ هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل أبو[٧] محمد الكرماني الفقيه، من جلَّة[٨] أصحاب الإمام أحمد، روى عن أحمد وإسحاق [بن راهويه] وابن المديني وابن معين وغيرهم، وله كتاب «المسائل» الَّتي سُئِل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومئتين[٩].

---

(١) في (هـ): «وأدركنا».

(٢) «معالم السنن» (٤/ ٢١٣).

(٣) في (ج): «لا يرى به بأسًا».

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٩؛ ٥/ ١١٩).

(٥) في (أ) و(ج): «التيسير».

(٦) «فضل علم السلف على علم الخلف» ص (٣٤)، وما بين معقوفتين منه.

(٧) في جميع النسخ «بن»، وهو خطأ، والمثبت من (هـ) و(ط) وهو الصَّواب الموافق لمصادر ترجمته.

(٨) في (ب): «جملة»، وفي (هـ): «أجلة».

(٩) انظر ترجمته في «السير» (١٣/ ٢٤٤).

وأمَّا إسحاق: فهو ابن إبراهيم بن مخلد بن يعقوب الحنظلي النَّيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه، روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم.

قال أحمد(١): «إسحاق عندنا من أئمَّة المسلمين»، روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، وروى هو أيضًا عن أحمد، مات سنة تسع وثلاثين ومئتين(٢).

وعَنْ أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّة: مُدْمِنُ الخمر، وقاطع الرَّحِم، ومصدِّق بالسِّحر» رواه أحمد وابن حبَّان في صحيحه.

● **قوله: وعَنْ أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّة: مُدْمِنُ الخمر، وقاطع الرَّحِم، ومصدِّقٌ بالسِّحر» رواه أحمد وابن حبَّان في «صحيحه».** هذا الحديث رواه أيضًا الطَّبراني والحاكم، وقال: صحيح. وأقرَّه الذهبي(٣).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل و(ب) و(ج) و(د): «ومئة»، والمثبت من (هـ) و(ط)وهو الصواب. وانظر ترجمته في «السير» (١١/ ٣٥٨).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٩)، وابن حبَّان في «صحيحه» (١٢/ ١٦٥) برقم (٥٣٤٦)، وأخرجه الطبراني وأبو يعلى كما في «المجمع» (٥/ ١١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦٣)، وقال: «صحيح»، وأقرَّه الذهبي.
وقال في «المجمع» (٥/ ١١٥): «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات»، وتمامه: «ومن مات وهو مدمن خمر، سقاه الله من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن».

● قوله: «وعن أبي موسى»، هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضَّار - بفتح المهملة وتشديد الضاد - أبو موسى الأشعري، صحابي جليل، مات سنة خمسين[(١)].

● قوله: «ثلاثة لا يدخلون الجنة»، الشَّاهد للترجمة: **«ومصدِّقٌ بالسِّحْر»**.

وفي هذا الحديث كما تقدَّم في نظائره، كقوله: «من أتى كاهنًا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ». واختار الإمام أحمد رحمه الله [تعالى] - أنَّ مثل هذه الأحاديث تُمرُّ كما جاءت من غير تأويل[(٢)].

قال الذَهبي في «الكبائر»: «ويدخل[(٣)] فيه: تعلُّم الكيمياء[(٤)] وعلمها، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزَّوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة». انتهى باختصار[(٥)].

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» (٤/ ٢١١).
(٢) قال في «التيسير» ص (٣٨٦): «وكان المصنِّف ﷺتعالى يميل إلى هذا القول». وقال المؤلف في «فتح المجيد» (٢/ ٥٣٤): «وأحسن ما يقال: إنَّ كل عملٍ دون الشرك والكفر المخرج عن ملَّة الإسلام، فإنَّه يرجع إلى مشيئة الله، فإن عذَّبه به فقد استوجب العذاب، وإن غفر له، فبفضله وعفوه ورحمته».
(٣) في (أ) و(ب) و(ج): «تدخل».
(٤) في هامش الأصل: «السيمياء» وكذا في باقي النسخ.
(٥) كتاب «الكبائر» ص (٤٥ - ط محيي الدين مستو).

٢٩ - باب

ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: ٨٢]

● قوله: باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

أي من الوعيد [الشديد]، والمراد نسبة السُّقيا ومجيء المطر إلى الأنواء - جمع نوء - وهي منازل القمر.

قال أبو السَّعادات: «وهي ثمان وعشرون منزلةً، ينزل القمر كلَّ ليلة منزلةً منها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يسقط في الغرب كلَّ ثلاثة عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، وكانت العرب تزعم أنَّ مع[(١)] سقوط المنزلة، وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إلى النَّجم السَّاقط، ويقولون: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، وإنَّما سُمِّي نوءًا؛ لأنَّه إذا سقط منها السَّاقط ناء الطَّالع بالمشرق أي نهض وطلع»[(٢)].

● قوله: [وقول الله] تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: ٨٢]. روى الإمام أحمد، والتِّرمذي وحسَّنه، وابن جرير، وابن

---

(١) في (ب): «من».
(٢) «النهاية» (٥/ ١٢٢).

أبي حاتم، و[الحافظ] الضِّياء في «المختارة» عن عليٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شُكْركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝﴾ [الواقِعَة: ٨٢]، تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، بنجم كذا وكذا[(١)].

رُوِي ذلك عن علي وابن عبَّاس وقتادة والضَّحَّاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسِّرين[(٢)]، وبه يظهر وجه استدلال المصنِّف - [رحمه الله تعالى] - بالآية.

وقال ابن القيِّم: «أي تجعلون حظَّكم من هذا الرِّزق الذي به حياتكم التَّكذيب به، يعني القرآن.

قال الحسن: تجعلون حظَّكم ونصيبكم من القرآن أنَّكم تكذِّبون، قال: وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلَّا التَّكذيب»[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٨٩)، والترمذي في «جامعه» برقم (٣٢٩٥)، وقال: «حسن غريب»، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (١٨٨٠٦)، والضياء في «المختارة» (٢/ ١٩١) كما ذكرهم المؤلف وغيرهم كالبزار في «مسنده» برقم (٥٩٣)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» كلهم من طريق عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، عن أبي عبد الرحمن السّلمي، عن علي به.
وعبد الأعلى بن عامر فيه ليس بالقوي، ويكتب حديثه، وقال الدارقطني في «العلل»: «ليس بالقوي عندهم». «تهذيب التهذيب» (٦/ ٨٦).

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٧/ ٢٠٨)، و«صحيح مسلم» برقم (٣٧)، والحديث موقوف على ابن عباس كما في «تفسير ابن جرير» و«شرح مشكل الآثار» (١٣/ ٢١٢).

(٣) «التبيان في أقسام القرآن» ص (١٤٨).

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمَّتي من أمرِ الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنُّجوم، والنِّياحة». وقال: «النَّائِحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سِرْبال من قَطِران، ودرع من جَرَبٍ». رواه مسلم.

● قوله: عن أبي مالك الأشعري ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ في أمَّتي من أمرِ الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفخر بالأحساب، والطَّعن في الأنساب، [والاستسقاء بالنُّجوم]، والنِّياحة». وقال: «النَّائِحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سِرْبال من قَطِران، ودرع من جَرَبٍ». رواه مسلم(١).

أبو مالك: اسمه الحارث بن الحارث الشَّامي صحابي(٢)، تفرَّد عنه بالرِّواية أبو سلَّام(٣)، وفي الصَّحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا(٤).

● قوله: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن»، أي: ستفعلها هذه الأمَّة؛ إمَّا مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية، يدلُّ على أنَّه يجب على كل مسلم أن يجتنبها.

---

(١) «صحيح مسلم» (٩٣٤).
(٢) هو ممطور الأسود الحبشي، أبو سلام، ثقة يرسل. «التقريب» ص (٥٤٥).
(٣) أحدهما: عبيد بن عمرو، وقيل: عبد الله، وقيل غير ذلك. مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة. وآخر اسمه: كعب بن عاصم، صحابي، نزل الشام ومصر. «التقريب» ص (٦٧٠).
(٤) انظر: ترجمته في «تقريب التهذيب» ص (١٤٥).

والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث، وفاعلها آثم يجب أن ينهى عنها، ومتى وُجد الشِّرك وجدت هذه الأمور المنكرة وغيرها من المنكرات.

قال شيخ الإسلام: «أخبر أنَّ بعض أمر أهل الجاهليَّة لا يتركه النَّاس كلُّهم ذَمًّا لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أنَّ كلَّ ما كان من أمر الجاهليَّة وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلَّا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذمًّا لها، ومعلوم أنَّ إضافتها إلى الجاهليَّة خرج مخرج الذَّم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإنَّ في ذلك ذمًّا للتبرُّج، وذمًّا لحال أهل الجاهليَّة الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة»[(١)].

● **قوله: «والفخر بالأحساب»**، أي: التَّعاظم على النَّاس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلَّا بالتَّقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنَّما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، النَّاس بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، لَيَدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنَّما هم فَحْم جهنَّم، أو ليكُونُنَّ أهون على الله من الجِعلان...**» الحديث[(٢)].

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (٥١١٦) كما قال المؤلف، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦١)، والترمذي في «سننه» برقم (٣٩٥٦)، وقال: «حسن غريب، وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس». =

● قوله: «والطَّعن في الأنساب»، أي: الوقوع فيها بالعيب والنَّقص. ولمَّا عيَّر أبو ذرٍّ رجلًا بأُمِّه، قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أعيَّرتَه بأمِّه؟ إنَّك امرؤ فيك جاهلية» متفق عليه(١).

فدلَّ على أنَّ الطَّعن في الأنساب من عمل أهل الجاهلية، وأنَّ المسلم قد يكون فيه شيء(٢) من هذه الخصال المسمَّاة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه. قاله شيخ الإسلام [رحمه الله تعالى](٣).

● قوله: «والاستسقاء بالنجوم» تقدَّم معناه، فإذا قال قائلهم: مُطِرنا بنجم كذا(٤) وبنوء كذا، فلا يخلو: إما أن يعتقد أنَّ له تأثيرًا في نزول المطر، فهذا شرك وكفر لنسبته المطر لغير من أنزله وهو الله وحده، وإمَّا(٥) مع إطلاق هذا اللفظ(٦)، فقد صرَّح ابن مفلح في «الفروع»(٧) بتحريمه، وكذلك صاحب «الإنصاف»(٨) ولم يذكرا(٩) خلافًا.

= وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»، والبيهقي في «الكبرى» (١/ ٢٣٢) وغيرهم، كلهم من طريق هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عنه به.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠)، ومسلم برقم (١٦٦١).

(٢) في (د) و(ج): «شيئًا».

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٧٠).

(٤) في (ب): «كذا وكذا».

(٥) في (ط): «وأمَّا».

(٦) أي إنَّ الله أجرى العادة بنزول المطر عند ظهور النجم.

(٧) (٢/ ١٦٣).

(٨) (٢/ ٤٦١)، وانظر: «فتح المجيد» (٢/ ٥٤٠).

(٩) في (ب) و(ج) و(ط) و«فتح المجيد»: «يذكر».

● قوله: «والنِّياحة»؛ أي: رفع الصَّوت بالنَّدب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك، وهي من الكبائر لشدَّة الوعيد والعقوبة كما في هذا الحديث.

● قوله: «**النَّائحة إذا لم تتب قبل موتها**»؛ فيه تنبيه على أنَّ التَّوبة تكفِّر الذَّنب.

● **قوله: «تقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطِران ودرع من جرب»**، السِّربال: واحد السَّرابيل وهي الثِّياب، والقمص هذه سرابيل أهل النَّار، يعني: يُلطَّخن بالقطران حتَّى يكون اشتعال النَّار بأجسادهنَّ أعظم، ورائحتهنَّ أنتن[١].

وروي عن ابن عبَّاس: أنَّ القطران هو النُّحاس المُذاب[٢].

ولهما عن زيد بن خالد ﷺ قال: صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبح بالحديبية على إثْرِ سماء كانت من اللَّيل، فلمَّا انصرف أقبل على النَّاس فقال: «هل تدرونَ ماذا قال ربُّكم؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمَّا من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأمَّا من قال: مُطِرنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

● قوله: وعن زيد بن خالد قال: صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ

(١) انظر: «المفهم» للقرطبي (٢/ ٥٨٨).
(٢) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٥١٤)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٤٦).

الصبح بالحديبية، على إثْرِ سماء كانت من اللَّيل، فلمَّا انصرف، أقبل على النَّاس فقال: «هل تدرونَ ماذا قال ربُّكم؟» [قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم]. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمَّا من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأمَّا من قال: مُطِرنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»(١).

زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وقيل غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة(٢).

● قوله: «صلَّى لنا»، أي: بنا. قال الحافظ: «وفيه إطلاق ذلك مجازًا»(٣).

● قوله: «بالحديبية» بتخفيف(٤) يائها(٥) وقد تثقَّل.

● قوله: «على إثر»، بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة على المشهور، وهو ما يعقب الشَّيء.

● قوله: «سماء»، أي: مطر.

● قوله: «فلمَّا انصرف»، أي: [من صلاته] إلى المأمومين.

● قوله: «هل تدرون؟» لفظ استفهام ومعناه التَّنبيه، وفي النَّسائي:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٤٦)، ومسلم برقم (٧١).
(٢) انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/٦٠٣).
(٣) انظر: «فتح الباري» (٢/٥٢٣).
(٤) في (أ) و(ج) و(د): «بالتخفيف»، والمثبت من (ب) و(هـ) و(ط)، وهو الأنسب للسياق.
(٥) في (ب): «يائيها».

«ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة»(١)، وفيه إلقاء العالِم المسألةَ على أصحابه ليختبرهم(٢).

● قوله: «**قالوا: الله ورسوله أعلم**»، فيه حسن الأدب للمسؤول إذا سُئِل عمَّا لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه، وذلك يجب.

● قوله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**»؛ لأنَّه نسب الفعل إلى فاعله الذي لا يقدر عليه غيره.

● قوله: «**وكافر**» إذا اعتقد أنَّ للنوء تأثيرًا في إنزال المطر فهذا كفر؛ لأنَّه شرك في الربوبية، والمشرك كافر.

● قوله: «**فأمَّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته**»، فالفضل والرَّحمة صفتان لله - تعالى -.

ولهما(٣) من حديث ابن عبَّاس معناه. وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ [الواقِعَة: ٧٥ ـ ٨٢].

● **قوله: ولهما من حديث ابن عبَّاس معناه**(٤).

وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله [تعالى]

---

(١) «سنن النسائي» (٣/ ١٦٤)، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١١٦)، وغيرهما.
(٢) في (هـ): «ليخبرهم».
(٣) في نسخة خطية عندي لكتاب التوحيد: «وفيها».
(٤) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٧٣)، وأما البخاري فعلَّقه في «صحيحه» (٢/ ٥٢٢ - فتح) قال: قال ابن عباس: شكركم.

هذه الآية: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقِعَة: ٧٥ - ٨٢][1]. تقدَّم معناه قريبًا.

(١) في (ج): ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقِعَة: ٨٢].

٣٠ - باب

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

● **قوله: باب قول الله تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال في شرح «المنازل»: «أخبر تعالى أنَّ من أحبَّ شيئًا من دون الله، كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا ندٌّ في المحبَّة لا في الخلق والرُّبوبية، فإنَّ أحدًا من أهل الأرض لا يثبت هذا الند[1]، بخلاف ند المحبَّة، فإنَّ أكثر أهل الأرض قَدِ اتَّخذوا من دون الله أندادًا في المحبَّة والتعظيم». انتهى[2].

قلت: وقد وقع الشِّرك في الرُّبوبية أيضًا في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمَّة، فاعتقدوا أنَّ لهذه[3] الأموات تصرُّفًا في الكون ونحو ذلك.

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ...﴾ **إلى قوله:** ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) في (ب): «ندًّا»، وفي (ج): «الند».
(٢) قول ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ٢١).
(٣) في (ط): «لهؤلاء».

● قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ[(١)]﴾ [التوبة: ٢٤] إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[(٢)] [التوبة: ٢٤].

قال ابن كثير: «إن كانت هذه الأشياء أحبَّ إليكم من الله ورسوله، وجهادٍ في سبيله، فتربَّصوا، أي: انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه»[(٣)].

عن أنس، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والنَّاس أجمعين» أخرجاه.

● **قوله: عن أنس، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والنَّاس أجمعين» أخرجاه.** أي البخاري ومسلم[(٤)].

● **قوله: «لا يؤمن»**؛ أي: الإيمان الواجب، والمراد كماله، حتَّى يكون الرَّسول ﷺ أحبَّ إلى العبد من ولده ووالده والنَّاس أجمعين، وذلك يقتضي تعظيم أمره ونهيه واتباعه في ذلك دون من سواه، ومن كان كذلك فقد أحبَّ الله كما في آية المحنة[(٥)].

---

(١) في (ج): «وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم».
(٢) في (ب) و(هـ) بعدها: «الآية».
(٣) «التفسير» (٢/ ٣٤٣).
(٤) البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).
(٥) وهي قول الله تعالى في سورة «آل عمران»: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ...﴾ [آل عِمران: ٣١] الآية.

[● قوله: «أخرجاه» أي: البخاري ومسلم].

ولهما عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكونَ الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار». وفي رواية: «لا يجدُ أحدُكم حلاوة الإيمان حتَّى..» إلى آخره.

● قوله: «ولهما عنه»، أي: البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد [بهنَّ] حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النَّار»(١).

● قوله: «ثلاث» أي خصال، قال شيخ الإسلام: «أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ هذه الثَّلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأنَّ وجود(٢) الحلاوة للشيء يتبع المحبَّة له، فمن أحبَّ شيئًا واشتهاه إذا حصل له مراده، فإنَّه يجد الحلاوة واللَّذَّة والسُّرور بذلك، واللَّذة أمر يحصلُ عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى».

قال: «فحلاوة الإيمان المتضمِّنة للذَّة والفرح يتبع(٣) كمال محبَّة

(١) أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣).
(٢) في (أ): «لأنَّ حلاوة الإيمان وجود الحلاوة»، ثم ضرب على قوله: حلاوة الإيمان.
(٣) في (ط)، وكتب شيخ الإسلام: «تتبع»، وهو الصواب.

العبد لله. وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبَّة وتفريغها ودفع ضدِّها، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، فإنَّ محبَّة الله ورسوله لا يُكتفى فيها بأصل الحبِّ، بل لا بد أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما»[١].

قلت: ومن لازم محبَّة الله[٢]: محبَّة أنبيائه ورسلِه وملائكتِه وكتبه والصَّالحين من عباده، وكراهة ما يكرهه سبحانه، ومعاداة أعدائه، وموالاة أوليائه، فلا يحصل كمال محبَّة الله الواجبة إلَّا بكمال ذلك وإيثاره على ما تهواه النُّفوس ممَّا يخالف ذلك.

● **قوله**: «**أحبَّ إليه مما سواهما**» ثنَّى الضَّمير هنا لتلازم المحبَّتين[٣]. والله أعلم.

● **قوله**: «**كما يكره أن يُقذف في النَّار**»، أي: يستوي عنده الأمران.

● **قوله**: «**وفي رواية: لا يجد**». هي عند البخاري في «الأدب المفرد»[٤]، ولفظه: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتَّى يحبَّ المرء لا يحبُّه إلَّا لله، وحتَّى أن يقذف في النَّار أحبَّ إليه من أن يرجع إلى

---

(١) «العبودية ص (١٥٨)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٠٥).

(٢) في (ج) بعدها: «ومن».

(٣) بنحو هذا قال البيضاوي. انظر: «فتح الباري» (١/ ٦١)، و«التيسير» ص (٤١١).

(٤) لعله سبق قلم؛ لأنَّ الحديث في «صحيحه» في كتاب الأدب برقم (٦٠٤١)، وقد ورد العزو في «التيسير» ص (٤١٢)، و«فتح المجيد» (٢/ ٥٦٧) إلى الصحيح في كتاب الأدب.

الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتَّى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما».

وعن ابن عبَّاس قال: من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنَّما تُنال ولايةُ اللهِ بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه - حتَّى يكون كذلك، وقد صارت عامَّة مؤاخاةِ النَّاس على أمر الدُّنيا، وذلك لا يُجْدِي على أهله شيئًا. رواه ابن جرير.

• قوله: وعن ابن عبَّاس قال: من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، وعادى في الله، ووالى في الله، فإنَّما تُنال ولايةُ اللهِ بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه - حتَّى يكون كذلك، وقد صارت عامَّة مؤاخاةِ النَّاس على(١) أمر الدُّنيا، وذلك لا يُجْدِي على أهله شيئًا. رواه ابن جرير(٢).

• قوله: «من أحبَّ في الله»، أي: أحبَّ أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك.

---

(١) كذا في (أ) وفي باقي النسخ: «في».

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره»، ومحمد بن نصر المروزي (١/ ٤٠٧) كما في «جامع العلوم والحكم» عند شرح حديث جبريل ص (٣٠ - ط الحلبي)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٣٤) رقم (٣٤٧٧٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٣٦).
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» برقم (٣٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٢)، وغيرهم من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس، وليث ضعيف.

● قوله: «وأبغض في الله»، أي: أبغض من كفر بالله وأشرك به[(١)] وعصاه لارتكابه ما يسخط الله، وإن كان أقرب النَّاس إليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجَادلة: ٢٢].

● قوله: «ووالى في الله»، بالمحبَّة والنُّصرة بحسب القدرة.

● قوله: «وعادى في الله»، أي: عادى من كان عدوًّا لله ممن أشرك وكفر وظاهر بالمعاصي، فتجب عداوته بما يقدر عليه.

● قوله: «وإنَّما تنال ولاية الله بذلك»، أي: توليه لعبده، ووَلاية - بفتح الواو - وفي الحديث: «أوثق عرى الإيمان: الحبُّ في الله، والبغض في الله ﷿». رواه الطبراني[(٢)].

● قوله: «ولن يجد عبد طعم الإيمان... إلخ»، أي: لا يحصل له ذوق الإيمان وبهجته ولذَّته وسروره والفرح به، وإن كثرت صلاته وصومه حتَّى يكون كذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

---

(١) في (ج): «بالله».

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢١٥) من حديث ابن عباس ﵄. وفي إسناده حنش. قال ابن حجر في «التقريب» ص (١٦٨): «متروك»، وورد من حديث البراء ابن عازب وابن مسعود ومعاذ بن أنس الجهني، وأبي ذر، وعمرو بن الجموح، وأبي أمامة، وغيرهم.
انظر «مسند الإمام أحمد» (٣٠/ ٤٨٨ . مؤسسة الرسالة)، و«السلسلة الصحيحة» للألباني برقم (٩٩٨).

فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

● قوله: «وقد صارت عامة مؤاخاة النَّاس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا»، يعني أنَّه إذا ضعف داعي الإيمان أحبَّ دنياه وأحبَّ لها وواخى لأجلها، وهذا هو الغالب، على أكثر الخلق، محبَّة دنياهم وإيثار ما يهوونه على ما يحبه الله ورسوله، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا، بل يضرُّ في العاجل والآجل، فالله المستعان.

وقال ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال: المودة.

● قوله: «وقال ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودَّة»[1]، أي: الَّتي كانت بينهم خانتهم أحوَجَ ما كانوا إليها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] الآية.

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٧١)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٨)، وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في «التيسير» ص (٤١٥)، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٩)، وصحَّحه.
وعلَّقه البخاري في «صحيحه» ص (١٣٧٨) مجزومًا به بلفظ: «الوصلات في الدنيا».

٣١ - باب

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥]

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥].

قال العلَّامة ابن القيِّم - [رحمه الله تعالى] -: «ومن كيد عدوِّ الله أن[١] يخوِّف المؤمنين جنده وأولياءه لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بالمعروف ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أنَّ هذا من كيد الشَّيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه».

قال: «والمعنى عند جميع المفسِّرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة[٢]: يعظِّمهم في صدوركم، فكلَّما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشَّيطان، وكلَّما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم»[٣].

فدلَّت هذه الآية على أنَّ إخلاص الخوف[٤] من كمال شروط

---

(١) في (ب): «بأنه»، وفي (ط): «أنه»، وفي «الإغاثة»: «أنَّه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر».

(٢) أخرجه ابن المنذر في «تفسيره» برقم (١٢٠٤) بنحوه عن قتادة، وانظر: «تفسير الطبري» (٤/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٠)، فقد ورد هذا القول عن غير واحد.

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

(٤) وفي (ط): «أن الخلاص من الخوف».

الإيمان. وسبب نزول هذه الآية مذكور في التَّفاسير والسِّير.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] الآية.

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] الآية.

أخبر تعالى أنَّ مساجد الله لا يعمرها إلَّا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون من سواه، فلا تكون المساجد عامرة إلَّا بالإيمان الذي معظمه التَّوحيد مع العمل الصَّالح الخالص من شوائب الشِّرك والبدع، وذلك كله داخل في مسمَّى الإيمان المطلق عند أهل السُّنَّة والجماعة.

● قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، قال ابن عطيَّة: «يريد خشية التَّعظيم والعبادة والطَّاعة، ولا محالة أنَّ الإنسان يخشى المحاذير الدُّنيويَّة، وينبغي أن يخشى في ذلك كلِّه قضاء الله وتصريفه»(١).

قلت: لأنَّ النَّفع والضُّر إنَّما يكون بمشيئته وإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» له (٣/ ١٨)، وابن عطيَّة هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، فقيه مفسِّر. توفي سنة (٥٤٢هـ). انظر: «تاريخ قضاة الأندلس» (١٠٩ ـ دار الآفاق)، و«نفح الطيب» (١/ ٥٩٣).

وقال ابن القيِّم - رحمه الله [تعالى] -: «[و] الخوف عُبوديَّة القلب، فلا يصلح إلَّا لله، كالذُّلِّ والمحبَّة والتَّوكُّل والرَّجاء وغيرها من عبودية القلب»[(١)].

● قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [التوبة: ١٨]، قال ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاس يقول: إنَّ أولئك هم المهتدون، وكل ﴿عَسَىٰ﴾ في القرآن فهي واجبة[(٢)].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] الآية.

● قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، قال ابن القيم: «النَّاس إذا أرسل إليهم الرُّسل بين أمرين: إمَّا أن يقول أحدهم: آمنَّا، وإمَّا أن لا يقول ذلك؛ بل يستمرُّ على السَّيِّئات والكفر، فمن قال: آمنَّا، امتحنه ربُّه وابتلاه، والفتنة: الابتلاء والاختبار، ومن لم يقل: آمنَّا، فلا يحسب أنَّه يعجز الله ويفوته ويسبقه، فلا بدَّ من حصول الألم لكلِّ نفسٍ آمنت أو رغبت عن الإيمان، لكنَّ المؤمن يحصل له الألم في الدُّنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبة في الدُّنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللَّذَّة ابتداء، ثم يصير له الألم الدائم، والإنسان لا بدَّ أن يعيش مع النَّاس، والنَّاس لهم إرادات وتصوُّرات، فيطلبون منه أن يوافقهم

---

(١) «طريق الهجرتين» ص (٢٩٢).

(٢) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٩٤).

عليها، وإن لم يوافقهم آذَوه وعَذَّبوه؛ وإن وافقهم حصل له العذاب، تارة منهم وتارة من غيرهم..» إلى أن قال: «فالحزم كلُّ الحزم في الأخذ بما قالت أمُّ المؤمنين لمعاوية: من أرضى الله بسخط النَّاس كفاه الله مؤنة النَّاس، ومن أرضى النَّاس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا»[١].

فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شرَّ نفسه، امتنع من الموافقة على فعل المحرَّم وصبر على عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدُّنيا والآخرة، كما كانت للرُّسل[٢] وأتباعهم.

ثم أخبر [تعالى] عن حال الدَّاخل في الإيمان بلا بصيرة، وأنَّه إذا أوذي في الله جعل فتنة النَّاس له، وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه، وهو الألم[٣] الذي لا بد أن ينال الرُّسل وأتباعهم ممن[٤] خالفهم، جعل ذلك في فراره منه وتركه السَّبب الذي ينال به، كعذاب الله الذي فرَّ منه المؤمنون بالإيمان.

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٤١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٨٨)، والإمام أحمد في «الزهد» ص (١٦٤). وقد صحَّ عنها مرفوعًا أنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس». رواه القضاعي في «مسنده» برقم (٤٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٢٧٦) وغيرهما.

(٢) في (ج): «الرسل».

(٣) في (ج): «وهو من الألم».

(٤) في (ج): «فمن».

فالمؤمنون - لكمال[(١)] بصيرتهم - فرُّوا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحمَّلوا ما فيه من الألم الزَّائل المفارق عن قريب، وهذا - من ضعف بصيرته - فرَّ من ألم أعداء الرُّسل إلى موافقتهم ومتابعتهم، ففرَّ من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله، فجعل ألم فتنة النَّاس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله، وغُبن كلَّ الغبن إذ استجار من الرَّمضاء بالنَّار، وفرَّ من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال: إنِّي كنت معكم[(٢)]، والله عليم بما انطوى عليه صدره من النِّفاق». انتهى[(٣)].

عن أبي سعيد ﷺ مرفوعًا: «إنَّ من ضَعْفِ اليقين أن تُرْضي النَّاس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمَّهم على ما لم يؤتك الله. إنَّ رزق الله لا يَجُرّه حرص حريص، ولا يرُدُّه كراهية كاره».

● **قوله: عن أبي سعيد مرفوعًا: «إنَّ من ضَعْفِ اليقين أن تُرْضي النَّاس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمَّهم على ما لم يؤتك الله. إنَّ رزق الله لا يَجُرُّه حرص حريص، ولا يرُدُّه كراهية كاره».** هذا الحديث رواه أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي[(٤)] وأعلَّه

---

(١) في (ب): «بكمال».

(٢) في (ب): «معهم».

(٣) قول ابن القيم هذا في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٨٩).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٦٠) و(١٠/ ٤١)، والبيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (١/ ٥٢٥)، وضعَّف إسناده الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في «التيسير» ص (٤٢٢) ولكنه صحَّح معناه، وصحَّحه أيضًا الشيخ عبد الرحمن =

بمحمد بن مروان السُّدِّي[١]، وقال: «ضعيف»، وتمام هذا الحديث: «وإنَّه بحكمته[٢] جعل الرَّوح والفَرَحَ في الرِّضا واليقين، وجعل الهمَّ والحُزْنَ في الشَّكِّ والسَّخَطِ».

● **قوله: «إنَّ من ضعف اليقين»**، الضَّعف يضم ويحرك ضد القوة[٣]، قال ابن مسعود: اليقين: الإيمان كلُّه، والصَّبر نصف الإيمان[٤].

= ابن حسن في «فتح المجيد» (٢/ ٥٨٠) وله شاهد من حديث ابن مسعود أخرجه الطبراني في «الكبير» برقم (١٠٥١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١)، و(٧/ ١٣٠)، والله أعلم.

(١) في «التقريب» ص (٥٠٦): «متهم بالكذب من الثامنة».

(٢) في (ب): «بحكمه».

(٣) في (ط): «الضعف بفتح وسكون، وتضم ضاده مع سكون العين، وتحرك عينه مع فتح الضاد، ضدّ القوة».

(٤) قال في «فتح المجيد» (٢/ ٥٨٠)، ورواه الطبراني (٩/ ١٠٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٥٧): «رجاله رجال الصحيح».
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣٤)، والبيهقي في «الزهد» (١/ ٢٨)، وابن الجوزي كما في «العلل المتناهية» (٢/ ٨١٥) رقم (١٣٦٤).
قلت: علَّقه البخاري في «صحيحه» ص (٥) أول كتاب الإيمان، وأخرجه موقوفًا: وكيع في «الزهد» (٢/ ٤٥٦)، وقال المحقق: «رجاله ثقات»، والخطيب في «التاريخ» (١٣/ ٢٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤٦)، وصحَّحه. ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (١/ ١٩٠)، وصحَّح إسناده المحقق.
قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٦٣): «ولا يثبت رفعه». وانظر: «الضعيفة» رقم (٤٩٩)، وانظر تمام تخريجه في «الزهد» لوكيع (١/ ٤٥٦ . ٤٥٨ تحقيق الفريوائي)، وذهب في خلاصة القول إلى أنه صحيح موقوفًا، وضعيف مرفوعًا.
قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٣): «تنبيه: تعلَّق بهذا الأثر من يقول: إن الإيمان هو مجرَّد التصديق. وأجيب بأن مراد ابن مسعود: أن اليقين هو أصل =

● قوله: «أن ترضي النَّاس بسخط الله»، أي: أن تؤثر رضاهم على ما يرضي الله، وذلك إذا لم يقم بما بقلبه[(١)] من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من إيثار رضى المخلوق، بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرَّف في القلوب، وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشِّرك؛ لأنَّه آثر رضى المخلوق على رضى الله، وتقرَّب إليه بما يسخط الله، ولا يسلم من هذا إلَّا من سلَّمه الله [تعالى].

● قوله: «وأن تحمدهم على رزق الله»، أي: على ما وصل إليك من أيديهم، بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه، والله تعالى هو الذي كتبه لك ويسَّره لك، فإذا أراد [الله] أمرًا قيَّض[(٢)] له أسبابًا، ولا ينافي هذا حديث: «من لا يشكرُ النَّاسَ لا يشكرُ الله»[(٣)]، لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم؛ لحديث: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتَّى تروا أنَّكم قد كافأتموه**»[(٤)].

= الإيمان، فإذا أيقن القلب انبعثت الجوارح كلها للقاء الله بالأعمال الصالحة، حتى قال سفيان الثوري: لو أنَّ اليقين وقع في القلب كما ينبغي، لطار اشتياقًا إلى الجنة، وهربًا من النار» ا.هـ.

(١) في (ب) و(ج): «يقم بقلب»، وفي (هـ): «لم يقم بقلبه».

(٢) في (ج): «فيصير».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٢)، وأبو داود في «السنن» برقم (٤٨١١)، والترمذي في «الجامع» برقم (١٩٥٤) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد برقم (٢١٦)، وابن جرير في «تهذيب =

● **قوله: «وأن تذمَّهم على ما لم يؤتك الله»**؛ لأنَّه لم يقدِّر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قُدِّر لك لساقه القدر إليك. فمن علم أنَّ الله وحده هو المتفرِّد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته، وأنَّه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب، لم يسأل حاجته إلَّا من الله وحده، ولعلَّ ما مُنع من ذلك يكون خيرًا له، ويحسن الظَّنَّ بالله سبحانه ولا يرغب إلَّا إليه ولا يخاف إلَّا من ذنبه، وقد قرر هذا المعنى في الحديث بقوله: **«إنَّ رزق الله لا يجرُّه حِرْصُ حَرِيصٍ، ولا يردُّه كراهية كارهٍ»**.

قال شيخ الإسلام: «اليقين يتضمَّنُ القيام بأمر الله [تعالى] وما وعد الله به أهل طاعته، ويتضمَّن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله، لم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه، فإنَّه إنَّما يحمل الإنسان على ذلك إمَّا ميلٌ إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإمَّا ضعفُ تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النَّصر والتَّأييد والثَّواب في الدُّنيا والآخرة، فإنَّك إذا أرضيت[1] الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، وإرضاؤهم بما يُسخطه إنَّما يكون خوفًا منهم ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين[2]، وأما إذا لم يقدِّر لك ما تظن[3] أنَّهم يفعلونه معك، فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنَّه

= الآثار» برقم (١٠٤)، وأبو داود في «سننه» برقم (١٦٧٢) من طريق مجاهد عن ابن عمر به، وأوله: «من استعاذ بالله فأعيذوه..».

(١) في (ب): «رضيت».
(٢) في (ب): «الإيمان».
(٣) في (أ): ظن والتصويب من (هـ) و(ب).

ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يُقَدّر لك كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمَّهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حمد الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمَّه الله ورسوله منهم فهو المذموم»(١).

ودلَّ الحديث على أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأعمال من مسمَّى(٢) الإيمان.

وعن عائشة ﵂ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من التمسَ رِضى اللهِ بسخطِ النَّاسِ رضي الله عنه وأرضى عنه النَّاس، ومن التمسَ رِضَى النَّاسِ بسخطِ الله، سَخِطَ اللهُ عليه وأسخط عليه النَّاسَ» رواه ابن حبان في صحيحه.

● **قوله: وعن عائشة ﵂ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من التمسَ رِضى اللهِ بسخطِ النَّاسِ رضي الله عنه وأرضى عنه النَّاس، ومن التمسَ رِضَى النَّاسِ بسخطِ الله، سَخِطَ اللهُ عليه وأسخط عليه النَّاسَ» رواه ابن حبان في «صحيحه»**(٣).

● **قوله: «من التمس»**، أي: طلب، قال شيخ الإسلام: «وكتبت عائشة إلى معاوية، ويُرْوَى أنَّها رفعته: **«من أرضى الله بسخط النَّاس كفاه الله مؤنة النَّاس، ومن أرضى النَّاس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا»**، هذا لفظ المرفوع، ولفظ الموقوف: **«من أرضى الله**

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٥٢).
(٢) بياض في (هـ).
(٣) تقدَّم تخريجه ص (٤٤٧).

بسخط النَّاس رضي اللَّهُ عنه وأرضى عنه النَّاس، ومن أرضى النَّاس بسخط الله عاد حامده من النَّاس له ذامًّا». وهذا من أعظم الفقه في الدِّين، فإنَّ من أرضى الله بسخطهم كان قد اتَّقاه، وكان عَبْدَهُ الصَّالح، والله يتولَّى الصَّالحين، والله كافٍ عَبْدَه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلاق: ٢، ٣]، والله يكفيه مؤنة النَّاس بلا ريب، ومن أرضى النَّاس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا، كالظَّالم الذي يعضُّ على يديه، وأمَّا كون حامده ينقلب ذامًّا، فهذا يقع كثيرًا ويحصل في العاقبة، فإنَّ العاقبة للتَّقْوَى، لا تحصل[١] ابتداء عند أهوائهم». انتهى[٢].

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٥٢).
(٢) في «مجموع الفتاوى»: «لا يحصل».

٣٢ - باب

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: ٢٣].

قال أبو السَّعادات: «يقال: توكَّل بالأمر إذا ضمن القيام به»(١).

وأراد المصنِّف بهذه التَّرجمة بالآية بيان أنَّ التَّوكُّل فريضة يجب إخلاصه لله؛ لأنَّه من أجمع أنواع العبادة الباطنة، فإنَّ تقديم المعمول يفيد الحصر، فلا يحصل كمال التَّوحيد بأنواعه الثَّلاثة إلَّا بكمال التَّوكُّل على الله كما في هذه الآية.

قال الإمام أحمد: «التوكُّل عمل القلب»(٢).

قال ابن القيِّم في الآية المترجم بها: «فجعل التوكُّل على الله شرطًا في الإيمان، فدلَّ على انتفاء الإيمان عند انتفائه»(٣).

قال شيخ الإسلام: «وما رجا أحد مخلوقًا أو توكَّل عليه إلَّا

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٢١).

(٢) ذكره ابن القيم عن الإمام أحمد في «مدارج السالكين» (٢/ ١١٤)، وورد عن بعض العلماء قوله: «وإن التوحيد إذا تمَّ تمت المحبَّة والتَّوكّل، وسمِّي يقينًا، فالتوكل عمل القلب، والتوحيد قول العبد». «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٦).

(٣) «طريق الهجرتين» ص (٣٨٦).

خاب ظنُّه فيه، فإنَّه شرك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]. انتهى(١).

والتوكُّل قسمان: أحدهما التَّوكُّل في الأمور الَّتي لا يقدر عليها إلَّا الله - كالتَّوكُّل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطَّواغيت - فهذا شرك [أكبر] لا يغفره الله إلَّا بالتَّوبة منه.

وأمَّا التوكُّل على الأحياء الحاضرين والسُّلطان ونحوهم، فيما أقدرهم الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر، والمباح أن يوكِّل(٢) شخصًا بالنِّيابة عنه في التصرُّف فيما له التصرُّف فيه من أمور دنياه، كالبيع والشِّراء والإجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك، فهذا(٣) جائز بالإجماع، [لكن لا يقول: توكَّلت عليه، بل يقول: وكَّلته، فإنَّه لو وكَّله فلا بد أن يتوكَّل في ذلك على الله سبحانه(٤)](٥).

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] الآية.

● **قوله: وقول الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٥٧).
(٢) في (ج): «والمباح أنه إذا أراد أن يوكل..».
(٣) في (هـ): «فهو».
(٤) في (ج): «أن يقول: وكلتك، ولا يقول: توكلت عليك، فهذا جائز بالإجماع».
(٥) وانظر: «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٣١٦)، و«التيسير» للشيخ سليمان بن عبد الله ص (٤٢٩).

قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] الآية، قال ابن عبَّاس في الآية: المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكَّلون على الله، فلا[1] يُصَلُّون إذا غابوا. ولا يؤدُّون زكاة أموالهم، فأخبر الله تعالى أنَّهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] فأدَّوا فرائضه. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[2].

وقال السُّدِّي في قوله - [تعالى] -: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٥]: هو الرَّجل يريد أن يظلم، أو قال: يهمُّ بمعصية، فيقال له: اتَّقِ الله، فيجل قلبه. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير[3].

● قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، استدلَّ الصَّحابة والتَّابعون ومن تبعهم من أهل السُّنَّة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.

● قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢] أي: يعتمدون عليه، ويفوِّضون إليه أمورهم، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلَّا إيَّاه، وهو من أعظم الأسباب في حصول المطالب الدُّنيوية والأخروية.

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «ولا».

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٨٧٧٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٧)، وابن أبي حاتم برقم (٨٧٧٨)، وابن أبي شيبة والبيهقي وعبد بن حميد وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٢).

وفي الآية وصف المؤمنين حقًّا[(١)] بثلاث مقامات من مقامات الإحسان، تستلزم حصول أعمال الإيمان الواجبة والمستحبة.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤] الآية.

● قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤]، قال ابن القيِّم: «أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد»[(٢)]. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيميَّة[(٣)].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قال ابن القيِّم وغيره: «أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوِّه[(٤)]، ولا يضرُّه إلَّا أذى[(٥)] لا بدَّ منه، كالحرِّ والبرد والجوع والعطش، وأمَّا أن يضرَّه بما يبلغ به مراده فلا يكون أبدًا.

قال بعض السَّلف: جعل الله لكلِّ عمل جزاء من نفسه، وجعل

(١) في (أ) رسمت هكذا: «مقا» فكأن المصنف أراد أن يقول مقامات ثمَّ استدرك على نفسه لكنه فاته أن يضرب عليها، وكلمةً «حقًّا» لا تناسب السياق، والله أعلم.
(٢) «زاد المعاد» (١/ ٣٥).
(٣) «رسالة في تحقيق التوكل» ص (٨٨).
(٤) في (ط): «العدو».
(٥) في (هـ): «الأذى إلا ما».

جزاء التَّوكُّل عليه نفس كفايته، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣] [أي: كافيه]، فلم يقل: فله كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل سبحانه نفسه كافي عبده المتوكّل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكَّل العبدُ على الله حقَّ توكُّله وكادته السَّموات والأرض ومن فيهنَّ، لجعل [الله] له مخرجًا وكفاه ونصره». انتهى(١).

عن ابن عبَّاس قال: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣] قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النَّار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية. رواه البخاري.

● **قوله: وعن ابن عبَّاس قال:** ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النَّار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية. رواه البخاري(٢).

● **قوله:** ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ تقدَّم معناه.

● **قوله:** ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]، أي: نعم من توكَّل عليه المتوكِّلون، ومخصوص (نِعْمَ) محذوف تقديره: [أي] نعم الوكيل الله.

● **قوله: «قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النَّار».** قال تعالى:

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢٣٩ - ط دار الكتاب العربي).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٣).

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٨-٦٩] الآية.

● قوله: «وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣]»، وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أُحد، فمرَّ بهم ركب من عبد القيس، فقال [أبو سفيان]: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: هل أنتم مبلِّغون عني محمدًا رسالة؟ قالوا: نعم، قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنّا قد أجمعنا(١) السير إليه [وإلى أصحابه] لنستأصل بقيتهم.

فمرَّ الركبُ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد(٢)، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»(٣).

وفي الحديث: «إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل»(٤).

---

(١) في (ج): «جمعنا».

(٢) هو جبل أحمر جنوب المدينة على مسافة عشرين كيلًا. «المعالم الأثيرة في السنة والسيرة» ص (١٠٣).

(٣) انظر: «عيون الأثر» (٢/ ٥٧)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٧٢).

(٤) رواه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٧٣)، وقال عنه: «هذا حديث غريب من هذا الوجه». وانظر: «فيض القدير» (١/ ٤٥٤)، فقد ضعَّفه.
قلت: في إسناده أبو خيثمة مصعب بن سعيد، ضعَّفه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٦٢)، وصالح جزرة، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ١٧٥) وقال: «ربما أخطأ، يعتبر حديثه إذا روى عن الثقات، وبيَّن السماع في خبره؛ لأنَّه كان مدلِّسًا، وقد كفَّ في آخر عمره». اهـ. ولا بد من التصريح في جميع طبقات السند.

٣٣ - باب

قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾

[الأعراف: ٩٩]

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩].

أراد المصنِّف - رحمه الله [تعالى] - أنَّ الأمن من مكر الله يدلُّ على ضعف الإيمان، فلا يبالي صاحبه بما ترك من الواجبات، وفعل من المحرَّمات، لعدم خوفه من الله بما فعل أو ترك، وهذا من أعظم الذُّنوب، وأجمعها للعيوب.

ومعنى الآية: أنَّ الله تبارك وتعالى لمَّا ذكر حال أهل القرى المكذِّبين للرسل، بيَّن أنَّ الذي حملهم على ذلك، هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه، وذلك أنَّهم أمنوا مكر الله لمَّا استدرجهم بالسَّرَّاء والنِّعم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا.

قال الحسن: من وُسِّع عليه فلم يرَ أنَّه يُمكر به فلا رأي له(١).

وقال قتادة: بغت القوم أمر الله، وما أخذ قوم قطُّ إلَّا عند

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٧٢٩٣) قال: «ثنا أبي، ثنا سهل بن عثمان، ثنا الفزاري مروان بن معاوية، حدثني رجل من بني عجل كوفي، عن الحسن»، وأخرجه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧٠).

سلوتهم وغرَّتهم، فلا تغترُّوا بالله[(١)].

وقال إسماعيل بن رافع: من الأمن من مكر الله: إقامة العبد على الذّنب، يتمنّى على الله المغفرة. رواه ابن أبي حاتم[(٢)].

قوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحِجر: ٥٦]

• **قوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾** [الحِجر: ٥٦]، القنوط: استبعاد الفرج أو اليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلا الأمرين ذنب عظيم، ولما في القنوط من سوء الظَّنِّ بالله.

• **قوله: ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾** [الحِجر: ٥٦] أي: عن الهدى.

عن ابن عبَّاس ﵄: أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال: «الشِّرك بالله، واليأس من رَوْحِ الله، والأمن من مكرِ الله».

• **قوله: وعن ابن عبَّاس ﵄ أنَّ رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر، فقال: «الشِّرك بالله واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».** هذا الحديث رواه البزّار وابن أبي حاتم من طريق شبيب ابن بشر[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٧٢٩٤)، وأخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧٠).

(٢) في «تفسيره» برقم (٨٧٧٣).

(٣) أخرجه البزار برقم (١٠٦ ـ كشف الأستار)، والطبراني في «الأوسط» كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٠٢). =

قال ابن معين: ثقة. وليَّنه ابن أبي حاتم[1]. وقال ابن كثير: «وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا»[2].

● قوله: «الشِّرك بالله»، هو أكبر الكبائر، ولهذا بدأ به. قال ابن القيِّم رحمه الله [تعالى] -: «الشِّركُ هضم للرُّبوبيَّة، وتنقُّص للإلهية، وسوء ظن بربِّ العالمين». انتهى[3].

● قوله: «واليأس من روح الله»، أي: قطع الرَّجاء والأمل من الله [تعالى] فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظنٍّ بالله وجهل به وسعة[4] رحمته وجوده ومغفرته.

● قوله: «والأمن من مكر الله»، أي: من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك، وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنَّفس وعجب بها. وهذه الثَّلاث من أكبر الكبائر، وهي كثيرة جدًّا نسأل الله اجتنابها.

وذكر هذه الثلاث لجمعها للشرِّ كلِّه وبُعْدِها عن الخير كلِّه، وقد وقع فيها الكثير قديمًا وحديثًا. نسأل الله العافية في الدُّنيا والآخرة.

= وأخرجه ابن أبي حاتم برقم (٥٢٠١)، وحسَّنه السيوطي في «الدر المنثور». وشبيب بن بشر هو البجلي، يروي عن أنس بن مالك، يخطئ كثيرًا. انظر: «تاريخ ابن معين» رواية الدوري (٤/ ٨٥)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤/ ٣٥٧).

(١) في (ط): «وثَّقه ابن أبي حاتم» وهو خطأ.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٧).

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٦٠).

(٤) في الأصل وجميع النسخ كما هنا، ولعل الصواب: «وبسعة»، كما في (ط).

وعن ابن مسعود قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». رواه عبد الرزَّاق.

● **قوله: وعن ابن مسعود قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». رواه عبد الرزَّاق**(١).

● **قوله: «والقنوط من رحمة الله».**

قال أبو السَّعادات: «هو أشدُّ اليأس»(٢).

وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرَّجاء في حال الصِّحَّة فسد القلب، قال [الله] - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك: ١٢]، وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النُّور: ٣٧].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٥٥)، وفي «المصنف» (١٩٧٠١)، وابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٥٦) وغيرهم من طرق عن ابن مسعود، وقال ابن كثير في «تفسيره»: «وهو صحيح إليه بلا شك»، وكذلك صحَّحه الشيخ سليمان بن عبدالله في «التيسير» ص (٤٣٨).

(٢) «النهاية» (٤/ ١١٣).

٣٤ - باب

من الإيمان بالله: الصَّبرُ على أقدار الله

● قوله: «باب من الإيمان بالله الصَّبر على أقدار الله».

قال الإمام أحمد: ذكر الله الصَّبر في تسعين[(١)] موضعًا من كتابه[(٢)].

وفي الحديث الصَّحيح: «الصَّبر ضياء» رواه أحمد ومسلم[(٣)].

[و] قال عمر رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا بالصَّبر[(٤)]. رواه البخاري.

قال علي رضي الله عنه: إنَّ الصَّبر من الإيمان بمنزلة الرَّأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: إنَّه لا إيمانَ لمن لا صَبْرَ له[(٥)].

---

(١) ورد في (ط) في الحاشية: «وردت مادة (صبر) وما تفرع منها في القرآن في مئةٍ وثلاثة مواضع».

(٢) نقله عنه ابن القيم كما في «التفسير القيم» (٩٤)، وهو من جمع الشيخ محمد حامد الفقي. و«المدارج» (١/ ١١٠)، و«عدّة الصابرين» ص (٥٧).

(٣) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٤٣)، والإمام مسلم في «صحيحه» برقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٤) في (ج): «الصبر»، والأثر علّقه البخاري في «الصحيح» (١١/ ٣٠٣ - فتح)، وقد وصله الإمام أحمد في «الزهد» برقم (١١٧)، وابن المبارك في «الزهد» برقم (٣٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٠) قال الحافظ في «الفتح»: «بسند صحيح».

(٥) جزء من أثر أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢/ ١٩٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» برقم (١٥٦٩) وغيرهم.

واعلم أنَّ الصَّبر على ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به، وصبر عمَّا نهى الله عنه، وصبر على ما قدَّره الله من المصائب.

[زاد شيخ الإسلام: والصَّبر على الأهواء المخالفة للشرع].

قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، وأول الآية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١]

● **قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾** [التغابن: ١١]، وأوَّل الآية ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١]، أي: بمشيئته وإرادته، كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

قال علقمة: هو الرَّجل تصيبه المصيبة فيعلم أنَّها من عند الله فيَرْضَى ويُسَلِّم.

● **قوله: قال علقمة: هو الرَّجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنَّها من عند الله فيرضى ويُسَلِّم.** هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(١)، وروي عن ابن مسعود(٢).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير»، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٦٦)، وفي «الشعب» (٧/ ١٩٦) ثم قال: «وروى هذا عن عبد الله بن مسعود»، وأخرجه وكيع في نسخته عن الأعمش برقم (٥)، وغيرهم. وصحَّحه الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٤٤٢).

(٢) علقه البخاري ص (١٠٥٦) عن ابن مسعود معلقًا مجزومًا به.

وعلقمة: هو ابن قيس بن عبد الله النَّخعي الكوفي، ولد في حياة النَّبيِّ ﷺ، وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم، وهو من كبار التَّابعين وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد السِّتين(١).

وفي هذا الأثر دليل على أنَّ الأعمال من مسمَّى الإيمان، وفي الآية بيان أنَّ من ثواب الصَّبر هداية القلب.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في النَّاس هما بهم كفر: الطَّعن في النَّسب، والنياحة على الميت».

● قوله: وفي «صحيح مسلم»(٢): عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اثنتان في النَّاس هما بهم كفر: الطَّعن في النَّسب، والنياحة على الميت**»، أي: هما بالنَّاس كفر حيث كانتا من أعمال الجاهليَّة، وهما قائمتان بالنَّاس ولا يَسْلم منهما إلَّا من سلَّمه الله.

فأطلق الكفر على من قامت به خصلة من هاتين الخصلتين، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر، يصير كافرًا الكفر المطلق، كما أنَّه ليس من قام به(٣) شعبة من شعب الإيمان، يصير مؤمنًا

---

(١) انظر ترجمته في: «السير» (٤/ ٥٣).
(٢) برقم (٦٧).
(٣) في (ج): «به من».

الإيمان المطلق[١]، ففرَّق بين الكفر المعرَّف باللام[٢] كما في قوله: «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشِّرك إلَّا ترك الصَّلاة»[٣]، وبين كفر مُنكَّر في الإثبات[٤].

● قوله: «الطَّعن في النَّسب»، أي: عيبه ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه.

● قوله: «والنِّياحة على الميت»، أي: رفع الصَّوت بالنَّدب وتعداد فضائله، لما فيه من التَّسخُّط على قدر الله المنافي للصَّبر.

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «ليس منَّا من ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليَّة».

● قوله: ولهما عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «ليس منَّا من ضرب الخُدُودَ، وشَقَّ الجيوبَ، ودعا بدعوى الجاهليَّة»[٥].

● قوله: «من ضربَ الخدود»، قال الحافظ: «خصَّ الخدَّ لكونه الغالب، وإلَّا فضرب بقيَّة الوجه مثله»[٦].

● قوله: «ودعا بدعوى الجاهليَّة» قال شيخ الإسلام: «هو ندب

---

(١) هذا ضابط من ضوابط التكفير.
(٢) في (ب): «بالألف واللام»، وفي (ط): «كما أنه ليس الكفر المعرف باللام».
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٨٢) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.
(٤) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (٧٠).
(٥) أخرجه البخاري برقم (١٢٣٢)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٣).
(٦) «فتح الباري» (٣/ ١٦٤).

الميِّت»[١].

وقال ابن القيِّم: «الدُّعاء بدعوى الجاهليَّة كالدُّعاء إلى القبائل والعصبِيَّة، ومثله التعصُّب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض، يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه، فكل هذا من دعوى الجاهلية»[٢].

وقد يعفى عن الشيء اليسير من ذلك إذا[٣] كان صادقًا كما يُعفى عن البكاء إذا كان على غير وجه النوح والتسخُّط، نصَّ عليه أحمد[٤].

وعن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبدِه الخيرَ، عَجَّل له العُقوبةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ بعبدِه الشَّرَّ أمسك عنه بذنبِه، حتَّى يُوافِي به يوم القيامة».

● **قوله: وعن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبدِه الخيرَ، عَجَّل له العُقوبةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ بعبدِه الشَّرَّ أمسك عنه بذنبه[٥]، حتَّى يُوافِي به يوم القيامة».** هذا الحديث رواه التِّرمذي والحاكم وحسَّنه التِّرمذي[٦].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (٦٩).
(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٤٧١).
(٣) في (ج): «إذ».
(٤) انظر: «عدة الصابرين» لابن القيم ص (٨٦).
(٥) في (ح): «العقوبة بذنبه».
(٦) رواه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٣٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٨). وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٢٤٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ٢٩٢)، وغيرهم. قال في «التيسير» ص (٤٤٦): «وحسَّنه الترمذي». =

● **قوله: «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدُّنيا»**، قال شيخ الإسلام: «المصائب نعمة؛ لأنها مكفِّرات للذُّنوب، وتدعو إلى الصَّبر فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله - [تعالى] - والذُّلَّ له والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح.

فنفس البلاء يكفِّر الله به الخطايا، وهذا من أعظم النِّعم، فالمصائب رحمة ونعمة في حقِّ عموم الخلق، إلَّا أن يدخل صاحبها بسببها إلى معاصي أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون شرًّا عليه من جهة ما أصابه في دينه، فإنَّ من النَّاس من إذا ابتُليَ بفقر أو مرض أو جوع، حصل له من الجزع والنِّفاق ومرض القلب والكفر الظَّاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له ضررًا في دينه، فهذا كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة، لا من جهة نفس المصيبة، كما أنَّ من أوجبت له المصيبة صبرًا وطاعة، كانت في حقِّه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرَّبِّ ﷻ رحمة للخلق، والله تبارك وتعالى محمود عليها، فمن ابتلي فرزق الصَّبر كان الصَّبر عليه نعمة في دينه، وحصل له مع ما كفِّر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البَقَرَة: ١٥٧] وحصل له غفران السَّيِّئات، ورفع الدَّرجات، فمن قام بالصَّبر الواجب حصل له ذلك». انتهى

= وفي إسناده: سعد بن سنان قال الذهبي في موضع: «سعد ليس حجة». وفي آخر: «كأنه غير صحيح». وأخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن مغفَّل. وأخرجه ابن عدي عن أبي هريرة، والطبراني عن عمار بن ياسر، وحسَّنه السيوطي». اهـ.

ملخصًا[١].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمِ البلاء، وإنَّ الله تعالى إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السخط» حسَّنه التِّرمذي.

● قوله: وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمِ البلاء، وإنَّ الله تعالى إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السخط» حسَّنه التِّرمذي[٢].

● قوله: «[قال النَّبيُّ ﷺ]: إنَّ عظم الجزاء» - بكسر العين وفتح الظاء[٣] فيهما[٤] - ويحتمل ضمها[٥] مع سكون الظاء.

قال ابن القيِّم: «إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، إذا صبر واحتسب، فإنَّه حينئذٍ يثاب على ما تولَّد منها وهو ظاهر»[٦].

● قوله: «وإن الله [تعالى] إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم»، وفي الحديث: سُئِل النَّبيُّ ﷺ: أيُّ النَّاس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياءُ، ثم الأمثل فالأمثل، يُبْتَلى الرَّجُل على حَسَبِ دينه، فإن كان في دينِه

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٦).
(٢) رواه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٤٠٣١)، وحسَّنه الترمذي، وصحَّحه السيوطي. انظر: «فيض القدير» (١/ ٢٥٨).
(٣) في الأصل: «الضاد».
(٤) في (ب): «فيها».
(٥) في (هـ): «ضمهما».
(٦) لم أجده في كتب ابن القيم رحمه الله.

صلابة اشتدَّ عليه البلاءُ، وإن كان في دينِه رقَّة ابتُلي على قدر دينه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبد حتَّى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة».

رواه الدَّارمي وابن ماجه والتِّرمذي وصحَّحه[1].

● قوله: «فمن رضي فله الرِّضا» أي: من الله، «ومن سخط فله السّخط» كذلك[2].

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» برقم (٢٧٨٣)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٤٠٢٣)، والترمذي في «جامعه» (٢٣٩٨)، والإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٧٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٨١)، والشاشي في «مسنده» برقم (٦٩)، وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصحَّحه غيره.

(٢) في (ب): «أي من الله».

٣٥ - باب

مـــا جـــاء فـي الـرِّيـــاء

● قوله: «باب ما جاء في الرِّياء»، أي: من النَّهي عنه والتَّحذير.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] الآية.

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فُصِّلَت: ٦]، أي ليس لي من الرُّبوبيَّة ولا من الإلهيَّة شيء، بل ذلك كلُّه لله وحده لا شريك له، أوحاه إليَّ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، ويخافه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

قال شيخ الإسلام: «أمَّا اللِّقاء فقد فسَّره طائفة من السَّلف والخلف بما يتضمَّن المعاينة وقالوا: لقاء الله يتضمَّن رؤيته - سبحانه [وتعالى] - يوم القيامة»(١). وذكر الأدلَّة على ذلك.

قال ابن القيِّم في الآية: «أي كما أنَّه إله واحد لا إله إلَّا هو، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرَّد بالإلهيَّة يجب أن يُفرد بالعبوديَّة، فالعمل الصَّالح هو الخالص من الرِّياء، المقيَّد بالسُّنَّة». انتهى(٢).

---

(١) انظر: «الفتاوى» (٦/ ٤٨٨).

(٢) «الداء والدواء» ص (٩١).

فتضمَّنت الآية النَّهيَ عن الشِّركِ كلِّه، قليله وكثيره.

عن أبي هريرة مرفوعًا: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركتُه وشركَه». رواه مسلم.

● **قوله: «عن أبي هريرة مرفوعًا: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركتُه وشركَه». رواه مسلم»**[(١)].

● **قوله: «من عملَ عملًا أشركَ معي فيه غيري»**، أي: قصد بعمله غيري من المخلوقين[(٢)] **«تركتُه وشركَه»**. قال الطِّيبي: «الضمير المنصوب في قوله: «تركتُه [وشركَه]» يجوز أن يرجع إلى العمل»[(٣)].

قال ابن رجب: «واعلم أنَّ العمل لغير الله أقسام:

فتارة يكون رياءً محضًا كحال المنافقين، كما قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النِّساء: ١٤٢]، وهذا الرِّياء المحض لا يكادُ يصدُر من مؤمن في فرض الصَّلاة والصِّيام، وقد يصدر في فرض الصَّدقة الواجبة أو الحجِّ أو غيرهما من الأعمال الظَّاهرة، أو الَّتي يتعدَّى نفعها، فإنَّ الإخلاص فيها عزيز.

وهذا العمل لا يشكُّ مسلم أنَّه حابط، وأنَّ صاحبه يستحقُّ المقتَ

---

(١) في «صحيحه» برقم (٢٩٨٥).
(٢) في (ج): «الخلق».
(٣) «الكاشف عن حقائق السنن» (١٠/ ٥).

من الله والعقوبة.

وتارة يكونُ العمل لله ويشاركه الرِّياء، فإن شاركه [الرِّياء] من أصله، فالنُّصوص الصَّحيحة تدلُّ على بطلانه»[١]، وذكر أحاديث تدلُّ على ذلك.

منها: هذا الحديث، وحديث شدَّاد بن أوس مرفوعًا: «**من صلَّى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدَّق يرائي فقد أشرك، وإنَّ الله ﷻ[٢] يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، فمن أشرك بي شيئًا فإنَّ جدَّة عمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، وأنا عنه غني**». رواه أحمد[٣].

قال الإمام أحمد فيمن يأخذ جعلًا على الجهاد: «إذا لم يخرج لأجل الدَّراهم فلا بأس، كأنَّه خرج لدينه، فإن أعطي شيئًا أخذه»[٤]. ثم قال[٥]: «وأمَّا إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نِيَّة الرِّياء، فإن كان خاطرًا ثم[٦] دفعه فلا يضرُّه بغير خلاف، وإن [استرسل معه]

---

(١) جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٧).
(٢) في (ب): «تعالى».
(٣) في «المسند» (٤/ ١٢٥)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ١٧٨)، وأخرجه الطبراني مختصرًا في «الكبير» (٧/ ٢٨١) رقم (١٣٩) وغيرهم. قال في «المجمع» (١٠/ ٢٢١): «وفيه شهر بن حوشب، وثَّقه أحمد وغيره، وضعَّفه غير واحد، وبقيَّة رجاله ثقات».
(٤) انظر: «مسائل ابن هانئ» برقم (١٦٣).
(٥) أي ابن رجب.
(٦) في (ب): «و».

فهل يحبط عمله أو لا، ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك[١] خلاف[٢] بين العلماء من السَّلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجَّحا أنَّ عمله لا يبطل بذلك وأنَّه يُجازى بنيَّته الأولى، وهو مرويٌّ عن الحسن وغيره.

وعن أبي سعيد مرفوعًا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الشِّركُ الخَفِيُّ، يقوم الرَّجل فيصلِّي، فَيُزَيِّن صلاته لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد.

● **قوله: وعن أبي سعيد مرفوعًا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟» قالوا: بلى. قال: «الشِّركُ الخَفِيُّ، يقوم الرَّجل فيصلِّي، فَيُزَيِّن صلاته لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد**[٣].

● **قوله: «عن أبي سعيد»**، هو الخدري، وتقدَّم.

● **قوله: «الشِّرك الخفي»** سمَّاه خفيًّا؛ لأنَّه عمل قلب لا يعلمه

---

(١) في (ب): «فيه».
(٢) في (هـ): «اختلاف».
(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٤٢٠٤)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣٦٥)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» برقم (١١١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٣٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ٣٥) وغيرهم. وحسَّنه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٣٧). وقال الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٤٥٨): «وفي سنده ضعف، ومعناه صحيح».

إلَّا الله؛ ولأنَّ صاحبه يظهر أنَّ عمله لله وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله، ولا خلاف أنَّ الإخلاص شرط لصحَّة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة.

قال ابن القيِّم: «وأمَّا الشِّرك الأصغر كيسير الرِّياء، والتَّصنُّع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرَّجل للرَّجُل: ما شاء اللهُ وشئتَ، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله ثم[1] بك، وما لي إلَّا الله وأنت، وأنا متوكِّل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده». انتهى[2].

---

(١) كذا في (أ)، وفي جميع النسخ: «و»، ولعله الصواب.
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٤)، وانظر: «شرح المشكاة» للطيبي (١٠/ ١٢).

٣٦ - باب
من الشِّرك: إرادة الإنسان بعمله الدُّنيا

● قوله: «باب من الشِّرك إرادة الإنسان بعمله الدُّنيا».

أراد المصنِّف - رحمه الله [تعالى] - بهذه التَّرجمة وما بعدها، أنَّ العمل لأجل الدُّنيا، كالرِّياء في بطلان العمل إن استرسل معه، كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التَّعليم، كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم، ممن يقصد بعمله الصَّالح أمر دنيا، وقد وقع ذلك كثيرًا حتَّى إنَّ منهم من يحرص على سفر الجهاد لأجل ما يحصل له فيه من جهة أمير الجيش واجتماعه به، وأمره له ونهيه وقربه منه ونحو ذلك.

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥] الآيتين.

● قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥]، **الآيتين**، قال ابن عبَّاس: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ثوابها ﴿وَزِينَتَهَا﴾، أي مالها ﴿نُوَفِّ﴾ نوفِّر لهم ثواب ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بالصِّحَّة والسُّرور في المال والأهل والولد، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ لا ينقصون، ثم نسختها ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن

نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] الآية، رواه [النَّحَّاس][1] في «ناسخه».

وأخرج ابن جرير بسنده المتَّصل، عن شُفي بن ماتع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل ليقضيَ بينهم، وكلُّ أمَّةٍ جاثيةٌ، وأوَّل من يدعو[2] به رجل [قد] جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال.

فيقول الله - [تعالى] - للقارئ: ألم أُعلِّمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا ربِّ. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنتُ أقومُ آناء اللَّيلِ وآناء النَّهار. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قيل.

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أُوسِّع عليك حتَّى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا ربِّ. قال: فما عملت فيما

---

(١) في (أ) وجميع النسخ: «البخاري»، والصواب ما أثبت من «التيسير» ص (٤٦٢)، و«فتح المجيد» (٢/٦٢٦)، ورواية النحاس في «الناسخ والمنسوخ» له ص (٥٣١) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.
قال النحاس: «محال أن يكون ههنا نسخ؛ لأنَّه خبر. والنسخ في الأخبار محال، لو جاز النسخ فيها ما عرف حق من باطل ولا صدق من كذب، ولبطلت المعاني، ولجاز لرجل أن يقول: لقيت فلانًا، ثم يقول: نسخته ما لقيته» ا.هـ. كلامه.
والنحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر النحاس النحوي، لغوي مفسِّر، أديب، كان من أذكياء العالم، توفي سنة (٣٣٨هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٥/٤٠١).

(٢) في (ب): «يُدعى».

آتيتك؟ قال: كنت أصل الرَّحِم، وأتصدَّق. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردتَ أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقال له: في ماذا قُتِلْتَ؟ فيقول: أُمِرْتُ بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتَّى قُتِلْتُ. فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلان جريء، وقد قيل ذلك»، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: «يا أبا هريرة أولئك الثَّلاثة أوَّل خلق الله تسعَّر بهم يوم القيامة النَّار»(١).

---

(١) في (ب): «تسعر النار بهم يوم القيامة»، وفي (هـ): «تسعَّر بهم النار يوم القيامة».
والحديث أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦)، وأخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٣٨٢) وحسَّنه، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٧٩)، وصحَّح إسناده، وأقرَّه الذهبي، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ١١٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/ ١٣٥) برقم (٤٠٨)، وغيرهم كلهم من طريق عبد الله بن المبارك، قال: أنبأنا حيوة بن شريح، قال: حدثني الوليد بن أبي الوليد المدني، أن عقبة بن مسلم حدَّثه أن شفيًّا الأصبحي حدثه أنه دخل مسجد المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ قالوا: أبو هريرة، فدنوت منه... ثم ذكره.
وأخرج نحوه مسلم برقم (١٩٠٥) من طريق سليمان بن يسار قال: تفرَّق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ حدِّثنا حديثًا سمعتَه من رسول الله ﷺ، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول... وساقه بمثله.
وشُفي - مصغرًا - بن ماتع هو الأصبحي أبو عثمان المصري. تابعي ثقة، من ثقات المصريين، كان عالـمًا حكيمًا. مترجم في «التهذيب» (١٢/ ٥٤٣)، و«الإصابة» (٣/ ٣٩٩). توفي في خلافة هشام بن عبد الملك.

في «الصَّحيح» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعسَ عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة: إن أعطي رضي، وإن لم يعطَ سخط. تعسَ وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرَّة قَدَماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في السَّاقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشَفَّعْ».

● قوله: في «الصَّحيح» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعسَ عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة: إن أعطي رضي، وإن لم يعطَ سخط. تعسَ وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرَّة قَدَماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في السَّاقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشَفَّعْ».

● قوله: «في الصَّحيح»، أي: «صحيح البخاري»(١).

● قوله: «تعس»: هو بكسر العين ويجوز الفتح، أي: سقط. والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ(٢).

وقال أبو السَّعادات: «يقال: تعس يتعس إذا عثر وانكبَّ لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك»(٣).

---

(١) برقم (٢٨٨٧).
(٢) في «الفتح» (٦/ ٨٢) و(١١/ ٢٥٤).
(٣) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٩٠).

● **قوله**: «**تعس عبد الدِّينار، تعس عبد الدِّرهم**»، سمَّاه عبدًا له لكونه هو المقصود بعمله فصار عبدًا له؛ لأنَّه عبده بذاك العمل.

● **قوله**: «**تعس عبد الخميصة**»، قال أبو السَّعادات: «هي ثوب خزّ أو صوف معلَّم»(١).

والخميلة(٢) بفتح الخاء المعجمة، قال أبو السَّعادات: «ذات الخمل، ثياب لها خمل من أي شيء كان»(٣).

والمراد كل ما كان من الدُّنيا نقدًا كان أو عرضًا؛ لأنَّه ذكر النَّوعين.

قال أبو السَّعادات: «أي: انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة»(٤).

● **قوله**: «**وإذا شيك**»، أي: [إذا] أصابته شوكة «فلا انتقش»، أي: [إذا أصابته شوكة] فلا يقدر على إخراجها بالمناقيش(٥)، قاله أبو السَّعادات(٦).

قال شيخ الإسلام: «فسمَّاه النَّبيُّ ﷺ عبدَ الدينار والدِّرهم، وعبد القطيفة وعبدَ الخميصة، وذكر ما فيه وهو دعاء عليه بلفظ الخبر، وهو

---

(١) «النهاية» (٢/ ٨١).
(٢) في (ب): «الخميصة».
(٣) «النهاية» (٢/ ٨١).
(٤) «النهاية» (٥/ ١١٥).
(٥) في (هـ): «بالمنقاش».
(٦) في «النهاية» (٢/ ٥١٠).

قوله: «**تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»، وهذه حال من إذا أصابه شر[١] لم يخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال. وقد وُصف ذلك بأنَّه إن أُعطي رضي، وإن مُنع سخط، فرضاه لغير الله وسخطه لغير الله، وهكذا حال من كان متعلِّقًا برياسة أو صورة[٢]، ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبدُ ما يهواه من ذلك، وهو رقيقٌ له، إذ الرقُّ والعبودية في الحقيقة رقُّ القلب وعبوديته، فما استرقَّ القلب واستعبده فهو عبده..» إلى أن قال: «وهكذا أيضًا حال من طلب المال، فإنَّ ذلك يستعبده ويسترقُّه.

وهذه الأمور نوعان: فمنها ما يحتاج إليه العبد، كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه، من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا.

ومنها ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلِّق قلبه بها، فإذا تعلَّق قلبه بها صار مستعبدًا ومعتمدًا على غير الله [تعالى] فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التَّوكُّل على الله، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التَّوكُّل على غير الله[٣]، وهذا

(١) في (ب): «شيء».
(٢) في (ط): «صولة».
(٣) في (ب) و(هـ): «على غيره»، وفي (ج): «وشعبة من العبادة لغير الله».

أحقُّ النَّاس بقوله ﷺ: «**تعسَ عبدُ الدرهم، تعس عبدُ الدينار، تعسَ عبدُ الخميصة، تعسَ عبدُ الخميلة**». وهذا هو عبد لهذه الأمور، ولو[1] طلبها من الله، فإنَّ الله إذا أعطاه إيَّاها رضي، وإن منع[2] إيَّاها سخط، وإنَّما عبدُ الله من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحبَّ الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان». انتهى ملخصًا[3].

● **قوله: «طوبى لعبد»**، روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى قال: سمعتُ عبد الله بن لهيعة، ثنا درَّاج أبو السمح، أنَّ أبا الهيثم حدَّثه عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك. قال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**». قال له رجل: وما طوبى؟ قال: «**شجرةٌ في الجنة مسيرة مئة عام ثياب أهل الجنَّة تخرج من أكمامها**»[4].

وله شواهد في الصَّحيحين.

وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبِّه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا،

---

(١) في (أ): «فلو».

(٢) في (هـ): «وإن منعه».

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٨٠)، وكتاب «العبودية» ص (١٠١).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٧١)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٢٦)، و«الأوسط» برقم (٤٠٢) وغيرهما، والحديث حسَّنه ابن حجر في «الأمالي المطلقة» ص (٤٧).

قال وهب: إنَّ في الجنَّة شجرةً يقال لها: طوبى، يسير الراكب في ظلِّها مئة عام لا يقطعها، زهرها رياط، وورقها برود، وقضبانها عنبر، وحصباؤها[١] ياقوت، وترابها كافور، ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجالس أهل الجنَّة، فبينا هم في مجلسهم[٢] إذ[٣] أتتهم[٤] الملائكة من ربهم يقودون نُجُبًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حُسنِها، ووبرها كخزِّ المرعزي[٥] من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون: إنَّ ربنا أَرْسَلَنا إليكم لتزوروه وتسلِّموا عليه، قال: فيركبونها، قال: فهي أسرع من الطَّائر، وأوطأ من الفراش؛ نُجبًا من غير مهنة، يسير الرَّجل إلى جنب أخيه وهو يكلِّمه ويناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أُذُن صاحبتها، ولا برك[٦] راحلة برك الأخرى، حتَّى إنَّ الشجرة لتتنحَّى عن طريقهم لئلَّا تفرِّق بين الرَّجل وأخيه.

قال: فيأتون إلى الرَّحمن الرَّحيم، فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتَّى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهمَّ أنت السَّلام، ومنك السَّلام، وحقَّ لك الجلال والإكرام.

---

(١) في (ط): «بَطْحَاؤُها».
(٢) في (ج): «مجالسهم».
(٣) في (ب): «إذا».
(٤) في (ب) و(ج): «أتاهم».
(٥) في (أ) الزعري والتصويب من (ط) و«التفسير» ابن كثير (٢/ ٥١٤).
(٦) في (ب): «تبرك»، وفي (ج): «ترك».

قال: فيقول - تبارك وتعالى - عند ذلك: «أنا السَّلام، ومنِّي السَّلام، وعليكم حقَّت رحمتي ومحبَّتي. مرحبًا بعبادي الذين خشوني[١] بالغيب، وأطاعوا أمري[٢]»، قال: فيقولون: ربَّنا إنَّا لم نعبدك حقَّ عبادتك، ولم نقدُرْك حقَّ قدرك، فَأْذَنْ لنا بالسُّجود قُدَّامك.

قال: فيقول الله: «إنَّها ليست دار عبادة ولا نصب، ولكنَّها دار ملك ونعيم، وإنِّي قد رفعت عنكم نَصَبَ العبادة، فَسَلُوْنِي ما شئتم، فإنَّ لكل رجل منكم أُمنيَّته» فيسألونه حتَّى إن أقصرهم أمنيَّة ليقول: رب تنافس أهل الدُّنيا في دنياهم فتضايقوا، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها[٣] إلى أن انتهت الدُّنيا.

فيقول الله - تعالى -: «لقد قَصُرَتْ بك أمنيَّتُكَ، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك منِّي لأنَّه ليس في عطائي نكد ولا تصريد[٤]. قال: ثم يقول: «اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيُّهم ولم يخطر لهم على بال[٥]، قال: فَيعرضون عليهم حتَّى يقصر بهم أمانيُّهم الَّتي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرَّنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قُبَّة من ذهب مفرَّغة، في كلِّ قبة منها فرش من فرش الجنَّة مظاهرة، في كل قُبَّة منها

(١) في (هـ): «يخشوني».
(٢) في (ب) و(ج): «وأطاعوني».
(٣) في (ب): «خلقها».
(٤) في (ب): «قيصر»، وفي هامش الأصل و(ج): «أي: قطع». وفي الهامش من النسخة (ب): أي قط، وفي (ط): «ولا قِصَر يد».
(٥) في (ب): «ببال».

جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنَّة، وليس في الجنَّة لون إلَّا وهو فيهما، ولا طيب إلَّا قد عبق بهما، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القُبَّة حتَّى يظنَّ من يراهما أنَّهما دون القبَّة، يرى مخّهما[١] من فوق[٢] سوقهما، كالسِّلك[٣] الأبيض في ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صحابته، كفضل الشَّمس على الحجارة أو أفضل، ويرى لهما مثل ذلك، ثم يدخل إليهما فيحيِّيانه ويقبِّلانه ويعانقانه، ويقولان له: والله ما ظننَّا أنَّ الله يخلق مثلك، ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفًّا في الجنَّة، حتَّى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته الَّتي أعدَّت له[٤].

• **قوله: «أشعث»** مجرور بالفتحة؛ لأنَّه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل[٥]، و«رأسه» مرفوع على الفاعلية، وهو طائر الشَّعر، أشغله الجهاد في سبيل الله عن التَّنعُّم بالادّهان وتسريح الشَّعر.

• **قوله: «مغبرَّة قدماه»** هو بالجر صفة ثانية لعبد.

• **قوله: «إن كان في الحراسة»** أي [في] حماية[٦] الجيش عن أن

---

(١) في (ب): «محبها».

(٢) في (ب): «دون».

(٣) في (ب): «كالمسك».

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٤٣٩)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٤٨٨)، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦٤٥)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٢٥ - ط دار الفكر)، وفيه زيادة، ثم قال ابن كثير: «وهذا سياق غريب وأثر عجيب، ولبعضه شواهد».

(٥) في (هـ): «للوزن والفعل».

(٦) في (ط): «حامية».

يهجم العدوُّ عليهم.

● **قوله: «كان في الحراسة»** أي: غير مقصِّر فيها ولا غافل.

● **قوله: «وإن كان في السَّاقة كان في السَّاقة»**، أي: في مؤخّرة الجيش، يقلب نفسه في مصالح الجهاد وبما فيه حفظ المجاهدين من عدوِّهم.

قال الخلخالي[(١)]: «المعنى: ائتماره بما أمر، وإقامته حيث أقيم[(٢)]، لا يفقد من مكانه. وإنَّما ذكر الحراسة والسَّاقة لأنَّهما أشدُّ مشقَّة».

● **قوله: «إن استأذن لم يؤذن له»**، أي: إن استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له؛ لأنَّه لا جاه له عندهم ولا منزلة؛ لأنَّه ليس من طلَّابها، وإنَّما يطلب ما عند الله.

● **قوله: «وإن شفع لم يشفع»**، يعني لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبُّه الله ورسوله لم تقبل له شفاعة[(٣)] عند الأمراء ونحوهم.

وعن عثمان ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**حَرْسُ ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها**»[(٤)]. وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك [محمد بن إبراهيم

---

(١) قول الخلخالي في «عمدة القاري» (١٤/ ١٧٢).

(٢) الكلمة في (أ) غير واضحة.

(٣) في (ب): «شفاعته».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٨١) وغيرهما. وانظر: «فتح المجيد» (٢/ ٦٣٩).

ابن أبي سكينة قال: أملى علي عبد الله بن المبارك] هذه الأبيات بطرسوس[١]، وواعده بالخروج، وأنشدها معه[٢] إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومئة:

يـا عـابـدَ الـحـرمـيـنِ لـو أبْـصَـرْتَـنـا
لـعـلـمـتَ أنَّـك فـي الـعـبـادةِ تـلـعـبُ
مَـنْ كـان يـخـضـبُ خـدَّهُ بـدُمـوعِـهِ
فـنـحـورُنـا بـدمـائِـنـا تـتـخـضَّـبُ
أو كـان يُـتـعِـبُ خـيـلَـهُ فـي بـاطـلٍ
فـخـيـولُـنـا يـومَ الـصَّـبـيـحـةِ تـتـعـبُ
ريـحُ الـعـبـيـرِ لـكـم ونـحـنُ عـبـيـرُنـا
رَهَـجُ الـسَّـنـابِـكِ والـغـبـارُ الأطـيـبُ
وَلـقـدْ أتـانـا مـن مـقـالِ نـبـيِّـنـا
قـولٌ صـحـيـحٌ صـادقٌ لا يـكـذبُ
لا يـسـتـوي وغُـبـار خـيـلِ اللهِ فـي
أنـفِ امـرئٍ ودُخـانُ نـارٍ تـلـهـبُ
هـذا كـتـابُ اللهِ يـنـطـقُ بـيـنَـنـا
لـيـس الـشَّـهـيـدُ بـمـيِّـتٍ لا يَـكـذبُ

قال: ثم لقيت الفضيل [بن عياض] بكتابه في المسجد الحرام،

---

(١) مدينة بثغور الشام، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ٢٨).

(٢) في «طبقات الشافعية الكبرى»: «وأنفذها معي».

فلمَّا قرأه ذرفت عيناه فقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني[(١)].

ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم، قال لي: اكتب هذا الحديث [كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا]، وأملى عليَّ الفضيل بن عياض: حدَّثنا[(٢)] منصور بن المعتمر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، علِّمني عملًا أنالُ به ثواب المجاهدين في سبيل الله. فقال: «**هل تستطيعُ أن تصلِّي فلا تفتر، وتصومَ فلا تفطر**»؟ فقال: [لا] يا رسول الله، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النَّبيُّ ﷺ: «**فوالَّذي نفسي بيده لو طوِّقتَ ذلك ما بلغتَ فضل المجاهدين في سبيل الله، أما علمت أنَّ فرس المجاهد ليستنّ في طِوَلِهِ فيكتب له بذلك حسنات**»[(٣)].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ٢٠١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٨/ ٣٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١٢) وفيه: سنة سبع وسبعين ومئة، والقصة لا تصح سندًا، ومنكرة متنًا، فهي من طريق أبي المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني، متهم بوضع الحديث. انظر: «ميزان الاعتدال» (٥/ ٥٤)، و«تاريخ بغداد» (٥/ ٤٦٦).
وأما متنًا، فالمعروف أن عبد الله بن المبارك كان يجلُّ شيخه ولا يحتقره. انظر: «تهذيب الكمال» (١٥/ ١٠٥)، فكيف يقول فيه: إنك في العبادة تلعب، ثم المعروف ممن ترجموا للفضيل بن عياض أنهم أثنوا عليه في عبادته وزهده وصدقه والرواية عنه، فكيف تقال فيه مثل تلك الأبيات؟! والله أعلم.

(٢) كتبت في (أ): «ثنا».

(٣) قوله: طِوَله، الطِّوَل: الحبل الطويل الذي يُشدُّ في يد الفرس حتى لا تذهب. «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٤٥).
والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٧٨٥)، ومسلم برقم (١٨٧٨).

٣٧ - باب

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّم الله فقد اتَّخذهم أربابًا مِن دون الله

● قوله: «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّم الله فقد اتَّخذهم أربابًا مِن دونِ الله».

فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وقال ابن عبَّاس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السَّماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

● قوله: وقال ابن عبَّاس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السَّماء، أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر. [وقال أيضًا: أراهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر[(١)]].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] عن ابن أبي مليكة، أنَّ عروة بن الزبير

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٣٧)، وابن حزم في «حجة الوداع» ص (٣٥٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٢٠٧). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٢١٥)، و«زاد المعاد» (٢/ ١٩٥) وغيرهما.

(٢) كذا، وهو خطأ فليس هذا من مسلم، بل نقله أحدهم من «زاد المعاد» (٢/ ٢٠٦) ورأى في السند: أبو مسلم فظن أنه في صحيح مسلم. وانظر «مسند أحمد» (١/ ٢٥٢).

قال لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ يأمر النَّاس بالعمرة في هذا العشر، وليس فيها عمرة، فقال عروة: فإنَّ أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك، فقال الرَّجل: من هاهنا هلكتم، ما أرى الله إلَّا سيُعذِّبكم، أُحدِّثكم عن رسول الله ﷺ!! وتخبروني بأبي بكر وعمر][(١)].

قال الإمام الشَّافعي - رحمه الله [تعالى] -: «أجمع العلماء على أنَّ من استبانت له سنَّة رسول الله ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد»[(٢)].

وقال الإمام مالك - رحمه الله [تعالى] -: ما منَّا إلَّا رادّ ومردود عليه، إلَّا صاحب هذا القبر ﷺ[(٣)].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما رفعه: «**ليس أحد إلَّا يؤخذ من قوله ويُدع، غير النَّبيِّ ﷺ**»[(٤)].

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس في (أ) وباقي النسخ إلا في (ج).
(٢) «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).
(٣) في (ج): «يعني محمد ﷺ»، وقول مالك في «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٩٣).
(٤) أخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» (١١/ ٣٢٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٤٣٠): «رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله موثقون». قلت: وهذا ليس تصحيحًا من الهيثمي، كما أنَّ شيخ الطبراني وهو البزار يخطئ كثيرًا في المتن والإسناد، كما نقل ذلك ابن حجر في «اللسان» (١/ ٢٣٧)، فلعلَّ هذا من خطئه، فإنَّ حديثًا بهذا المعنى يفوت على أصحاب الدواوين ولا يذكرونه ولو معلَّقًا أو موقوفًا على ابن عباس، ففي النفس منه شيء. والعبارة معروفة من كلام مالك الذي أخذه عن شيخه ربيعة رحمهما الله. وقد روي موقوفًا على غير ابن عباس، والله أعلم.

وقال [الإمام] أحمد بن حنبل: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحَّته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النُّور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشِّرك، لعلَّه إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

● **قوله: «وقال [الإمام] أحمد بن حنبل: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحَّته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النُّور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشِّرك، لعلَّه إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»**(١).

قال الإمام أحمد: نظرتُ في المصحف فوجدتُ طاعةَ الرَّسولِ في ثلاث وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النُّور: ٦٣](٢).

وسفيان هو الثوري الإمام الزاهد العابد الثِّقة الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون عنه، ومذهبه مشهور(٣).

وقد عمَّت البلوى بهذا المنكر الذي أنكره الإمام أحمد، خصوصًا

(١) تقدَّم ص (١١٥).
(٢) ذكره عنه الفضل. رواه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ٢٦٠)، وانظر: «الصارم المسلول» لشيخ الإسلام (٢/ ١١٦).
(٣) انظر ترجمته في: «السير» (٧/ ٢٢٩).

فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتَّدريس، وزعموا أنَّه لا يأخذ بأدلَّة الكتاب والسُّنَّة إلَّا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع، وقد أخطأوا في ذلك، وقد استدلَّ الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - بقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك»(١)، على أنَّ الاجتهاد لا ينقطع.

وحكى ابن عبد البر الإجماع على أنَّ المقلِّد لا يكون من أهل العلم، والأئمة لم يقصِّروا في البيان؛ بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السُّنَّة(٢).

قال أبو حنيفة: «إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرَّأس والعين، وإذا جاء عن الصَّحابة ﷺ فعلى الرَّأس والعين، وإذا جاء عن التَّابعين، فنحن رجال وهم رجال»(٣).

وقال: «إذا قلت قولًا وكتابُ الله يخالفه، فَاتْرُكُوا قولي لكتاب الله [تعالى]، قيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ، قيل: إذا كان قول الصَّحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصَّحابة»(٤).

---

(١) تقدم تخريجه ص (٣٦٥).

(٢) جامع بيان العلم وفضله» له (٢/ ٩٩٣)، وقد اختصره المؤلف.

(٣) رواه البيهقي في «المدخل» رقم (٤٠)، وقال السمعاني في «قواطع الأدلة» (١/ ٣٧١): «وهذا قول ثابت عنه».

(٤) «إيقاظ الوسنان» للسنوسي كما في «الصوارم والأسنة في الذبّ عن السنة» لمحمد ابن أبي مدين الشنقيطي ص (١٧٥ - ط دار الكتب العلمية)، والشوكاني في «القول المفيد» ص (٥٤).

وقد تقدَّم كلام(١) الإمامين مالك والشَّافعي، فعلى من اشتغل بمصنَّفات أهل مذهبه أن ينظر(٢) في أقوال المخالفين وما استدلُّوا به، فيكون متَّبِعًا للدَّليل مع من كان معه(٣). وبالله التَّوفيق.

عن عدي بن حاتم أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية، فقلت له: إنَّا لسنا نعبدهم. قال: «أليس يُحرِّمُون ما أَحَلَّ الله، فتُحرِّمونَه، ويُحِلُّون ما حرَّم الله، فتُحِلُّونه؟» فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم». رواه أحمد والتِّرمذي وحسَّنه.

● **قوله: عن عدي بن حاتم أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية، فقلت [له]: إنَّا لسنا نعبدهم. قال: «أليس يُحرِّمُون ما أَحَلَّ الله، فتُحرِّمونَه، ويُحِلُّون ما حرَّم الله، فتُحِلُّونه؟» فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم». رواه أحمد والتِّرمذي وحسَّنه(٤).**

● **قوله: «عن عدي بن حاتم»**، أي: الطَّائي المشهور بالسَّخاء والكرم. قدم عدي على رسول الله ﷺ في شعبان، سنة تسع من

---

(١) في (ط): «قول».
(٢) في (ج): «ينظروا».
(٣) وهذا من أوضح البيان في أنَّ الشيخ وجدَّه الإمام متَّبِعان للدليل والحجة، وليسا مقلِّدَين كما يثار ويزعم.
(٤) تقدَّم تخريجه ص (١٨٣).

الهجرة، فأسلم وعاش مئة وعشرين سنة[١].

وقد أشار المصنِّف [رَحِمَهُ اللهُ تعالى] بترجمة الباب إلى هذا الحديث وما في معناه [وفيه دليل][٢] على أنَّ طاعة الأحبار والرُّهبان في معصية الله، عبادة لهم من دون الله.

قال شيخنا في المسائل[٣]: «فتغيَّرت الأحوال وآلت إلى هذه الغاية، فصار عند الأكثر عبادة الرُّهبان، هي أفضل الأعمال ويسمُّونها ولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيَّرت الحال إلى أن عُبِدَ من ليس من الصَّالحين، وعُبد بالمعنى الثَّاني من هو من الجاهلين».

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلَّة العالم، وجدال المنافق بالكتاب [والسُّنَّة]، وحكم الأئمَّة المضلِّين، رواه الدارمي[٤].

جعلنا الله وإيَّاكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، فكم ضلَّ من ضلَّ، وزلَّ من زلَّ.

---

(١) انظر ترجمته في «الإصابة» (٤/ ٤٦٩).

(٢) في (أ): «وفي هذا الحديث».

(٣) المسألة الخامسة من هذا الباب من كتاب التوحيد ص (١٠٠).

(٤) تقدَّم ص (٣٦١).

٣٨ - باب

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] الآيات

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] الآية.

قال العماد ابن كثير: «والآية ذامَّة لمن عدل عن الكتاب والسُّنَّة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطَّاغوت هاهنا»(١).

وكلُّ من عبد شيئًا دون الله(٢) بأيِّ نوعٍ كان من أنواع العبادة، كالدُّعاء والاستغاثة فإنَّما عبدَ الطَّاغوت، فإن كان المعبود صالحًا، كانت عبادة العابد له واقعة على الشَّيطان الذي أمره بعبادته وزيَّنها له، كما قال - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨، ٢٩] والآية بعدها، وكقوله - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٤٦ - ط طيبة).

(٢) في (ج): «من عبد شيئًا من دون الله».

أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سَبَإ: ٤٠، ٤١]، وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه كالطَّواغيت، أو كان شجرًا أو حجرًا أو قبرًا، كاللَّات والعزَّى ومناة وغير ذلك، مما كان يَتَّخذِه المشركون لهم[١] أصنامًا على صور الصَّالحين أو[٢] الملائكة أو غير ذلك، فهي من الطَّاغوت الذي أمر الله تعالى عباده أن يكفروا به ويتبرَّأوا منه، ومن عبادة كل معبودٍ سوى[٣] الله كائنًا من كان.

فالتَّوحيد: هو الكفر بكلٍّ ما عُبِد من دون الله، كما قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزّخرُف: ٢٦، ٢٧] الآية، فلم يستثنِ من كل معبود إلَّا الذي فطره - سبحانه [وتعالى] -.

وهذا معنى لا إله إلَّا الله كما تقدَّم، وكما في قوله [تعالى]: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [المُمتَحنَة: ٤].

وكذلك من خالف حكم الله ورسوله، بأن حكم بين النَّاس بغير ما أنزل الله، أو مع الجهل بذلك، أو طلب ذلك أن يتبع عليه، أو أطاعه فيما لا يعلم أنَّه حق[٤] أم لا، فهو طاغوت بلا ريب، كما قال

(١) في (ب) و(ج) و(د): «المشركون يتخذونه لهم».
(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(ط): «و».
(٣) في (أ): «ومن عبادة كل معبود سواه . . .» إلخ.
(٤) في (هـ) بعدها: «إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقًّا أم لا».. إلخ.

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]؛ لأنَّ الكفر بالطَّاغوت ركن التَّوحيد، كما في آية «البقرة»، فإذا لم يحصل هذا الرُّكن لم يكن قد نفى ما نفته لا إله إلَّا الله.

● قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠] أي: [بعيدًا] عن الهدى، ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأوَّل: أنَّه من إرادة الشَّيطان.

الثَّاني: أنَّه ضلال.

الثَّالث: تأكيده بالمصدر.

الرَّابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أنفعه لمن تدبره، وما أبلغه وما أدلَّه على أنَّه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلَّغه عبده الصَّادق الأمين صلوات الله وسلامه عليهما.

● قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١]؛ فإنَّ المنافق يكره الحقَّ وأهله، ويهوى ما يخالفه من الباطل، وهذه حال أهل النفاق.

قال العلَّامة ابن القيِّم [رحمه الله]: «هذا دليل على أنَّ من دُعي إلى تحكيم(١) الكتاب والسُّنَّة فأبى، أنَّه من المنافقين»(٢).

---

(١) في (ب): «حكم».
(٢) انظر: «المدارج» (١/ ٣٥٣).

قلت: فما أكثرهم لا كثَّرهم الله.

قال: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ [التوبة: ٣٤] لازم، وهو بمعنى يعرضون؛ لأنَّ مصدره صدودًا[(١)]، فما أكثر من اتَّصف بهذا الوصف خصوصًا من يدَّعي العلم، فإنَّهم صدُّوا عمَّا توجبه الأدلَّة، من كتاب الله وسنَّة رسوله، إلى أقوال من يخطئ كثيرًا وينتسب إلى مذهب من مذاهب الأربعة، **في تقليدهم من لا يجوز تقليده فيما يخالف الدَّليل، فصار المتَّبع للرسول ﷺ بين أولئك غريبًا، وقد عمَّت البلوى بهذا.**

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ [البَقَرَة: ١١].

● قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ [البَقَرَة: ١١]. قال أبو العالية في الآية: يعني لا تعصوا في الأرض؛ لأنَّ من عصى الله في الأرض، أو أمر بمعصية الله، فقد أفسد في الأرض؛ لأنَّ صلاح الأرض والسماء إنَّما هو بطاعة الله ورسوله[(٢)].

ومناسبة الآية للترجمة: أنَّ التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض، وفي الآية التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوى[(٣)].

---

(١) في (ج): «مصدودًا».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم (١٢١)، والطبري في «التفسير» رقم (٣٤٠).

(٣) انظر: «فتح المجيد» (٢/ ٦٥٩).

قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

● قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، قال أبو بكر بن عياش(١) في الآية: إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، **فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ، فهو من المفسدين في الأرض**(٢).

قال ابن القيِّم: «قال أكثر المفسِّرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدُّعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إيَّاها ببعث الرُّسل وبيان الشَّريعة والدُّعاء إلى طاعة الله، فإنَّ عبادة غير الله والدَّعوة إلى غيره والشِّرك به هو أعظم فساد في الأرض؛ **بل فساد الأرض في الحقيقة إنَّما هو بالشِّرك والدَّعوة إلى غير الله، وإقامة معبودٍ غيره ومُطاع ومُتَّبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلَّا أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع، والدَّعوة له لا لغيره، والطَّاعة والاتِّباع لرسوله ليس إلَّا**. وغيره إنَّما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة، ومن تدبَّر أحوال العالم(٣) وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل فتنة في العالم

---

(١) هو ابن سالم الأسدي الكوفي، المقرئ، مشهور بكنيته، والأصح أنها اسمه، ثقة عابد، إلا أنَّه لما كبر ساء حفظه. (ت ١٩٤هـ). «التقريب» ص (٦٢٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم (٨٦٠١)، وعزاه في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٦) لأبي الشيخ.

(٣) في (ج): «العلم».

وبلاء وشر وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله والدَّعوة إلى غير الله ورسوله». انتهى(١).

ومما ذكرنا يتبيَّن مطابقة الآية للترجمة(٢).

قوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ﴾ [المائدة: ٥٠] الآية.

● **قوله:** «وقوله(٣): ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ﴾ [المائدة: ٥٠] الآية».

قال ابن كثير: «ينكر - [تعالى] -(٤) على من خرج عن حكم الله - [تعالى] - المشتمل على كل خير والنَّهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، الَّتي وضعها الرِّجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهليَّة يحكمون به من الجهالات والضَّلالات، وكما يحكم به التّتار من السِّياسات المأخوذة عن جنكيزخان(٥) الذي وضع لهم كتابًا(٦) مجموعًا من أحكام اقتبسه

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ١٧).

(٢) وهو: أنّ التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي، فلا صلاح لها إلَّا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّساء: ١١٥] «فتح المجيد» للمؤلف (٢/ ٦٦١).

(٣) في (هـ): «قول الله تعالى».

(٤) ما بين المعقوفتين ليس في (أ) والسياق يقتضيها.

(٥) في (ب) و(ج) و(د): «جنكخان»، وفي (هـ): «جنكسخان».

(٦) وهو «الياسق».

من شرائع شتَّى، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، وصار في بنيه شرعًا يقدِّمونه على الحكم بالكتاب والسُّنَّة، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتَّى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير»(١).

● قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]؟ استفهام إنكار، أي: لا حكم أحسن من حكمه، وهذا من باب استعمال أفعل التَّفضيل فيما ليس له في الطَّرف الآخر مشارك، أي: ومَنْ أعدل من الله حكمًا لمن عقل عن الله شرعه، وآمن وأيقن أنَّه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده، القادر على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتَّى يكونَ هواه تَبعًا لما جئتُ به» قال النَّووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحُجَّة» بإسناد صحيح.

● **قوله: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتَّى يكونَ هواه تَبعًا لما جئتُ به» قال النَّووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحُجَّة» بإسناد صحيح.**

هذا الحديث رواه الشَّيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٢٣).

الشَّافعي(١) في كتاب «الحُجَّة على تارك المحجَّة»(٢) بإسنادٍ صحيح كما قاله المصنِّف عن النووي(٣)، ورواه الطَّبراني وأبو بكر بن عاصم(٤) والحافظ أبو نعيم في «الأربعين» الَّتي شرط لها أن تكون في صحاح الأخبار(٥).

وشاهده في القرآن [كما] قال - تعالى -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠] ونحو هذه الآيات.

● **قوله: «حتَّى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به»**، الهوى بالقصر أي:

---

(١) هو نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود المقدسي أبو الفتح الشافعي، نزيل دمشق. توفي سنة (٤٩٠هـ). «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٣٥١).

(٢) (١/ ٣١ رقم ٢٥) ط. أضواء السلف، وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص (٣٨٧ ط دار المعرفة): «هو كتاب الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة، يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة».

(٣) في «الأربعين النووية» الحديث رقم (٤١).

(٤) كذا في جميع النسخ و«جامع العلوم والحكم»، وجاء في بعض طبعات «جامع العلوم والحكم»: «أبو بكر بن أبي عاصم»، وهو الصواب.

(٥) رواه الطبراني، وأبو نعيم كما في «جامع العلوم» ص (٣٨٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٥) وغيرهم.

ما تهواه وتحبه نفسه وتميل إليه، فإن كان الذي يحبُّه وتميل [إليه] نفسه[(١)]، ويعمل به تابعًا لما جاء به الرَّسول ﷺ لا يخرج عنه إلى ما يخالفه، فهذه صفة أهل الإيمان المطلق الذي يوجب لصاحبه الجنَّة والنَّجاة من النَّار، وإن كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله أو أكثرها، انتفى عنه من الإيمان كماله والواجب[(٢)]، فيطلق عليه مؤمن بقيد، [لنقص إيمانه] بالمعصية[(٣)] كما في حديث أبي هريرة ﷺ: «**لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السَّارق حين يسرق وهو مؤمن**»[(٤)]، فيكون مسلمًا ومعه مطلق الإيمان الذي لا يصحُّ إسلامه إلَّا به، وهو التَّوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر، وهذا هو الذي يذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، فإنَّ الخوارج يكفِّرون بالذُّنوب، والمعتزلة لا يطلقون عليه الإيمان، ويقولون بتخليده في النَّار، وكلا الطَّائفتَين ابتدع في الدِّين، وترك ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨]، فقيد مغفرة ما دون الشِّرك بالمشيئة، وتواترت الأحاديث، بما يحقِّق ما ذهب إليه أهل السُّنَّة، فقد أخرج البخاري وغيره عن أنس ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يخرج من النَّار من قال: لا إله إلَّا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النَّار من قال: لا إله إلَّا الله وفي قلبه وزن برَّة من خير،

(١) في (ب): «وتميل نفسه إليه»، وفي (ج): «وتميل إليه نفسه».
(٢) في (ج) و(هـ): «كماله الواجب»، وكذا في (أ).
(٣) في (أ) وباقي النسخ: «المعصية».
(٤) رواه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧).

ويخرج من النَّار من قال: لا إله إلَّا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[(١)].

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين وبين رجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عَرف أنَّه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنَّهم يأخذون الرشوة. فاتَّفقا على أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآية، وقيل: نزلت في رَجُلَيْن اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النَّبيِّ ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب ابن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسَّيف فقتله.

● قوله: وقال الشَّعبي: كان بين رجل من المنافقين و[بين] رجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عَرف أنَّه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنَّهم يأخذون الرشوة. فاتَّفقا على أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه[(٢)]، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآية[(٣)].

وقيل: نزلت في رَجُلَيْن اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤)، ومسلم برقم (١٩٣).

(٢) في (هـ): «فيتحاكمان»، وفي (ب): «فيتحاكما عنده».

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٩٦)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٦٥٨ رقم ٨١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٦٩) رقم (١٩٤٢) ط. دار المآثر، وإسحاق بن راهويه كما في «الفتح» (٥/ ٣٧).

النَّبيِّ ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسَّيف فقتله[(١)].

● قوله: «قال الشَّعبي»، هو عامر بن شراحيل الكوفي، وتقدَّم[(٢)]. وفي قصة عمر وقتله المنافق - الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف - دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق.

وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنَّبيِّ ﷺ، والأذى له، والإظهار لعداوته، فانتقض به عهده، وحلَّ به قتله، وقصة قتله مذكورة في كتب الأحاديث والسِّيَر وغيرها[(٣)].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٧)، والبغوي في «التفسير» (١/ ٤٤٦)، وفي إسناده الكلبي متهم بالكذب.

(٢) ص (١٤٠).

(٣) انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري في «الصحيح» برقم (٢٥١٠، ٣٠٣١، ٤٠٣٧)، ومسلم برقم (١٨٠١) من حديث جابر، وكذلك في السيرة، كسيرة ابن هشام (٢/ ١٥٨) وغير ذلك.
عند قول الشعبي ذكر الشيخ في كتابه «فتح المجيد» (٢/ ٦٦٨) عداوة المنافقين، وأنَّهم أشدّ كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود، ويكون أشدَّ عداوة منهم لأهل الإيمان، كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها: من إعانة العدوّ على المسلمين، وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان. ومن تدبَّر ما في التاريخ وما وقع منهم في الوقائع، عرف أنَّ هذا حال المنافقين قديمًا وحديثًا..
قلت: وعلى شاكلة هؤلاء بعض أهل البدع الذين فتحوا باب الشَّرِّ على أهل الإسلام كالروافض والخوارج والنصيرية وغيرهم، وقد جمعت مادة علميَّة في مقاتل أهل السنة على يد أهل الفرقة والبدعة، فمثلًا ذكر ابن بشر في كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ٢٢١ دار الحبيب): أنَّ الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمه الله المتوفى سنة (١٢١٨هـ) قتله أحد المبتدعة وهو يصلِّي.

٣٩ - باب

من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾

[الرّعد: ٣٠] الآية

● قوله: باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرّعد: ٣٠] الآية.

سبب نزول [هذه] الآية معلوم، وهو أنَّ قريشًا جحدوا اسم «الرَّحمن» عنادًا، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فالرَّحمن اسمه وصفته(١)، فالرَّحمة وصفه القائم به، فإذا كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه، الذي دلَّ على كماله - [تعالى] - فجحود(٢) معناه كجحود لفظه.

فإنَّ الجهمية يزعمون أنَّها لا تدلُّ على صفة قائمة بالله تعالى، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة(٣).

---

(١) في (هـ): «ووصفه».

(٢) في (ط): «فجحدوا».

(٣) فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. قامت هذه الفرقة ضد المعتزلة، وهي تقوم على تأويل الصفات السبع، ثم رجع مؤسسها أبو الحسن الأشعري إلى عقيدة الإمام أحمد بن حنبل (وهي عقيدة أهل السنة والجماعة) مع شوب في هذا الرجوع، وتطوّرت الفرقة إلى أكثر من طور، فاقتربت من الفلسفة والتَّصوُّف. «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٦٠).

فلهذا كفَّرهم كثير من أهل السُّنَّة.

قال العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله - [تعالى] -:

ولقد تقلَّد كفرَهُمْ خَمْسُونَ في
عشرٍ مِن العلماءِ في البُلدانِ
واللالكائيُّ الإمامُ حكاهُ عنـ
ـهمْ، بلْ قَدْ حَكَاه قبلهُ الطَّبراني[1]

فإنَّ هؤلاء الجهميَّة ومن وافقهم من أهل الكلام على التَّعطيل، جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من صفات كماله، ونعوت جلاله، **وبَنَوا هذا التَّعطيل على أصلٍ فاسدٍ أصَّلوه من عند أنفسهم، ولم يفهموا من صفات الله إلَّا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبَّهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطَّلوه من صفات كماله، وشبَّهوه بالنَّاقصات والجمادات** والمعدومات. **فشبَّهوا أولًا، وعطَّلوا ثانيًا، وشبَّهوا ثالثًا بكل ناقص أو** معدوم، فتركوا ما دلَّ عليه صريح الكتاب والسُّنَّة، وما عليه سلف الأمَّة من إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وقد صنَّف أئمة السُّنَّة - لما حدثت بدعة الجهمية - مصنَّفات

---

(١) في (ب): «الحافظ الطبراني». والبيتان في «الكافية الشافية» برقم (٦٣٣، ٦٣٤).

كثيرة في الردِّ عليهم، كالإمام أحمد وابنه عبد الله والخلَّال[١]، وأبي بكر الأثرم[٢] وعثمان بن سعيد الدَّارمي[٣]، وإمام الأئمة محمد بن خزيمة[٤] وأبي عثمان الصابوني[٥]، وخلق من أئمَّة السُّنَّة لا يمكن حصرهم، وكذلك من بعدهم كأبي محمد عبد الله بن محمد موفق الدِّين[٦]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيِّم [الجوزية] ومن في طبقتهم، كالعماد ابن كثير [والحافظ ابن عبد الهادي][٧] وابن رجب والذهبي، وغيرهم من أهل السُّنَّة والجماعة، وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السُّنَّة والجماعة، فللَّه الحمد على ظهور الحق ونشره

(١) هو أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال صاحب الكتاب الجامع لعلوم الإمام أحمد الذي لم يصنف في المذهب مثله، مات سنة ٣١١هـ. انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ١٤٧).

(٢) هو أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، أبو بكر الأثرم الحافظ، نقل عن الإمام أحمد مسائل كثيرة وصنَّفها ورتبها أبوابًا. توفي سنة (٢٦١هـ). «طبقات الحنابلة» (١/ ٦٦).

(٣) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، الإمام أبو سعيد الدارمي، صاحب «المسند» الكبير والتصانيف. صنف في الرد على بشر المريسي والرد على الجهمية. توفي سنة (٢٨٠هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٢١).

(٤) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، الحافظ الحجة، شيخ الإسلام إمام الأئمة، صاحب التصانيف. توفي سنة (٣١١هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٦٥).

(٥) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني، صاحب التصانيف. توفي سنة (٤٤٩هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٠).

(٦) تقدمت ترجمته ص (٣٦٧).

(٧) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي ابن قدامة المقدسي، أبو عبد الله الحنبلي. له الكثير من التصانيف. توفي سنة (٧٤٤هـ). «الدرر الكامنة» (٣/ ٣٣١).

والدَّعوة إليه والمحافظة عليه.

وفي «صحيح البخاري»: قال عليّ: حدِّثوا النَّاس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسولُه؟

● قوله: قال علي: حدِّثوا النَّاس بما يعرفون، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله؟[١] وهذا - والله أعلم - قاله حين كَثُر القصَّاص في خلافته، وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الأحاديث المعروفة، ولهذا كثر الوضع بهذا السَّبب.

وغير المعروف يحتمل أن يكون فيه ما يصحُّ وفيه ما لا يصح، فإذا سمعه من لم يعرفه أنكره، وربَّما كان حقًّا.

فلا ينبغي التَّحديث إلَّا بما صحَّ وثبت واشتهر عند المحدِّثين والفقهاء، وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يحدث به لاحتمال أن يكون غير صحيح.

وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان[٢] ينهى عن القصص؛ لما فيه من التَّساهل في النَّقل ويقول: «لا يقصُّ إلَّا أمير أو مأمور»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٧). قال الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٤٩٩): «هذا الأثر رواه البخاري مسندًا لا معلقًا، لكنه في بعض الروايات علَّقه..». وانظر: «فتح الباري» (١/ ٢٢٥).

(٢) انظر ترجمته في «السير» (٣/ ١١٩).

(٣) ورد مرفوعًا من حديث عوف بن مالك، أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٦٦٥) وغيره بلفظ: «لا يقصُّ إلَّا أمير أو مأمور أو مختال»، وشاهده من القرآن: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النِّساء: ٨٣]... الآية.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس أنَّه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النَّبيِّ ﷺ في الصفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رِقَّةً عند مُحْكَمِهِ، ويهلكون عند متشابهه؟! انتهى.

● قوله: «وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه عن ابن عباس: أنَّه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النَّبيِّ ﷺ في الصفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رِقَّةً عند مُحْكَمِهِ، ويهلكون عند متشابهه؟!»(١) انتهى.

● قوله: «وروى عبد الرزَّاق»، هو ابن همَّام الصنعاني، المحدِّث، محدِّث اليمن صاحب التَّصانيف، أكثر الرِّواية عن معمر ابن راشد، صاحب الزُّهري، وهو شيخ عبد الرزَّاق يروي عنه كثيرًا(٢).

ومعمر - بفتح الميمين وسكون العين - أبو عروة بن [أبي عمرو راشد](٣) الأزدي [الحدَّاني](٤) ثم اليماني، من أصحاب محمد بن شهاب الزهري، [و] يروي عنه كثيرًا(٥).

● قوله: «عن ابن طاوس»، هو عبد الله بن طاوس اليماني، قال

---

(١) رواه معمر في «جامعه» (١١/ ٤٢٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٣٩) وغيره.
(٢) انظر ترجمته في «السير» (٩/ ٥٦٣).
(٣) في الأصل وجميع النسخ: «أبي عمرو بن راشد» وهو خطأ، والصواب ما أثبت.
(٤) في الأصل وجميع النسخ: «الحراني» وهو خطأ، والمثبت من مصادر ترجمته.
(٥) ترجمته في «السير» (٧/ ٥)، ومات معمر سنة (١٥٤هـ).

معمر: كان من أعلم النَّاس بالعربيَّة، وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة[(١)].

● **قوله**: «عن أبيه»، هو طاوس بن كيسان الجندي - بفتح الجيم والنون - الإمام العالم، قيل: اسمه ذكوان، قاله ابن الجوزي[(٢)].

قلت: وهو من أئمة التفسير ومن أوعية العلم، قال في «تهذيب الكمال»[(٣)]: «عن الوليد الموقَّري[(٤)] عن الزُّهري، قال: قدمت على عبد الملك بن مروان، قال: من أين قدمت يا زهري؟ قال: قلت: من مكة. قال: من خلَّفت [بها] يسودها وأهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، قال: [قلت]: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قال: قلت: بالدِّيانة والرِّواية، قال: إنَّ أهل الدِّيانة والرِّواية لينبغي أن يسودوا، [قال: فمن] يسودُ أهلَ اليمن؟ قلت[(٥)]: طاوس بن كيسان، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: فبم[(٦)] سادَهم؟ قلت: بما[(٧)] ساد به عطاء، قال: إنَّه لينبغي ذلك، قال: فمن يسود [أهل] مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب،

---

(١) ترجمته في «السير» (٦/ ١٠٣).
(٢) كما في «خلاصة تهذيب الكمال» ص (١٨١).
(٣) للمزِّي (٢٠/ ٨١) في ترجمة عطاء بن أبي رباح.
(٤) هو الوليد بن محمد الموقَّري، أبو بشر البلقاوي، مولى يزيد بن عبد الملك الأموي، والموقَّر حصن بالبلقاء. توفي سنة إحدى وثمانين ومئة. «تهذيب الكمال» (٣١/ ٧٦)، قال في «التقريب» ص (٥٨٣): «متروك».
(٥) في (ج) و(د): «قال».
(٦) في (ب): «فيما».
(٧) في (د) و(ج): «فبم».

قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشَّام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ [قال]: قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ [قال]: قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضَّحَّاك بن مزاحم، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسودُ أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن البصري، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: ويلك! ومن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النَّخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب، قال: ويلك يا زهري، فرَّجت عنِّي، والله لتسودنَّ الموالي على العرب حتَّى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها، قال: قلت: يا أمير المؤمنين إنَّما هو دين[(١)]، من حفظه ساد، ومن ضيَّعه سقط»[(٢)].

● **قوله: «ما فَرَق هؤلاء؟»** يستفهم من أصحابه، يشير إلى أناس ممن يحضر[(٣)] مجلسه، فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن حصل منهم[(٤)] فرق أي خوف، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصِّفات انتفضوا كالمنكرين للمعنى، ولا يتمُّ الإيمان إلَّا بقبول اللَّفظ بمعناه الذي دلَّ عليه ظاهرًا، فإن لم يقبل معناه أو ردَّه أو شكَّ فيه، لم يكن

(١) في (ج): «الدين».
(٢) هذه القصة لا تصح، فيها الوليد بن محمد الموقري، وقد تقدم قول ابن حجر في «التقريب»: أنه متروك، وانظر ترجمة طاوس في «السير» (٥/ ٨٣).
(٣) في (ط): «يحضرون».
(٤) في (أ): «معهم».

مؤمنًا به فيكون هلاكًا.

وقد ظهر من البدع في وقت[(١)] ابن عبَّاس بدعة القدريَّة، كما في «صحيح مسلم» وغيره، فقُتل من دعاتهم: غيلان[(٢)]، قتله هشام بن عبد الملك[(٣)] لما أصرَّ على قوله بنفي القدر، ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم[(٤)] بدعة الجهمية فقتله[(٥)] خالد بن عبد الله القسري[(٦)] يوم الأضحى بعد صلاة العيد[(٧)]. قال: [قال] الذَّهبي: [قال أحمد][(٨)]

(١) في (ط): «زمن».

(٢) هو غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر، ضالّ مسكين ما يخرج من هوى إلا إلى أشر منه. «لسان الميزان».

(٣) الخليفة ابن مروان الخليفة، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي. كان جميلًا أبيض مسمنًا أحول. انظر: «تاريخ الطبري» (٧/ ٢٠٠)، و«السير» (٥/ ٣٥١).

(٤) عداده في التابعين مبتدع ضالّ، زعم أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلِّم موسى، فقُتل على ذلك بالعراق يوم النحر. والقصة مشهورة. «لسان الميزان» (٢/ ١٠٥).

(٥) في (ط): «فقتل، قتله خالد. .» إلخ.

(٦) بن يزيد بن أسد القسري الأمير أبو القاسم، له أخبار شهيرة، وأقوال فظيعة. «تهذيب التهذيب» (٣/ ٨٨).

(٧) أخرج القصة البخاري في «خلق أفعال العباد» ص (١٣ . البدر)، واللالكائي في «شرح الأصول» (٢/ ٣١٩)، وأبو بكر النجاد في «الرد على من يقول بخلق القرآن» ص (٥٤).
وفي الإسناد: عبد الرحمن بن محمد، قال عنه في «التقريب» ص (٣٤٩): «مقبول».
والقصة أثبتها غير واحد من العلماء. انظر: «التحفة العراقية» لابن تيمية ص (٦٨)، و«العقيدة الأصفهانية» ص (٢٣)، و«الرد على الجهمية» للدارمي ص (٢٠٤)، و«التنكيل» للمعلمي (١/ ٢٥٥) وغيرهم في نقل هذه القصة من غير نكير.
وانظر في الرد على من حاول تضعيفها رسالة الدكتور محمد بن خليفة التميمي «مقالة التعطيل والجعد بن درهم» ص (١٨١ . ١٩٨).

(٨) حصل خطأ في الأصل والنسخ، حيث جاء فيها: «قال الذهبي: حدثنا وكيع»، والتصويب من كتاب «العلو» ص (٣٩)، وانظر كتاب «العرش» (١/ ٢٧٤).

حدثنا وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرَّب على الكرسِيِّ»، فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يُحَدِّثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها. أخرجه عبد الله[1] في الردِّ على الجهمية[2]. والواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عبَّاس.

وسبب هذه البدع: جهل أهلها وقصورهم في الفهم، وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقِّيها من أهلها العارفين لمعناها، الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد، والتوفيق بين النصوص والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضًا وردّ المتشابه إلى المحكم، وهذه طريقة أهل السُّنَّة والجماعة في كلِّ زمان ومكان، فللَّه الحمد لا نحصي ثناء عليه.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرّعد: ٣٠].

● **قوله: ولمَّا سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرَّحمن، أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرّعد: ٣٠] الآية[3].**

---

(١) في (ب): «عبد الرزاق».
(٢) برقم (٢٨٧)، وانظر «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢).
(٣) قال الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٥٠٤): «هكذا ذكر المصنف هذا الأثر بالمعنى. وقد روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في الآية، قال: هذه لمَّا كاتب رسول الله ﷺ قريشًا في الحديبية كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: لا نكتب الرحمن، ولا ندري ما الرحمن، ولا نكتب إلّا باسمك اللهم، =

روى ابن جرير[١] عن ابن عبَّاس قال: كان النَّبيُّ ﷺ يدعو ساجدًا: (يا رحمن يا رحيم)، فقال المشركون: هذا يزعم أنَّه يدعو واحدًا وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

= فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرّعد: ٣٠] الآية». اهـ. وانظر: «فتح المجيد» (٢/ ٦٨١).

(١) في «تفسيره» (١٧/ ٥٨٠).

٤٠ - باب

قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النّحل: ٨٣] الآية

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النّحل: ٨٣] الآية.

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي. وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه قال: «إنَّ الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...» الحديث، وقد تَقَدَّم -: وهذا كثير في الكتاب والسُّنَّة، يَذُمُّ سبحانه من يُضِيفُ إنعامه إلى غيره، ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً والمَلَّاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنةٍ كثيرٍ. انتهى.

قال ابن جرير: فإنَّ أهل التَّأويل اختلفوا في المعني بالنِّعمة، فذكر عن سفيان(١) عن السُّدِّي: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النّحل: ٨٣] قال: محمد ﷺ، وقال آخرون: [بل] معنى ذلك أنَّهم يعرفون أنَّ ما عدَّد الله تعالى ذكره في هذه السُّورة من النِّعم من

(١) في (ج): «ابن سفيان».

عند الله، وأنَّ الله هو المنعم عليهم بذلك، ولكنَّهم ينكرون ذلك فيزعمون أنَّهم ورثوه عن آبائهم.

وأخرج عن مجاهد: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، قال: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها، والسَّرابيل من الحديد والثِّياب، يعرفون هذا كفار قريش ثم ينكرونه، بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا فورَّثونا إيَّاه[١].

● **قوله: «وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا»**[٢].

عون: هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي الزَّاهد، [روى] عن أبيه وعائشة وابن عبَّاس، و[روى][٣] عنه قتادة وأبو الزُّبير والزُّهري، وثَّقه أحمد وابن معين، قال البخاري: مات بعد العشرين ومئة[٤].

واختار ابن جرير القول الأوَّل، واختار غيره أنَّ الآية تعمُّ ما ذكره العلماء في معناها، وهو الصَّواب.

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ١٥٨)، وعزاه في «الدر المنثور» (٥/ ١٥٥) لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.
(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ١٥٨)، وعزاه في «الدر» (٥/ ١٥٥) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٣) قوله «روى» ليس في (هـ)، وكتب الناسخ في الهامش: «لعلها روى».
(٤) انظر: «السير» (٥/ ١٠٣).

● قوله: وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]: «يذمُّ سبحانه مَنْ يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به، قال بعض السَّلف: هو كقولهم: كانت الرِّيح طيِّبة، والملَّاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير». انتهى[(٢)].

وكلام شيخ الإسلام يدلُّ على أنَّ حكم هذه الآية عام، فيمن نسب النِّعم إلى غير الله، وأسند أسبابها إلى غيره، كما هو مذكور في كلام المفسِّرين المذكور بعضه هنا، وذلك من أنواع الشِّرك في الرُّبوبية كما لا يخفى.

---

(١) المصنف ذكر - حسب النسخة الخطية -: «أبو العباس»، وهنا قال الشارح: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية»، كما وقع تفسيره في «التيسير» ص (٥٠٧)، و«فتح المجيد» ص (٣٩٨)، فيكون هكذا: قوله: قال أبو العباس هو شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٣).

٤١ - باب

قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢]

● **قوله: باب قول الله تعالى:** ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

النِّدُّ: المثل والنَّظير، وجعل النِّد لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله، كحال عبدة الأوثان، الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنَّه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

قال العماد ابن كثير في «تفسيره»: «قال أبو العالية: فلا تجعلوا[(١)] لله أندادًا [وأنتم تعلمون، قال]: أي عدلاء شركاء، وهكذا قال الرَّبيع بن أنس، وقتادة، والسُّدِّي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد»[(٢)].

وقال ابن عبَّاس: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢]، أي: لا تشركوا بالله شيئًا من الأنداد الَّتي لا تنفع ولا تَضُرُّ، وأنتم تعلمون أنَّه ربكم لا يرزقكم غيره، وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم الرَّسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه.

---

(١) في (أ): «لا تجعلوا».

(٢) «التفسير» (١/ ٧٧ دار الفكر).

وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢]، قال: تعلمون أنَّه إله واحد في التَّوراة والإنجيل.

قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشِّرك، أخفى من دَبِيبِ النمل على صَفَاةٍ سوداء في ظلمة الليل. وهو أن تقول: والله وحَياتِك يا فلان وحياتي. وتقول: لولا كُلَيْبَةُ هذا لأتانا اللصوص، ولولا البَطُّ في الدَّار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ.
وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان[١]، هذا كلُّه به شرك.
رواه ابن أبي حاتم.

● قوله: وعن ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشِّرك، أخفى من دَبِيبِ النمل على صَفَاةٍ سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحَياتِك يا فلان[٢] وحياتي. وتقول: لولا كُلَيْبَةُ هذا لأتانا اللُّصوص، ولولا البَطُّ في الدَّار لأتى اللُّصوص. وقول الرَّجل لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ.

وقول الرَّجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كلُّه به شرك[٣].

وهذا من ابن عبَّاس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشِّرك على الأعلى.

---

(١) قال الشيخ إسماعيل رحمه الله: «هكذا ثبت بخط المصنف بلا تنوين، انتهى من «تيسير العزيز الحميد» ص (٥١٠).

(٢) وفي (أ): «يا فلانة».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٢٢٩) وجوَّد إسناده الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٥٠٩).

وعن عمر[(١)] بن الخطَّاب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من حلفَ بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصحَّحه الحاكم.

● قوله: «وعن عمر بن الخطَّاب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من حلفَ بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحَسَّنَه، وصحَّحه الحاكم»، يحتمل أن يكون شكًّا من الرَّاوي، ويحتمل أن تكون «أو» بمعنى «الواو» فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من باب: «كفر دون كفر».

وقال ابن مسعود: لأن أَحْلِفَ بالله كاذبًا، أَحَبُّ إليَّ من أن أحلفَ بغيرِه صادِقًا.

● قوله: وقال ابن مسعود: لأَنْ أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ مِن أن أحلفَ بغيره صادقًا[(٢)]، ومن المعلوم أنَّ الحلف بالله كاذبًا من

---

(١) قال الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» ص (٥١١): «قوله: عن عمر بن الخطاب، هكذا وقع في الكتاب، وصوابه: عن ابن عمر. كذلك أخرجه أحمد (٢/ ٨٦)، وأبو داود برقم (٣٢٥١)، والترمذي برقم (١٥٣٥) وحسَّنه، والحاكم (١/ ٥٢)، وصحَّحه ابن حبان برقم (٤٣٥٨)، وقال الزين العراقي في «أماليه»: «إسناده ثقات».

(٢) أثر ابن مسعود هذا أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨/ ٤٦٩)، والطبراني في «الكبير» برقم (٨٩٠٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» برقم (٧٨٧١)، وقال في «تيسير العزيز الحميد» ص (٥١٥): «هكذا ذكر المصنف هذا الأثر عن ابن مسعود ولم يعزه، وقد ذكره ابن جرير غير مسند قال: وقد جاء عن ابن عباس وابن عمر نحوه، ورواه الطبراني بإسناده موقوفًا هكذا. قال المنذري: ورواته رواة الصحيح».
قلت: وأخرجه مرفوعًا أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٦٧).

الكبائر، لكن الشِّرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر كما تقدَّم.

وعن حذيفة ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح.

● **قوله: وعن حذيفة ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان. رواه أبو داود بسند صحيح**[١]. وذلك لأنَّ العطف بالواو يقتضي المساواة؛ لأنَّها في وضعها لمطلق الجمع بخلاف الفاء وثم، وتسوية المخلوق بالخالق بكلِّ نوع من العبادة شرك، وهذا ونحوه من الشِّرك الأصغر.

وجاء عن إبراهيم النَّخَعيِّ أنَّه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوّز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

● **قوله: «وجاء**[٢] **عن إبراهيم النَّخَعيِّ، أنَّه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوّز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم**

(١) أخرجه أبو داود كما قال المصنف برقم (٤٩٨٠)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٤)، والطيالسي في «المسند» برقم (٤٣٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٩٨٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٣٤٦)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٤١٦)، وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» برقم (٣٤٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٩٠)، وصححه النووي في «الأذكار» ص (٣٩٥)، وصحَّحه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ سليمان في «التيسير» ص (٥١٦).

(٢) في (هـ) بدلها: «وله».

فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان»[(١)].

إبراهيم هو النخعي، وهذا فيما يقدر عليه الحيُّ الحاضر بخلاف من ليس كذلك، ممن لا يسمع كلامًا، ولا يردُّ جوابًا كالأموات والغائبين[(٢)].

(١) قال في «التيسير» ص (٥١٦): «هذا الأثر ذكره المصنف غير معزوٍّ، وقد رواه عبد الرزاق [برقم (١٩٨١١)]، وابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» [برقم (٣٤٧)]».

(٢) انظر: «فتح المجيد» (٢/ ٦٩٥).

٤٢ - باب
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليَصْدُقْ، ومن حُلِفَ له بالله فليَرْضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن.

● قوله: باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله. عن ابن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلفَ له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله». رواه ابن ماجه[(١)] بسند حسن[(٢)].

● قوله: «لا تحلفوا بآبائكم»، تقدَّم أنَّه لا يجوز الحلف بغير الله في حقِّ كلِّ أحد.

● قوله: «من حلف بالله فليصدق»، هذا مما أوجبه الله على عباده، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) أخرجه ابن ماجه كما قال المصنف برقم (٢١٠١). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/١٤٣): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، وجوَّد إسناده الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٥١٧). وانظر «فتح الباري» (١١/٣٥٣) فقد حسَّن إسناده ابن حجر رحم الله الجميع.

(٢) في (هـ): «جيد».

يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ١٠٥].

● قوله: «ومن حُلِفَ له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله»، هذا من حقِّ المسلم على المسلم، أن يقبل منه إذا حلف له معتذرًا، والحديث يدلُّ على الوجوب، ومن حقِّه عليه أن يحسن به الظنَّ إذا لم يتبيَّن كذبه، كما في الأثر عن عمر: ولا تَظنَّنَّ بكلمة خرجت من أخيك شرًّا وأنت تجدُ لها في الخير محملًا[1]. وهو من حُسْن الخُلق ومكارم الأخلاق وكمال العقل وقوَّة الدِّين[2].

---

(١) أخرجه المحاملي في «أماليه» برقم (٤٦٠)، والسخاوي في «البلدانيات» ص (٢٥١)، وابن أبي الدنيا في «مداراة النفوس» ص (٥٠).

(٢) قال الشيخ في «فتح المجيد» (٢/ ٦٩٨): «فتأمل أيها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى، من القيام بحقوقه وحقوق عباده، وإدخال السرور على المسلمين، وترك الانقباض عنهم، والترفع عليهم، فإنَّ فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال، وبسط هذه الأمور وذكر ما ورد فيها مذكورٌ في كتب الأدب وغيرها، فمن رُزق ذلك، والعمل بما ينبغي العمل به منه، وترك ما يجب تركه من ذلك، دلَّ على وفور دينه، وكمال عقله، والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين» اهـ.

قلت: وفي هذه العبارات من الشيخ، ما يدحض شبهة وزعم أنّ أئمة الدعوة فيهم شدة وغلظة! وأنهم لا يعرفون ولا يجيدون إلا الرد! وهذه أغلب كتبهم ما هي إلّا رد!

وهذه كلها من العبارات التي تثار قديمًا وحديثًا؛ لأجل صدِّ الناس عن هذه الدعوة وأئمتها، ولعل باحثًا ينشط لجمع مثل هذه العبارات التي سقتها من قول المؤلف وغيره، والتي تدلُّ على أنّهم من أرحم الناس بالخلق وأعرفهم للحق؛ لدحض الشبه المثارة. وهذا لا شك من نصرة الحق، والذب عن أعراض الأئمة. والله المستعان.

٤٣ - باب

قول: ما شاء الله وشئت

عن قُتَيْلَةَ: أنَّ يهوديًّا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: إنَّكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النَّبيُّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت. رواه النَّسائي وصحَّحه.

● قوله: باب قول: ما شاء الله وشئت.

عن قُتَيْلَةَ: أنَّ يهوديًّا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: إنَّكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النَّبيُّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «وربِّ الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت». رواه النَّسائي وصحَّحه(١).

● قوله: «قُتيلة» - بمثنَّاة مصغرة - بنت صيفي الأنصاريَّة صحابيَّة مهاجرة، لها حديث في «سنن النَّسائي» وهو المذكور في الباب(٢).

ورواه عنها عبد الله بن يسار الجعفي.

---

(١) في «المجتبى» (٧/ ٦)، و«عمل اليوم والليلة» برقم (٩٨٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٧١)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٩١، ٣٥٧) وصحَّحه، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٩٧)، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٣٨٩): «حديث صحيح».

(٢) «الإصابة» (٤/ ٣٨٩).

وفيه قبول الحقِّ ممن جاء به. وفيه بيان النَّهي عن الحلف بالكعبة وغيرها، مع أنَّها بيت الله التي حجُّها وقَصْدُها بالحج والعمرة فريضة، وأنت ترى ما وقع مما يخالف ذلك من الحلف بالكعبة ودعائها وكذا[١] مقام إبراهيم، وقلَّ من يسلم من هذا ممن يحجُّ من أهل الآفاق وأهل مكة كما كان يفعل بغيرها.

والكعبة عظَّمها الله بأن جعل حجَّها ركنًا على من استطاع، وشرع العبادة عندها وخصَّها بالفضل، فالمشروع إنَّما هو الطَّواف بها والصَّلاة إليها، لا الحلف بها، ونحوه من الشِّرك في العبادة: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

● **قوله: «إنَّكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت»**. والعبد وإن كان له مشيئة، فمشيئته تابعة لمشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]. وفي هذه الآية والحديث الرَّدُّ على القدريَّة والمعتزلة نفاة القدر، الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله من العبد وما شاءه[٢]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، وفي الحديث: **«أوَّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة»** وهو في «الصَّحيحين» وغيرهما[٣].

---

(١) في (ج): «وكذلك».
(٢) وفي (أ): «وشاءه».
(٣) سيأتي تخريجه.

وله أيضًا عن ابن عبَّاس أنَّ رجلًا قال لِلنَّبيِّ ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتَني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده».

● قوله: وله أيضًا عن ابن عبَّاس، أنَّ رجلًا قال لِلنَّبيِّ ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتَني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده».

هذا يبيِّن ما تقدَّم من أنَّ هذا شرك؛ لأنَّ العطف[١] بالواو يُسَوِّي المعطوف بالمعطوف عليه؛ لأنَّ الواو وُضِعَت لمطلق الجمع، فلا يجوز أن يجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من الإلهيَّة والرُّبوبيَّة ولو في أقل شيء كما تقدَّم في الرجلين اللذين قرَّب[٢] أحدهما ذبابًا للصنم فدخل النَّار[٣].

وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ حَمَى حِمَى التوحيد، وسدَّ طرق الشرك في الأقوال والأعمال.

قوله: ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمِّها قال: رأيتُ كأنِّي أتيت على نفر من اليهود، قلت[٤]: إنَّكم لأنتم القوم، لولا أنَّكم تقولون: عزير ابن الله، قالوا: وإنَّكم لأنتم القوم[٥]، لولا أنَّكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررتُ بنفرٍ من النصارى، فقلتُ: إنَّكم لأنتم

---

(١) في (هـ): «المعطوف».
(٢) في (هـ): و(أ): «قدَّم».
(٣) تقدَّم ص (٢٤٣).
(٤) وفي (أ): «فقلت».
(٥) في (أ): «وأنتم لأنتم القوم».

القوم، لولا أنَّكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنَّكم لأنتم القوم[١]، لولا أنَّكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيتُ النَّبيَّ ﷺ، فأخبرته، قال[٢]: «هل أخبرتَ بها أحدًا؟» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنَّ طُفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنَّكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»[٣].

● قوله: «عن الطُّفيل»، هو الطُّفيل بن عبد الله بن سخبرة أخي[٤] عائشة لأمها، له حديث عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنف [رحمه الله تعالى] - في الباب[٥].

---

(١) في (أ): «وأنتم لأنتم القوم».
(٢) وفي (أ): «فقال».
(٣) أخرجه ابن ماجه - كما قال المصنف - في «السنن» (٢١١٨)، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٥١): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات على شرط مسلم».
وأخرجه الدارمي في «سننه» برقم (٢٧٠٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٦٥٤)، والطبراني في «الكبير» برقم (٨٢١٤)، والإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٧٢). وقال المؤلف ﷺ في كتابه «فتح المجيد» (٢/ ٧٠٣): «ورد في بعض الطرق أنه كان يمنعه الحياء منهم».. وقرّر الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» ص (٥٢٥) ذلك فقال: «في رواية أحمد والطبراني: «وإنَّكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها». وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء من الإنكار عليهم، بل كان ﷺ يكرهها ويستحيي أن ينكرها؛ لأنَّه لم يؤمر بإنكارها، فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا الصالحة أنكرها ولم يستحِ في ذلك».
(٤) في (هـ): «أخو».
انظر ترجمته في: «الإصابة» (٣/ ٥٢٠).

وهذه الرؤيا حقٌّ، أقرَّها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها، فنهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد، وأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله وحده، وقد بلّغ ﷺ البلاغ المبين، وأنذر عن الشِّرك وحذَّر عن قليله وكثيره، فانظر إلى ما وقع من الشِّرك العظيم في هذه الأمَّة، ينادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو أكثر، ويعتقدون فيه أنَّه ينفع ويضرُّ ويسمع ويستجيب من تلك المسافة، وجعلوا الأموات شركاء لله(١)، في الملك والتَّدبير وعلم الغيب، وغير ذلك من خصائص الرُّبوبيَّة، وتركوا نبيَّهم وما جاء به، وما قاله وما نهى عنه ﷺ، كأنَّهم لم يسمعوا كتابًا ولا سنَّة، وقد بعثه الله بالنَّهي عن الشِّرك كما ترى، فما زال يدعو النَّاس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، حتَّى أكمل الله لهم به الدِّين، وأَتَمَّ عليهم النِّعمة، لكن رجعوا من الكمال إلى الضَّلال، ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك. وهذه وإن كانت رؤيا منام فقد أقرَّها رسول الله ﷺ وأخبر أنَّها حق.

---

(١) في (ط): «له».

٤٤ - باب

من سبَّ الدَّهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآية

● قوله: «باب من سبَّ الدَّهر فقد آذى الله.

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]».

قال العماد ابن كثير في «تفسيره»[(١)]: «يخبر [الله] تعالى عن دهريَّة الكفَّار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد، ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]، أي: ما ثَمَّ إلَّا هذه الدَّار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة. وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيُّون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ولهذا قال[(٢)]: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، قال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، أي: يتوهَّمون ويتخيَّلون.

---

(١) (٤/ ١٥١).

(٢) في (ب) و«التفسير»: «قالوا»، وفي (ط): «قال عنهم».

وفي «الصَّحيح» عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسُبُّ الدَّهر، وأنا الدَّهر، أُقلِّبُ اللَّيلَ والنَّهار. وفي رواية: «لا تسبُّوا الدهر، فإنَّ الله هو الدَّهر».

● قوله: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسُبُّ الدَّهر، وأنا الدَّهر، أُقلِّبُ اللَّيلَ والنَّهار»(١). وفي رواية: «لا تسبُّوا الدَّهر، فإنَّ الله هو الدَّهر»(٢).

قال في «شرح السنة»(٣): «حديث متَّفق على صحته، أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة. قال: ومعناه أنَّ العرب كانت من شأنها ذمُّ الدَّهر وسبُّه عند النَّوازل؛ لأنَّهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدَّهرِ وأبادهم الدَّهْرُ، فإذا أضافوا إلى الدَّهر ما نالهم من الشَّدائد سَبُّوا فاعلها، فكان مرجع سبِّها إلى الله ﷻ، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها(٤)، فنهوا عن سبِّ الدَّهر». انتهى باختصار.

ونسبة الفعل إلى الدَّهر ومسبَّته كثير في أشعار المولَّدين(٥) كابن

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٢٦)، ومسلم برقم (٢٢٤٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٤٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٥).
(٣) للبغوي (١٢/ ٣٥٧).
(٤) في (هـ): «يُضيقونها».
(٥) المولَّدون ويقال لهم: «المُحْدثون»، فيقال: هذه عربية، وهذه مولدة: «المزهر في علوم اللغة والأدب» (١/ ٢٤٢).

المعتز[١] والمتنبِّي[٢] وغيرهما، وليس منه وصف السِّنين بالشِّدَّة، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾ [يوسف: ٤٨][٣] الآية. وقال بعض الشُّعراء[٤]:

إنَّ اللَّيالي من الزَّمانِ مَهُولةٌ ... تُطوَى وتُنشَرُ بينَهَا الأعمارُ
فقصارُهُنَّ مَعَ الهُمُومِ طَوِيلةٌ ... وَطِوالُهنَّ مَعَ السُّرورِ قِصَارُ

وقال أبو تمَّام[٥]:

أعْوامُ وصلٍ كَادَ يُنسي طِيبَهَا ... ذِكْرُ النَّوَى فكأنَّها أيَّامُ
ثُمَّ انبَرَتْ أيَّامُ هجرٍ أعْقَبَتْ ... نَحْوِي أسىً فكأنَّها أعْوَام
ثُمَّ انقَضَتْ تِلكَ السُّنونُ وأهْلُها ... فَكَأَنَّها وَكَأَنَّهُم أحْلامُ

---

(١) هو عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل الأمير، أبو العباس الهاشمي الأديب، صاحب النظم الرائق قتل سنة (٣٠٦هـ). «السير» (١٤/ ٤٢)، وقوله كما في «التيسير» ص (٥٢٨):
يَا دَهْرُ وَيْحَكَ مَا أَبْقَيْتَ لي أَحَدًا ... وَأَنْتَ والدُ سوءٍ تَأْكُلُ الوَلَدَا
(٢) شاعر الزمان أبو الطيب أحمد بن حسين الجعفي الكوفي الأديب، الشهير بالمتنبي. مات سنة (٣٥٤هـ)، وقوله كما في «التيسير» ص (٥٢٨):
قُبْحًا لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فإنَّهُ ... وَجْهٌ لَهُ من كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ
(٣) في (ج) بعدها: ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ [يوسف: ٤٨].
(٤) هو: عتاب بن ورقاء، انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٨/ ٣٤٨).
(٥) شاعر العصر أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أسلم وكان نصرانيًّا وشعره في الذروة. مات سنة (٢٣١هـ). «السير» (١١/ ٦٥). والأبيات في ديوانه ص (١٦٧).

٤٥ - باب

التَّسَمِّي بقاضي القضاة ونحوه

في «الصَّحيح» عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ أَخْنَعَ اسم عند الله رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأملاك، لا مالك إلَّا الله» قال سفيان: مثل شاهان شاه. وفي رواية: «أَغْيَظُ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه».
قوله: «أخنع» يعني: أوضع.

● قوله: باب التسمِّي بقاضي القضاة ونحوه.

في «الصَّحيح» عن أبي هريرة [قال:] عن النَّبيِّ ﷺ(١)، قال: «إنَّ أخنع اسم عند الله رجل تسمَّى ملك الأملاك، لا مالك إلَّا الله»؛ لأنَّ هذا اللَّفظ إنَّما يصدق على الله تعالى فهو ملك الأملاك؛ لأنَّه هو الملك في الحقيقة: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [التغابن: ١] يتصرَّف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فلا ينبغي أن يعظَّم المخلوق بما يشبه أن(٢) يعظَّم به الخالق جلَّ وعلا، وما كان مثل ذلك، فينهى عنه كالذي ترجم به المصنِّف؛ لأنَّه

(١) في (ب): «قال رسول الله».
(٢) في (ط): «ما».

لا يصدق هذا المعنى إلَّا على الله، فلا يصلح أن يسمَّى به المخلوق، لأنَّ كلَّ لفظ يقتضي التَّعظيم والكمال لا يكون إلَّا له تعالى وتقدَّس دون غيره.

● قوله: **«قال سفيان: مثل شاهان شاه»**، عند العجم عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مثَّل به سفيان.

● قوله: **«وفي رواية: أغيظ رجل على الله»**، [أغيظ: من الغيظ]، وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بغيضًا إلى الله، مغضوبًا عليه، وهذا من الصِّفات التي تُمَرُّ كما جاءت، من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل، والله أعلم.

● قوله: **«وأخبثه»**، وهو يدلُّ أيضًا[1] على أنَّ هذا خبيث عند الله إذا رضي ذلك[2]؛ لتعظيم النَّاس له بما لا يستحقُّه وعدم إنكاره وكراهته لذلك.

● قوله: **«أخنع يعني: أوضع»**، وهذا المذكور ينافي كمال التَّوحيد الذي دلَّت عليه كلمة الإخلاص، فيكون فيه شائبة من الشِّرك وإن لم يكن أكبر.

---

(١) في (هـ) «أيضًا يدل».
(٢) في (هـ) «بذلك».

٤٦- باب

احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنَّه كان يُكْنَى أبا الحَكَم، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْم» فقال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟» قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح. قال: «فأنت أبو شريح» رواه أبو داود وغيره.

● قوله: «باب احترام أسماء الله [تعالى] وتغيير الاسم لأجل ذلك»[(١)].

عن أبي شريح أنَّه كان يُكْنَى أبا الحَكَم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْم» فقال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟».

قلت: شريح ومسلم وعبد الله.

قال: «فمن أكبرهم؟».

قلت[(٢)]: شريح.

---

(١) كلمة: «ذلك». ليست في أصل (أ) واستدركتها من الحاشية.

(٢) في (أ): «قال» بد: ل« قلت».

قال: «فأنت أبو شريح». رواه أبو داود وغيره[١].

● **قوله: «عن أبي شريح»**، هو أبو شريح[٢] الخزاعي، اسمه: خويلد ابن عمرو[٣]، أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثًا، واتَّفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث، [وعنه][٤]: أبو سعيد المقبري، ونافع بن جبير وطائفة.

قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين[٥].

● **قوله: «يكنى»**، الكنية ما صدّر بأب أو أم[٦] ونحو ذلك، كأبي محمد، واللَّقب ما ليس كذلك كزين العابدين.

● **قوله ﷺ: «إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكمُ»**، أي: هو سبحانه الحكم في الدُّنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدُّنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وما من قضيَّة إلَّا وله فيها حُكم ممَّا أنزله

---

(١) أخرجه أبو داود كما قال المصنف برقم (٤٩٥٥)، وأخرجه النسائي (٨/ ٢٢٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» برقم (٨١١)، و«خلق أفعال العباد» (٣٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» كما في «التعليقات الحسان» برقم (٥٠٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٤؛ ٤/ ٢٧٩) من حديث هانئ بن يزيد، وأخرجه النسائي كما في «جامع المسانيد»، وزاد النسائي وأبو داود. كما في «الجامع» -: فدعا له ولولده.

(٢) قوله: «أبو شريح» ليس في (هـ).

(٣) في (هـ): «عمر».

(٤) في (ج): «وروى عنه». وفي (هـ): «عنه»، وكتب الناسخ في الهامش: «لعله: روى».

(٥) تهذيب الكمال» للمزي (٣٣/ ٤٠٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٩٥).

(٦) في (ب): «بأم أو بأب»، وفي (هـ): «بأب وأم».

على نبيِّه من الكتاب والحكمة، لكن قد يخفى على المجتهد، فإنَّ المجتهدين وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحدًا، فمن رزقه الله قوَّة الفهم وأعطاه [الله] ملكة[١] يقدر[٢] بها على فهم الصَّواب من أقوال العلماء، أدرك ما هو الصَّواب من ذلك.

[و] قوله: «وإليه **الحُكْم**» في الدُّنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية.

فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه، والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته.

● قوله: «**فإنَّ**[٣] **قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين**»، والمعنى - والله أعلم -؛ أنَّ أبا شريح كان مرضيًّا عندهم، يتحرَّى ما يصلحهم إذا اختلفوا، فيرضون صلحه، فسمَّوه حكمًا.

وأمَّا ما يحكم به الجهلة من الأعراب ونحوهم، بسوالف[٤] آبائهم وأهوائهم، فليس من هذا الباب، لما فيه من النَّهي الشَّديد، والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه، كما قال تعالى:

---

(١) في (ط): «حكمة».
(٢) في (أ) و(ب) و(د) و(هـ): «يقتدر».
(٣) في (ط): «فقال إنّ».
(٤) في (هـ): «من سوالف».

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا كثير، فمن النَّاس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتَّبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقرَّ وغلب على من تصدَّى لذلك ممن يرجع النَّاس إليه إذا اختلفوا.

● **قوله ﷺ: «فما لك من الولد؟» قال: شريح ومسلم وعبد الله، قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح. قال: «فأنت أبو شريح»**، فكنَّاه بالكبير وهو السُّنَّة، وغيَّر كنيته بأبي الحكم؛ لأنَّ الله هو الحكم على الإطلاق، [ومنه تسمية الأئمة بالحكَّام، فينبغي ترك ذلك والنَّهي عنه؛ لهذا الحديث وهذا قد حدث في النَّاس قريبًا].

٤٧ - باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرَّسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] الآية

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنَّه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عن اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرَّاء - فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره. فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ - وقد ارتحل وركب ناقته - فقال: يا رسول الله، إنَّما كنَّا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق. قال ابن عمر: كأنِّي أنظر إليه متعلِّقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإنَّ الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥] ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه.

● قوله: «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرَّسول» أي: فقد كفر، وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] الآية.

قال العماد ابن كثير - رحمه الله [تعالى] - في «تفسيره»: «قال أبو معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظي وغيره، قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قرَّاءنا هؤلاء إلَّا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنَّما كنَّا نخوض ونلعب، فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، وإنَّ رجليه لينسفان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وهو متعلِّق بنِسْعَةِ ناقة رسول الله ﷺ.

● قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ [التوبة: ٦٦] أي: لا يعفى عن جميعكم، ولا بدَّ من عذاب بعضكم بأنَّهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة». انتهى(١).

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله [تعالى] -: «وقد أمره الله [تعالى] أن يقول: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، وقول من يقول: إنَّهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أوَّلًا بقلوبهم، لا يصحُّ؛ لأنَّ الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم، فإنَّهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد: إنَّكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم(٢) لم يظهروا

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١١١).
(٢) وقع في (أ): «فلم فهم»، ولعله سبق قلم.

للناس إلَّا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك[١]، ولا يدلُّ اللفظ على أنَّهم ما زالوا منافقين»[٢]. انتهى.

وفيه بيان أنَّ الإنسان قد يكفر بكَلِمةٍ يتكلم بها، أو عَمَلٍ يعمل به، وأشدّها خطرًا: إرادات القلوب، فهي البحر[٣] الذي لا ساحل له.

ومن هذا الباب: الاستهزاء بالعلم وأهله وعدم احترامهم لأجله.

(١) في (ج) بعدها: «ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا كذلك».
(٢) كتاب «الإيمان» (٢٥٩)، وانظر: «الصارم المسلول» (٢/ ٧٠).
(٣) في (ط): «كالبحر».

٤٨- باب

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فُصِّلَت: ٥٠] الآية

قال مجاهد: هذا بعملي، وأَنَا مَحْقُوقٌ به، وقال ابن عبَّاس: يريد من عندي.
وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القَصَص: ٧٨]، قال قتادة: على علم منِّي بوجوه المكاسب.
وقال آخرون: على علم من الله أنِّي له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيتُه على شرف.

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فُصِّلَت: ٥٠]. [الآية].

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عبَّاس وغيره من المفسِّرين في هذه الآية ما يكفي ويَشفي في المعنى.

قال: قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به[(١)].

وقال ابن عبَّاس: يريد من عندي[(٢)].

وقال: قوله[(٣)]: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القَصَص: ٧٨]، قال

(١) علَّقه البخاري في «صحيحه» ص (١٠٢٩)، وأخرجه مسندًا: ابن جرير في «تفسيره» (٢٥/ ٣)، وهو في تفسير مجاهد (٢/ ٥٧٢).
(٢) انظر: «تفسير ابن جرير الطبري» (٢٥/ ٣).
(٣) في (هـ) «وقوله: قال».

قتادة: على علم منِّي بوجوه المكاسب[١].

وقال آخرون[٢]: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيتُه على شرف.

وليس ما ذكروه اختلافًا، وإنما هو أفرادُ المعنى.

وعن أبي هريرة أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرصَ فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني النَّاس به. قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأي المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل - أو البقر، شكَّ إسحاق - فأعطي ناقةً عُشَراء، وقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرعَ فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني النَّاس به. قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا. فقال: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر - أو الإبل - فأعطي بقرة حاملًا، قال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أن يردَّ الله إليَّ بصري فأبصر به النَّاس، فمسحه، فردَّ الله إليه بصره. قال: فأيُّ المالِ أحبُّ

(١) عزاه في «الدر» (٦/ ٤٤٠) لعبد بن حميد وابن المنذر، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (١٧١٢٣)، والطبري بنحوه (٢٠/ ١١٣).

(٢) كالسُّدِّي كما في تفسير ابن أبي حاتم برقم (١٧١٢٥).

إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدًا، فأنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.
قال: ثم إنَّه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألكَ - بالذي أعطاك اللونَ الحسن والجلد الحسن والمال - بعيرًا أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأنِّي أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك النَّاس، فقيرًا فأعطاك الله ﷻ المال؟ فقال: إنَّما ورثتُ هذا المالَ كابرًا عن كابر. فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.
قال: وأتى الأقرعَ في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.
قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألك - بالذي ردَّ عليك بصرك - شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئتَ ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنَّما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك». أخرجاه.

● قوله: «وعن أبي هريرة، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرصَ فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلدٌ حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني النَّاس به. قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا.

قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل - أو البقر شكَّ إسحاق - فأعطي ناقةً عُشَراء، وقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرعَ فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذِرني النَّاس به، فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي شعرًا حسنًا. فقال[١]: أيُّ[٢] المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر - أو الإبل - فأعطي بقرة حاملًا، قال: بارك الله لك فيها.

[قال]: فأتى[٣] الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أن يردَّ الله إليَّ[٤] بصري، فأبصر به النَّاس، فمسحه، فردَّ الله إليه بصره. قال: فأيُّ[٥] المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدًا.

فأنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إنَّه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد تقطَّعت[٦] بي الحبال في سفري [هذا]، فلا بلاغ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألكَ بالذي أعطاك اللونَ الحسن والجلد

---

(١) وفي «أ»: قال.
(٢) وفي «أ»: فأي.
(٣) وفي «أ»: فأتى.
(٤) عزاه في «الدر» (٧/ ٢٣٤) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٢).
(٥) وفي «أ»: «أيّ».
(٦) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «انقطعت».

الحسن والمال، بعيرًا أتبلَّغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأنِّي أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك النَّاس، فقيرًا فأعطاك الله ﷻ المال؟ فقال: إنَّما ورثتُ هذا المالَ كابرًا عن كابر. فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.

قال: ثم إنَّه أتى الأقرعَ في صورته [وهيئته]، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى(١) الأعمى في صورته [وهيئته]، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئتَ ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنَّما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك». أخرجاه»(٢). هذا حديث عظيم يبيِّن حال من كفر النِّعم وحال من شكرها.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الشُّكر: هو الاعتراف بإنعام المُنْعِم على وجه الخضوع له، والذُّلُّ والمحبة، فمن لم يعرف النِّعمة، بل كان جاهلًا بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المُنعم بها لم

---

(١) في (ا): «فأتى».
(٢) البخاري في «الصحيح» برقم (٣٥٦٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٩٦٤).

يشكرها أيضًا، ومن عرف النِّعمة والمنعم لكن جحدها، كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها، ومن عرف النِّعمة والمنعم وأقرَّ بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضى به وعنه لم يشكرها أيضًا، ومن عرفها وعرف المُنعم وأقرَّ بها، وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي عنه، واستعملها في محابِّه وطاعته، فهذا هو الشَّاكر لها، فلا بد في الشُّكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبَّتُهُ والخضوعُ له». انتهى[١].

● **قوله: «قد قذرني النَّاس»** أي: بكراهة رؤيته وقربه منهم.

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٢).

٤٩ - باب

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠] الآية

● **قوله: باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾** [الأعراف: ١٩٠] الآية.

قال الإمام أحمد - رحمه الله [تعالى] - في معنى هذه الآية: حدَّثنا(١) عبد الصَّمد: حدَّثنا(١) عمر بن إبراهيم، حدَّثنا(١) قتادة، عن الحسن، عن سمرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لما ولدت حوَّاء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: فسمِّيه(٢) عبدَ الحارث فإنَّه يعيش، فسمَّته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشَّيطان وأمره**»(٣).

---

(١) وفي «أ»: «ثنا».
(٢) وفي «أ»: «سمّيه».
(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١١)، وابن جرير في «تفسيره» برقم (١٥٥١٣)، والترمذي في «جامعه» (٣٠٧٩)، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلّا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه»، وأخرجه الحاكم في «مستدركه» (٢/ ٥٤٥)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».
وأخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم (٨٦٣٧)، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٣)، وأخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» برقم (٦٨٩٥).
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٤٩) فقال: «رواه بعضهم =

وقال ابن جرير: حدَّثنا[١] ابن وكيع، حدَّثنا[١] سهل بن يوسف، عن عمرو عن الحسن ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] قال: كان هذا في بعض الملل[٢]، ولم يكن بآدم[٣].

= عن عبد الصمد، ولم يرفعه، فهذه علة قادحة في الحديث... والمظنون بل المقطوع به أنّ رفعه إلى النبي ﷺ خطأ والصواب وقفه. والله أعلم».
وقال في «تفسيره» (٣/ ٥٢٨): «... والغرض أنَّ هذا الحديث معلول، من ثلاثة أوجه» ثم ذكرها.
قال محقق «المعجم الكبير» للطبراني (٧/ ٢١٥): «العلة الحقيقية: أنّ الحسن مدلِّس بل كثير التدليس».
قال ابن كثير (٣/ ٥٣١): «... وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنَّه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠]».
قال ابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٥): «وهذا الذي نسبوه إلى آدم عليه السلام من أنه سمَّى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة، من تأليف من لا دين له ولا حياء، لم يصحَّ سندها قط» اهـ.
قلت: وذهب آخرون إلى تصحيح القصة، وعلى هذا، فالشرك لم يقع حقيقة، وإنما وقع في الاسم.
قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد في «التيسير» ص (٥٤٦): «وإذا تأملت سياق الكلام من أوله إلى آخره مع ما فسَّره به السلف تبيَّن قطعًا أنَّ ذلك في آدم وحواء عليهما السلام، فإنه في غير موضع يدلُّ على ذلك، والعجب ممن يكذِّب بهذه القصة، وينسى ما جرى أول مرة ويكابر بالتفاسير المبتدعة، ويترك تفاسير السلف وأقوالهم، وليس المحذور في هذه القصة بأعظم من المحذور في المرة الأولى».
انظر: «تفسير ابن جرير» (٩/ ١٤٥)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٢/ ٢٢١)، و«فتح البيان في مقاصد القرآن» لصديق حسن خان (٥/ ١٠٠ ـ ١٠٣)، وغيرها.

(١) في (ا): «ثنا».
(٢) في «تفسير الطبري»: «أهل الملل».
(٣) أخرجه ابن جرير في «التفسير» برقم (١٥٥٢٦).

وعن ابن عبَّاس قال: كانت حوَّاء عليها السَّلام تلدُ لآدم أولادًا فتعبِّدهم لله، وتسمِّيه: عبد الله وعبيدالله ونحو ذلك فيصيبهم الموت، فأتاها إبليسُ وآدمَ، فقال: أما إنَّكما لو تسمِّيانه بغير الذي تسميانه به لعاش، فولدت رجلًا فسمَّاه: عبد الحارث، ففيه أنزل الله [تعالى]: ﴿۞هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية. [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠].

قال ابن حزم: «اتَّفقوا على تحريم كل اسم مُعَبَّدٍ لغير الله، كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب، وعن ابن عبَّاس في الآية قال: «لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إنِّي صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنَّة، لتطيعانِّني أو لأجعلنَّ له قرني أيِّلٍ فيخرج من بطنك فيَشُقُّه، ولأفعلن، ولأفعلن - يُخَوِّفُهما - سمّياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميِّتًا. ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميِّتًا. ثم حملت، فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حُبُّ الولد، فسَمَّياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ [الأعراف: ١٩٠] رواه ابن أبي حاتم.

● قوله: «قال ابن حزم»، هو عالم الأندلس، أبو محمد عليُّ بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، الظَّاهري، صاحب التَّصانيف، توفي سنة ست وخمسين وأربع مئة، وله اثنتان وسبعون سنة(١).

● قوله: «اتَّفقوا على تحريم كلِّ اسم معبَّد لغير الله، كعبد عمرو

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٨٤).

وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب»(١).

قلت: وعبد المطلب هذا جدُّ رسول الله ﷺ، هو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه(٢)، ولا ريب أنَّهم من ذريَّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليه السلام -.

حكى - رحمه الله [تعالى] - اتِّفاق العلماء على تحريم كل ما عُبِّد لغير الله؛ لأنَّه شرك في الرُّبوبية والإلهيَّة؛ لأنَّ الخلق كلَّهم ملك لله وعبيد له، استعبدهم بعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيَّته وإلهيته، فمنهم من عبدَ الله وحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقرَّ له بربوبيَّته وأسمائه وصفاته، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بدّ، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مَريَم: ٩٣]، فهذه هي العبودية العامة، وأمَّا العبودية الخاصَّة، فإنَّها تختصُّ بأهل الإخلاص والطَّاعة، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦] ونحوها.

● **قوله: «حاشا عبد المطلب»**، هذا استثناء من العموم؛ لأنَّه

---

(١) «مراتب الإجماع» ص (١٥٤).

(٢) قال المناوي في «العجالة السنية» ص (٤٨) و«الفتوحات السبحانية» (١/ ١٩٧) كلاهما بتحقيقي: كره الإمام مالك رفع النسب إلى ما فوق عدنان، وقال: من أخبره به؟ والأكثر على جوازه، وأمَّا ما في حديث أبي نعيم وغيره عن أبي هريرة. مرفوعًا: «علم النسب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر». حمله الأكثر على التعمُّق فيه، والاشتغال به عما هو أهم.

ليس المقصود منه عبودية الرِّق، وإنَّما هو اسم علقه لمّا أتى به عمُّه المطَّلب من عند أخواله بني النَّجَّار من المدينة، وهو صبي، فرأته قريش حين جاء به وقد تغيَّر لونه من السَّفر، فقالوا: عبد المطَّلب، ثم تبيَّن لهم أنَّه ابن أخيه هاشم، فصارت العبودية في هذا الاسم لا حقيقة لها ولا قصد، لكن غلب عليه فصار لا يُسمَّى إلَّا به، وإلَّا فاسمه في الأصل: شيبة، وقد صار عبد المطَّلب معظَّمًا في قريش والعرب، فهو سيِّدُ قريش وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم، وما جرى له في حفرها مذكور في السير(١) وكتب الحديث، وصارت السِّقاية له وفي ذرِّيته.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته
وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] قال: أشفقا ألا يكون إنسانًا. وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

قال شيخنا في معنى قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠]: أنَّ هذا الشِّرك بمجرَّد تسميته لم يقصدا حقيقته التي أرادها إبليس منهما، وهذا يزيل الإشكال(٢)، وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته(٣).

(١) انظر: «السيرة» لابن هشام ص (٢٣٩).
(٢) قال في «التيسير» ص (٥٥١): «فهو دليل على الفرق بين شرك الطاعة وبين شرك العبادة».
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم (٨٦٥٩)، وانظر: «فتح المجيد» (٢/ ٧٣٧).

٥٠ - باب

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

● **قوله: باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾** [الأعراف: ١٨٠] **الآية.**

أراد - رحمه الله [تعالى] - بهذه التَّرجمة الرَّدَّ على من يتوسَّل بذوات الأموات، وأنَّ المشروع هو التَّوسُّل بالأسماء والصِّفات والأعمال الصَّالحة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنَّة، وهو وتر يحبُّ الوتر**». أخرجاه في «الصَّحيحين»(١) من حديث سفيان، وأخرجه التِّرمذي في «جامعه»(٢) عن الجُوزجاني(٣) عن صفوان بن صالح(٤) عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله، وزاد بعد قوله «يحب الوتر»: «**هو الله الذي لا إله إلَّا هو، الرَّحمن، الرَّحيم، المَلِك، القدُّوس، السَّلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبَّار، المتكبِّر، الخالق، البارئ، المصوِّر،**

---

(١) البخاري برقم (٦٤١٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) في (أ) و(ط): «وأخرجه الجرجاني عن صفوان بن صالح»، والصواب ما أثبت من (ب) وجامع الترمذي، فقد أخرجه في جامعه برقم (٣٥٠٧).

(٣) في (هـ): «الجرجاني».

(٤) في (ج): «أبي صالح».

الغفار[١]، القهَّار، الوهَّاب، الرزَّاق، الفتَّاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرَّافع، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّميع، البصير، الحَكَم، العَدل، اللَّطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشَّكور، العليُّ، الكبير، الحفيظ، المُقِيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرَّقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشَّهيد، الحقُّ، الوكيل، القويُّ، المتين، الوليُّ، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي[٢]، المميت، الحيُّ، القيُّوم، [الواحد الماجد الفرد][٣]، الصَّمد، القادر[٤]، المقتدر، المقدِّم، المؤخِّر، الأوَّل، الآخر، الظَّاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البَرُّ، التوَّاب، المنتقم، العفوُّ، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغنيُّ، المغني، المعطي، المانع، النَّافع، الضَّارُّ، النّور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرَّشيد، الصَّبور».

ثم قال التِّرمذي[٥]: «ولا نعلم في كثير من الرِّوايات، ذكر الأسماء [الحسنى] إلَّا في هذا الحديث». والذي عند بعض الحفَّاظ،

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) تقدم بعد: «المتكبر».

(٢) متقدم في (ب) بعد: «الحميد».

(٣) في (ج): «الواجد الماجد الواحد»، وفي (ط) بعد الواحد: «الأحد»، وفي (هـ): «الواجد» بدل «الواحد».

(٤) بعدها في (هـ): «الواحد الأحد».

(٥) في «الجامع» (٥/ ٤٩٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٦١) بسياق آخر، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٠٨): «إسناد طريق ابن ماجه ضعيف».
وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٨٠٨)، وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٧).

أنَّ سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج(١).

هذا ما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره(٢) ثم قال: «ليعلم أنَّ الأسماء ليست منحصرة في تسعة وتسعين، بدليل ما رواه [الإمام] أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حزن فقال: اللهمَّ إنّي عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسم هو لك سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وذهاب حزني، وجلاء همِّي وغمِّي، إلَّا أذهب الله همَّه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا**». فقيل: يا رسول الله ألا نتعلَّمها؟ فقال: «**بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلَّمها**»، وقد أخرجه أبو حاتم(٣) ابن حبَّان في «صحيحه»(٤).

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٦/ ٣٧٩): «وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنّ هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ». وانظر (٢٢/ ٤٨٢)، و«فتح الباري» (١١/ ٢١٥)، وفي «الأمالي المطلقة» لابن حجر باحتمال كون السياق مدرجًا.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥١٦).

(٣) في (ط): «وَ».

(٤) في «المسند» (١/ ٣٩١)، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٩٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٩) وغيرهم، وصحَّحه شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (٣/ ٢٢٣)، و«الفتاوى الكبرى» (٥/ ٦٣) وغيرهما، وابن القيم في «بدائع الفوائد (١/ ١٧٤) وغيرها.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[الأعراف: ١٨٠] الآية. ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون(١). وعنه: سموا اللاّت من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

وقال قتادة في قوله - [تعالى] -: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال: يشركون(٢). وقال ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاس: الإلحاد التكذيب(٣).

قلت: والشِّرك تكذيب من المشرك لما أنزله الله في كتابه وبعث به رسوله، كما جرى من قريش وغيرهم مع النَّبيِّ ﷺ وأصحابه، وكما جرى من المشركين من هذه الأمَّة، فلم يأخذوا بالآيات(٤) المحكمات في تحريم الشّرك والنَّهي عنه، بل كذَّبوا بالصِّدق، واعتمدوا على الكذب على الله وعلى كتابه ورسوله.

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد والميل.

قال ابن القيِّم - رحمه الله [تعالى] -:

وَحَقِيقَةُ الإلحادِ فِيهَا المَيْلُ بالـْ إشْرَاكِ والتَّعْطِيلِ والنُّكْرانِ(٥)

وأسماء الرَّبِّ - تعالى -، كلّها أسماء وأوصاف دلَّت على كماله

---

(١) قال الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٥٦٢): «وهذا الأثر لم يروه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، إنما رواه عن قتادة، فاعلم ذلك».
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (١٦٢٣)، وابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١٣٤).
(٣) أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٤).
(٤) في (أ): «الآيات» بدل: «بالآيات».
(٥) «الكافية الشافية» برقم (٣٤٢٨).

جلَّ وعلا. والذي عليه أهل السُّنة والجماعة قاطبة، متقدِّمُهم ومتأخِّرُهم إثبات الصِّفات التي وصف الله بها نفسه، [ووصفه بها رسوله ﷺ] على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وأنَّ الكلام في الصِّفات فرع عن الكلام في الذَّات يُحتَذَى حذوه، فكما أنَّه يجب العلم بأنَّ لله ذاتًا حقيقة لا تشبه شيئًا من ذوات[(١)] المخلوقين، فله صفات حقيقية لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، [أو تأوَّله على غير][(٢)] ما ظهر من معناه، فهو جهمي قَدِ اتَّبَع غير سبيل المؤمنين.

قال العلَّامة ابن القيِّم - رحمه الله -: «فائدة جليلة: ما يجري صفة أو خبرًا على الرَّبِّ - [تعالى] - أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذَّات، كقولك: ذات وموجود.

الثَّاني: ما يرجع إلى صفات منعوتة[(٣)]، كالعليم والقدير والسَّميع والبصير.

الثَّالث: ما يرجع إلى أفعاله كالخالق والرَّازق[(٤)].

---

(١) في (أ) و(ب) و(ج) و(د): «صفات».
(٢) في (ب) و(د): «أو تأوله، فمن تأوله على غير».
(٣) في (ج): «معنوية».
(٤) في (هـ): «كالخلّاق والرزاق».

الرَّابع: التَّنزيه المحض، ولا بد من تضمُّنهِ ثبوتًا، إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدُّوس السَّلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر النَّاس، وهو الاسم الدَّال على جملة أوصاف عديدة، لا تختص بصفة معينة، بل دالٌّ على معانٍ، نحو المجيد العظيم الصمد، فإنَّ المجيد من اتَّصف بصفات متعدِّدة من صفات الكمال، ولفظه يدلُّ على هذا، فإنَّه موضوع للسعة والكثرة والزِّيادة(١)، فمنه استمجد المرخ والعفار(٢). وأمجد النَّاقة: علفها، ومنه ﴿رب العرش المجيد﴾، صفة للعرش لسعته(٣) وعظمته وشرفه(٤).

وتأمَّل كيف جاء هذا الاسم، مقترنًا بطلب الصَّلاة من الله على رسوله كما علَّمنا [رسول الله] ﷺ، لأنَّه في مقام طلب المزيد والتعرُّض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني، إنَّك أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلى التَّوسُّل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه، ومنه الحديث [الذي في «المسند» والتِّرمذي]: «**ألظُّوا**

---

(١) في (أ): «وزيادة»، وليست في (ج).

(٢) في حاشية (أ) و(ج) و(د): قوله: «والعفار كسحاب «قاموس»». وفي (ط): «العقار» وهو خطأ.
مادة (مجد): شجر سريع الاشتعال. والعفار: شجر يتخذ منه الزناد، ومعنى قولهم: استمجد المرخ والعفار: استكثرا من النار. انظر: «القاموس» ص (٣٣٢).

(٣) في (ب) و(ج) و(د): «وصفته».

(٤) أمام هذه الفقرة في حاشية الأصل و(د): «معنى المجيد».

بـ: يا ذا الجلال والإكرام»[1].

ومنه: «اللَّهم إنِّي أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلَّا أنت المنَّان، بديع السَّموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام»[2]، فهذا سؤال له و[توسّل إليه بحمده وأنَّه لا إله إلَّا هو المنَّان فهو توسل إليه][3] بأسمائه وصفاته، وما أحقَّ ذلك بالإجابة وأعظمه موقعًا عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التَّوحيد.

السَّادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، الغفور القدير، [الحميد] المجيد، وهكذا عامَّة الصِّفات المقترنة والأسماء

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٧٧)، والترمذي برقم (٣٥٢٥)، وقال: «هذا حديث غريب، وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حمَّاد بن سلمة، عن حميد، عن أنس عن النبي ﷺ، وهذا أصحُّ، ومؤمَّل غلط فيه، فقال: عن حماد، عن حميد، عن أنس، ولا يتابع فيه».
وأخرجه النسائي في «الكبرى» برقم (٧٧١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٩)، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن عساكر في «تاريخه» (١٨/ ٦٦)، وابن منده كما في «تاريخ ابن عساكر»، وقال: «قال ابن منده: هذا حديث غريب».
وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٨٠)، والطبراني في «الكبير» برقم (٤٥٩٤) كلهم من حديث ربيعة بن عامر، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٩)، وصححه ووافقه الذهبي من حديث أنس وربيعة بن عامر.
وانظر: «الإصابة» (١/ ٥٠٩)، و«الاستيعاب» بهامشه.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» برقم (١٤٩٥)، والترمذي في «جامعه» (٣٥٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٨٩٣) وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) ما بين المعقوفتين مكرر في الأصل، وفي باقي النسخ بإنقاص كلمة أو زيادة كلمة. وفي (هـ) بدل منها: «وتوجه إليها».

المزدوجة في القرآن، فإنَّ الغنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى[(١)] مع الحمد كمال آخر، فله ثناء[(٢)] من غنائه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنَّه من أشرف المعارف»[(٣)].

(١) في (ب) و(ج) و(د) بعدها: «موجود».
(٢) في (ب) و(ج) و(د): «كمال».
(٣) «بدائع الفوائد» (١/ ٢٨٢ - ط عالم الفوائد) لابن القيم.

٥١ - باب

لا يقال السَّلام على الله

في الصَّحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: كنَّا إذا كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في الصَّلاة، قلنا: السَّلام على الله من عباده، السَّلام على فلان، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا تقولوا: السَّلام على الله، فإنَّ الله هو السَّلام».

● قوله: باب لا يقال: السَّلام على الله.

في «الصَّحيح» عن ابن مسعود ﷺ قال: كنَّا إذا كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في الصَّلاة قلنا: السَّلام على الله من عباده، السَّلام على فلان، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا تقولوا: السَّلام على الله، فإنَّ الله هو السَّلام». هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود[(١)] وغيرهم عن ابن مسعود[(٢)]، وفي هذا الحديث النَّهي عن ذلك.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ إذا انصرف من الصَّلاة المكتوبة استغفر ثلاثًا، وقال: «اللهمَّ أنت السَّلام، ومنك السَّلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام»[(٣)].

وفي الحديث أنَّ هذا هو تحيَّة أهل الجنَّة[(٤)] لربِّهم - تبارك

---

(١) في «سننه» برقم (٩٦٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٨٣٥)، ومسلم برقم (٤٠٢).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٩١) من حديث ثوبان ﷺ.
(٤) سقطت من (ج)، وفي حاشيتها: «لعله: الجنة».

وتعالى ـ.

● **قوله: «فإنَّ الله هو السَّلام»**، أي: هو تعالى سالم من كلِّ نقص ومن كلِّ تمثيل، فهو الموصوف بكلِّ كمال، المنزَّه عن كلِّ عيب ونقص.

قال في «البدائع»: «السَّلام اسم مصدر، وهو من ألفاظ الدُّعاء، يتضمَّن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه [لا] تناقض[(١)] الجهة الإنشائية، وهو معنى السَّلام المطلوب عند التَّحيَّة، وفيه قولان مشهوران:

الأول: أنَّ السَّلام هنا هو الله ﷻ.

ومعنى الكلام[(٢)]: نزلت بركته عليكم، ونحو هذا. فاختِير[(٣)] في هذا المعنى من أسمائه ﷻ اسم السَّلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أنَّ السَّلام اسم مصدر، بمعنى السَّلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التَّحيَّة، ومن حجة أصحاب هذا القول، أنَّه يأتي منكَّرًا فيقول المسلِّم: سلام عليكم، ولو كان اسمًا من أسماء الله[(٤)] لم يستعمل كذا، ومن حجتهم: أنَّه ليس المقصود من السَّلام هذا المعنى، وإنَّما المقصود منه: الإيذان بالسَّلامة خبرًا أو دعاء»[(٥)].

(١) في (أ) و(ب) و(د): «تناقض» بدون «لا».
(٢) في (ط): «السلام».
(٣) في هامش (ج): «فاختار».
(٤) في (ج): «لله تعالى».
(٥) «بدائع الفوائد» (٢/ ٦١٠).

قال ابن القيِّم - رحمه الله [تعالى] -: «وفصل الخطاب أن يقال: الحق في مجموع القولين، فكلٌّ منهما معه بعض الحق، والصَّواب في مجموعهما، وإنَّما يتبيَّن ذلك بقاعدة: وهي أنَّ حق من دعا الله بأسمائه الحسنى، أن يتوسَّل في كل مطلوب ويسأل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله، حتَّى إنَّ الدَّاعي متشفع إلى الله تعالى متوسل به إليه، فإذا قال: ربِّ اغفر لي وتُب عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّاب الغفور، فقد سأله [بـ]أمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مقتضيين لحصول مطلوبه، فالمقام لما كان مقام طلب السَّلامة، التي هي أهم عند الرَّجل أتى في لفظها بصيغة[(١)] اسم من أسماء الله - [تعالى] -، وهو[(٢)] السَّلام التي[(٣)] يطلب منه السَّلامة، وهو مقصود المسلم، فقد تضمن: «سلام عليكم» اسمًا من أسماء الله تعالى وطلب السَّلامة منه.

فتأمَّل هذه الفائدة، وحقيقته: البراءة والخلاص والنَّجاة من الشَّرِّ والعيوب، وعلى هذا المعنى تدور مصاريفه[(٤)]، فمن ذلك قولك: سلَّمك الله، وفيه[(٥)]: دعاء المؤمنين على الصِّراط: اللهمَّ سلِّم سلِّم. ومنه: سلم الشَّيء لفلان، أي: خلص له وحده، [كما] قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٩]،

---

(١) في (ب): «صفة»، وفي (د): «بصفة».
(٢) في (ج): «هو».
(٣) في (ب) و(ط): «الذي».
(٤) وفي (أ): «تصاريفه».
(٥) في (ج) و(ط): «ومنه».

أي: خالصًا له وحده لا يملكه [معه] غيره، ومنه: السِّلم ضد الحرب؛ لأنَّ كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر، ولهذا بني فيه على المفاعلة(١) مثل المشاركة، ومنه: القلب السَّليم وهو النَّقي من الدَّغل والعيب، وحقيقته: الذي قد سلم لله وحده، فخلص له من دغل الشِّرك وغلِّه، ودغل الذّنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صدق حبِّه وحسن معاملته، وهذا هو الذي ضمن له النَّجاة من عذابه والفوز بكرامته.

ومنه أخذ الإسلام، فإنَّه من هذه المادة؛ لأنَّه الاستسلام والانقياد له والتخلُّص من شوائب الشِّرك، فسلم(٢) لربه وخلص له كالعبد الذي سلم لمولاه، ليس له فيه شركاء متشاكسون، ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربِّه، وللمشرك به»(٣).

(١) في بعض النسخ: «المسالمة»، وهو خطأ.
(٢) في (ط): «خلص».
(٣) «البدائع» (٢/ ٦١٧).

٥٢ - باب

قول: اللهمَّ اغفر لي إن شئت

في الصَّحيح: عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللهمَّ ارحمني إن شئت، لِيَعزِم المسألة، فإنَّ الله لا مكره له».

● قوله: باب قول: اللهمَّ اغفر لي إن شئت.

● قوله: «لا يقل أحدكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللَّهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسألة فإنَّ الله لا مكره له»(١)، بخلاف العبد، فإنَّه قد يعطي السَّائل مسألته لحاجته إليه أو لخوفه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره، فاللَّائق بالسَّائل للمخلوق أن يعلِّق حصول مسألته على مشيئة المسؤول مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف ربِّ العالمين، فإنَّه يعطي عبده ما أراده بفضله وكرمه وإحسانه [وجوده]، فالأدب(٢) مع الله أن لا يعلِّق مسألته لربِّه بشيء، لسعة فضله وإحسانه وجوده وكرمه.

وفي الحديث: «ليعزم المسألة»، وفي الحديث: «يمين الله مَلأى لا يغيضها نفقة، سحَّاء اللَّيلَ والنَّهارَ» الحديث(٣).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٩)، ومسلم برقم (٢٦٧٩).
(٢) في (هـ): «فإن الأدب».
(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٩)، ومسلم برقم (٩٩٣) عن أبي هريرة ﷺ وعن أمه.

ولمسلم: «وليُعَظِّم الرغبة فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

● قوله: ولمسلم: «وليُعَظِّم الرَّغبة»، أي: في سؤاله ربه حاجته، فإنَّه يُعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا، «فإنَّ الله - [تعالى] - لا يتعاظمه شيء أعطاه»، أي: ليس ما أُعْطَى عبده مما سأله بعظيم عنده لكمال فضله وجوده، وقد قال بعض الشعراء في مخلوق يمدحه:

وَتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُها
وَتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ[1]

والله تعالى أحقُّ بكل مدحة وثناء.

---

(١) من قصيدة للمتنبي يمدح فيها سيف الدولة، ومطلعها:
عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ   وتأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرامِ المَكَارِمُ
انظر: «ديوان المتنبي» ص (١٣١).

٥٣ - باب
لا يقول: عبدي وأمتي

في الصَّحيح عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أَطْعِمْ رَبَّك، وضِّئ رَبَّك، وليقل: سَيِّدي ومولايَ. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتايَ وفتاتي وغلامي».

● قوله: «باب لا يقول: عبدي وأمتي».

في «الصَّحيح» عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أَطْعِمْ رَبَّك، وضِّئ رَبَّك، وليقل سَيِّدي ومولايَ. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتايَ وفتاتي وغلامي»(١).

هذه الألفاظ المنهيُّ عنها، وإن كانت تطلق لغةً، فالنَّبيُّ ﷺ نهى عنها تحقيقًا للتوحيد وسدًّا لذرائع الشِّرك، لما فيها من التَّشريك في اللفظ؛ لأنَّ الله [تعالى] هو ربُّ العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشَّبه في اللفظ، فينبغي أن يجتنب هذا اللَّفظ في حقِّ المخلوق من ذلك، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذا اللَّفظ، وهو قوله: «سيِّدي ومولايَ»، وكذلك قوله: «ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي»؛ لأنَّ العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله. قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣]، الآية.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٢)، ومسلم برقم (٢٢٤٩).

٥٤ - باب
لا يُرَدُّ من سأل بالله

● قوله: «باب لا يُردُّ من سأل بالله».

ظاهر الحديث النَّهي عن ردِّ السَّائل إذا سأل بالله، ويحتمل أن يكون المراد [فيـ]ـما لا مشقَّة فيه على المسؤول ولا ضرر، فيكون من باب مكارم الأخلاق ومعالي الشِّيم، وربَّما كان السَّائل محتاجًا أو مضطرًّا فيجب أن يعطى ما سأله، ويأثم المسؤول على[1] منعه، فيؤخذ من ماله أضعاف ما منع على وجه يكرهه، فباعتبار هذه الأمور ينبغي لمن أعطاه الله نعمة أن يؤدِّي حق الله فيها، ويعطي من سأله من فضول نعمة الله عليه، خصوصًا إذا سأل بالله تعالى، فيكون إعطاؤه تعظيمًا لمن سأل به وهو الله تعالى.

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنَّكم قد كافأتموه». رواه أبو داود والنَّسائي بسند صحيح.

● قوله: عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن

(١) في (ط): «في»، وفي (هـ): «عن».

صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنَّكم قد كافأتموه». رواه أبو داود والنَّسائي بسند صحيح[(١)].

● قوله: «من استعاذ بالله فأعيذوه»، تعظيمًا لله تعالى وتقرُّبًا إليه بذلك.

● قوله: «ومن دعاكم فأجيبوه» هذا من حقوق المسلم على المسلم، ومن أسباب الألفة وسلامة الصَّدر وإكرام الدَّاعي.

● قوله: «ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه»، أي: ينبغي المكافأة على المعروف، وهو من مكارم الأخلاق، وفيه السَّلامة من البخل وما يذمُّ به.

● قوله: «فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له»، فيه أنَّ الدُّعاء يقوم مقام المكافأة في حقِّ من لم يجد ما يكافئ به.

● قوله: «حتَّى تُروا» - بضم التاء - أي: تظنّوا، وفي رواية أبي نَهيك عن ابن عبَّاس: «من سألكم بوجه الله فأعطوه»[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٥١٠٩)، والنسائي في «سننه» (٥/ ٨٢).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٤٩)، وأبو داود في «سننه» برقم (٥١٠٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٩٣)، وفي الإسناد أبو نهيك قال في «التقريب» ص (٣٨٧): «عثمان بن نهيك . بفتح النون . الأزدي أبو نهيك البصري القارئ مقبول من الرابعة»، فالحديث حسن الإسناد.

٥٥ - باب
لا يُسأل بوجه الله إلَّا الجنَّةُ

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلَّا الجنَّة». رواه أبو داود.

● قوله: باب لا يسأل بوجه الله إلَّا الجنَّة.

ذكر فيه حديث جابر، رواه أبو داود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلَّا الجنَّة»(١)، وهنا سؤال، وهو أنَّه قد ورد في دعاء النَّبيِّ ﷺ عند منصرفه من الطَّائف حين كذَّبته ثقيف، دعا بالدُّعاء المأثور: «اللهمَّ أشكو إليك ضَعْفَ قوَّتي، وقلَّة حيلتي، وهَوَاني على النَّاس، أنت(٢) ربُّ المستضعفين، وأنت ربِّي، إلى من تَكِلُني؟ إلى

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» برقم (١٦٧١)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٥٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ١٩٩)، و«شعب الإيمان» (٣/ ٢٧٦)، و«الأسماء والصفات» (٢/ ٩٣)، والضياء في «المختارة»، وصحَّحه كما في «فيض القدير» (٦/ ٤٥١)، وفي الإسناد سليمان بن معاذ، هل هو ابن قرم أم آخر.
فرَّق البخاري والدارقطني وعبد الحق وغيرهم بينهما، وسوَّى بينهما آخرون.
انظر: «تهذيب الكمال» (١٢/ ٥١) وغيره.
وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٩٥ الحاشدي) بسنده: أنَّ رجلًا جاء إلى عمر بن عبد العزيز، فرفع إليه حاجته، ثم قال: أسألك بوجه الله تعالى، فقال عمر ﷺ: قد سألت بوجهه، فلم يسأل شيئًا إلَّا أعطاه إيَّاه، ثم قال عمر: ويحكَ ألا سألت بوجهه الجنة.

(٢) في (ب): «يا أرحم الراحمين أنت».

بعيدٍ يتجهَّمني؟ أو إلى عدوٍّ ملَّكتَهُ أمري، إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غير أنَّ عافِيَتَك أوسعُ لي، أعوذ بنورِ وجهك الذي أشْرَقَتْ له الظُّلمات، وصَلُحَ عليه أمر الدُّنيا والآخرة، أن يَحِلَّ عليَّ[1] غضبك، أو ينزل بي[2] سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله[3]».

والحديث المروي في «الأذكار»: «اللهمَّ أنت أحقُّ من ذُكِر، وأحقُّ من عُبِد..»، وفي آخره: «أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت له السَّموات والأرض»[4]، ونحوه في الأحاديث المرفوعة، فيحتمل أن هذا فيما يكره العبد دون ما[5] يحبُّه ويتمنَّاه، ويحتمل غير هذا. والله أعلم.

(١) في (ب): «من أن ينزل بي».
(٢) في (ب): «يحل عليَّ».
(٣) في (ب) و(ج) و(د) و(أ): «بك».
والحديث أورده ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٨٠) بغير إسناد، وابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٢٠)، وأخرجه الطبراني كما في «المجمع» (٦/ ٣٥) «من حديث عبد الله بن جعفر، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».
وانظر: «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ٤٣٩)، و«شرح المواهب اللدنية» (١/ ٣٠٥)، وفيه: «رواه الطبراني في كتاب «الدعاء»»، وهو فيه ص (٣١٥) برقم (١٠٣٦).
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٦٤) عن أبي أمامة، وعنه أخرجه ابن الشجري في «الأمالي الشجرية»، وقال في «المجمع» (١٠/ ١١٧): «وفي إسناده فضال بن جبير، وهو ضعيف مجمع على ضعفه».
(٥) في (ب): «لا فيما»، وفي (هـ): «لا ما».

٥٦ - باب
ما جاء في اللَّوّ

● قوله: باب ما جاء في اللَّوِّ.

أي من [الوعيد و] النَّهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر ونحوها.

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عِمرَان: ١٥٤]. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عِمرَان: ١٦٨] الآية.

● قوله: وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عِمرَان: ١٥٤]، قاله بعض المنافقين يوم أُحد، لخوفهم وجزعهم وخورهم(١).

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، [عن أبيه، عن عبد الله بن الزُّبير قال](٢): قال الزُّبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتدَّ علينا الخوف، أرسل الله علينا النَّوم فما منَّا رجل إلَّا ذَقنُه في صدره، قال: فوالله إنِّي لأسمع قول معتِّب بن

(١) تفسير ابن أبي حاتم برقم (٤٣٧٠) عن قتادة.
(٢) ما بين المعقوفتين ليس في (أ) وباقي النسخ، واستدركته من «فتح المجيد»، و«التيسير» ص (٥٧٤). وفي (ج) فقط: «قال».

قشير[١] ما أسمعه إلَّا كالحلم: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هـهنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ [آل عِمرَان: ١٥٤] لقول معتب. رواه ابن أبي حاتم[٢].

وقال مجاهد:[٣] عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبي، يعني أنَّه هو الذي قال ذلك[٤].

في «الصَّحيح» عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنِّي فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ «لو» تفتح عمل الشَّيطان».

● **قوله: في «الصَّحيح» عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن[٥]، وإن**

---

(١) ابن مليل الأنصاري الأوسي، صحابي، وليس له عقب، شهد بدرًا وأحدًا. انظر: «أسد الغابة» (٥/ ٢٢٥)، و«الإصابة» (٣/ ٤٤٣).

(٢) في «تفسيره» (٣/ ٧٩٥)، وابن إسحاق كما في «الروض الأنف» (٢/ ٣٨٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٣)، وإسحاق بن راهويه كما في «سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٢٠٥) عن الزبير، وانظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٩٦ - ط عالم الكتب).

(٣) كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٣- ط دار ابن الجوزي).

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ١٧٠)، وفي الإسناد الحسين المعروف بسنيد، وابن جريج مدلِّس وقد عنعن.

(٥) في (أ) و(ط): «تعجز».

أصابك شيء فلا تقل: لو أنِّي فعلت كذا و[كذا] لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ (لو) تفتح عمل الشَّيطان»[(١)].

اختصر المصنِّف هذا الحديث وتمامه: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف، وفي كلٍّ خير..» إلى آخره.

● قوله: «**احرص على ما ينفعك**»، أي: في دنياك وأخراك، وخص ما ينفع دون ما ليس كذلك مما فيه ضرر أو عدم نفع، وذلك لا يخرج عن الواجب والمستحب والمباح إذا كان نافعًا.

● [قوله]: «**واستعن بالله**»؛ لأنَّه لا يحصل [له] ذلك، إلَّا إذا كان مستعينًا بالله.

● قوله: «**ولا تعجزن**»، نهاه عن العجز؛ لأنَّه ممَّا يُذَمُّ به عقلًا وشرعًا، فما أكثر ذلك في النَّاس، فكم فوَّت الإنسان على نفسه من الخير، وهو يقدر عليه إذا رغب فيه واستعان بالله [فإنَّه يحصل] ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

● قوله: «**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنِّي فعلتُ [كذا] لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله**»؛ لأنَّ ما قدرَ يكون، فيجب الإيمان بالقدر والتَّسليم، وأرشده[(٢)] [إلى] أن يقول: «قدر الله»، أي: هذا قدر الله، والمبتدأ محذوف [و] تقديره: «هذا قدر الله وما شاء فعل»؛ لأنَّ أفعاله تعالى إنَّما تصدر عن حكمة وعلم وفضل وعدل ﴿وَلَا يَظْلِمُ

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٦٤).

(٢) في (ب) بعدها: «لأن».

رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

● قوله: «فإنَّ «لو» تفتح عمل الشَّيطان»، أي: لما فيها من التَّأسُّف على ما فات والحزن فيأثم في ذلك، وذلك من عمل الشَّيطان[1].

---

(١) انظر: «شفاء العليل» ص (١٩).

٥٧ - باب
النهي عن سبِّ الرِّيح

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تسبُّوا الرِّيح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللَّهم إنا نسألك من خير هذه الرِّيح، وخير ما فيها وخير ما أُمِرَتْ به، ونعوذُ بك من شرِّ هذه الرِّيح، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُمِرَتْ به» صحَّحه الترمذي.

● قوله: باب النَّهي عن سبِّ الرِّيح.

عن أبيِّ بن كعب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تسبُّوا الرِّيح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللَّهم إنَّا نسألك [من] خير هذه الرِّيح، وخير ما فيها، وخير ما أُمِرت به، ونعوذ بك من شرِّ هذه الرِّيح، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أمرت به» صحَّحه التِّرمذي[(١)].

لأنَّ الرِّيح خلق من خلق الله مدبر، وإنَّما تهب بمشيئة الله وقدره[(٢)]، فيرجع السَّبُّ إلى من خلقها وسخَّرها.

وأرشد النَّبيُّ ﷺ أمَّته إلى أن يقولوا ما ذكر في الحديث، وهو

---

(١) في «الجامع» برقم (٢٢٥٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٢٣)، وابن أبي الدنيا في كتابه «المطر والرعد والبرق والريح» برقم (١٢٨) وغيرهم.
واخْتُلِف في رفعه ووقفه، وله شواهد من حديث أبي هريرة وجابر وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) في (هـ): «وقدرته».

سؤاله تعالى من خيرها وخير ما فيها، والاستعاذة به من شرِّها وشرِّ ما فيها، وقد شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم ويستعيذوا به من شرِّ ما يضرُّهم، وأن يكون ذلك منهم عبودية لله وحده وطاعة له وإيمانًا به، وهذه حال أهل التَّوحيد والإيمان خلافًا لحال أهل الشِّرك والبدع.

٥٨ - باب

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

● قوله: باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله - في ذكر وقعة أُحد -: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، يعني أهل الإيمان والثَّبات والتَّوكُّل الصَّادق، وهم الجازمون بأنَّ الله تعالى ينصر رسوله ﷺ وينجز له [مأموله][(١)]، ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، يعني لا يغشاهم النُّعاس من القلق والجزع والخوف، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾، كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢].

وهكذا هؤلاء، اعتقدوا أنَّ المشركين لما ظهروا تلك السَّاعة ظنُّوا أنَّها الفيصلة، وأنَّ الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الرَّيب والشَّكِّ، إذا حصل لهم أمر من الأمور تحصل لهم هذه الأمور الشَّنيعة.

قال العلَّامة ابن القيِّم[(٢)] - رحمه الله [تعالى] -: «وقد فُسِّر هذا

---

(١) في (ب): «ما وعد له».
(٢) لم أذكر قول ابن القيِّم في المتن؛ لأنَّ الشارح ذكره بتمامه هنا.

الظَّنُّ الذي لا يليق بالله سبحانه بأنَّه لا ينصر رسوله، وأنَّ أمره سيضمحلُّ. وفُسِّر بظنِّهم أنَّ ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره[(١)]، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتمَّ أمر رسول الله[(٢)]، وأن يظهره على الدِّين كله.

وهذا هو ظنُّ السَّوء[(٣)]، الذي ظنَّه المنافقون والمشركون في سورة «الفتح»، وإنَّما كان هذا ظن سوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته، وحمده ووعده الصَّادق.

فمن ظنَّ أنَّه يديل الباطل على الحقِّ إدالة مستقرة يضمحلُّ معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدَّره لحكمة بالغة يستحقُّ عليها الحمد، بل زعم أنَّ ذلك لمشيئة مجرَّدة، فذلك ظن الذين كفروا ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [صٓ: ٢٧].

وأكثر النَّاس يظنُّون بالله ظنَّ السَّوء فيما يختصُّ بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلَّا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبيب النَّاصح[(٤)] لنفسه بهذا، وَلْيَتُبْ إلى الله ويستغفره مِنْ

---

(١) في (هـ): «بقدر الله وحكمته».

(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ): «رسوله».

(٣) بعدها في (هـ): ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

(٤) في (هـ): «الناصر».

ظنِّه بربِّه ظنَّ السَّوء، ولو فتَّشْتَ من فتَّشْتَ لرأيت عنده تعنُّتًا على القدر وملامةً له، وأنَّه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقلٌّ ومستكثر، وفتِّش نفسك هل أنت سالم؟

فإنْ تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمةٍ وإلَّا فإنِّي لا إخَالُكَ نَاجِيا»[1]

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] الآية.

● قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]، قال ابن جرير في «تفسيره»: «﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ[2]﴾ [الفتح: ٦] أي: الظَّانِّين بالله أنَّه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، وأن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السَّوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع»[3].

وقال ابن كثير: «﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] أي: يتَّهمون الله في حكمه، ويظنُّون بالرَّسول ﷺ أن يُقْتَلوا ويذهبوا بالكليَّة، ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨]»[4].

(١) البيت للفرزدق، وهذا النقل عن ابن القيِّم في «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٨).
(٢) في (ج) بعدها: «عليهم».
(٣) «التفسير» (٢٢/ ٢٠٥).
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١٨٥).

٥٩ - باب
ما جاء في منكري القَدَر

وقال ابن عمر: والذي نَفْسُ ابْنِ عمر بيده، لو كان لأحدهم مِثْلُ أُحُدٍ ذهبًا ثم أنفقه في سبيل الله ما قَبِلَهُ الله منه حتَّى يؤمن بالقَدَرِ. ثم استدلَّ بقول النَّبيِّ ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَر خيره وشرِّه» رواه مسلم.

● **قوله: «باب ما جاء في منكري القدر».**

أي: من الوعيد.

● **قوله: «قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده».** حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنَّسائي وابن ماجه عن يحيى بن يعمر، قال: كان أوَّلَ من تكلَّم في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرَّحمن الحميري حاجَّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عمَّا يقول هؤلاء في القدر، فوفِّق الله لنا عبد الله بن عمر داخلًا المسجد، فاكتنفتُه أنا وصاحبي، فظننتُ أنَّ صاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليَّ، فقلت: أبا عبد الرَّحمنِ، إنَّه قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويتقفَّرون[1] العلم، يزعمون أنْ لا قَدَرَ، وأنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ، فقال: إذا

(١) في (ج): «ويتفقرون»، وفي (أ) الكلمة عليها سواد.

لقيت أولئك فأَخْبِرْهُمْ أنِّي بريء منهم وأنَّهم بُرآءُ منِّي، والذي يَحلف به عبد الله بن عمر لو أنَّ لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقه [في سبيل الله] ما قَبِله الله منه حتَّى يؤمن بالقدر(١).

ثم قال: حدَّثني عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: بينما نحن(٢) عند رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثِّياب، شديد سواد الشَّعر، لا يُرى عليه أثر السَّفر، ولا يعرفه منَّا أحد، حتَّى جلس إلى النَّبيِّ ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفَّيهِ على فَخِذَيهِ، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، قال(٣): «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا**». قال: صَدَقْتَ! فعجبنا له، يسأله ويصدِّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «**أن تؤمن بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه**». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «**أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه(٤) يراك**». قال: فأخبرني عن السَّاعة. قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**». قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: «**أن تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأن ترى الحفاةَ العراةَ العالةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان**». قال: فانطلق فلبث(٥) مَلِيًّا، ثم قال: «**يا عمر،**

---

(١) في (ب): «بالقدر خيره وشره».
(٢) في (هـ) بدلها: «كنا جلوسًا».
(٣) في (ب): «فقال رسول الله ﷺ».
(٤) في (ج): «فاعلم أنه».
(٥) في (ج) و(ط): «فلبثنا».

أتدري مَنِ السَّائِل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «إنَّه جبريل أتاكم يعلِّمكم أمر دينكم»[١].

وعن عبادة بن الصَّامت أنَّه قال لابنه: يا بني، إنَّك لن تجد طعمَ الإيمان حتَّى تعلم أنَّ ما أصابكَ لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبَك. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقاديرَ كلِّ شيء حتَّى تقومَ السَّاعة». يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس منِّي».

وفي رواية لأحمد: «إنَّ أوَّل ما خلق الله تعالى القَلَمَ فقال له: اكتب، فجرى في تلك السَّاعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه، أحرقه الله بالنَّار».

● قوله: «عن عبادة بن الصَّامت»، حديثه هذا رواه أبو داود، ورواه الإمام أحمد بكماله، قال: حدَّثنا[٢] الحسن بن سوار، حدَّثنا[٢] ليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدَّثني عبادة بن الوليد ابن عبادة، حدَّثني أبي، قال: دخلتُ على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي. قال: أجلِسوني. [ثم] قال:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨)، وأبو داود برقم (٤٦٩٥)، والترمذي برقم (٢٦١٠)، والنسائي برقم (٤٩٩٠)، وابن ماجه برقم (٦٣).
(٢) في (أ): «ثنا».

يا بني، إنَّك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم [بالله]، حتَّى تؤمن بالقدر خيره وشرِّه. قلت: يا أبتاه، وكيف أعلم ما خير القدر وشرّه؟ قال: أن تعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ أوَّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك السَّاعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**»[1] يا بني إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النَّار. رواه التِّرمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح[2].

وفي هذا الحديث بيان شمول علم الله وإحاطته بما كان وما يكون، كما في قوله [تعالى]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الآية [الطلاق: ١٢]، والآيات في إثبات القدر كثيرة، وقد استدلَّ العلماء على إثبات القدر بشمول القدرة والعلم، كما في الآية.

قال الإمام أحمد: القدر: قدرة الرَّحمن[3]. وقال بعض الأئمة في نفاة القدر: ناظروهم بالعلم، فإن أقرُّوا به خصموا، وإن جحدوه كفروا[4].

---

(١) ما بين المعقوفتين. من قوله: «يا بني سمعت...» إلى هنا. مكرر في (أ) و(د).

(٢) بعدها في «فتح المجيد» (٢/ ٧٩٣): «عن الوليد بن عبادة، عن أبيه، وقال: حسن صحيح غريب»، والحديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣١٧)، وأبو داود برقم (٤٧٠٠)، والترمذي برقم (٢١٤٤)، والفريابي في كتاب القدر برقم (٤٢٥) وغيرهم.

(٣) «المسائل» لابن هانئ برقم (١٨٦٨).

(٤) «الرد على الجهمية» للدارمي عند الحديث رقم (٤٤)، و«مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٤٩).

وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمي قال: أتيتُ أبيّ بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدِّثْني بشيء لعل الله يُذْهِبُه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا ما قبله الله منك حتَّى تؤمن بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخْطِئَكَ، وما أخطأك لم يكن ليُصيبَكَ، ولو متَّ على غير هذا لكنتَ من أهل النَّار. قال: فأتيت عبدَالله بن مسعود وحذيفةَ ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكُلُّهُم حَدَّثَني بمثل ذلك عن النَّبِيِّ ﷺ.
حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه.

● قوله: «وفي «المسند» و«السنن»[(١)] عن ابن الدَّيلَمِي» هو أبو بُسر - بالسين المهملة والباء المضمومة، ويقال: أبو بشر بالشين المعجمة وكسر الباء، وبعضهم صحَّح الأول - واسمه: عبد الله بن أبي فيروز[(٢)].

ولفظ أبي داود قال: لو أنَّ الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتَّى تؤمن بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لكنت من أهل النَّار.

---

(١) أفاد الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» ص (٦٠٦) أنَّ مراد المصنِّف بالسنن هنا «سنن أبي داود» و«سنن ابن ماجه» فقط، وفيه زيادة اختصرها المصنِّف، والحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٢)، وأبو داود برقم (٤٦٩٩)، وابن ماجه برقم (٧٧).

(٢) في (ج): «عبد الله بن فيروز»، وانظر: «تهذيب الكمال» (١٥/ ٤٣٥).

فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك.

قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، قال: فحدثني عن النَّبيِّ ﷺ مثل ذلك. وأخرجه ابن ماجه[١].

وهذه الأحاديث وما في معناها حُجَّة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النَّار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع، وكثير منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرَّبِّ - تعالى وتقدَّس -.

(١) تقدم تخريجه الصفحة السابقة.

٦٠ - باب
ما جاء في المصوِّرين

● قوله: «باب ما جاء في المصوِّرين».

أي: من الوعيد، وقد ذكر النَّبيُّ ﷺ العلَّة، وهي المضاهاة بخلق الله - [تعالى] -؛ لأنَّ الله تعالى له الخلق والأمر، فلا يجوز أن يشبه بشيء من خلقه سبحانه، لما فيه من المضاهاة بخلق الله.

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «ألّا تدع صورة إلَّا طمستها، ولا قبرًا مُشْرِفًا إلَّا سوَّيته».

● قوله: ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «ألّا تدع صورة إلَّا طمستها، ولا قبرًا مُشْرِفًا إلَّا سوَّيته»[(١)].

● قوله: «عن أبي الهياج»، هو الأسدي حيان بن حصين[(٢)].

و«علي» هو أمير المؤمنين.

● قوله: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورة إلَّا طمستها، ولا قبرًا مُشْرِفًا إلَّا سوَّيته»، فهذا ما صحَّ عن

---

(١) مسلم برقم (٩٦٩).
(٢) انظر: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٥٩)، و«تقريب التهذيب» ص (١٨٤).

النَّبيِّ ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٥٩]، فأكثروا التَّصوير واستعملوه، وأكثروا البناء على القبور وزخرفوه وجعلوها[(١)] أوثانًا، وزعموه دينًا، وهو أعظم المنكرات وأكبر السيِّئات، تعظيمًا للأموات وغلوًّا، وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حقُّ الله تعالى على عباده.

قال العلَّامة ابن القيِّم - [رحمه الله تعالى] -: «ومن جمع بين سنَّة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه[(٢)]، وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر النَّاس اليوم، رأى أحدهما مضادًّا للآخر مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا»[(٣)].

---

(١) المثبت من (أ) ولعله هو الصواب إذ الضمير يرجع على القبور، أما قوله: «وزخرفوه»، فالضمير يرجع على البناء.
(٢) في (ب) و(هـ): «وما نهى عنه».
(٣) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (١/ ٢١٠).

٦١ - باب

ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة: ٨٩]

● قوله: «باب ما جاء في كثرة الحلف». أي من النهي عنه والوعيد، وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة: ٨٩]»، قال ابن جرير: أي: لا تتركوها بغير تكفير[١]، وذكر غيره عن ابن عبَّاس: يريد لا تحلفوا، وقال آخرون: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ عن الحنث فلا تحنثوا، والمعنى يعمُّ القولين.

عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب». أخرجاه.

● قوله: «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الحلف مَنفَقَة للسِّلعة، ممحقة للكسب». أخرجاه»، أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود والنَّسائي[٢].

والمعنى: أنَّه قد يحلف على ثمن السِّلعة بزيادة على ما اشتريت به أو سيمت به، فيأخذها المشتري لظنِّه أنَّه صدق، وهذا وإن كان فيه

---

(١) «تفسير الطبري» (٧/ ٣١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٠٨٧)، ومسلم برقم (١٦٠٦)، وأبو داود برقم (٣٣٣٥)، والنسائي (٧/ ٢٤٦).

زيادة فهو يمحقُ البركة، كما جاء في الحديث، والواقع يشهدُ بصحَّته، فإنَّ ما عند الله لا يُنال إلَّا بطاعته، وإن تزخرفت الدُّنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب.

وعن سلمان أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلَّا بيمينه، ولا يبيع إلَّا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح.

● قوله: **وعن سلمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلَّا بيمينه، ولا يبيع إلَّا بيمينه» رواه الطَّبراني بسند صحيح**[1].

و«**سلمان**»؛ لعلَّه سلمان الفارسي [أبو عبد الله]، أسلم مقدم النَّبيِّ ﷺ المدينة، وشهدَ الخندقَ، روى عنه أبو عثمان النَّهدي وشرحبيل بن السِّمط وغيرهما.

قال النَّبيُّ ﷺ: «**سلمان منَّا أهل البيت**»[2]، «**إنَّ الله يحبُّ من**

(١) رواه الطبراني في «معاجمه» الثلاثة في «الكبير» برقم (٦١١١)، و«الأوسط» (٥/ ٣٦٧)، و«الصغير» (٢/ ٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٢٠) عن سلمان الفارسي، قال في «المجمع» (٤/ ٧٨): «ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ١٣٣)، والطبراني في «الكبير» برقم (٦٠٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ٤٠٨) وغيرهم عن عمرو بن عوف المزني. ومن طريق كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، نسبه كثير من المحدِّثين إلى الكذب، وله شاهد من حديث زيد بن أبي أوفى، والحسن بن علي، وأنس بن مالك.

أصحابي أربعة: عليًّا[1] وأبا[2] ذر وسلمان والمقداد». أخرجه التِّرمذي[3].

توفِّي سلمان في خلافة عثمان[4].

ويحتمل أنَّه سلمان بن عامر بن أوس الضبيّ[5].

● قوله: «لا يكلِّمهم الله»، وهذا وعيد شديد في حقِّهم؛ لأنَّه قد تواتر أنَّه يكلِّم أهل الإيمان ويكلِّمونه في عرصات القيامة، والأدلَّة على ذلك في الكتاب والسُّنة أظهر شيء وأبينه. وفيه الرَّد على الجهميَّة والأشاعرة نفاة الكلام.

● قوله: «ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم»، هذا من تمام العقوبة عليهم، وفي هذا الوعيد الشَّديد ما يزجر من له عقل من[6] هذه الأعمال السَّيئة ونحوها.

● قوله: «أشيمط زانٍ»، صغَّره تحقيرًا له، وذلك لأنَّ داعي المعصية ضعف في حقِّه، فدلَّ على أنَّ الحامل له على الزِّنا: محبَّة

---

(١) وقع في (أ): «علي» بالرفع، والصواب المثبت.
(٢) وقع في (أ): وأبو ذر.
(٣) رواه الترمذي في «جامعه» برقم (٣٧١٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥١)، وابن ماجه برقم (١٤٩) من حديث بريدة رضي الله عنه.
(٤) انظر: «السير» (١/ ٥٤٠).
(٥) هو ابن عامر بن أوس بن حجر الضبي، له صحبة. قال مسلم بن الحجاج: «وليس في الصحابة ضبي غيره». توفي في خلافة معاوية. «الإصابة» (٣/ ١٤٠)، و«تهذيب التهذيب» (٤/ ١٢٠).
(٦) في (ب) و(ج) و(هـ): «عن».

المعصية والفجور وعدم خشية الله.

وكذلك «العائل المستكبر»، ليس له ما يحمله على الكبر، فدلَّ على أنَّه خُلقٌ له، فعظمت العقوبة في حقِّه، لعدم الدَّاعي إلى هذا الخلق الذَّميم الذي هو من أكبر المعاصي.

● قوله: «**ورجل جعل اللهَ بضاعته**» بنصب الاسم الشَّريف، يعني اليمين بالله ﷻ، جعله بضاعة له لكثرة استعماله.

وفي «الصحيح» عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ ثم إنَّ بعدكم قومًا[1] يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن».

● قوله: وفي «**الصحيح**»، أي: «صحيح مسلم»، وأخرجه أبو داود والتِّرمذي ورواه البخاري بلفظ: «خيركم»[2].

● قوله: **عن عمران بن حصين** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا، «ثم إنَّ بعدكم قوم[3] يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا**

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٠)، ومسلم برقم (٢٥٣٥)، وأبو داود برقم (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢١)، ورواية: «خيركم» في عدة مواضع (٦٠٦٤) وغيرها.
(٢) كذا وقع في (أ) ولعل صوابه: «قوما» بالنصب، وهو كذلك في «صحيح البخاري».

يوفون، ويظهر فيهم السِّمن».

● قوله: «خير أمَّتي قرني»؛ لكثرة الخير فيهم وقِلَّة الشَّرِّ، وشدَّة الإنكار على من خالف الحقَّ وابتدع، كالخوارج والقدرية والجهمية ونحوهم.

«ثم الذين يلونهم»، فُضِّلُوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة العلم والعلماء، وأما القرن الثَّالث فظهرت فيه[١] البدع لكن أنكرها العلماء، وتصدَّى كثير منهم لإنكارها والرَّدِّ على من قالها وهم كثيرون.

● قوله: «فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا»، هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين، ثم ذكر ما وقع بعد الثَّلاثة من الجفاء في الدِّين وكثرة الأهواء، فقال: «ثمَّ إن بعدكم قوم[٢] يشهدون ولا يستشهدون»؛ لاستخفافهم بأمر الشَّهادة وعدم تحرِّيهم الصدق[٣] وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم [وعدم إيمانهم].

● قوله: «ويخونون ولا يؤتمنون»، يدلُّ على أنَّ الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم.

«وينذرون ولا يوفون»، أي: لا يؤدُّون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذَّميمة، يدلُّ على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

● قوله: «ويظهر فيهم السِّمن»؛ لرغبتهم في الدُّنيا وشهواتها

---

(١) في (ب) و(ط): «فيهم».
(٢) كذا، وانظر التعليق عليها في الصفحة السابقة.
(٣) في (ج) و(د): «للصدق».

ولذاتها وقلَّة الإيمان باليوم الآخر.

وفي حديث أنس: «**لا يأتي على النَّاس زمان إلَّا والذي بعده شر منه حتَّى تلقوا ربكم**»، قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ[١]. فما زال الشَّرُّ يزيد في الأمَّة حتَّى ظهر الشِّرك والبدع في كثير منهم، حتَّى فيمن ينتسب إلى العلم ويتصدَّر للتعليم والتَّصنيف، فحدث التَّفرُّق والاختلاف في الدِّين، وحدث الغلو في أهل البيت من بني بويه في المشرق[٢]، لما كان لهم دولة، وبنوا المساجد على القبور، وغلوا في أربابها، وظهرت دولة القرامطة[٣]، وظهر فيهم الكفر والإلحاد في شرائع الدين، ومذهبهم معروف، وظهر فيهم من البدع ما يطول عدُّه، وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين، وما زال أهل [السنة على الحق][٤]، ولكن كثرت البدع والأهواء حتَّى [عاد المعروف][٥] منكرًا والمنكر معروفًا، نشأ [على هذا الصَّغير][٥] وهرم عليه الكبير[٦].

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٦٨).

(٢) سلالة من الديلم (جنوب بحر الخزر) حكمت في غرب إيران والعراق من سنة (٣٢٠ - ٤٥٤)، أسَّسها أبو شجاع بويه، شجَّع البويهيون المظاهر الفارسية في دولتهم، كما حاولوا نشر المذهب الشيعي، قضى عليهم الغزنويون والسلاجقة.

(٣) كان ابتداء أمرهم من سنة (٢٧٨) واستمروا سنين طوالاً على البغي والإفساد، ومنها سرقة الحجر الأسود من مكة المكرمة إلى (٣٧٥هـ)، وهي إحدى فرق الطائفة الإسماعيلية، مؤسسها: حمدان بن الأشعث الذي يلقّب بقرمط.

(٤) ما بين المعقوفتين ذهب من الأصل من التصوير ولم يبق منها إلا: «السن».

(٥) ما بين المعقوفتين ذهب من الأصل مع التصوير.

(٦) من قوله: «وذلك لقلَّة دينهم . .» إلى هنا. ليس في أصل (أ)، واستدركته من الحاشية.

وفيه عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خير النَّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد[١] ونحن صغار.

● قوله: وفيه عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خير النَّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[٢].

في هذا الحديث أنَّ خير القرون ثلاثة من غير شك.

● قوله: «ثم يجيء قوم..» إلخ، وذلك لضعف الإيمان والرغبة في الدنيا وأخذها بالقلوب وكثرة المعاصي والذنوب.

● قوله: «قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشَّهادة والعهد ونحن صغار»، هكذا حال السَّلف الصَّالح، محافظة منهم على الدِّين الذي أكرمهم الله تعالى به، فلا يتركون شيئًا مما يكره إلَّا أنكروه.

وفيه تمرين الصِّغار على دينهم بالتَّعليم.

(١) في (هـ): «على العهد والشهادة».
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٢)، قال ابن حجر في «الفتح» (٥/ ٢٦١): «ووهم من زعم أنَّه معلَّق».

٦٢ - باب
ما جاء في ذِمَّةِ الله وذِمَّةِ نبيِّه

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] الآية

● قوله: «باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيِّه».

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] الآية.

قال العماد ابن كثير: «وهذا مما يأمر الله تعالى به[(١)]، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١][(٢)]. وهذه الأيمان المراد بها الدَّاخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حثٍّ أو منع[(٣)].

● قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ[(٤)] ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١]. تهديد ووعيد.

---

(١) في (أ): «مما يأمر الله به تعالى».
(٢) في (هـ): «﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ ثم ذكر: وهذه الأيمان...».
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥٨٤).
(٤) وقع في (أ): ﴿إن الله يعلم ما تصنعون﴾.

عن بريدة أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا أَمَّر أمير جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا فقال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدِروا ولا تُمَثِّلُوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعُهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيَّتهن ما أجابوك فاقبل منه وكُفَّ عنهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم ادعُهم إلى التَّحَوُّل من دارهم إلى دارِ المهاجرين، وأخبرهم أنَّهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبَوا أن يَتَحَوَّلُوا فأخبرهم أنَّهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلَّا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبَوا فاسألهم الجِزْيَةَ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم. فإن هم أبَوا فاستعِن بالله وقاتِلْهُم. وإذا حاصرتَ أهلَ حصنٍ فأرادوك أن تجعل لهم ذمَّةَ الله وذمَّةَ نبيِّه فلا تجعل لهم ذمَّةَ الله وذمَّةَ نبيِّه، ولكن اجعل لهم ذمَّتك وذمَّة أصحابك، فإنَّكم أن تخفروا ذممكم وذمَّة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه. وإذا حاصَرْتَ أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تُنْزِلْهُم على حكم الله، ولكن أَنْزِلْهُم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟» رواه مسلم.

● قوله: «عن بريدة»، هو ابن حصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه[1].

(١) قاله في «المفهم» (٣/ ٥١١)، والحديث في «صحيح مسلم» برقم (١٧٣١).

● **قوله: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سَرِيَّة، أوصاه بتقوى الله تعالى».**

فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيَّتهم.

قال الحربي: السَّرية: [الخيل][(١)] تبلغ أربع مئة ونحوها[(٢)]، والجيش ما كان أكثر من ذلك.

وتقوى الله: التحرُّز بطاعته من عقوبته[(٣)].

● **قوله: «ومن معه من المسلمين خيرًا»**، أي: ووصَّاه بمن معه أن يفعل معهم خيرًا، من الرِّفق بهم والإحسان إليهم وخفض الجناح لهم وترك التَّعاظم عليهم.

● **قوله: «اغزوا بسم الله»**، أي: اشرعوا في الغزو مستعينين بالله مخلصين له، فتكون الباء في «بسم الله» هنا للاستعانة بالله والتَّوكُّل عليه.

● **قوله: «قاتلوا من كفر بالله»**، هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر[(٤)] المحاربين من أهل الكتاب وغيرهم، واستثنى منهم من له عهد، وكذلك الذَّراري والأولاد والنِّساء والرُّهبان فلا يقتلون.

---

(١) زيادة من (ط).

(٢) نقله عنه القرطبي في «المفهم» (٣/ ٥١١).

(٣) في (هـ): «التحرز من عقوبته بطاعته». وجاء في «فتح الحميد» (٢/ ٨١٩) بعدها: «قلت: وذلك بالعلم بما أمر الله به، والانتهاء عمَّا نهى الله عنه».

(٤) في (ب): «الشرك».

● **قوله: «ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثِّلوا»**، الغلول: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: ١٦١]، والغدر: نقض العهد، والتَّمثيل هنا: التَّشويه بالقتيل[(١)]، كقطع أنفه وأذنه والعبث به.

● **قوله: «وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعُهم إلى ثلاث خلال أو خصال»**، الرِّواية بـ «أو» الَّتي هي للشَّكِّ، والمعنى واحد.

● **قوله: «فأيتهنَّ ما أجابوك، فاقبل منهم وكفَّ عنهم»**، منصوب بـ «أجابوا»[(٢)].

● **قوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام»**، كذا وقعت الرِّواية في جميع نسخ كتاب «مسلم»: «ثمَّ ادعهم» بزيادة «ثمَّ»[(٣)].

● **قوله: «ثمَّ ادعهم إلى التَّحوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين»**، يعني المدينة إذ ذاك، وهذا يدلُّ على أنَّ الهجرة واجبة على كلِّ من آمن، وهو في بلد الشِّرك، وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلده، كما نصَّ عليه الفقهاء في كتبهم.

● **قوله: «فإن هم أبَوا أن يتحوَّلوا [منها]»**، يعني أنَّ من أسلم

---

(١) في (ب): «بالقطع».
(٢) «المفهم» (٣/ ٥١٣).
(٣) انظر «المفهم» (٣/ ٥١٣)، و«التيسير» ص (٦٢٥)، وفي «فتح المجيد» (٢/ ٨٢١): «والصواب إسقاطها كما روي في غير «كتاب مسلم» كـ «مصنف أبي داود» [(٢٦١٣)]، وكتاب «الأموال» لأبي عبيد [(٥٢٤)]؛ لأنّ ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال». انتهى.

ولم يجاهد ولم يهاجر من البداوة، لم يُعطَ [له] من الخُمُسِ ولا من الفيء شيء.

● قوله: «فإن هم أبَوا فَاسْأَلهُمُ الجزية»، فيه حجَّة لمالك وأصحابه والأوزاعي[(١)] في أخذ الجزية من كلِّ كافر عربيًّا كان أو غيره، كتابيًّا كان أو غيره، وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية.

فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذَّهب، وأربعون درهمًا على أهل الورق.

وقال الشَّافعي: دينار على الغني والفقير.

وقال أبو حنيفة: على الغني: ثمانية وأربعون درهمًا، والوسط: أربعة وعشرون درهمًا، والفقير: اثنا عشر درهمًا، وهو قول أحمد بن حنبل[(٢)].

وعند مالك وكافة العلماء: على الرِّجال الأحرار البالغين دون غيرهم، وإنَّما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين، لا ممن نأى بداره، ويجب تحويل[(٣)] النَّائي إلى بلاد المسلمين أو حربهم.

● قوله: «وإذا حاصرت أهل حصن..» إلخ، فيه حجَّة لمن يقول

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي، إمام الديار الشامية. توفي سنة (١٥٧هـ). «الكاشف» (١/ ٦٣٨).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (١٣/ ٢٠٩)، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ٢٦)، و«الأموال» لابن زنجويه (١/ ٤٧٧)، و«فتح المجيد» للمؤلف.

(٣) في (هـ): «تأويل».

من الفقهاء وأهل الأصول: إنَّ المصيب في مسائل الاجتهاد واحد، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره(١).

● قوله: «**وإذا حاصرتَ أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمَّة الله وذِمَّةَ نبيِّه، فلا تجعل لهم ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه**»، الذِّمَّة: العهد، وتخفر: تنقض، يقال: أخفرت الرَّجل: نقضت عهده، وخفرته: أجرته؛ لأنَّه لا يؤمن على من أعطى ذمة أن يخفرها، فخفر ذمَّته أهون من أن يخفر ذمَّة الله - تعالى -.

---

(١) في «إبطال التنديد» ص (٢٤٩) أنَّ هذا القول نقله الشيخ سليمان من قول القرطبي والنووي.

٦٣ - باب
ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ﷻ: من ذا الَّذي يتألَّى عَليَّ، أن لا أغفر لفلان؟ إنِّي قد غفرتُ له وأحبطتُ عملَكَ» رواه مسلم.

● قوله: «باب ما جاء في الإقسام على الله».

عن جندب[(١)] بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله، لا يغفر الله لفلان، فقال الله ﷻ: من ذا الَّذي يتألَّى عَليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إنِّي قد غفرتُ له وأحبطتُ عملَكَ» رواه مسلم[(٢)].

● قوله: «يتألَّى» أي: يحلف، والأليَّة - بالتَّشديد ـ: الحلف، وصحَّ من حديث أبي هريرة، ورواه أبو داود من حديث[(٣)] أبي هريرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهدًا في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذَّنب فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلِّني وربِّي، أبعثت عليَّ

---

(١) في (هـ): «ذكر المصنف فيه حديث جندب . .».
(٢) في «صحيحه» برقم (٢٦٢١).
(٣) في (هـ): «عن».

رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنَّة، فقبض [الله] أرواحهما، فاجتمعا عند ربِّ العالمين.

فقال لهذا المجتهد: أكنتَ بي عالمًا، أو على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النَّار»[(١)].

وفي حديث أبي هريرة أنَّ القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: تكلَّم بكلمة أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وآخِرَتَهُ.

● **قوله: «وفي حديث أبي هريرة: أنَّ القائل رجل عابد»**[(٢)]، يشير إلى قوله في هذا الحديث: إنَّ أحدهما مجتهد في العبادة.

وفيه معنى قوله ﷺ: **«إنَّ الرَّجل ليتكلَّم بالكلمة، ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»**[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٩٠١).

(٢) في (هـ) موضعها إشارة إلحاق ولم يظهر شيء في الهامش.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٣١٩)، وابن ماجه برقم (٣٩٦٩)، والإمام مالك في «الموطأ» برقم (١٧٨١)، وابن وهب في «الجامع» برقم (٢٩٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٣٦٨)، وغيره. وأخرجه غيرهم من حديث بلال بن الحارث المزني. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

٦٤ - باب
لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، نُهِكت الأنفس، وجاعَ العيال، وهَلَكتِ الأموال، فاستسقِ لنا ربَّكَ، فإنَّا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النَّبيُّ ﷺ: «سبحان الله، سبحان الله» فما زال يسبِّح حتَّى عُرِف ذلك في وجوه أصحابه، ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ: «ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنَّه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» وذكر الحديث. رواه أبو داود.

● قوله: «باب لا يستشفع بالله على خلقه».

وذكر [هذا] الحديث، وسياق أبي داود أتمُّ ممّا ذكره المصنِّف، ولفظه: عن جبير بن محمد بن مطعم، عن أبيه، عن جده(١) قال: أتى النَّبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس وضاع العيال، ونُهِكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسقِ لنا(٢)، فإنَّا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ويحك، أتدري ما تقول؟!»، وسبَّح رسولُ الله ﷺ، فما زال يسبِّحُ حتَّى عُرِف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك، إنَّه لا يستشفع

(١) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، كان من سادات قريش وحلمائها، أسلم قبل بدر، وتوفي سنة أربع وخمسين. اهـ من «العبر» للذهبي (١/ ٥٩).
(٢) في (ب) و(ج): «لنا ربك»، وفي (ب): «الله لنا».

بالله على أحد من خلقِه، شأنُ الله أعظم من ذلك. ويحك أتدري ما الله؟! إنَّ عرشه على سماواته كهكذا[(١)] - وقال بإصبعه[(٢)] مثل القُبَّة عليه - وإنَّه ليئطُّ به أطيط الرَّحل بالرَّاكب».

قال ابن يسار في حديثه: «الله فوق عرشه، وعرشُه فوق سماواته».

● قوله: «ويحك»، كلمة تقال للزَّجر.

● قوله: «أتدري ما الله؟» فيه إشارة إلى قلَّة علمه بعظمة الله وجلاله.

● قوله: «إنَّه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه»؛ لأنَّ الأمر كلَّه بيده تعالى، ليس في يد المخلوق منه شيء، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع تعالى وتقدَّس. وفي هذا الحديث الردّ على الجهمية، وإثبات العلو، وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه على عادته[(٣)] فيما كان عنده صحيحًا أو حسنًا، وسكت[(٤)] عليه[(٥)].

---

(١) في (ب): «هكذا».

(٢) في (هـ): «بأصبعيه»، وفي (ج): «بأصابعه»، وهو الصواب.

(٣) في (ب): «علاته».

(٤) في (ج): «ويسكت».

(٥) قال الذهبي في كتاب «العرش» برقم (١٩): «رواه أبو داود (٤٧٠٠) وغيره في الرد على الجهيمة بإسناد حسن عنده من حديث محمد بن إسحاق بن يسار»، والحديث أخرجه أبو داود في «باب في الجهمية» من «سننه» فقال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار وأحمد ابن سعيد الرباطي قالوا: نا وهب بن جرير، قال أحمد: كتبناه من نسخته =

وأما الاستشفاع بالرَّسول ﷺ في حياته، فإنَّما هو بدعائه، ودعاؤه

= وهذا لفظه، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت محمد بن إسحاق، يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسقِ الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «**ويحك! أتدري ما تقول؟**» وسبَّح رسول الله ﷺ، فما زال يسبِّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك. ويحك أتدري ما الله؟! إنَّ عرشه على سماواته لهكذا**»، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، «**وإنَّه ليئطُّ به أطيط الرحل بالراكب**». قال ابن بشار في حديثه: إنَّ الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته.. وساق الحديث.

وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار: عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير، عن أبيه، عن جده

قال أبو داود: والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح، ووافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني، ورواه جماعة عن ابن إسحاق كما قال أحمد أيضًا، وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني».

هذا لفظ أبي داود أوردناه بتمامه لإيضاح أنَّ ما فهمه العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن حسن من كلام أبي داود هو الصواب، لا ما توهمه مَنْ تعقب كلام الشيخ عبد الرحمن بقوله: «بل تكلم أبو داود في سننه فخطأ بعض رواته في سياقه وصوب من قال: إنَّه روي كتابة من نسخة وهب بن جرير لا تحديثًا، وأنَّ مداره فيها على محمد بن إسحاق عنعنة لا سماعًا» فإنَّ أبا داود لم يقع منه تخطئة أحد من رواة هذا الحديث عن وهب بن جرير في غير وضع الواو موضع عن في قوله (عن جبير ابن محمد) كما لم يتعرض لابن إسحاق بشيء، وأمَّا قوله: قال أحمد: كتبناه من نسخته، يعني وهب بن جرير، فليس فيه نفي تحديثه إياهم بذلك الحديث، بدليل قوله قبل ذلك: (قالوا: حدثنا وهب بن جرير، فلا وجه لاعتراض ذلك المتوهم. وقد أطال صاحب «عون المعبود» (١٣/٨) وما بعدها في الدفاع عن ذلك الحديث، والله ولي التوفيق.

مستجاب، وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاع به كما تقدَّم تقريره في باب الشَّفاعة وما قبله، والله تعالى نهى عن اتخاذ الشُّفعاء في مواضع كثيرة [من القرآن](١)، ونفاها في حقِّ من سألها من غير الله.

---

(١) طمست في الأصل.

٦٥ - باب
ما جاء في حماية النَّبيِّ ﷺ حِمَى التَّوحيد وسَدِّه طُرُق الشِّرك

● قوله: «باب ما جاء في حماية النَّبيِّ ﷺ حمى التَّوحيد وسدِّه طرق الشِّرك».

حمايته ﷺ حمى التَّوحيد عمَّا يشوبه من الأقوال والأعمال، التي يضمحلُّ معها التَّوحيد أو ينقص. وقد اشتمل هذا الكتاب على اختصاره على أكثر ذلك، والنَّهي عمَّا ينافي التَّوحيد أو يضعفه، يعرف ذلك من تدبَّره وعرف ما تضمَّنه بابًا بابًا.

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرِنا، وسيِّدنا وابنَ سيِّدنا. فقال: «يا أيها النَّاس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينَّكم[1] الشَّيطان. أنا محمد عبد الله ورسولُه، ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ» رواه النَّسائي بسند جيد.

● قوله في حديث أنس: «أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرَنا

(١) وقع في نسخة خطية لكتاب التوحيد كتبت سنة (١١٩٦هـ): «لا يسخركم»، ولم أقف عليها. وقد وردت عدة ألفاظ منها: «لا يستفزنكم» عند ابن حبان في «صحيحه» برقم (٦١٣١). «ولا يستجرئنكم» عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١/ ٢٤٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٤٩)، و«لا يتتسخركم» عند ابن شبَّة في «تاريخ المدينة» كما في «جامع المسانيد والمراسيل» (٢٣٤١١). =

وابن خيرنا وسيِّدنا وابن سيِّدنا، فقال: أيُّها النَّاس، قولوا بقولِكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينَّكم الشَّيطان، أنا محمد عبد الله ورسولُه»[١].

كره ذلك لئلا يكون وسيلة إلى الغلوِّ فيه والإطراء كما تقدَّم في قوله: **«لا تطروني كما أطرت النَّصارى ابن مريم، إنَّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسولُه»**[٢].

وهذا من كمال نصحه الأمَّة[٣] وشفقته عليهم، حذَّرهم مما يكون ذريعة إلى الغلوِّ فيه.

● وقوله: **«أنا محمد عبد الله ورسوله»**، فأعلى مراتب العبد هاتان الصفتان[٤]: العبودية الخاصة، والرِّسالة.

وللنبي ﷺ أكملهما، وقد أخبر تعالى أنَّه وملائكته يصلُّون عليه،

= و«لا يستخفنَّكم» عند ابن سعد (٧/ ٣٤)، وورد في حديث: «ليقل أحدكم بقوله ولا يستجرَّه الشيطان، أو الشياطين» عند أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١/ ٢٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٧٠).

وأخرجه الضياء في «المختارة» (٤/ ٤٠) بلفظ: «لا يسخر به». والله أعلم.

(١) رواه النسائي في «الكبرى» برقم (١٠٠٧٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٢)، وصحَّحه ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي»، وجوَّد إسناده الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(ط): «للأمة».

(٤) غير واضحة في الأصل.

وأمر [أمَّته][(١)] أن يصلُّوا عليه، وأثنى عليه بأحسن ثناء وأبلغه، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فلا يذكر في الأذان والتَّشهُّد والخطب إلَّا ذكر معه صلوات الله وسلامه عليه.

وأمَّا إطلاق «السَّيِّد» فقد ذكر ابن القيِّم - [رحمه الله تعالى] - في «بدائع الفوائد» ما نصُّه: «اختلف العلماء في جواز إطلاق السَّيِّد على البشر، فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجُّوا بقول النَّبيِّ ﷺ لما قيل له: أنت سيِّدُنا، قال: «السَّيِّد الله»، وجوَّزه قوم واحتجُّوا بقول النَّبيِّ ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيِّدِكم»[(٢)] وهذا أصحُّ من الحديث الأوَّل.

قال هؤلاء: السَّيِّد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي: سيد كندة، ولا يقال للملك: سيِّد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم.

وفي هذا نظر، فإنَّ السَّيِّد إذا أطلق عليه تعالى، فهو في منزلة الملك والمولى والرَّب، لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق». انتهى[(٣)].

قلت: فقد صحَّ عن ابن عباس ﵄ أنَّه قال في معنى قوله -

---

(١) في (أ) الكلمة عليها سواد.
(٢) رواه البخاري برقم (٤١٢١)، ومسلم برقم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁.
(٣) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢١٢).

تعالى -: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢]: إنَّه السَّيِّد الذي كمل فيه جميع أنواع السُّؤدد[١].

وقال أبو وائل: هو السَّيِّد الذي انتهى سؤدده[٢].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٨٢) وغيرهم.

(٢) علَّقه البخاري في «صحيحه» (١٩٠٣)، وانظر: «تغليق التعليق» (٤/ ٣٨٠) لابن حجر.

٦٦- باب

ما جاء في قول الله تعالى:
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾
[الزُّمَر: ٦٧] الآية

● قوله: «باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] الآية».

أي: من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية.

قال العماد ابن كثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) -: «يقول تعالى: «ما قدر المشركون الله حقَّ قدره حتَّى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كلِّ شيء، المالك لكلِّ شيء، وكلُّ شيء تحت قهره وقدرته».

قال السُّدِّي: ما عظَّموه حقَّ عظمته(٢).

وقال محمد بن كعب: لو قدروه حقَّ قدره ما كذبوه(٣).

وقد وردت أحاديث كثيرة تتعلق بهذه الآية(٤)، الطَّريق فيها وفي

---

(١) في (ب) و(ط): «رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى».
(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٤/ ٢٥)، وابن أبي حاتم برقم (١٣٤١).
(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٤/ ٢٥)، وابن أبي حاتم برقم (١٣٤١).
(٤) طمست في الأصل و(ب).

أمثالها مذهب السَّلف: وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف[(١)].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثَّرَى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النَّبيُّ ﷺ حتَّى بدتْ نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] الآية.وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزُّهنَّ فيقول: أنا الملك، أنا الله».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السموات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع». أخرجاه.

● قوله: عن ابن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشَّجر على إصبع، والماء على إصبع، والثَّرَى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: «أنا الملك». فضحك النَّبيُّ ﷺ حتَّى بدتْ نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ [رسول الله ﷺ]: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] الآية.

---

(١) في (ج): «تحريف ولا تكييف».

وهكذا رواه البخاري ومسلم والنَّسائي[١] من طرق عن الأعمش به، وقال البخاري[٢]: حدَّثنا سعيد بن عفير، قال: حدَّثنا[٣] الليث، حدثني[٤] عبد الرَّحمن بن مسافر[٥] عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن، عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«يقبض الله الأرض ويطوي السَّماء بيمينه، فيقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»** تفرَّد[٦] به من هذا الوجه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟».

وروي عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كفِّ الرَّحمن إلَّا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدَّثني يونس، أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدَّثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلَّا كدراهم سبعة أُلقيت في ترس»، قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعتُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨١٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٩٢) وغيرهم.
(٢) في «صحيحه» (٤٨١٢).
(٣) في (أ): «ثنا».
(٤) في (أ): «ثني».
(٥) هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، وقد ينسب إلى جدِّه.
(٦) أي البخاري.

رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلَّا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

وعن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مئة عام، وبين كل سماء وسماء خمس مئة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمس مئة عام، وبين الكرسي والماء خمس مئة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، قال: وله طرق.

● قوله: ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «يطوي الله ﷻ السموات، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثم يطوي [الله] الأرض بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟» كذا في رواية مسلم[1]، قال الحميدي[2]: «وهي أتمّ».

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها - وهي كثيرة جدًّا - تدلُّ على عظمة الله - [تعالى] - وكماله وعظيم قدرته، وفيها الردُّ على الجهمية والأشاعرة ونحوهم أيضًا، وكلّ ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله يدلُّ على كماله وعظمته وجلاله، وأنَّ العبادة لا

(١) برقم (٢٧٨٨).
(٢) في «الجمع بين الصحيحين» (٢/ ١٤١).

تصلح إلَّا له سبحانه وبحمده، لا يصلح منها شيء لملك مقرَّب ولا نبي مرسل، ولا لمن دونهما.

قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيميَّة رحمه الله تعالى ـ: «وهذا كتاب الله من أوَّله إلى آخره، وسنَّة رسوله ﷺ وكلام الصَّحابة والتَّابعين، وكلام سائر الأئمَّة مملوء بما هو إمَّا نصٌّ أو ظاهر، أنَّ الله تعالى فوق كل شيء، وأنَّه فوق العرش فوق السَّموات مستوٍ على عرشه، وذكر ما يدلُّ على ذلك من الكتاب والسُّنَّة»[(١)].

وقال الأوزاعي: كنَّا - والتَّابعون متوافرون - نقول: إنَّ الله - تعالى - [ذكره] فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنَّة[(٢)].

وقال أبو عمر الطَّلمنكي في كتاب «الأصول»: «أجمع المسلمون من أهل السُّنَّة، على أن الله مستوٍ على عرشه بذاته». ذكره الذهبي في كتاب «العلو»[(٣)].

وقال أبو عمر الطلمنكي في هذا الكتاب أيضًا: «أجمع أهل السنة على أنَّ الله تعالى استوى على عرشه بالحقيقة لا على المجاز..» ثم قال في هذا الكتاب: «أجمع المسلمون من أهل السنة أنَّ معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن أنَّ ذلك علمه، وأنَّ الله فوق السَّموات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء».

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٢).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٥)، ومن طريقه: الذهبي في «السير» (٧/ ١٢٠) وغيرهما.

(٣) ص (٢٤٦).

هذا لفظه في كتابه(١).

وقال الحافظ الذَّهبي(٢): «وأوَّل مقالة سُمعت: مقالة من أنكر أنَّ الله تعالى فوق العرش هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصِّفات، فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة(٣). وأخذ هذه المقالة عنه: الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها واحتجَّ لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التَّابعين، فأنكر مقالته أئمَّة ذلك العصر، مثل الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك واللَّيث بن سعد والثَّوري وحمَّاد بن زيد وحمَّاد بن سلمة وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى كالإمام أحمد وخَلْق من أهل السُّنَّة».

«قال الإمام الشَّافعي: لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجَّة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، فنثبت هذه الصِّفات وننفي عنه التَّشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝﴾ [الشورى: ١١]». انتهى من «فتح الباري»(٤).

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرة خمس مئة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مئة سنة،

(١) المصدر السابق.
(٢) في كتاب «العرش» (٢/ ٧٣ - ط أضواء السلف).
(٣) تقدم الكلام على هذه القصة ص (٥١٥).
(٤) (١٣/ ٤٠٦).

وكثف كل سماء مسيرة خمس مئة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم. أخرجه أبو داود وغيره.

● **قوله: «وعن العباس بن عبد المطلب»**، ساقه المصنِّف مختصرًا، والذي في «سنن» أبي داود: عن العبَّاس بن عبد المطَّلب، قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرَّت بهم سحابة، فنظر إليها فقال: «**ما تسمُّون هذه؟**» قالوا: السَّحاب، قال: «**والمزن**»، قالوا: والمزن، قال: «**والعنان**» قالوا: والعنان، - قال أبو داود: لم أتقن العنان جيدًا -، قال: «**هل تدرون ما بُعد ما بين السَّماء والأرض؟**» قالوا: لا ندري.

قال: «**إنَّ بُعْدَ ما بينهما إما واحدة أو ثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السَّماء فوقها كذلك - حتَّى عدد سبع سموات - ثم فوق السَّابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم، مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه، مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**». قال الحافظ الذهبي: «رواه أبو داود بإسناد حسن»[1]. وروى التِّرمذي نحوه من حديث أبي هريرة،

---

(١) في كتاب «العرش» (١/ ١٨): «بإسناد حسن وفوق الحسن»، والحديث أخرجه =

وفيه: «**بُعْدُ ما بين سماء إلى سماء خمس مئة عام**»[(١)]، قال: «ولا منافاة بينهما لأنَّ تقدير ذلك بخمس مئة عام هو على سير القافلة مثلًا، ونيِّف وسبعون سنة على سير البريد»[(٢)].

قلت: وهذا الحديث له شواهد في «الصَّحيحين» وغيرهما مع ما يدلُّ عليه صريح القرآن فلا عبرة بقول من ضعَّفه.

وقد ابتدأ المصنِّف رحمه الله - تعالى - هذا المصنَّف العظيم ببيان توحيد الإلهية؛ لأنَّ أكثر الأمَّة ممن تأخَّر قد جهلوا هذا التَّوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشِّرك والتَّنديد، فقام هذا الشَّيخ ببيان التَّوحيد الذي دعت إليه الرُّسل، ونَهَوْا أممهم عمَّا كانوا عليه من الشِّرك المنافي لهذا التَّوحيد، فالدَّعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وَفَّقه الله لفهمه، وأعطاه القدرة على الدَّعوة إليه والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته، فقرَّر هذا التَّوحيد كما ترى في هذه الأبواب.

= أبو داود في «سننه» برقم (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه برقم (١٩٣)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٣٤) وغيرهم، وفي الإسناد عبد الله بن عميرة فيه جهالة. ولكن صرَّح ابن تيمية في «الفتاوى» (٣/ ١٩٢) بصحته، وكذلك الجوزقاني في «الأباطيل» (١/ ٧٩)، وابن القيم في «تهذيب السنن» (٧/ ٩٢).

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٣٢٩٨)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٠)، والجورقاني في «الأباطيل» (١/ ٧٩) رقم (٦٥) وغيرهم من طريق الحسن عن أبي هريرة، وصحَّحه الشيخ سليمان في «التيسير» ص (٦٤٦).

(٢) «العرش» (٢/ ٣٣).

ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنَّ أكثر العامة لم يكن لهم التفات إلى هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلى العلم، وأما من ينتسب إلى العلم فهم أخذوا عمَّن خاض في هذه العلوم وأحسنوا الظَّنَّ بأهل الكلام، وظَنُّوا أنَّهم على شيء فقبلوا مذهبهم وما وجدوه عنهم، فَقَرَّرُوا مذهب الجهمية وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة، وما عليه سلف الأمة وأئمَّة الحديث والتَّفسير من المتقدمين.

وما زال أهل السنَّة متمسِّكين بذلك، لكنهم قلُّوا، فهدى الله هذا الإمام إلى معرفة أنواع التَّوحيد، فقرَّرها بأدلتها، فللَّه الحمد على توفيقه وهدايته إلى الحق حين اشتدَّت غربة الإسلام، فضلَّ عنه من ضلَّ من أهل القرى والأمصار وغيرهم، وبالله التَّوفيق.

وقد اجتمع في هذا المصنَّف [أنواع[1] التَّوحيد الثَّلاثة التي أشار إليها العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله - تعالى - بقوله:

وَالعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلاثٌ مَا لَهَا ... مِنْ رابعٍ وَالحَقُّ ذو تِبْيَانِ
عِلْمٌ بأوصافِ الإلهِ وَفِعلِهِ ... وَكَذَلِكَ الأَسمَاءُ لِلرَّحمنِ
والأَمْرُ وَالنَّهيُ الذِي هُو دِينُهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعادِ الثَّانِي[2]

وصلَّى الله على سيِّدِ المرسلين وإمام المتَّقين[3] محمَّد، وعلى آله

---

(١) من هنا إلى آخره ليس في (أ).
(٢) في (ب) بعدها: «آخره الحمد لله رب العالمين»، والأبيات في «الكافية الشافية» (٤٢٥٣-٤٢٥٥)..
(٣) في (ب) بعدها: «نبينا».

وصحبه أجمعين، وسلَّم تسليمًا [كثيرًا](١)(٢).

(١) في (ب) بعدها: «كثيرًا جزيلًا، تمت هذه النسخة المباركة، كتبها الفقير إلى ربه، الغني عن كل ما سواه علي بن محمد المديميغ غفر الله ولوالديه ولجميع المسلمين. وكان الفراغ منها عصرية الأحد سنة (١٣٣٥)، وصلَّى الله على محمد وآله. آمين».
وفي هامش (ب): «جمادى ١٣٣٥».
وفي (ج): «آخره والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وكان الفراغ يوم الجمعة المبارك سنة ١٢٨٥ خمس وثمانين ومئتين وألف. بقلم الفقير المقرِّ بالذنب والتقصير الراجي لرحمة ربه العليم القدير، عبده ابن عبده محمد بن ناصر بن عبد الله بن عثمان بن حمد بن حسن ابن عزاز الحنبلي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، آمين. وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين، ثم:
إن تجد عيبًا فسدَّ الخللا ... جَلَّ من لا عيب فيه وعلا
ثم: «ملكه من فضل ربه العزيز، كاتبه محمد بن ناصر بن عبد الله بن عزيز. والحمد لله رب العالمين».
وقال في آخرها:
«رحم الله من وجد عيبًا فستره؛ فإنَّ المؤمن ينصح ويستر، والفاجر يفضح ويُعَيِّر».
وفي (د): «آخره ولله الحمد. وفرغت منه صبيحة يوم السبت سنة ١٢٨٥هـ (٢٩بر) بقلم الفقير إلى الله أحمد بن محمد بن عبيد غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، آمين يا رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».
ثم جاء بعدها هذا: بحث لابن القيم عن المحبة. أخذ مقدار الصفحة بوجهين وثلث وجه آخر. آخره والحمد لله رب العالمين، وقد وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب العظيم ضحى يوم الجمعة من شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٩٩ تسع وتسعين ومئتين بعد الألف على يد عبده وابن عبده سليمان بن سحمان غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين، وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.
وفي آخر المطبوع: «ثم ذلك نسخ في رجب سنة ١٣٤٥هـ، بلغ مقابلة وتصحيحًا على المشايخ الكرام: الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبد الله العنقري».

(٢) كتب في آخر (أ): «آخره ولله الحمد، ظهر يوم الأحد لست عشرة خلت =

. . . .

= من شهر رجب سنة (١٢٨٥هـ) بقلم عبد العزيز بن صالح الصيرامي، غفر الله له، ولوالديه وللمسلمين، آمين».

وجاء في الحاشية: «قرأتُ جميع ما في هذا الشّرح المفيد، الحاوي لمقاصد التوحيد، على شيخي تلميذ المصنِّف الشيخ الفاضل حمد بن علي بن عتيق، في سنة خمس وتسعين ومئتين وأنا الفقير إلى الله إسحاق بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن المؤلّف قدّس الله سرَّه».

وبعدها على اليسار:

«وما من كاتبٍ إلا سيلقى ... غداةَ الحشرِ ما كتبت يداهُ
فلا تكتب بكفِّكَ غير شيءٍ ... يسرُّك في القيامةِ أن تراهُ

الفهرس